مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم

تأليف

أحمد بن مصطفى

الشهير

بطاش كبري زاده

المجلد الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

الدوحة السادسة

في العلوم الشرعية

وإنما سمي «علم الشرائع» لأخذ الناس منها حظوظهم، اذ الشريعة لغة: مورد الشاربة، كما تسمى الشريعة ديناً لإطاعة الناس إياها، وملة لاجتماعهم عليها. ويسمى أيضاً «علم النواميس» أخذا من الناموس: وهو الملك النازل بالوحي. والناموس لغة: البعوضة، وهي تصوت في أذن الإنسان، فشبه بها صاحب السر، لتكلمه السر في أذن صاحبه، فيستعار له لفظ الناموس. ثم نقل الى الملك النازل بالوحي.

وفي هذه الدوحة: مقدمة وشعب

المقدمة

واعلم: أن العلوم الاعتقادية: أما متعلقة بالنقل، أو فهم المنقول، أو تقريره وتشييده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة.

فالنقل: إن كان بما أتى به الرسول بواسطة الوحي فهو: «علم القراءات»؛ أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة: «فعلم رواية الحديث».

وفهم المنقول: إن كان من كلام الله تعالى «فعلم تفسير القرآن»؛ وإن كان من كلام الرسول: «فعلم دراية الحديث».

والتقرير: أما الآراء: «فعلم أصول الدين»؛ أو الأفعال: «فعلم أصول الفقه».

واستخراج الأحكام من أدلتها: «فعلم الفقه».

ومنافع هذه العلوم جمة:

أما في الدنيا: فحفظ المهج والأموال، وانتظام سائر الأحوال.

وأما في الأخرى: فالنجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم.

فهذه العلوم هي جملة أصول الشريعة. ولكل منها فروع كثيرة، فلنذكر كلا من هذه السبعة في شعبة، وفروع هذه في شعبة أخرى، بقدر ما تفي به قوة التقرير والتصوير، ويحيط به نطاق الحرير والتسطير.

الشعبة الاولى

من العلوم المتعلقة بالشريعة

علم القراءة

وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة. ومبادئه: مقدمات تواترية، وله أيضا استمداد من العلوم العربية. والغرض منه: تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة. وفائدته: صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير. وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام، من حيث الاختلافات الغير متواترة، الواصلة الى حد الشهرة. ومبادئه: مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم.

ولنذكرها هنا أئمة القراء من الصحابة، ثم من التابعين، ثم من الأئمة السبعة المشهورين، ثم الثلاثة الذين يكملون العشرة بهم، ثم أرباب التصانيف المشهورة.

أما الصحابة

(فأولهم): عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، **الامام أبو بكر الصديق.** صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخليفته، وخير الخلق بعده. ذكره الداني وقال: وردت الرواية عنه في حروف القرآن.

قلت: هو أول من جمع القرآن في مصحف وأشار بجمعه، وذلك مشهور.

ذكره أبو الفداء اسماعيل بن كثير. ونص الامام أبو الحسن الأشعري على حفظه القرآن، واستدل على ذلك بدليل لا يرد، وهو: أنه صح عنه صلى الله عليه وسلم بلا نظر أنه قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى وأكثرهم قرآنا». وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قدمه للامامة، ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليأمر بأمر ثم يخالفه بلا سبب. واذا كان أقرؤهم يكون أعلمهم، اذ كان عندهم «الأقرأ هو الأعلم»، كما قال الشافعي رضي الله عنه: أن الأفضلية في القراءة، تستلزم الأفضلية في العلم. وكيف يسوغ لأحد نفي حفظ القرآن عن أبي بكر، رضي الله عنه ــ كما زعمه بعض بغير دليل ولا حجة بل بمجرد الظن. وما روي عن أنس: لم يحفظ القرآن الا أربعة كلهم من الأنصار، فالمراد حفظاً وكتابة، أو حفظاً لا كتابة، أو لم يحفظه من الأنصار غير الأربعة بدليل قوله: كلهم من الأنصار، إذ قد اتفقوا على أن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر، وعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود، حفظوا القرآن ولم يذكر فيهم، والدلائل الواهية، والأجوبة عنها، مذكورة في كتاب (الانتصار) للقاضي أبي بكر، وكتاب (المرشد) للشيخ أبي شامة، وغيرهما. وكيف يرضى مسلم أن ينفي فضيلة حفظ القرآن ــ الذي هو أشرف الفضائل ــ من رجل قال فيه سيد البشر: «ما طلعت شمس ولا غربت على أحد ــ بعد النبيين والمرسلين ــ أفضل من أبي بكر». رواه ابن جريج عن عطاء.

ثم أن أبا بكر: أمه أم الخير، سلمى بنت صخر، من تيم؛ وسمي عتيقاً: أما لجماله، أو لقوله صلى الله عليه وسلم: «أنت عتيق من النار»؛ وسمي صديقاً: لأنه لما أسرى به صلى الله عليه وسلم، كذبته قريش وصدقه أبو بكر.

قيل: هو أول من أسلم. والاتفاق على أنه أول من أسلم من الرجال، وعليٌّ أول من أسلم من الصبيان، وفي الأولية بينهما خلاف. استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم أياما في الصلاة في مرض موته، ثم بايعه الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم، وهو يوم الاثنين.

و(ولد) رضي الله عنه، بعد عام الفيل بسنتين وثلاثة أشهر وأيام قلائل.

و(توفي) يوم الاثنين، أو ليلة الثلاثاء، أو يوم الجمعة، والأول أصح، لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة. ومدة خلافته: سنتان وأربعة أشهر الا عشر ليال. ودفن في البيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل رأسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم. وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس. ومناقبه كثيرة لا تفي بذكرها المجلدات.

و(ثانيهم): عمر بن خطاب، بن نفيل بن عبد العزى بن رياح (آخر الحروف) بن قرط بن رزاح، بتقديم الراء على الزاي، بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العدوي، أمير المؤمنين، أبو حفص.

وردت الرواية عنه في حروف القرآن. وقال أبو العالية الرياحي بسند صحيح: قرأت القرآن على عمر أربع مرات، وأكلت معه اللحم.

وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل لعنه الله. وكان يلقب بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل. وهو أول من سمي أمير المؤمنين، لأن الناس قالوا له خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا أمر يطول سيما بعدي فقال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم. وكان يدور في الأسواق والدرة على عاتقه، و يأخذ للضعيف من القوي، وللعبد من الحر، احتساباً وطلباً للثواب من الله الوهاب، لا يخاف في الله لومة لائم. وكان يسعى مع اليتيم والارملة والمساكين، و يقف على الصبيان والمشيخة، وكان آدم شديد الأدمة، أصلع، في عارضيه خفة، سلبته كثيرة الشعر، شديد حمرة العينين أعسر، يسير مشرفاً على الناس، كأنه على دابة والناس يمشون. بويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر. و(واستشهد) يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين. وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشرة أيام.

و(ثالثهم): عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أبو عبدالله، وأبو عمرو، القرشي الاموي، أمير المؤمنين ذو النورين، أحد السابقين الأولين، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعرض عليه القرآن المغيرة بن ابي شهاب المخزومي، وأبو

عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وأبو الأسود الدؤلي، و يقال عبدالله بن عامر ذكره الوليد بـن مسلم، عن يحيى بن الحارث. تزوج بابنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم: رقية ،فولدت له عبدالله، و به كان يكنى، ثم كني بابنه عمرو. فلما توفيت رقية ليالي بدر، زوجه النبي صلى الله عليه وسلم بأختها أم كلثوم. وكان معتدل الطول، كث اللحية، حسن الوجه، أسمر، بعيد ما بين المنكبين، يخضب بالصفرة. قال السائب: رأيته فما رأيت شيئا أجمل منه. وكان أصغر من النبي صلى الله عليه سلم بست سنين. (قتل شهيداً) مظلوماً في داره، يوم الاربعاء، وقيل يوم الجمعة بعد العصر، وكان صائماً ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وله اثنان وثمانون سنة على الصحيح. ودفن ليلة السبت بالبقيع، وصلى عليه جبير بن مطعم. أسلم رضي الله عنه قديما في السنة الأولى من النبوة، وهاجر هجرتين. (ولد) في السنة السادسة من عام الفيل. وكانت أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس؛ أمها أم حكيم بنت عبد المطلب، وهي البيضاء توأمة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و(**رابعهم**): **علي بن أبي طالب** بن عبد المطلب بن هاشم، الامام أبو الحسن الهاشمي، أمير المؤمنين، وأحد السابقين الاولين، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان يسمى «الصديق الأكبر»، و«يعسوب الموحدين»، وأبا الريحانتين، وأبا التراب والكراع. بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان، رضي الله عنه، وقتل بعده بخمس سنين. ومناقبه أكثر من أن تحصى، ولا يخفى فضله على أحد من المسلمين. روينا عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: ما رأيت أقرأ من علي. عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الذين حفظوا القرآن أجمع بلا شك عندنا، وقد أبعد الشعبي في قوله: انه لم يحفظه. قال يحيى بن آدم: قلت لأبي بكر بن عياش: يقولون أن عليا رضي الله عنه لم يقرأ القرآن، فقال: أبطل من قال هذا، عرض عليه أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الأسود الدؤلي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى. وأجمع المسلمون على أنه قتل شهيداً يوم قتل، وما على وجه الأرض أفضل منه، ضربه عبد الرحمن بن ملجم، صبيحة سابع عشر شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة بالكوفة، وهو

ابن ثمان وخمسين سنة، فيما قاله ابنه الحسين رضي الله عنه، فعلى هذا يكون أسلم وهو ابن ثمان سنين وقال محمد بن الحنفية: قتل أبي وله ثلاث وستون سنة. وكذا قال الشعبي وابن عباس وجماعة؛ وقيل: ابن سبع وخمسين سنة، رضي الله عنه.

و(**خامسهم**): **ابي بن كعب** بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبوالمنذر الأنصاري المدني، سيد القراء بالاستحقاق، وأقرأ هذه الأمة على الاطلاق. قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعض القرآن للارشاد والتعليم. روى أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أقرؤهم أبي بن كعب». قرأ عليه القرآن من الصحابة: ابن عباس، وأبو هريرة، وعبدالله بن السائب؛ ومن التابعين: عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبدالله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية الرياحي. اختلف في موته اختلافا كثيراً، فقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: قبل مقتل عثمان بجمعة أو بشهر.

و(**سادسهم**): **زيد بن ثابت** بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن التجار، أو خارجة، وأبو سعيد الأنصاري الخزرجي المقري الفرضي، كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأمينه على الوحي، وأحد الذين جمعوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم من الأنصار. وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر الصديق، ثم لعثمان حين جهزها الى الأمصار. وكان أسن من انس بسنة. عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأه عليه من الصحابة: أبو هريرة، وابن عباس؛ ومن التابعين: أبو عبد الرحمن السملي، وأبو العالية الرياحي، قيل: وأبو جعفر. (توفي) سنة خمس وأربعين؛ وقيل: سنة ثمان وأربعين، وأبعد من قال: سنة خمس وخمسين، أو سنة ست وخمسين، بل مات عن ست وخمسين سنة. والله أعلم.

و(سابعهم): **عبدالله بن مسعود** بن الحارث بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي. أحد السابقين والبدريين والعلماء الكبار من الصحابة، أسلم قبل عمر، عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، عرض عليه الأسود، وتميم بن حذلم، والحارث بن قيس، وزر بن حبيش، وعبيد بن قيس، وعبيد بن نضلة، وعلقمة، وعبيدة السلماني، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمرو الشيباني، وزيد بن وهب، ومسروق، وهو أول من افشى القرآن من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: حفظت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة، وكان آدم خفيف اللحم، لطيف القد، أحمش الساقين، حسن البزة، طيب الرائحة، موصوفاً بالذكاء والفطنة. وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، و يلزمه، ويحمل نعله، و يتولى فراشه ووساده وسواكه وطهوره، وكان صلى الله عليه وسلم يطلعه على أسراره ونجواه، وكانوا لا يفضلون عليه أحداً في العلم. وفضائله أكثر من أن تحصى. وكان مع ذلك هو الإمام في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله، مع حسن الصوت، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبده وقال: «والذي لا اله غيره لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغينه الابل لرحلت اليه». قلت: واليه تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والاعمش. وفد من الكوفة الى المدينة (فمات) بها، آخر سنة اثنتين وثلاثين، و(دفن) بالبقيع،وله بضع وستون سنة. ولما جاء نعيه الى أبي الدرداء قال: ما ترك بعده مثله.

و(ثامنهم): **أبو الدرداء عويمر بن زيد،** و يقال ابن عبدالله، و يقال ابن ثعلبة، و يقال ابن عامر بن غنم الأنصاري الخزرجي. حكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف، ولي قضاء دمشق، وهو اول قاضي وليها، وكان من العلماء الحكماء الذين يشفون من الداء. عرض عليه عبدالله بن عامر اليحصبي، وزوجه أم الدرداء الصغرى التي

عرض عليها عطية بن قيس الكلابي، وعرض عليه أيضاً خليد بن سعد، وراشد بن سعد، وخالد بن معدان، قال سويد بن عبد العزيز: كان أبو الدرداء اذا صلى الغداة في جامع دمشق، اجتمع الناس عليه للقراءة، فكان يجمعهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع الى عريفهم، فإذا غلط عريفهم رجع الى أبي الدرداء، فسأله عن ذلك. وكان ابن عامر عريفاً على عشرة، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر. وعن مسلم بن مشكم: عددت من قرأ على أبي الدرداء بأمره ألفاً وستمائة ونيفاً، وكان لكل عشرة منهم مقرىء، وكان أبو الدرداء يكون قائماً، واذا أحكم الرجل منهم تحول الى أبي الدرداء. (توفي) رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين، ولم يخلف بعده بالشام مثله.

و(تاسعهم): **أبو موسى الاشعري**، عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار، الاشعري اليماني. هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقدم عليه عند فتح خيبر. وحفظ القرآن وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم. وعرض عليه القرآن: حطان بن عبدالله الرقاشي، وأبو رجاء العطاردي وأبو منيح الهنائي. قال أبو عبدالله الحافظ: وان قصرت مدة صحبته، فلقد كان من نجباء الصحابة، وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن. سمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته، فقال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود». وقد استغفر له النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله على زبيد وعدن. ثم ولي أمرة الكوفة والبصرة لعمر، وحكمه عليٌّ على نفسه في شأن الخلافة، لجلالته وفضله. وكان قصيراً، خفيف اللحم، أثط. وكان عمر اذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده. وافتتح أصبهان زمن عمر. وفضائله كثيرة. (توفي) في ذي الحجة، سنة أربع وأربعين على الصحيح، وقيل سنة ثلاث وخمسين.

هذا من أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأما الذين اخذوا من الصحابة مثلهم فكثير:

(منهم) **عبدالله بن عباس**، بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس الهاشمي. بحر التفسير، وحبر الامة، الذي لم يكن على وجه الأرض في زمانه

أعلم منه، حفظ المحكم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عرض القرآن كله على أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وقيل: على علي بن ابي طالب. عرض عليه القرآن مولاه درباسي، وسعيد بن جبير، وسليمان بن قتة، وعكرمة بن خالد، وأبو جعفر يزيد بن قعقاع. (ولد) قبل الهجرة بثلاث سنين، وناهز الاحتلام في حجة الوداع، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين». ومناقبه أكثر من أن تحصر. وكان طويلا مشرباً صفرة، جسيماً وسيماً مليح الوجه، يخضب بالحناء، مديد القامة. قال عطاء: ما رأيت البدر الا ذكرت وجه ابن عباس. وروى الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت، الا ثمانية عشر حرفاً أخذها من قراءة ابن مسعود. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً قط، أجمع لكل خير، من مجلس ابن عباس للحلال و الحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام، وقال عكرمة: قال ابن عباس: اذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب. (توفي) بالطائف — وقد كف بصره — سنة ثمان وستين، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: اليوم مات رباني الامة، رضي الله عنه.

و(منهم): **أبو هريرة،** عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الكبير رضي الله عنه. اختلف في اسمه، والاقوى والاشهر عبد الرحمن، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس. أسلم هو وأمه سنة سبع، وأخذ القرآن عرضاً عن ابي ابن كعب. قال سبط الخياط: حكى جماعة عن شيوخنا البغداديين، أن الاعرج قرأ على أبي هريرة، وأن أبا هريرة قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، قلت: المشهور أنه قرأ على أبي بن كعب. عرض عليه: عبد الرحمن بن هرمز الاعرج، وأبو جعفر، قيل: وشيبة بن نصاح، قال الذهبي: انه لم يدرك أبا هريرة. ومناقبه وفضائله وتواضعه وعمله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. كان يجزىء الليل ثلاثة أجزاء: جزء للقرآن، وجزء للنوم، وجزء يتذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: تنتهي اليه قراءة أبي جعفر ونافع. (توفي) سنة سبع، وقيل: سنة ثمان وخمسين، والقولان مشهوران، وقيل سنة تسع

وخمسين، وله ثمان وسبعون سنة.

و(منهم): **عبدالله بن السائب**، بن أبي السائب بن صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم، أبو السائب، وقيل أبو عبد الرحمن، المخزومي، قارىء أهل مكة. له صحبة، روى القراءة عرضاً عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، عرض عليه القرآن مجاهد بن جبر، وعبدالله بن كثير، فيما قطع به الداني وغيره. وروينا من طريق الشافعي، قال مجاهد: كنا نفخر على الناس بقارئنا عبدالله ابن السائب، وبفقيهنا ابن عباس، وبمؤذننا أبي محذورة، وبقاضينا ابن عمير. (توفي) في حدود سنة سبعين في امرة ابن الزبير، قال ابن أبي مليكة: رأيت عبدالله بن عباس ــ لما فرغ من دفن عبدالله بن السائب ــ وقف على قبره، فدعا له ثم انصرف.

هذا من اشتهر بالقراءة والاقراء من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم اجمعين، واما المشتهرون بالقراءة والاقراء من التابعين، رضي الله عنهم، فخمس فرق:

(الفرقة الاولى): من كانوا بالمدينة شرفها الله.

(منهم) سعيد بن المسيب، بن حزن بن أبي وهب المخزومي، أبو محمد عالم التابعين. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. قرأ على ابن عباس وأبي هريرة، وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد، قرأ عليه عرضاً محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري، (توفي) سنة أربع وتسعين عن تسع وسبعين سنة.

و(منهم): **عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبدالله المدني**. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. روى عن أبويه وعائشة؛ وروى عنه أولاده والزهري وجماعة. قال ابن شوذب: كان يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً، ويقوم به بالليل، فما تركه الا ليلة قطعت رجله للاكلة، ثم عاود لحزبه في الليلة المقبلة. (مات) سنة ثلاث أو أربع أوخمس وتسعين وهو صائم، فإنه كان يصوم الدهر.

و (منهم): **سالم بن عتبة بن ربيعة**، مولى أبي حذيفة، أبو عبدالله الصحابي الكبير، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خذوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة». استشهد يوم اليمامة في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة رضي الله عنه.

وهذا وان لم يكن من التابعين، لكن لاختصاصه بالمدينة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، ذكرناه فيهم.

و(منهم): **عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم**، أبو حفص الاموي، أمير المؤمنين. وردت الرواية عنه في حروف القرآن، ومناقبه كثيرة شهيرة. كان حسن الصوت بالقرآن، فخرج ليلة، فقرأ وجهر بصوته، فاستمع له الناس، فقال سعيد بن المسيب: فتنت الناس، فدخل. (توفي) بدير سمعان ــ من أرض الشام ــ في رجب سنة احدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر.

و(منهم): **سليمان بن يسار**، أبو أيوب الهلالي المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين. وهو أخو عطاء وعبد الملك وعبدالله، تابعي جليل. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. (مات) سنة سبع ومائة، وقيل سنة ست أو أربع أو ثلاث أو تسع.

و(منهم): **عطاء بن يسار**، أبو محمد الهلالي المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أدرك زمن عثمان وهو صغير، وروى عن مولاته، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت؛ روى عنه زيد بن أسلم وشريك، و(مات) سنة ثلاث أو اثنتين ومائة.

و(منهم): **معاذ بن الحارث أبو الحارث**، و يقال أبو حليمة، الانصاري، المدني، المعروف بالقارىء. روى عنه نافع وابن سيرين؛ وحدث عنه نافع مولى ابن عمر، (توفي) بالحرة سنة ثلاث وستين وهو ابن تسع وستين سنة.

و(منهم): **عبد الرحمن بن هرمز الاعرج**، أبو داود المدني، تابعي جليل. أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة، وابن عباس، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، ومعظم روايته عن أبي هريرة؛ روى القراءة عنه عرضا نافع بن أبي نعيم؛ وروى عنه الحروف أسيد بن أسيد. نزل الى الاسكندرية (مات) بها سنة سبع عشرة ومائة، وقيل: سنة تسع عشرة.

و(منهم): **محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب، أبو بكر الزهري**، المدني، أحد الأئمة الكبار، وعالم الحجاز والأمصار، تابعي. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. قرأ على أنس بن مالك. (ولد) سنة خمسين أو احدى وخمسين؛ روى عن عبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وأبي الطفيل، ومحمود بن الربيع ومحمود بن لبيد. وروى عنه الحروف عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي؛ وعرض عليه نافع بن أبي نعيم، وروى عنه مالك بن أنس، ومعمر، والأوزاعي، وعقيل بن خالد، وابراهيم بن أبي عبلة، وأمم. وكان يكره التفاح وسور الفار ويقول انه ينسي، ويشرب العسل ويقول انه يذكر، (مات) سنة أربع أو ثلاث أو خمس وعشرين (ومائة)، بشعب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين.

و(منهم): **مسلم بن جندب**، أبو عبدالله الهذلي، مولاهم المدني القاص، تابعي مشهور.

عرض على عبدالله بن عياش؛ عرض عليه نافع، وروى عن أبي هريرة، وحكيم بن حزام، وابن عمر، وابن الزبير، كما ذكره الداني؛ وقال الذهبي: أحسب روايته عن أبي هريرة وحكيم الا منقطعة. وهو الذي أدب عمر بن عبد العزيز. وكان من فصحاء أهل زمانه، وكان يقص بالمدينة. وقال عمر بن عبد العزيز: من سره أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه على قراءة مسلم بن جندب. (مات) بعد سنة عشر ومائة تقريباً. وقال الأهوازي وأقام ابن جندب بالمدينة، الى أن مات سنة ثلاثين ومائة في أيام مروان بن محمد.

و(منهم) **زيد بن أسلم**، أبو أسامة المدني، مولى عمر بن الخطاب، وردت

عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ عنه القراءة شيبة بن نصاح. (مات) سنة ست وثلاثين ومائة.

(الفرقة الثانية): من التابعين من كان منهم بمكة شرفها الله.

و(منهم) عبيد بن عمير بن قتادة، أبو عاصم الليثي المكي القاص. ذكر ثابت البناني أنه قص على عهد عمر رضي الله عنه. وردت عنه الرواية في حروف القرآن روى عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب. روى عنه مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار. قال مسلم: ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. قال مجاهد: كنا نفخر على الناس بأربعة: بفقيهنا ابن عباس، وقارئنا عبدالله ابن السائب، وقاضينا عبيد بن عمير، ومؤذننا أبي محذورة. (مات) سنة أربع وسبعين.

و(منهم): عطاء بن أبي رباح بن اسلم، أبو محمد القرشي، مولاهم المكي، أحد الاعلام. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. روى القراءة عن أبي هريرة. عرض عليه أبو عمرو. قال ابن معين: حج سبعين حجة وعاش مائة سنة. وقال غيره: مات سنة خمس أو أربع عشرة ومائة، وله ثمان وثمانون سنة.

و(منهم): طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني، التابعي الكبير المشهور. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ القرآن عن ابن عباس وعظم روايته عنه. (مات) بمكة قبل التروية بيوم، سنة ست ومائة.

و(منهم): مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، أحد الاعلام من التابعين والأئمة المفسرين. قرأ على عبدالله بن السائب، وعلى عبدالله بن عباس بضعاً وعشرين ختمة، و يقال ثلاثين عرضة، ومن جملتها ثلاث سأله عن كل آية فيم كانت، أخذ عنه القراءة عرضا عبدالله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهما. وقرأ عليه الاعمش. (مات) سنة ثلاث ومائة أو أربع أو اثنتين، وقد نيف على الثمانين. يقال: مات وهو ساجد، رحمه الله تعالى.

و(منهم): عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبدالله المفسر وردت الرواية عنه

في حروف القرآن. روى عن مولاه، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو. وقد تكلم فيه لرأيه لا لروايته، فانه اتهم كان يرى رأي الخوارج. عرض عليه علباء بن أحمد، وأبو عمرو بن العلاء، وروى عنه أيوب وخالد الحذاء، وخلق. واعتمده البخاري، وأخرج له مسلم م قرونا، وكذبه مجاهد وابن سيرين. (مات) سنة خمس أو ست أو سبع ومائة.

و(منهم): **عبدالله بن عبيدالله بن أبي ملكية،** أبو بكر، وأبو محمد، التيمي، التابعي المشهور. ذكره الداني وقال: وردت الرواية عنه في حروف القرآن. وروى عن اسماعيل بن عبد الملك، قال: رأيت ابن أبي مليكة يعد الآي في الصلاة، فلما انصرف قلت له، قال: انه أحفظ لي. (توفي) سنة سبع عشرة ومائة.

(الفرقة الثالثة) من التابعين: من كانوا بالكوفة.

(منهم): **علقمة بن قيس،** بن عبدالله بن مالك، أبو شبل النخعي، الفقيه الكبير، عم الاسود بن يزيد، وخال ابراهيم النخعي. (ولد) في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وأخذ القرآن عرضا عن ابن مسعود، وسمع من علي وعمر وأبي الدرداء وعائشة، رضي الله عنهم. عرض عليه القرآن ابراهيم بن يزيد النخعي، ويقال ابراهيم بن يزيد التيمي أيضاً، وأبو اسحاق السبيعي، وعبيد بن نضلة، ويحيى بن وثاب. وكان أشبه الناس بابن مسعود سمتاً وهدايا وعلماً. وكان أعرج. وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان اذا سمعه ابن مسعود يقول: لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسر بك (مات) سنة اثنتين وستين.

و(منهم): **الاسود بن يزيد بن قيس بن يزيد، أبو عمرو النخعي الكوفي، الامام الجليل.**

قرأ على عبدالله بن مسعود، وروى عن الخلفاء الاربعة. وكان يختم القرآن كل ست ليال، وفي رمضان كل ليلتين. قرأ عليه ابراهيم النخعي، وأبو اسحاق السبيعي، ويحيى بن وثاب. (توفي) سنة خمس وسبعين.

و (**منهم**): عبيدة بن عمرو، ــبالفتحــ ويقال: ابن قيس السلماني، أبو مسلم، وقيل: أبو عمرو الكوفي، التابعي الكبير. أسلم في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ولم يره، فهو من المخضرمين. أخذ القراءة عرضاً عن عبدالله بن مسعود، وروى عنه، وعن علي. أخذ القراءة عنه عرضاً ابراهيم النخعي وأبو اسحاق. وروى عنه ابن سيرين وهما وغيرهم. (توفي) سنة اثنتين وسبعين.

و (**منهم**): **عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة،** الهمذاني الكوفي، تابعي جليل صالح عابد. عرض على عبدالله بن مسعود، وروى عن عمر وعلي. روى عنه أبو وائل وأبو اسحاق السبيعي. (توفي) في ايام عبيدالله بن زياد، وصلى عليه القاضي شريح.

و(**منهم**): **الحارث بن قيس الجعفي الكوفي.** روى القراءة عن عبدالله بن مسعود.

و(**منهم**): **ربيع بن خيثم، أبو يزيد،** الكوفي الثوري، تابعي جليل، راوي حروف القرآن. أخذ القراءة عن عبدالله بن مسعود. عرض عليه أبو زرعة بن عمرو. قال له ابن مسعود: لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك الا ذكرت المخبتين وقال ابن سعد: مات في ولاية عبيدالله بن زياد، يعني قبل سنة تسعين من الهجرة.

و(**منهم**): **عمرو بن ميمون بن حماد بن طلحة،** أبو عثمان، الكوفي القناد السكري، ووهم فيه الاهوازي فسماه عمر. أخذ القراءة عن حمزة. عرض عليه أحمد بن جبير ورويم بن يزيد. ولم يعلم تاريخ وفاته.

و(**منهم**): **أبو عبد الرحمن السلمي،** عبدالله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الضرير، مقرىء الكوفة. (ولد) في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأبيه صحبة. اليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً. أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان، وعلي بن ابي طالب، وعبدالله بن مسعود، وزيد ابن ثابت، وأبي بن كعب. أخذ القراءة عنه عرضا عاصم، وعطاء، والحسن،

والحسين رضي الله عنهما، وغيرهم. وكان ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة (توفي) سنة أربع أو ثلاث وسبعين.

و(منهم): زر بن حبيش، بن حباشة، أبو مريم، و يقال: أبو مطرف، الأسدي الكوفي، أحد الأعلام. عرض على عبدالله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي بن ابي طالب. وعرض عليه عاصم، وسليمان الأعمش، وأبو اسحق السبيعي، ويحيى بن وثاب. (مات) في الجماجم سنة اثنتين وثمانين.

و(منهم): عبيد بن نضلة، أبو معاو ية، الخزاعي الكوفي، تابعي ثقة. أخذ القراءة عرضا عن ابن مسعود وعلقمة. وروى عنه القراءة يحيى بن وثاب، وحمران بن أعين. وكان مقرىء أهل الكوفة. (توفي) زمن بشر بن مروان.

و (منهم): سعيد بن جبير، بن هشام، الأسدي الوالبي، مولاهم أبو محمد، أو أبو عبدالله، الكوفي، التابعي الجليل والامام الكبير. عرض على ابن عباس. وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء، والمنهال بن عمرو. (قتله) الحجاج بواسطة شهيداً، سنة خمس أو أربع وتسعين، عن تسع وخمسين سنة.

و (منهم): النخعي، ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، الكوفي، الامام المشهور، الصالح الزاهد العالم. قرأ على الأسود بن يزيد وعلقمة. قرأ عليه الاعمش، وطلحة بن مصرف. (توفي) سنة ست أو خمس وتسعين.

و(منهم): الشعبي، عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو، الشعبي، الكوفي، الامام الكبير المشهور. عرض على أبي عبد الرحمن السلمي وعلقمة. وروى القراءة عنه عرضا محمد بن أبي ليلى. ومناقبه وعلمه وحفظه أشهر من أن يذكر. (مات) سنة خمس ومائة وله سبع وسبعون سنة.

(الفرقة الرابعة) من التابعين: من كانوا بالبصرة.

(منهم): أبو العالية رفيع بن مهران الرباحي، من كبار التابعين. أسلم بعد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق رضي الله

عنه، وصلى خلف عمر رضى الله عنه. أخذ القرآن عرضا على أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وصح أنه عرض على عمر ثلاث مرات، وفي رواية أربع مرات. قرأ عليه الاعمش وأبو عمرو. (مات) سنة تسعين أو ست وتسعين.

و(منهم): **عمران بن تيم**، أو ابن ملحان، أبو رجاء العطاردي البصري، التابعي الكبير. (ولد) قبل الهجرة باحدى عشرة سنة وكان مخضرميا. أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يره. وعرض القرآن على ابن عباس، وتلقنه من أبي موسى، ولقي أبا بكر الصديق، وحدث عن عمر وغيره من الصحابة. روى القراءة عنه عرضا أبو شهاب العطاردي. (مات) سنة خمس ومائة وله مائة وسبع وعشرون سنة، وقيل مائة وثلاثون.

و(منهم): **نصر بن عاصم الليثي**، ويقال: الدؤلي، البصري النحوي، تابعي. عرض القرآن على أبي الاسود. وروى عنه الحروف مالك بن دينار وعون العقيلي. ويقال انه أول من نقط المصاحف وخمسها وعشرها، وقيل: هو أول من وضع العربية. قال أبو داود وكان من الخوارج، وقال النسائي وغيره: ثقة. قال الذهبي: (توفي) قديما قبل سنة مائة. وممن روى عنه الزهري، وعمرو ابن دينار، وحميد بن هلال .اوقال خليفة. مات قبل سنة تسعين.

و(منهم): **يحيى بن يعمر**، أبو سليمان، العدواني البصري، تابعي جليل. عرض على ابن عمر وابن عباس وأبي الاسود الدؤلي. عرض عليه أبو عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي اسحاق. قال البخاري في تاريخه: أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر. توفي قبل سنة تسعين.

و(منهم): **الحسن البصري**، بن أبي الحسن يسار، السيد الامام أبو سعيد البصري. إمام زمانه علما وعملا. قرأ على حطان بن عبدالله الرقاشي، عن أبي موسى الأشعري؛ وعلى أبي العالية، عن أبي زيد وعمر. وروى عنه أبو عمرو ابن العلاء، وسلام بن سليمان الطويل، وغيرهما. قال الشافعي: لو أشاء أقول أن القرآن نزل بلغة الحسن، لقلت لفصاحته. ومناقبه جليلة وأخباره طويلة.

(ولد) لسنتين بقيتا من خلافة عمر وذلك سنة احدى وعشرين. و(توفي) سنة عشر ومائة.

و(منهم): ابن سيرين، محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة البصري، مولى انس بن مالك. إمام البصرة مع الحسن. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. (ولد) لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. روى عن مولاه، وعن زيد بن ثابت، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم. وروى عنه الشعبي ـ مع جلالته وتقدمه ـ وثابت، وقتادة، وأيوب، ومالك بن دينار، وخلائق. (مات) في تاسع شوال سنة عشر ومائة.

و(منهم): قتادة بن دعامة، أبو الخطاب، السدوسى البصري الاعمى، روى القراءة عن أبي العالية وأنس بن مالك. وسمع من أنس بن مالك وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وغيرهم. وروى عنه أبو أيوب وشعبة وأبو عوانة وغيرهم. وروى عنه الحروف أبان بن يزيد العطار. وكان يضرب بحفظه المثل. (توفي) سنة سبع عشرة ومائة.

(الفرقة الخامسة) من التابعين: من كانوا بالشام.

(منهم): المغيرة بن أبي شهاب عبدالله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة ابن عمرو بن مخزوم، أبو هاشم المخزومي الشامي. أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان. أخذ القراءة عنه عرضا عبدالله بن عامر. قال الذهبي: وأحسبه كان يقرأ بدمشق في دولة معاوية. ولا يكاد يعرف الا من قراءة ابن عامر عليه. (مات) سنة احدى وتسعين وله تسعون سنة.

و(منهم): خليفة بن سعد، صاحب ابي الدرداء.

اذا عرفت هذا. فاعلم: أنه تجرد قوم، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم و يرحل اليهم.

فكان بالمدينة:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع؛

ثم شيبة بن نصاح؛

ثم نافع بن أبي نعيم.

وبمكة:

عبدالله بن كثير؛

وحميد بن قيس الاعرج؛

ومحمد بن محيصين.

وبالكوفة:

يحيى بن وثاب؛

وعاصم بن أبي النجود؛

وسليمان الاعمش؛

ثم حمزة؛

ثم الكسائي.

وبالبصرة:

عبدالله بن اسحاق؛

وعيسى بن عمر؛

وأبو عمرو بن العلاء؛

وعاصم الجحدري؛

ثم يعقوب الحضرمي.

وبالشام:

عبدالله بن عامر؛

وعطيةبن قيس الكلابي؛

واسماعيل بن عبدالله بن المهاجر؛

ثم يحيى بن الحارث الذماري؛

ثم سريج بن يزيد الحضرمي.

ثم اشتهر من هؤلاء في الآفاق، البدور السبعة. فلنذكر كلا منهم على الترتيب.

(فأولهم): نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، أو أبو نعيم، أو أبو الحسن، أو عبدالله أو أبو عبد الرحمن الليثي، مولاهم، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب، المدني أحد القراء السبعة والاعلام، ثقة صالح. أصله من أصبهان. كان إمام أهل المدينة، وهم صاروا إلى قراءته، ورجعوا إلى اختياره، وقرأ عليه مالك.

ولما اختار أهل المغرب مذهب مالك ــ لأمر مسطور في التواريخ ــ اختاروا قراءة نافع، لاختيار مالك قراءته، وسمعت من بعض فضلاء المغاربة، أنهم اختاروا ذلك، ليكون فقههم فقه عالم المدينة، وقراءتهم قراءة قارىء المدينة. وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين. وكان عالماً بوجوه القراءات، متبعا لآثار الائمة الماضيين. وقرأ القرآن على سبعين رجلا من التابعين منهم: أبو جعفر يزيد بن قعقاع، والزهري، وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج، وأمثال هؤلاء. وروى القراءة عنه ــ عرضا وسماعا ــ عشرون رجلا من أهل المدينة. منهم: قالون وهو مختار هؤلاء. وخمسة عشر من أهل مصر ومختار هؤلاء ورش وكثيرون من أهل دمشق. وكان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة، وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك. قال رجل من أصحابه: يا أبا عبدالله ــ أو يا أبا رويم، تتطيب كلما قعدت تقرىء الناس، قال: ما أمس طيباً ولا أقرب طيباً، ولكني رأيت ــ فيما يرى النائم ــ النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ في فيَّ، فمن ذلك الوقت، يشم من فيَّ هذه الرائحة. وقال المسيبي: قيل لنافع: ما أصبح وجهك وأحسن خلقك قال: كيف لا أكون كذلك، وقد صافحني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه قرأت القرآن يعني في النوم. قال قالون: كان نافع من أطهر الناس خلقاً، ومن أحسن الناس قراءة. وكان زاهداً جواداً، صلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سنة. قال محمد بن اسحاق: لما حضرت نافعاً الوفاة، قال له أبناؤه: أوصنا قال: ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾[1]. (مات) سنة تسع وستين ومائة، أو

---

(١) سورة الأنفال، آية ١.

سبعين، أو سبع وستين، أو خمسين، أو سبع وخمسين ومائة.

اما راوية: ورش.

فهو: عثمان بن سعيد، قيل: سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان بن ابراهيم، وقيل: سعيد بن عدى بن غزوان بن داود بن سابق، أبو سعيد، أو أبو القاسم، أو أبو عمرو القرشي، مولاهم القبطي المصري، الملقب «بورش»، شيخ القراء المحققين، وامام أهل الاداء المرتلين، انتهت اليه رئاسة الاقراء بالديار المصرية في زمانه. (ولد) سنة عشر ومائة بمصر، ورحل الى نافع بن أبي نعيم، فعرض عليه القرآن عدة ختمات، وكان أشقر أزرق أبيض اللون، قصيراً ذا كدنة، هو الى السمن أقرب منه الى النحافة، لقبه نافع بالورشان، لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصاراً، وكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه، وقيل سمي به لقلة أكله وخفة لحمه، فكان نافع يقول: هات يا ورشان، واقرأ يا ورشان، وأين الورشان، ثم خفف وقيل ورش. والورشان طائر معروف. وقيل: ان الورش شيء يصنع من اللبن، قيل: هو الجبن أو كالجبن، لقب به لبياضه، ولزمه ذلك اللقب، حتى صار لا يعرف إلا به، وكان هذا اللقب أحب إليه من اسمه، وكان يقول: أستاذي سماني به، وكان أول أمره رءآسا، ولذلك يقال له الرؤاس، ثم اشتغل بالقرآن والعربية فمهر فيهما. (توفي) بمصر سنة سبع وتسعين ومائة، عن سبع وثمانين سنة.

وأما راوية: قالون

فهو: أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر ابن عبدالله الزرقي، و يقال المري، مولى بني زهرة، الملقب قالون، قارىء المدينة ونحويها، يقال إنه ربيب نافع، وقد اختص به كثيراً. وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، فان قالون بلغة الروم: جيد. قال الجزري: سألت الروم عن ذلك فقالوا: نعم، غير أنهم نطقوا الي بالقاف كافاً على عادتهم. ويحكى عنه أنه قال: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين، و يقول لي: قالون قالون، يعني جيد جيد. قلت: وعقد الثلاثين هو ضم الأصابع الاربعة ونصب الابهام قائماً. ومن

عادتهم أنهم عند استحسان شخص يعقدون هكذا، و يشيرون بالابهام الى ذلك الشخص، وهذه عادتهم عند غاية الاستحسان. قال عبدالله بن علي: وانما يكلمه نافع بالرومية لأن قالون أصله من الروم، كان جد جد جده عبدالله من سبي الروم في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقدم به من أسره الى عمر الى المدينة، و باعه، فاشتراه بعض الانصار، فهو مولى محمد بن فيروز. قال أبو محمد البغدادي: كان قالون أصم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارىء فانه يسمعه. قال ابن أبي حاتم: كان يفهم خطأهم ولحنهم بالشفة. قال الاهوازي: (ولد) سنة عشرين ومائة، وقرأ على نافع سنة خمسين. قال الداني: (توفي) قبل سنة عشرين ومائتين. قال الاهوازي وغيره: سنة خمس ومائتين. قال الذهبي. هذا غلط. وأثبت وفاته سنة عشرين قال الجزري: وهو الاصح.

و (ثانيهم): **عبدالله** بن كثير بن المطلب، كذا رفع الداني نسبه، لكن الاصح ماذكره الاهوازي، وهو عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان ابن فيروزان بن هرمز، الامام أبو معبد المالكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، اختلف في كنيته والصحيح ما قدمناه. وقيل له: الداري لأنه كان عطاراً، والعرب تسميه دارياً، نسبة الى دارين، موضع بالبحرين يجلب منه الطيب وقيل: لانه كان من بني الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة، من لخم، وهم رهط تميم الداري. والداري الذي لايبرح في داره، ولا يطلب معاشاً. قاله الاصمعي. قال الجزري: والصحيح الاول، لأنه كان من أبناء فارس، الذين بعثهم كسرى بالسفن الى صنعاء، فطردوا الحبش عنها. (ولد) بمكة سنة خمس وأربعين، ولقي بها عبدالله بن الزبير، وأبا أيوب الانصاري، وأنس بن مالك، ومجاهد بن جبر، ودباس مولى ابن عباس، وروى عنهم. وأخذ القراءة عرضا عن عبدالله بن السائب على الأكثر، وان أنكره البعض. (مات) ابن كثير سنة عشرين ومائة. واختلف فيه بأن ابن ادريس الأودي قرأ عليه، وولد هو في خمس عشرة، لكن الصحيح أن ابن ادريس لم يقرأ عليه، وأن ابن كثير مات في عشرين، وكان ابن كثير فصيحاً بليغاً مفوهاً، أبيض اللحية، طويلا جسيماً، أسمر، أشهل العينين، يخضب بالحناء، عليه السكينة والوقار. قال أبو عمر:

وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد، وأنا قرأت عليها. قال ابن مجاهد: لم يزل عبدالله بن كثير هو الامام المجتمع عليه في القراءة بمكة، حتى مات سنة عشرين ومائة.

أما راوية: قنبل،

فهو: محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد بن جرحة، أبو عمر المخزومي، مولاهم المكي، الملقب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز. (ولد) سنة خمس وتسعين ومائة. وأخذ القراءة عرضا عن أحمد بن محمد بن عون النبال، وهو الذي خلفه بالقيام بها بمكة، وقرأ عن كثير من المشايخ، وقرأ عليه كثيرون. وروى القراءة عن ابن كثير بواسطة سند، لأنه يروي عن القواس، عن القسط، عن ابن كثير، واختلف في سبب تلقيبه قنبلا؛ فقيل: اسمه، وقيل: لأنه من بيت بمكة يقال لأهله القنابلة؛ وقيل: لاستعماله دواء يقال له قنبيل، معروف عند الصيادلة، لداء كان به، فلما أكثر منه عرف به، وحذفت الياء تخفيفاً. وقد انتهت اليه رئاسة الاقراء بالحجاز، ورحل الناس اليه من الاقطار. قال أبو عبدالله القصاع. وكان على الشرطة بمكة، لأنه كان لا يليها الا رجل من أهل الفضل والخير والصلاح، ليكون ما يأتيه من الحدود والاحكام على صواب، فولوها قنبلا لعلمه وفضله عندهم. قال الذهبي انه كان في وسط عمره فحمدت سيرته، ثم انه طعن في السن وشاخ، وقطع الاقراء قبل موته بسبع سنين، أو بعشر سنين. (مات) سنة احدى وتسعين ومائتين، عن ست وتسعين سنة.

وأما راوية: البزي،

فهو: أحمد بن محمد عبدالله بن القاسم بن نافع بن ابي بزة، و يقال ان نافعاً هو أبو بزة، الامام أبو الحسن البزي المكي، مقرىء مكة، ومؤذن المسجد الحرام. (ولد) سنة سبعين ومائة. أستاذ محقق ضابط متقن. قرأ على أبيه، وعبدالله بن زياد، وعكرمة بن سليمان، ووهيب بن واضح. وقرأ عليه كثيرون، وروى القراءة عن ابن كثير بواسطة سند، لأنه يروى عن عكرمة، عن قسط، عن ابن كثير. قال الاهوازي: أبو بزة ــ الذي ينسب اليه

البزي ـــ اسمه بشار، فارسي من أهل همدان. أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي. والبزة: الشدة، ومعنى أبو بزة: أبو شدة. قال الجزري: المعروف لغة، أن البزة من قولهم: بزة بزة، اذ سلبه منه. (توفي) البزي سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة. وقيل: البزي منسوب الى بائع البز لكن الاول أصح.

و(ثالثهم) : **أبو عمرو بن العلاء**، واسمه زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن العريان بن عبدالله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر بن معد بن عدنان، الامام السيد أبو عمرو، التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة. قال الحافظ أبو العلاء الهمذاني: هذا الصحيح، الذي عليه الحذاق من النساب. وقد قيل انه من بني العنبر، أو من بني حنيفة، وحكى القاضي أسد اليزيدي أنه قيل انه من فارس، من موضع يقال له كازون، وهي بلدة معروفة من فارس. وقد اختلف في اسمه على اكثر من عشرين قولا قال السيوطي في طبقات النحاة: اختلف في اسمه أحد وعشرين قولا (١) اسمه كنيته (٢) زبان وهو الاصح (٣) جبر (٤) جنيد (٥) جز (٦) حماد (٧) حميد (٨) خير (٩) ربان براءة مهملة (١٠) عتيبة (١١) عثمان (١٢) عريان (١٣) عقبة (١٤) عمارة (١٥) عيار (١٦) عيينة (١٧) قايد (١٨) قبيصة (١٩) محبوب (٢٠) محمد (٢١) يحيى. وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه. قال الجزري في (طبقات القراء): وقد اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولا، ولا ريب أن بعضها تصحيف من بعض، وأكثر الناس من الحفاظ وغيرهم على أنه زبان كما ذكرنا. وقال الذهبي والذي لا أشك فيه أن اسمه زبان بالزاي. وقد أغرب ابن الباذش في حكايته ربان بالراء والموحدة، وأغرب من ذلك ما حكاه أبو العلاء عن بعضهم ريا‌ء بالراء ـــ وآخر الحروف ـــ قال: وهو تصحيف (ولد) أبو عمرو سنة ثمان أو خمس وستين، وقيل سنة خمس وخمسين وقيل: سنة خمس وستين. قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة على شيوخ كثيرة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه.

منهم أنس بن مالك، والحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة ومجاهد، وأمثالهم. وروى عنه القراءة عرضاً وسماعاً جماعة كثيرون، منهم عبدالله بن المبارك، والاصمعي، ومعاذ بن مسلم النحوي، وأمثالهم. وروى عنه الحروف سيبويه. وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والزهد. قال عبد الوارث: حججت مع أبي عمرو، فنزلنا في منزل قفر لا ماء فيه، فغاب عني واحتبس عليّ ساعة، فقمت اقفيه الاثر، فاذا هو عند عين يتهيأ للصلاة، والمكان مكان لا ماء فيه أصلا، فنظر الي وقال: يا عبد الوارث، اكتم علي هذا، فوالله ما حدثت به احداً حتى مات. روينا عن سفيان بن عيينة، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله قد اختلفت على القراءات، فبقراءة من تأمرني أن أقرأ، فقال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء. (ولد) بمكة سنة ثمان أو خمس وستين، أو ست وسبعين، ونشأ بالبصرة، و (مات) بالكوفة سنة اربع، أو خمس، أو سبع وخمسين ومائة، وقيل: سنة ثمان وأربعين ومائة.

وأما راوية: حفص،

فهو: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بنّ عدى بن صهبان، ويقال: صهيب، أبو عمر، الدوري الأزدي البغدادي النحوي الضرير، نزيل سامرا، أمام القراءة، وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات ونسبته الى الدور. موضع ببغداد، ومحلة بالجانب الشرقي.

قال الاهوازي: رحل الدوري في طلب القراءات وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً. قرأ على جماعة كثيرة: قرأ على ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، وقرأ هو على أبي عمرو، قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري، وقال أحمد بن فرح: سألت الدوري: ما تقول في القرآن، قال: كلام الله غير مخلوق. (توفي) في شوال سنة ست وأربعين ومائتين، وغلط من قال سنة ثمان وأربعين.

وأما راوية: السوسي،

فهو: صالح بن زياد بن عبدالله بن اسماعيل بن ابراهيم، أبي الجارود،

ابن مسرح الرسبتي، أبو شعيب السوسي الرقي، مقرىء ضابط محرر ثقة. أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، وهو من أجل أصحابه، وقرأ هو على أبي عمرو. روى القراءة عنه جماعة. (مات) أول سنة احدى وستين ومائتين، وقد قارب السبعين.

و(**رابعهم**): **عبدالله بن عامر،** بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبدالله بن عمران اليحصبي ــ بضم الصاد وكسرها ــ نسبة الى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هود عليه السلام، وقيل: يحصب بن مالك بن أصبح بن أبرهة بن الصباح، وفي يحصب الكسر والضم، فاذا ثبت الكسر فيه جاز الفتح في النسبة، فعلى هذا يجوز في اليحصبي الحركات الثلاث. وقد اختلف في كنيته كثيراً، والاشهر أنه أبو عمران. إمام أهل الشام في القراءة، والذي انتهت اليه مشيخة الاقراء بها، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء، وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان ابن عفان، وقيل: عرض على عثمان نفسه؛ قال الجزري: ورد في استاده أقوال: (أصحها) أنه قرأ على المغيرة؛ (الثاني) أنه قرأ على أبي الدرداء وهو غير بعيد؛ (الثالث) أنه قرأ على فضالة بن عبيد وهو جيد؛ (الرابع) أنه سمع قراءة عثمان وهو محتمل؛ (الخامس) أنه قرأ عليه بعض القرآن ويمكن؛ (السادس) أنه قرأ على واثلة بن الاسقع ولا يمتنع؛ (السابع) أنه قرأ على عثمان جميع القرآن وهو بعيد ولا يثبت؛ (الثامن) أنه قرأ على معاوية ولا يصح؛ (التاسع) أنه قرأ على معاذ وهو واه. وأما قوله من قال: لا يدري على من قرأ، فساقط جدا، وأقل من أن ينتدب للرد عليه. وأما قراءته على أبي الدرداء، فقد أثبته الحافظ أبو عمرو الداني، واستبعده أبو عبدالله الحافظ، وناهيك باثبات الداني. وأما طعن ابن جرير في ابن عامر، فقد عد من سقطات ابن جرير، حتى نقل السخاوي عن الشاطبي، أنه قال: وإياك وطعن الطبري على ابن عامر؛ وأيضا لا يلتفت الى طعن ابن مجاهد وأبي طاهر بن أبي هاشم في ذلك، وكيف يسوغ أن يجمع الناس من الصدر الاول الى آخر وقت انتشار العلماء في الاقطار ــ سيما علماء الشام ــ على قراءة لا أصل لها، مع شدة مؤاخذتهم في اليسير، وعلى

عدم تسامحهم في النقير والقطمير، بحيث يتبعونها في صلاتهم التي هي أهم أركان الدين، وغير ذلك من التفاسير واستخراج الأحكام. قال أبو علي الأهوازي: كان ابن عامر إماماً عالماً ثقة فيما أتاه، حافظاً لما رواه، متقناً لما وعاه عارفا فهما في كل بابه، قيما فيما جاء به، صادقا فيما نقله من أفاضل المسلمين، وخيار التابعين، وأجلة الراوين، لا يتهم في دينه، ولا يشك في يقينه، ولا يرتاب في أمانته، ولا يطعن عليه في رواية، صحيح نقله، فصيح قوله، عاليا في قدره، مصيبا في أمره، مشهورا في علمه، مرجوعا الى فهمه، لم يتعد فيما ذهب اليه الاثر، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر. ولي القضاء بدمشق بعد بلال بن أبي الدرداء، والاصح أنه ولي بعد ادريس الخولاني، وكان إمام الجامع بدمشق، وهو الذي كان ناظرا على عمارته حتى فرغ. قال يحيى بن الحارث: وكان رئيس الجامع، لا يرى فيه بدعة إلا غيرها. (ولد) سنة احدى وعشرين. قال خالد بن يزيد: سمعت ابن عامر يقول: ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقاء، بضيعة يقال لها رحاب، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي سنتان، وكان له حينئذ تسع سنين. قال الجزري: وهذا أصح لثبوته عن نفسه، وقد ثبت سماعه من الصحابة، منهم: معاوية بن أبي سفيان، والنعمان ابن بشير، ووائلة بن الاسقع، وفضالة بن عبيد. (توفي) بدمشق يوم عاشوراء، سنة ثمان عشرة ومائة.

أما راوية: هشام.

فهو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبي الوليد، السلمي أو الظفري، الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومحدثهم ومقريهم ومفتيهم. (ولد) سنة ثلاث وخمسين ومائة. أخذ القراءة عن أيوب ــ بن تميم التيمي، وهو عن يحيى بن الحارث الزهادي، وهو عن ابن عامر، قال أبو علي أحمد بن محمد بن الاصبهاني المقري ــ لما توفي أيوب بن تميم: رجعت الامامة في القراء الى رجلين: هشام وابن ذكوان؛ قال: وكان هشام مشهوراً بالنقل والفصاحة، والعلم والرواية، والفهم والدراية، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي، وارتحل الناس اليه في القراءات والحديث. (مات) سنة خمس أو أربع وأربعين ومائتين.

وأما راوية: ابن ذكوان.

فهو: عبدالله بن أحمد بن بشر، ويقال: بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن داود بن حسنون بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، أبو عمرو، وأبو محمد، القرشي الفهري الدمشقي، الامام الاستاذ الشهير، الراوي الثقة، شيخ الاقراء بالشام، وامام جامع دمشق. أخذ القراءة عرضاً عن أيوب ابن تميم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة في دمشق. وأخذ أيوب عن يحيى ابن الحارث الزهادي، وهو عن ابن عامر، وقرأ على الكسائي حين قدم على الشام، وروى الحروف سماعا عن اسحاق بن المسيبي، عن نافع. روى القراءة عنه ابنه أحمد وكثيرون. قال أبو زرعة: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان، أقرأ من ابن ذكوان في ذلك الزمان (ولد) يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة. و(توفي) يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال، وقيل: لسبع خلون منه، سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وهو الاصح.

و(**خامسهم**): **عاصم بن بهدلة أبي النجود.** ــ بفتح النون وضم الجيم ــ وضم النون غلط، أبو بكر الاسدي، مولاهم الكوفي الحناط ــ بالمهملة والنون ــ شيخ الاقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، ويقال: أبو النجود اسم أبيه، لا يعرف له اسم غير ذلك؛ وبهدلة اسم أمه؛ وقيل: اسم أبي النجود عبدالله، وهو الامام الذي انتهت اليه رئاسة القراءة بالكوفة، بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه. جمع بين الفصاحة والاتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. قال أبو بكر بن عياش: لا أحصي ما سمعت أبا اسحاق السبيعي يقول... ما رأيت أحداً قط كان أفصح من عاصم، اذا تكلم كاد يدخله خيلاء، وكان من التابعين. روى عن أبي رمية رفاعة بن يثربي التميمي، والحارث بن حسان البكري، وكانت لهما صحبة، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عبد الرحمن السلمي، وعن زر بن حبيش. قال حفص: قال لي عاصم: انني أقرأتك بها فهي التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي؛ والتي أقرأتها على أبي بكر بن عياش، فهي التي كنت أعرضها على زر بن حبيش، عن ابن مسعود. قال عبدالله بن احمد بن حنبل:

سألت أبي عن عاصم فقال: رجل صالح خير ثقة، فسألته: أي القراءة أحب اليك، قال: قراءة أهل المدينة، فان لم يكن فقراءة عاصم. قال الجزري: وثقه أبو زرعة وجماعة. وقال أبو حاتم محله الصدق، وحديثه مخرجا في الكتب الستة. وقال أبو بكر بن عياش: كان الاعمش وعاصم وأبو حصين سواء كلهم لايبصرون، وجاء يقود عاصماً، فوقع وقعة شديدة، فما كرهه ولا قال له شيئاً. قال الجزري: (توفي) آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثمان وعشرين ــ فلعله في أولها ــ بالكوفة، وقال الاهوازي: بالسماوة ــ وهو يريد الشام ــ ودفن بها، واختلف في موته، قيل سنة عشرين ومائة، وهو قول أحمد بن حنبل، وقيل: سنة تسع أو ثمان أو سبع وعشرين، أو قريباً من ثلاثين، والذي عليه أكثر الشيوخ، انه توفي سنة تسع وعشرين. قال الجزري، بل الصحيح ما قدمت، ولعله تصحيف (على الاهوازي) سبع بتسع، والله تعالى أعلم.

أما راوية: حفص.

فهو: حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود، الاسدي الكوفي الغاضري البزاز، بائع البز، ويعرف بحفيص. أخذ القراءة عرضاً وتلقينا عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، (ولد) سنة تسعين، وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها ايضاً. وقال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة من قراءة عاصم رواية حفص. وكان أعلمهم بقراءة عاصم، وكان مرجحاً على شعبة بضبط القراءة. قال الذهبي: أما في القراءة فثقة ثبت ضابط لها، بخلاف حاله في الحديث، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع الى علي رضي الله عنه، والتي أخذها أبو بكر قراءة زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود. (توفي) سنة ثمانين ومائة على الصحيح، وقيل: بين الثمانين والتسعين.

وما راوية: شعبة.

فهو: شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحناط ــ بالنون ــ الاسدي النهشلي الكوفي، الامام العالم، راوي عاصم. اختلف في اسمه على ثلاثة عشر

قولا: أصحها شعبة، وقيل: أحمد وعبدالله وعنترة وسالم وقاسم ومحمد وغير ذلك. (ولد) سنة خمس وتسعين. وعرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري، وغير ذلك، وعمر دهرا، الا انه قطع الاقراء قبل موته بسبع ستين أو أكثر. وكان اماماً كبيرا عالما عاملا حجة، وكان يقول: أنا نصف الاسلام. وكان من أئمة السنة. ولم يفرش له فراش خمسين سنة. (توفي) في جمادي الاولى سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة.

و(سادسهم): **حمزة بن حبيب بن عمار بن اسماعيل**، أزهد القراء الامام الحبر، أبو عمارة الكوفي التيمي، مولاهم، وقيل: من صميمهم، الزيات، أحد القراء السبعة. (ولد) سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. أخذ القراءة عرضاً عن الاعمش، وجعفر بن محمد الصادق، وأبي اسحاق بن أبي ليلى وغيرهم. روى القراءة عنه ابراهيم بن أدهم وسفيان الثوري، وشريك بن عبدالله، وعلي بن حمزة الكسائي، وغيرهم. وإليه صارت الامامة في القراءة بعد عاصم والأعمش، وكان إماماً حجة ثقة ثبتا رضي، قيا بكتاب الله، بصيرا بالفرائض، عارفاً بالعربية، حافظاً للحديث، عابداً زاهداً خاشعاً ورعاً قانتاً لله، عديم النظير، وكان يجلب الزيت من العراق الى حلوان، ويجلب الجوز والجبن الى الكوفة. قال له أبو حنيفة ــ رحمه الله: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وكان شيخه إذا رآه قد أقبل يقول: هذا حبر القرآن، وأما ما ذكر عن عبدالله بن ادريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة، محمول على قراءة من سمعا منه ناقلاً عن حمزة ــ وما آفة الأخبار إلا رواتها. ويدل على ذلك، أن رجلاً ممن قرأ على سليم، حضر مجلس ابن ادريس، فقرأ، فأفرط في المد والهمزة وأمثالها من التكلف. فكره ذلك ابن ادريس، وطعن فيه. وذلك لأن حمزة أيضا كان يكره ذلك وينهي عنه. قال الجزري: أما كراهته الافراط من ذلك. فقد روينا عنه، من طرق أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهمزة: لا تفعل. أما علمت أن ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قطط. وما فوق القراءة فهو ليس

بقراءة. (توفي) حمزة سنة أربع أو ست أو ثمان وخمسين ومائة. قال الذهبي: الاخير وهم. وقبره بحلوان مشهور.

وأما راوية: خلاد.

فهو: خلاد بن خالد، أبو عيسى، أو أبو عبدالله الشيباني، مولاهم الصيرفي الكوفي، امام في القراءة، ثقة عارف محقق أستاذ، أخذ القراءة عرضا عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم، وروى القراءة عن حسين بن علي الجعفي عن أبي بكر، وعن أبي بكر نفسه، عن عاصم. وروى القراءة عرضا عنه جماعة (توفي) سنة عشرين ومائتين.

وأما راوية: خلف.

فهو: خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب، أبو محمد الاسدي، ويقال خلف بن هشام بن طالب ابن غراب، الامام العالم، أبو محمد البزار بالراء، البغدادي، أصله من فم الصلح بكسر الصاد، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة. (ولد) سنة خمسين ومائة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً، وكان يكره أن يقال له البزار، ويقول: ادعوني المقري. أخذ القرآن عرضاً عن سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي حماد، وعن حمزة، وغيرهم. (مات) في جمادي الآخرة، سنة تسع وعشرين ومائتين، ببغداد، وهو مختف عن الجهمية.

و **(سابعهم): الكسائي**، علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز، الاسدي، مولاهم، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، أبو الحسن الكسائي، الامام الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. أخذ القراءة عن حمزة عرضاً أربع مرات، وعليه اعتماده. روى عنه من الائمة كثيرون منهم: الامام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وقال: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي؛ وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو

فهو عيال على الكسائي؛ وقال ابن مجاهد: اختار الكسائي من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة، غير خارجة من آثار من تقدمه من الائمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره. قال أبو بكر الأنباري اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وأوحدهم في القرآن. قيل لأبي عمر الدوري: لم صحبتم الكسائي على الدعابة التي كانت فيه، قال: لصدق لسانه.

واختلف في تسميته بالكسائي: فالذي رويناه عنه، أنه سئل عن ذلك، فقال: لأني أحرمت في كساء، وقيل: لأنه كان يتشح بكساء، ويجلس في حلقة حمزة، ويقول حمزة: أعرضوا على صاحب الكساء، وقيل انه من قرية باكسايا، والاول أصحها، والآخر أضعفها. وقد ألف كتبا كثيرة في النحو والقراءات. واختلف في تاريخ موته، والصحيح الذي أرخه غير واحد من العلماء والحفاظ: سنة تسع وثمانين ومائة، صحبه هارون الرشيد، بقرية رنبوية من عمل الري، متوجهين الى خراسان. و (مات) معه بالمكان المذكور محمد ابن الحسن القاضي، صاحب أبي حنيفة رحمه الله، فقال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالري؛ وقيل سنة احدى أواثنتين أو ثلاث أو خمس وثمانين، وقيل سنة ثلاث وتسعين، وعاش الكسائي سبعين سنة.

أما راوية: حفص.

فهو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الدوري، وهو راوي أبي عمرو المذكور أيضاً. وقد تقدم ذكره هناك فلا نعيده.

وأما راوية: الليث.

فهو ليث بن خالد، أبو الحارث البغدادي، ثقة معروف حاذق ضابط. عرض على الكسائي، وهو من جملة أصحابه، وروى الحروف عنه حمزة بن القاسم الاحول، وعن اليزيدي روى القراءة عنه — عرضاً وسماعاً — سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، والفضل بن شاذان، ويعقوب بن أحمد الشرواني. (مات) سنة أربعين، ومائتين، والله أعلم.

هذه ترجمة الاصول السبعة مع رواتهم. ثم ان القوم اختاروا بعد هؤلاء شيوخاً ثلاثة، وجوزوا الصلاة مع قراءتهم كالسبعة، دون من عدا هؤلاء العشرة من الشواذ، اللهم الا بشروط ثلاثة: التواتر، والثبوت في المصحف العثماني، واستقامة وجهها في العربية. وان لم يوجد واحد من هذه الشروط، فلا تجوز الصلاة به، وان كان مشهوراً اتفاقاً والخلاف في الافساد، حتى قال الاصفهاني: مالم يتواتر من الشواذ حكمها حكم كلام البشر في حق الصلاة. قال الامام قاضي خان: لو قرأ ما ليس في المصحف الامام ــ ان لم يكن ذكر أولا تهليلا ــ يفسد صلاته، لأنه من كلام الناس، فان كان معناه ما في الامام، تجوز صلاته في قياس قول أبي حنيفة ومحمد ــ رحمهما الله تعالى ــ لأن الامام يجوز قراءة القرآن بأي لفظ كان، ومحمدا يجوز باللفظ العربي فقط، خلافاً لأبي يوسف رحمه الله.

اذا عرفت هذا التفصيل، فلا بد لك من معرفة هؤلاء الثلاثة وأحوالهم، سيما يعقوب الحضرمي، لأن عامة البصريين اختاروا قراءته بعد أبي عمرو، وكان امام البصرة سنين.

أما (أولهم) وأولا هم: أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي اسحاق، الحضرمي، مولاهم البصري، أحد القراء العشرة، وامام أهل البصرة ومقريها. أخذ القراءة عرضاً عن جماعة، وسمع الحروف من الكسائي، ومحمد بن زريق الكوفي، عن عاصم، وسمع من حمزة حروفاً، وروى ابن المنادي أنه قرأ على أبي عمرو. قال الجزري: وقراءته على أبي الاشهب عن أبي رجاء عن أبي موسى في غاية العلو. وأما اسناده في القراءة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانه قرأ على سلام المذكور، وقرأ هو على عاصم، وقرأ هو على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ هو على علي بن أبي طالب، وقرأ عليٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وروى القراءة عنه عرضاً جماعة كثيرة. قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء. وقال الداني: وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد

أبي عمرو، أو أكثرهم عل مذهبه؛ قال: وقد سمعت طاهر بن غلبون يقول: امام الجامع بالبصرة لا يقرأ الا بقراءة يعقوب. قال ابن أبي حاتم: سئل أحمد ابن حنبل عنه، فقال: صدوق؛ وسئل عنه أبي، فقال: صدوق. قال الجزري: وكان يعقوب من أعلم أهل زمانه بالقرآن والنحو وغيره، وأبوه اسحاق وحده زيد. قال محمد بن محمد بن عبدالله الاصبهاني تفرق أهل البصرة أيام الزنج، وأهل المسجد يجردون ليعقوب، وأهل القبائل لأ يوب، وعلى قراءة يعقوب الى هذا الوقت أئمة المسجد الجامع بها، وكذلك أدركناهم. قال الجزري: ومن أعجب العجب ــ بل من أكبر الخطأ ــ جعل قراءة يعقوب، من الشواذ الذي لا تجوز القراءة بها ولا الصلاة، وهذا شيء لا نعرفه قبل، الا في هذا الزمان، ممن لا يعول على قوله، ولا يلتفت الى اختياره، وللأئمة المتقدمين في ذلك، ما يبين الحق ويهدي السبيل، كما ذكرت ذلك في كتاب (المنجد)، فليعلم أنه لا فرق بين قراءة يعقوب وقراءة غيره من السبعة عند أئمة الدين المحققين، وهو الحق الذي لا محيد عنه. قلت: والى هذا يشير قول القاضي البيضاوي في أول تفسيره، و يعرب عن وجوه القراءات المعزية الى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المرو ية عن القراء المعتبرين، حيث ذكر يعقوب مع السبعة، وأخرجه من الشواذ. قال أبو القاسم الهذلي: لم ير في زمن يعقوب مثله، كان عالما بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلا تقياً ورعاً زاهداً؛ بلغ من زهده، أنه سرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر، ورد اليه ولم يشعر، لشغله بالصلاة؛ بلغ من جاهه بالبصرة، أنه كان يحبس و يطلق. قال أبو حاتم: يعقوب بن اسحاق من أهل بيت العلم بالقرآن، والعربية، وكلام العرب، والرواية الكثيرة، والحروف، والفقه، وكان أقرأ القراء، وكان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن وتعليله، ومذاهب أهل النحو في القرآن، وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء. ذكر ابن خلكان، أن أول من وضع العربية أبو الاسود الدؤلي، أخذها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ عن أبي الاسود عنبسة الفيل بن معدان المهرمي، وأخذ عنه ميمون الاقرن، وأخذ عنه عبدالله الحضرمي جد يعقوب الحضرمي، وأخذ عنه عيسى ابن عمر الثقفي، وأخذ عنه خليل بن أحمد، وأخذ عنه سيبو يه، وأخذ عنه

الاخفش. قال البخاري وغيره: (مات) يعقوب في ذي الحجة سنة خمس ومائتين، وله ثمان وثمانون سنة، وكذلك أبوه وجده وجد أبيه، كلهم ماتوا عن ثمان وثمانين سنة. ولبعضهم فيه شعر:

أبـــوه مـــن الــقــراء كـــان وجـــده و يعقوب في القراء كالكوكب الدري
تـفـرده محـض الـصـواب ووجـهـه فمـن مـثـلـه في وقـتـه والى الحشر

و (ثانيهم): **أبو جعفر يزيد بن القعقاع**، الامام أبو جعفر، القارىء المخزومي ولاء، المدني، وهو مولى عبدالله بن عياش المخزومي، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور كبير القدر؛ و يقال: اسمه جندب بن فيروز؛ وقيل: فيروز. عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وروى عنهم؛ و يقال: قرأ على زيد بن ثابت، قال الذهبي: ولم يصح؛ وسمع عبدالله بن عمر بن الخطاب، ومروان بن الحكم، رضي الله عنهم. قال الجزري: رو ينا عنه، أتى به الى أم سلمة وهو صغير، فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وصلى بابن عمر، وأقرأ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة، وهي سنة ثلاث وستين. قال ابن خلكان: قال محمد بن القاسم المالكي: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، مولى أم سلمة رضي الله عنها، زوج رسول‌الله صلى الله عليه وسلم. روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم، وعيسى بن وردان، وأبو عمرو، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واسماعيل و يعقوب ابناه، وميمونة. قال مالك بن أنس: كان أبو جعفر القارىء رجلا صالحا يقرىء الناس بالمدينة. قال يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الانصاري: كان امام الناس بالمدينة أبو جعفر. وقال ابن مجاهد: حدثوني عن الأصمعي، عن أبي الزناد، قال: لم يكن أحد أقرأ للسنة من أبي جعفر، وكان يقدم في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الاعرج. قال الذهبي: قرأ أبو جعفر على أحمد بن يزيد الحلواني، عن قالون، عن عيسى بن وردان، عن أبي جعفر؛ وأقرأها الزبير بن محمد الحميري، عن قراءته على قالون باسناده؛ واقرأها سليمان بن داود الهاشمي، عن سليمان بن مسلم بن جماز، عن أبي جعفر؛ وأقرأ بها الدوري، عن اسماعيل بن جعفر، عن أبي جعفر، أو عن رجل

عن أبي جعفر. قال الجزري: وقد أسند الاسناد أبو عبدالله القصاع، قراءة أبي جعفر من رواية نافع عنه، وكذلك أقرأ بها أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران، وقرأ بها على إسماعيل بن جعفر، وصحت عندنا من طريقه؛ ثم قال الجزري: والعجب ممن يطعن في هذه القراءة، أو يجعلها من الشواذ، وهي لم يكن بينها وبين غيرها السبع فرق، كما بيناه في كتابنا (المنجد). روى أنه كان يصوم صوم داود، وكان يقول: أروض به نفسي لعبادة الله تعالى؛ وأنه كان يصلي في جوف الليل أربع تسليمات في كل ركعة بالفاتحة، وسورة من طوال المفصل، ويدعو عقيبها لنفسه وللمسلمين، ولكل من قرأ عليه بقراءته بعده وقبله. روى عن نافع أنه قال: لما غسل أبو جعفر بعد وفاته، نظروا ما بين نحره الى فؤاده مثل ورقة المصحف، قال فما شك أحد ممن حضر أنه نور القرآن. روي عن سليمان بن أبي سليمان العمري أنه قال: رأيت أبا جعفر على الكعبة ــ يعني في المنام ــ فقلت: أبا جعفر، فقال: نعم، أقرىء أخواني السلام، وأخبرهم أن الله تعالى جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرىء أبا حازم السلام، وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس فإن الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات. وجد بخط أبي عبدالله محمد بن إسرائيل القصاع أنه ــ يعني أبا جعفر ــ رؤي في المنام بعد وفاته على صورة حسنة، فقال للذي رآه: بشر أصحابي وكل من قرأ قراءتي، أن الله تعالى قد غفر لهم وأجاب فيهم دعوتي، ومرهم أن يصلوا هذه الركعات في جوف الليل كيف استطاعوا. (مات) أبو جعفر بالمدينة، سنة ثلاثين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة تسع أو ثمان أو سبع وعشرين. وأبعد الهذلي في كامله حيث قال سنة عشر.

و(ثالثهم): **أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب**، الامام العالم، أبو محمد البزار البغدادي، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة وقد ذكرنا تفصيله هناك فلا وجه للاعادة.

وإذا انتهيت الى هذا الإمام، فلعلك باخع نفسك على معرفة سائر الشيوخ من أرباب التصانيف، وقد عيل صبرك عنه، سيما صاحب (التيسير)، والشاطبي، والسخاوي، والإمام الجعبري، والجزري. فنقول:

أما صاحب (التيسير): **فهو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد عمر، أبو عمرو الداني** الأموي، مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة الحافظ، أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين. (ولد) سنة احدى وسبعين وثلاثمائة. قال: وابتدأت بطلب العلم في سنة ست وثمانين، ورحلت الى المشرق سنة سبع وتسعين، ودخلت مصر في شوال منها، فمكثت بها سنة، وحججت، ودخلت الأندلس في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وخرجت الى الثغر سنة ثلاث وأربعمائة، فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم رجعت الى قرطبة. قال: وقدمت دانية سنة سبع عشرة. واستوطنها حتى مات. أخذ القراءات عرضاً عن جماعة. وروى عنه جماعة. وكان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه، وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته. وكان حسن الخط جيد الضبط، من أهل الحفظ والذكاء والتفنن، ديناً فاضلاً ورعاً سنياً، وكان مجاب الدعوة، مالكي المذهب، لم يكن في عصره ــ ولا بعد عصره بمدد ــ أحد يضاهيه في حفظه وتحقيقه. وكان يقول: ما رأيت شيئاً الا كتبته، ولا كتبته الا حفظته، ولا حفظته فنسيته. وكان يسأل عن المسألة، مما يتعلق بالآثار وكلام السلف، فيوردها بجميع ما فيها، مسندة من شيوخه الى قائلها. قال الجزري: ومن نظر كتبه، علم مقدار الرجل، وما وهبه الله تعالى فيه، فسبحان الفتاح العليم.

١ ــ أشهرها: كتاب التيسير؛
٢ ــ وأحسنها: جامع البيان في القراءات السبع؛
٣ ــ وأرجوزته؛
٤ ــ والاقتصاد؛
٥ ــ والمقنع في رسم المصحف؛
٦ ــ والمحكم في النقط؛
٧ ــ والمحتوى في القراءات الشواذ؛
٨ ــ وطبقات القراء، في أربعة أسفار؛
٩ ــ والفتن والملاحم؛

١٠ ـــ وشرح قصيدة الخاقاني في التجويد؛

وغير ذلك من الكتب. وكان بينه وبين أبي محمد بن حزم منافرة عظيمة أفضت الى المهاجاة بينهما، والله تعالى يغفر لهما. (توفي) الحافظ أبو عمرو بدانية، يوم الاثنين منتصف شوال، سنة أربع وأربعين وأربعمائة ومشى صاحب دانية أمام نعشه، وشيعه خلق عظيم. رحمه الله تعالى.

وأما الشيخ الامام الشاطبي.

فهو القاسم بن فيره، بكسر الفاء، بعده آخر الحروف ساكنة، ثم راء مشددة مضمومة، بعدها هاء، ومعناه بلغة عجم الأندلس: الحديد، ابن خلف ابن أحمد، أبو القاسم، وأبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير، ولي الله، الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار، والمشتهرين في الأقطار.

(ولد) في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة ـــ قرية بجزيرة الأندلس. قرأ ببلده القراءات وأتقنها على أبي عبدالله محمد بن أبي العاص المنقري، ثم رحل الى بلنسية بالقرب من بلده، فعرض بها التيسير ـــ من حفظه ـــ والقراءات على ابن هذيل، وسمع منه الحديث، وروى عنه، وعن أبي عبدالله محمد بن حميد؛ أخذ عنه (كتاب سيبويه)، و(الكامل) للمبرد، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة، وعن غيرهم من الفضلاء. ثم رحل للحج، فسمع من أبي طاهر السلفي بالاسكندرية وغيره، ولما دخل مصر، أكرمه القاضي الفاضل، وعرف مقداره، وأنزله بمدرسته بالقاهرة، وجعله شيخها، وعظمه تعظيماً كثيراً، ونظم (قصيدته اللامية) و(الرائية) بها، وجلس للاقراء، فقصده الخلائق من الأقطار.

ثم إنه لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس، توجه فزاره سنة تسع وثمانية وخمسمائة. ثم رجع، فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرىء حتى توفي. وكان رحمه الله إماماً في علوم القرآن، ناصحاً لكتاب الله تعالى، متقناً لأصول العربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، رحلة في الحديث وحافظاً له، يضبط نسخ الصحيحين من لفظه، أعجوبة في الذكاء، حاذقاً في تعبير الرؤيا، كثير الفنون، مجيداً في النظم، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، مع

الزهد والولاية والعبادة والانقطاع والكشف متواضعاً لله تعالى، قدوة للصلاح، ذا بصيرة صافية، تلوح منه الكرامات، كان يعذل أصحابه على أشياء ما اطلع عليها، وسمع الآذان بجامع مصر من غير المؤذنين مراراً، وكان محفوظ اللسان، يمنع جلساءه من فضول الكلام، لا يجلس للاقراء الا متطهراً خاشعاً، مواظباً على السنة. كان شافعي المذهب. بلغنا أنه ولد أعمى.

ولقد حكى عنه أصحابه ومن كان يجتمع به عجائب، وعظموه تعظيماً بالغاً، حتى أنشد الحافظ العلامة أبو شامة المقدسي من نظمه في ذلك:

رأيت جماعة فضلاء فازوا   برؤية شيخ مصر الشاطبي
وكلهم يعظمه ويثني   كتعظيم الصحابة للنبي

قال الجزري: أخبرني بعض شيوخنا الثقات، عن شيوخهم، أن الشاطبي كان يصلي الصبح بالفاضلية بغلس، ثم يجلس للاقراء، فكان الناس يتسابقون السرى اليه ليلاً، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أولاً فليقرأ، ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق، فاتفق أن قال يوماً: من جاء ثانياً فليقرأ، وبقي الأول ــ وكان من أصحابه ــ لا يدري ما الذنب الذي أوجب حرمانه، ففطن أنه أجنب تلك الليلة، ولشدة حرصه على النوبة نسي ذلك، فبادر الى حمام جوار المدرسة، فاغتسل ورجع قبل فراغ الثاني، والشيخ قاعد أعمى، فلما فرغ الثاني قال الشيخ من جاء أولا فليقرأ. وهذا من أحسن ما وقع لشيوخ هذه الطائفة، بل لا أعلم مثله وقع في الدنيا.

ومن تصانيفه رائقة في الرسم فائقة نظراتها. وأما (قصيدته اللامية) في القراءات، واسطة عقد تصانيفه، وغرة وجه تآليفه، وهي القصيدة التي سارت في الأمصار، وطارت في الأقطار، وصار الى قبولها علماء الأعصار. قال الجزري: من وقف على قصيدته، علم مقدار ما آتاه الله تعالى في ذلك، خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فانه لا يعرف مقدارها، الا من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها. ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول، ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن، فانني لا أحسب أن بلداً من بلاد

الاسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة منه. ولقد تنافس الناس فيها، ورغبوا في اقتناء النسخ الصحاح منها الى غاية، حتى أنه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الجحيج ــ صاحب السخاوي ــ مجلدة، فاعطيت بها وزنها فضة فلم أقبل، ولقد بالغ الناس في التغالي فيها، وأخذ أقوالها مسلمة، واعتبار ألفاظها منطوقاً ومفهوماً، حتى خرجوا بذلك عن حد أن يكون لغير معصوم، وتجاوز بعض الحد، فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع، وأن ما عدا ذلك شاذ لا يجوز القراءة به. ومن أعجب ما اتفق للشاطبية في عصرنا هذا، أن به من بينه وبين الشاطبي باتصال التلاوة والقراءة رجلين ــ مع أن للشاطبي يوم تبيض هذه الترجمة مائتي سنة ــ وهذا لا أعلم أنه اتفق في عصر من الأعصار للقراءات السبع، وان كان اتفق في بعض القراءات وقتاً ما، وما ذلك الا لشدة اعتناء الناس بها. ومن الجائز أن تبقى الشاطبية باتصال السماع بهذا السند الى رأس الثمانمائة، كذا قاله الجزري. عرض عليه القراءات جماعة، وأجل أصحابه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي وأمثاله. وسمع عليه القصيدة، الامام أبو عمر وعثمان بن عمر بن الحاجب وغيره، وبارك الله له في تصنيفه وأصحابه، ولا تعلم أحداً أخذ عنه الا قد أنجب. (توفي) رحمه الله في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، سنة تسعين وخمسمائة بالقاهرة. و (دفن) بالقرافة بين مصر والقاهرة، وقبره مشهور معروف يزار. قال الجزري: وقد زرت قبره مرات، وعرض علي بعض أصحابي الشاطبية عند قبره، ورأيت بركة الدعاء عند قبره بالاجابة رحمه الله ورضي عنه.

وأما الشيخ السخاوي:

فهو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن عطاء، الإمام العلامة، علم الدين أبو الحسن الهمذاني، السخاوي، المقرىء المفسر النحوي اللغوي الشافعي، شيخ مشايخ الاقراء بدمشق. (ولد) سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة بسخاً من عمل مصر. وسمع باسكندرية من السلفي وأبي الطاهر بن عوف، وبمصر من عساكر بن علي والبوصيري وابن ياسين وغيرهم.

قرأ القراءات بالديار المصرية، على ولي الله أبي القاسم الشاطبي وبه انتفع، وعلى أبي الجود، وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، وعساكر بن علي. ثم رحل الى دمشق فقرأ القراءات الكثيرة على أبي اليمن الكندي، وأخذ عنه النحو واللغة والأدب، وسمع من كثير من العلماء وغيرهم. وكان إماماً علامة محققاً، مقرئاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها، إماماً في النحو واللغة والتفسير والأدب، أتقن هذه العلوم اتقاناً بليغاً، وليس في عصره من يلحقه فيها، وكان عالماً بكثير من العلم غير ذلك، مفتياً أصولياً مناظراً، وكان مع ذلك ديناً خيراً متواضعاً، مطرح التكلف، حلو المحاضرة، حسن النادرة، حاد القريحة، من أذكياء بني آدم وافر الحرمة، كبير القدر، محبباً إلى الناس، ليس له شغل إلا العلم والإفادة. اقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة بجامع دمشق، عند رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام، ثم بتربة أم الصالح، ولأجله بنيت، وبسببه جعل شرطها على الشيخ أن يكون أعلم أهل البلد بالقراءات، فقصده الطلبة من الآفاق، وازدحموا عليه وتنافسوا في الأخذ عنه. قال الحافظ أبو عبدالله في (تاريخ الاسلام): قرأ عليه خلق كثير الى الغاية، ولا أعلم أحداً من القراء في الدنيا أكثر أصحاباً منه. وعد الجزري من أصحابه ما ينيف على عشرين. **وألف من الكتب:**

١ ــ شرح الشاطبية وسماه: «فتح الوصيد».

وهو أول من شرحها بل هو والله أعلم سبب شهرتها في الآفاق، واليه أشار الشاطبي بقوله: يقيض الله لها فتى يشرحها؛

٢ ــ وشرح الرائية للشاطبي وسماه: «الوسيلة الى شرح العقيلة»؛

٣ ــ وله كتاب: المفضل في شرح المفصل، في النحو، وهو كتاب نفيس في أربعة أسفار؛

٤ ــ وله شرح آخر على المفصل في النحو وسماه: «سفر السعادة وسفير الافادة»؛

٥ ــ وشرح الأحاجي النحوية للزمخشري، وهو من أجل الكتب في موضوعه، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشري بلغزين من نظمه.

٦ ــ وكتاب: التفسير، وصل فيه الى الكهف في أربعة أسفار، ومن وقف

عليه علم مقدار هذا الرجل ففيه من النكت واللطائف والدقائق ما لم يكن في غيره؛

٧ ــ وكتاب: القصائد السبع، في مدح سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وشرحه الشيخ أبو شامة؛

٨ ــ وكتاب: المفاخرة بين دمشق والقاهرة.

وغير ذلك من الكتب.

قال ابن خلكان: رأيته راكباً الى الجبل، وحوله اثنان أو ثلاثة يقرأون عليه في أماكن مختلفة دفعة واحدة، وهو يرد على الجميع. قال الذهبي: وفي نفسي شيء من صحة الرواية على هذا النعت، لأنه لا يتصور أن يسمع مجموع الكلمات. قال الجزري: بل في النفس مما قاله الذهبي شيء، ألم يسمع وهو يرد على الجميع، مع أن السخاوي لا نشك في ولايته، وقد أخبرني جماعة من الشيوخ الذين أدركتهم، عن شيوخهم، أن بعض الجن كان يقرأ عليه. هذا ما ذكره الجزري. قال أبو شامة: وفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة (توفي) شيخنا علم الدين، علامة زمانه، وشيخ أوانه الشيخ السخاوي. وكانت (ولادته) سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة.

وأما الشيخ الجعبري:

فهو: أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل بن أبي العباس، العلامة الأستاذ أبو محمد الربعي الجعبري السلفي ــ بفتحتين ــ نسبة الى طريقة السلف، محقق حاذق ثقة. شرح الشاطبية والرائية. وألف التصانيف في أنواع العلوم. (ولد) سنة أربعين وستمائة أو قبلها تقريباً، بربض قلعة جعبر، وقرأ السبعة والعشرة على مشايخ كثيرة، واستوطن بلد الخليل عليه أفضل السلام. وكان فقيهاً مقرئاً متفنناً. له التصانيف المفيدة في القراءة والمعرفة بالحديث وأسماء الرجال، وشرح الشاطبية وسماه: (كتاب كنز المعاني)، وشرح الرائية أيضاً، وأحسن في هذين الكتابين، سيما (شرح الشاطبية) فانه أحسن فيه كل الاحسان، ولا يقدر على حل رموزه إلا من برع في علوم القرآن، بل العلوم العربية والشرعية أيضاً، ولا يعرف عسر ذلك الكتاب وقدر اتقانه،

إلا من خدمه حق الخدمة. (توفي) في ثالث عشر شهر رمضان، سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

وأما الشيخ منتجب الدين بن أبي العز بن رشيد أبو يوسف الهمداني، إمام كامل علامة، كان رأساً في القراءات والعربية، صالحاً متواضعاً صوفيا. قرأ على أبي النجود بمصر وسمع بدمشق أبا اليمن الكندي، وقرأ عليه، وشرح الشاطبية شرحاً لا بأس به، وأعرب القرآن العظيم اعراباً متوسطاً، وشرح المفصل للزمخشري وأجاد، وذكره الذهبي في (تاريخ الاسلام) وقال: كان سوقه كاسداً مع وجود السخاوي؛ وذكره أبو شامة في الذيل وقال: كان مقرئاً مجوداً، وانتفع بشيخنا السخاوي في معرفة قصيدة الشاطبي، ثم تعاطى شرح القصيدة فخاض بحراً عجز عن سباحته، وجحد حق تعليم شيخنا له وأفادته. قال الجزري: وفي شرحه القصيدة مواضع بعيدة عن التحقيق، لأنه لم يقرأ بها على الناظم ولا من قرأ عليه. (توفي) في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق.

وأما الشيخ الجزري:

فهو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، يكنى أبا الخير. (ولد) ــ فيما حققه من لفظ والده ــ في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وخمسين وسبعمائة بدمشق، وحفظ القرآن سنة أربع وستين، وصلى به سنة خمس، وسمع الحديث من جماعة، وأفرد القراءات على بعض الشيوخ، وجمع السبع في سنة ثمان وستين، وحج في هذه السنة، ثم رحل الى الديار المصرية في سنة تسع، وجمع القراءات العشر، والاثنتي عشرة، ثم الثلاث عشرة، ثم رحل الى دمشق، وسمع الحديث من أصحاب الدمياطي والابرقوهي، وأخذ الفقه عن الأسنوي وغيره، ثم رحل الى الديار المصرية، وقرأ بها الأصول والمعاني والبيان، ورحل الى الاسكندرية، وسمع من أصحاب ابن عبد السلام وغيرهم. وأذن له بالافتاء، شيخ الاسلام أبو الفداء اسماعيل بن كثير، سنة أربع وسبعين، وكذلك الشيخ ضياء الدين سنة ثمان وسبعين، وكذلك شيخ الاسلام البلقيني سنة خمس وثمانين. ثم جلس للاقراء وقرأ عليه

القراءات جماعة كثيرون. وولي قضاء الشام سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة. ثم دخل الروم لما ناله من الظلم: من أخذ أمواله وغيره بالديار المصرية، في سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فنزل بمدينة برصه دار الملك العادل المجاهد بايزيد بن عثمان، فأكمل عليه القراءات العشر بها جماعة كثيرون من أهل تلك الديار وغيرهم.

ولما كانت الفتنة العظيمة المشهورة من قبل تيمور خان، في أول سنة خمس وثمانمائة، فأخذه الأمير تيمور معه الى ما وراء النهر، وأنزله بمدينة كش، ثم الى سمرقند، وقرأ عليه في كل منهما جماعة كثيرون. ولما توفي الأمير تيمور في شعبان سنة سبع وثمانمائة، خرج من بلاد ما وراء النهر، فوصل الى خراسان، ودخل الى هراة، ثم الى مدينة يزد، ثم الى أصبهان، ثم الى شيراز، فقرأ عليه في كل منها جماعة، بعضهم السبعة وبعضهم العشر، وألزمه صاحب شيراز بير محمد قضاء شيراز ونواحيها، فبقي فيها كرهاً، حتى فتح الله تعالى عليه، فخرج منها الى البصرة، ثم فتح الله تعالى له المجاورة بمكة والمدينة سنة ثلاث وعشرين. وحين إقامته بالمدينة قرأ عليه شيخ الحرم.

وألف في القراءات:

كتاب: النشر في القراءات العشر، في مجلدين؛ ومختصره «التقريب»؛

٢ ــ وتحبير التيسير في القراءات العشر؛

٣ ــ وطبقات القراء وتاريخهم: «كبرى» و «صغرى»، التي نقل هذه الترجمة من صغراها؛

ولما أخذه الأمير تيمور الى ما وراء النهر ألف هنالك:

٤ ــ شرح المصابيح، في ثلاثة أسفار؛

وألف في التفسير والحديث والفقه. ونظم قديماً:

٥ ــ غاية المهرة في الزيادة على العشرة؛

٦ ــ ونظم: طيبة النشر في القراءات العشر؛

٧ ــ والجوهرة في النحو؛

٨ ـــ والمقدمة فيما على قارىء القرآن أن يعلمه.

وغير ذلك في فنون شتى.

هذا ما حكاه الجزري عن نفسه في (طبقاته الصغرى)، نقلته عن خطه. وقال بعض تلامذته بخطه: قال الفقير المغترف من بحاره، (توفي) شيخنا رحمه الله ضحوة الجمعة، لخمس خلون من أول الربيعين، سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز، ودفن بدار القرآن التي أنشأها، وكانت جنازته مشهودة، تبادر الاشراف والخواص والعوام الى حملها وتقبيلها ومسها تبركاً بها، ومن لم يمكنه الوصول الى ذلك كان يتبرك بمن تبرك بها.

وقد اندرس بموته كثير من مهام الاسلام، رضي الله عنه وعن أسلافه وأخلافه. وكان للشيخ المذكور ابنان فاضلان:

(أحدهما) وهو الأكبر: محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجزري، أبو الفتح الشافعي.

قال الشيخ رحمه الله: (ولد) هو في يوم الأربعاء، ثاني شهر ربيع الأول، سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدمشق. حفظ القرآن وله ثمان سنين، واستظهر (الشاطبية) و(الرائية) ومنظومتي (الهداية)، وشرع في الجمع بالعشر عليَّ، ثم رحلت به الى الديار المصرية، وقرأ القراءات من شيوخها، ثم اشتغل بالفقه وغيره، فحفظ عدة كتب في علوم مختلفة:

كالتنبيه: للامام أبي اسحاق؛

وألفية ابن مالك؛

ومنهاج البيضاوي؛

وتلخيص المفتاح؛

والمنهج في أصول الدين: لشيخه شيخ الاسلام البلقيني؛

وألفية شيخه العراقي في علوم الحديث؛ وغير ذلك.

وقرأ محفوظاته مرات على شيوخ عصره وأجازوه، وأذن له بالافتاء والتدريس شيخه الامام برهان الدين الانباشي. قال الشيخ: لما دخلت الروم،

باشر وظائفه بدمشق، ودرس وأقرأ حتى اخترمته يد المنون، فانا لله وانا اليه راجعون و (مات) بمرض الطاعون، سنة أربع عشرة وثمانمائة، وانا لله وانا اليه راجعون، وأنا بشيراز، ولا حول ولا قوة الا بالله.

و (ثانيها) وهو الأصغر: محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجزري، أبو الخير.

قال الشيخ: (ولد) هو في جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وسبعمائة، بعد عودنا من مصر، واتمام أخيه القراءات. وأجازه مشايخ العصر، وحضر على أكثرهم. ثم رحلت به وباخوته الى مصر، فسمع (الشاطبية) وسائر كتب القراءات من مشايخ مصر، بقراءة أخيه أبي بكر أحمد. ولما عدنا الى دمشق سمع البخاري. ولما دخلت الروم، حضر اليَّ في سنة احدى وثمانمائة فصلى بالقرآن، وحفظ (المقدمة) و (الجوهرة)، وأكمل عليَّ جميع القراءات العشر في ذي القعدة سنة ثلاث، ثم أعادها في ختمة أخرى، فختمها يوم الاثنين — وهو يوم الوقفة — تاسع ذي الحجة، سنة أربع وثمانمائة، ثم لحقني الى مدينة كش — في أيام الأمير تيمور — في أوائل سنة سبع وثمانمائة، ثم كان في صحبتي الى شيراز، وأكمل بها أيضاً القراءات العشر من شهور سنة تسع وثمانمائة.

وللشيخ ولد آخر اسمه: أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الجزري، أبو بكر.

قال الشيخ: (ولد) هو ليلة الجمعة، سابع عشر شهر رمضان، سنة ثمانين وسبعمائة بدمشق. أجازه مشايخ، عصره بدمشق، ختم القرآن سنة تسعين، وصلى به سنة إحدى، وحفظ (الشاطبية) و (الرائية) و (قصيدتي) في العشرة ثم قرأ بالقراءات الاثني عشر بقراءة أخيه أبي الفتح، ثم قرأ ثانياً القراءات العشر، وأجازه المشايخ وقرأ عليَّ كتابي:

(النشر) و (الطيبة)، وسمعها غير مرة. وحفظ كتباً، وكتب عن الشيخ الحافظ العراقي وغيره، وسمع البخاري. ولما دخلتُ الروم لحقني بكثير من كتبي، فأقام عندي يفيد ويستفيد، وانتفع به أولاد الملك العادل بايزيد بن

عثمان، والكامل محمد، والسعيد مصطفى، والأشرف موسى، وصار متولي الجامع الأكبر البايزيدي بمدينة برصة. ونشأ مع دين وعفاف أسعده الله و بارك فيه.

ثم لما وقعت الفتنة التيمورية، فأرسله تيمورلنك رسولاً الى السلطان الناصر فرج بن برقوق، ففارقني نحو عشرين سنة، هو بالروم وأنا بالعجم مع الأمير تيمور، ولما يسر الله تعالى لي الحج في سنة سبع وعشرين وثمانمائة، كتبت اليه، فحضر عندي، واجتمعنا بمصر نحو ستة عشر يوماً، وتوجهت الى الحج وجاورت، وأقام هو بمصر من شوال الى شوال سنة، فحج معي سنة ثمان، ورجعنا جميعاً الى الديار المصرية، وتوجه الى الروم ليحضر أهله، ففارقته بدمشق في جمادى الآخرة سنة تسع، ولما كان بمصر في غيبتي وأنا مجاور بمكة، شرح (طيبة النشر)، فأحسن فيه ما شاء، مع أنه لم يكن عنده نسخة بالحواشي التي كتبت عليها؛ ومن قبل ذلك شرح (مقدمة التجويد) و (مقدمة علم الحديث) من نظمي، في غاية الحسن وولاه السلطان الأشرف برسباي وظائف أخيه أبي الفتح — رحمه الله تعالى — من المشيخة والاقراء والتدريس، وتوجه لاحضار أهله من الروم، وتوجهت أنا لذلك الى العجم، والله تعالى يجمع شملنا في خير، وذلك سنة تسع وعشرين وثمانمائة.

وللشيخ غير هؤلاء ابنان:

أبو البقاء اسماعيل؛

وأبو الفضل اسحاق؛

وبنات:

فاطمة؛

وعائشة؛

وسلمى.

جميع هؤلاء من القراء المجودين والمرتلين، ومن الحفاظ المحدثين، طاب أصل هؤلاء فروعه، وطوبى لفروع هذا أصلهم، و يا حبذا بيت هؤلاء أهله. وفخراً لساكن مثل هذا البيت محله، رضي الله عنهم وأرضاهم، وأسكننا في فردوس الجنان وإياهم، إنه قريب مجيب، عليه توكلت واليه أنيب.

الشعبة الثانية

من العلوم الشرعية

علم رواية الحديث

وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام، من حيث أحوال رواته ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الأحاديث.

وموضوعه: ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام، من حيث صحة صدورها عنه صلى الله عليه وسلم وضعفه، الى غير ذلك. وفي هذا الفن منفعة بينة وغاية عظيمة، بل هو أحد أركان الدين.

والكتب المصنفة في هذا الفن أكثر من أن تحصى:

(منها): كتاب الشيخ الامام الحافظ المتقن المحقق، أبي عمرو عثمان ابن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، رضي الله عنه، الملقب تقي الدين، الفقيه الشافعي.

كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث وأسماء الرجال والفقه ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاواه مسددة، فقرأ الفقه أولاً على والده الصلاح، ثم نقله والده الى الموصل، واشتغل بها مدة، ثم سافر الى خراسان، وحصل علم الحديث هناك، ثم رجع الى الشام، وتولى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس، واشتغل الناس عليه وانتفعوا به، ثم تولى تدريس

الملك الأشرف بدمشق، وتدريس المدرسة الرواحية، وتدريس مدرسة ست الشام، فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث، من غير اخلال بشيء منها الا لعذر ضروري، وكان من العلم والدين على قدم حسن. وصنف في علوم الحديث كتاباً نافعاً، ولم يزل أمره جارياً على صلاح وسداد، الى أن (توفي) في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق؛ وكانت (ولادته) سنة سبع وسبعين وخمسمائة بشرخان، وهي قرية من أعمال اربل، قريبة من شهر زور.

وصنف أيضاً في علوم الحديث: الامام النووي كتاب (الارشاد)، ثم لخصه تلخيصاً حسناً. وهو أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النواوي الشافعي، إمام أهل زمانه، كان عالماً فاضلاً متورعاً فقيهاً محدثاً ثبتاً حجة.

له مصنفات كثيرة مشهورة، وتأليفات عجيبة مفيدة:

١ ــ في الفقه مثل: «الروضة»؛

٢ ــ وفي الحديث مثل: «الرياض» و «الأذكار»؛

٣ ــ وفي شرحه مثل: «شرح مسلم»؛

وغير ذلك من معرفة الحديث واللغة.

سمع من المشائخ الكبار، وسمع منه خلق كثير، وأجاز رواية شرح مسلم لجميع المسلمين. وكان من أهل نوى ــ قرية من أعمال دمشق. ونشأ بها، وحفظ الختمة، وقدم دمشق في خمسين وستمائة، وله تسع وعشرون سنة، وتفقه وبرع. وكان خشن العيش، قانعاً بالقوت، تاركاً للشهوات، صاحب عبادة وخوف؛ وكان قوالاً بالحق، صغير العمامة، كبير الشأن؛ وكان كثير السهر مكباً على العلم والعمل. (مات) في رجب سنة ست وسبعين وستمائة، وقبره يزار بنوى. عاش خمساً وأربعين سنة.

والتصانيف في علم الحديث أكثر من أن تحصى، لكن فيما ذكرناه كفاية، والله ولي الهداية.

ومن التصانيف في هذا العلم (كتاب لابن حجر) وقد عرفته فيما سبق.

الشعبة الثالثة

من العلوم الشرعية

علم تفسير القرآن

وهو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية. ومبادئه: العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة. والغرض منه: معرفة معاني النظم. وفائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة. وموضوعه ومنفعته ظاهران من تعريفه.

واعلم: أنك قد عرفت فيما سبق طبقات القراء، فلعلك تترصد ايراد طبقات المفسرين في هذا المقام، لكن كثيراً ممن تقدم في طبقات القراء، داخلون في طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين، فلا وجه لاعادته ها هنا، وانما الملائم الاشارة الاجمالية الى ما ذكر هناك ثم تفصيل البواقي.

أما الصحابة

فالذين اشتهروا بالتفسير منهم:

الخلفاء الأربعة المذكورون سابقاً؛

وابن مسعود؛

وأبي بن كعب؛

وزيد بن ثابت؛

وأبو موسى الأشعري. وهؤلاء مذكورون فيما تقدم.

والذي لم يذكر هو:

عبدالله بن الزبير بن العوام، يكنى أبا بكر الأسدي القرشي، كناه النبي صلى الله عليه وسلم، بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ وسماه باسمه. وهو أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة أول سنة، وأذن أبو بكر في أذنه، ولدته أمه أسماء بقباء، وأتت به الى النبي صلى الله عليه وسلم، فوضعه في حجره، فدعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه وحنكه، وكان أول شيء دخل في جوفه، ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا له وبرك عليه. وكان أطلس، لا شعر له في وجهه ولا لحيته. كان كثير الصيام والصلاة، شهماً ذا أنفة، شديد البأس، قائلاً بالحق، وصولاً للرحم، اجتمع له ما لم يجتمع لغيره: أبوه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أسماء بنت الصديق، وجده الصديق، وجدته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالته عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين. قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه، يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة، سنة ثلاث وسبعين. وكان بويع له بالخلافة سنة أربع وستين، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام، وحج بالناس ثماني حجج. روى عنه خلق كثير.

ثم أعلم: أن الخلفاء الأربعة، أكثر من روى عنه علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً؛ وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر للحديث، مع قدم صحبته، وحرصه على تعلم العلم والدين وأحكام الاسلام، وقوة حفظه وملازمته مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، من أول البعث الى زمان وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم.

وأما علي كرم الله وجهه، فروى عنه الكثير. وروي عنه أنه قال وهو يخطب: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء الا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية، إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أو بنهار، أم في سهل أم في جبل. وروي عنه أيضاً أنه قال: والله ما نزلت آية، إلا وقد علمت فيم

أنزلت، وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً. وروى عن ابن مسعود أنه قال: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

وأما ابن مسعود رضي الله عنه، فروي عنه أكثر مما روي عن علي رضي الله عنه. روي عنه أنه قال: والذي لا اله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله تعالى، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين أنزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته.

وأما ابن عباس رضي الله عنهما: فهو ترجمان القرآن، وحبر الأمة، ورئيس المفسرين. دعا له النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وقال أيضاً: اللهم آته الحكمة، أو علمه الحكمة. وعن ابن عباس قال: انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل، فقال له جبريل: إنه كائن حبر هذه الأمة واستوصى به خيراً. وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس». والأحاديث والآثار في حق ابن عباس كثيرة خارجة من حد الاحصاء.

وقد ورد عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة، لكن عنه في ذلك روايات وطرق مختلفة؛ أحسنها وأولاها: طريقة علي بن أبي طلحة الهاشمي. قال أحمد ابن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها الى مصر قاصداً ما كان كثيراً. واعتمد على هذه النسخة: البخاري في صحيحه، فيما نقله عن ابن عباس، وبينه وبين ابن عباس واسطة، وهي مجاهد أو سعيد بن جبير. قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة ـــ وهي ثقة ـــ فلا ضير في ذلك.

ومن جيد الطرق عن ابن عباس: طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه. وقيس: هو قيس بن مسلم الجدلي الكوفي، روى عن سعيد بن جبير وغيره؛ وعنه الثوري وشعبة. (مات) سنة عشرين ومائة.

ومن جيد الطرق: طريق ابن اسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى آل

زيد بن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عنه، هكذا بالترديد، وهي طريق حسن واسناده جيد. وابن اسحاق: هو محمد بن اسحاق، مولى قيس بن مخرمة، تابعي، رأى أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وسمع جماعة من التابعين، وحدث عنه الثوري والنخعي وابن عيينة ويحيى بن سعيد وغيرهم. كان عالماً بالسير والمغازي وأيام الناس وقصص الأنبياء والحديث والقرآن والفقه. حدث ببغداد، و(مات) بها سنة خمسين ومائة.

وأوهى طرقه: طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

والكلبي: هو أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي، نسبة الى كلب ابن وبرة، قبيلة من قضاعة، الكوفي، صاحب التفسير والأنساب؛ كان إماماً في هذين العلمين. وكان من أصحاب عبدالله بن سبأ، الذي يقول أن علي بن أبي طالب لم يمت، وأنه راجع الى الدنيا. روى عنه سفيان الثوري ومحمد بن اسحاق، وكانا يقولان: حدثنا أبو النضر حتى لا يعرف. وشهد الكلبي دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي؛ وشهد جده بشر، وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن، وقعة الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وكان جميلاً شريفاً (توفي) سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة. وقد عرفت أن طريق الكلبي أوهى طرق ابن عباس. فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب. وكثيراً ما يخرج منها: الواحدي، والثعلبي، ومحمد بن مروان السدي ــ صاحب التفسير ــ كوفي يكنى أبا عبد الرحمن. وسمع التفسير من الكلبي.

والواحدي:

علي بن أحمد بن محمد بن علي، الإمام أبو الحسن الواحدي، إمام مصنف مفسر نحوي، أستاذ عصره وواحد دهره. أنفق شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة، وسافر في طلب الفوائد، ولازم مجالس الثعلبي في تحصيل التفسير، وقعد للتدريس والافادة سنين وتخرج به طائفة من الأئمة، وكان نظام الملك يكرمه، ويعظمه، وكان حقيقاً بالاحترام

والاعظام، لولا ما كان فيه من الازراء بالأئمة المتقدمين، وبسط اللسان فيهم بما يليق.

وصنف:

١ ـــ البسيط؛

٢ ـــ والوسيط؛

٣ ـــ والوجيز: في التفسير؛

وصنف:

٤ ـــ أسباب النزول؛

٥ ـــ وشرح ديوان المتنبي؛

٦ ـــ والاعراب في علم الاعراب؛

وغير ذلك. وقيل فيه:

قد جمع العالم في واحد   عالمنا المعروف بالواحدي

(مات) سنة ثمان وستين وأربعمائة.

وأما الثعلبي:

فهو أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الثعلبي، صاحب (التفسير) و(العرائس في قصص الأنبياء). كان إماماً كبيراً، حافظاً للغة، بارعاً في العربية. روى عن أبي طاهر بن خزيمة وأبي محمد المخلدي. أخذ عنه الواحدي. (ومات) سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وكذلك طريق مقاتل بن سليمان عن ابن عباس، إلا أن الكلبي يفضل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الردية. وهو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء، الخراساني المروزي. أصله من بلخ، وانتقل الى البصرة، ودخل بغداد، وحدث بها، وكان مشهوراً بالتفسير، وله التفسير المشهور. أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وأبي اسحاق السبيعي، والضحاك بن مزاحم، ومحمد بن مسلم الزهري، وغيرهم؛ وروى عنه جماعة. وكان من العلماء الأجلاء. حكى عن الشافعي أنه قال: الناس كلهم عيال

على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير؛ وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ في الكلام. واختلف العلماء في أمره، فمنهم من وثقه في الرواية، ومنهم من نسبه الى الكذب.

قال أحمد بن سيار: مقاتل منهم متروك الحديث، وكان يتكلم في الصفات بما لا يحل الرواية عنه. قال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني: مقاتل كان دجالاً جسوراً. قال أبو عبد الرحمن النسائي: الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد ابن سعيد ــ المعروف بمصلوب ــ بالشام. وذكره وكيع يوماً وقال: كان كذاباً؛ وكذا عمرو بن علي الفلاش. وقال البخاري: سكتوا عنه؛ وقال في موضع آخر: لا شيء البتة. قال أحمد بن حنبل: ما يعجبني أن أروي عنه شيئاً. وقال أبو حاتم البستي: مقاتل كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم؛ إلا أن بقية بن الوليد قال: كنت أسمع شعبة بن الحجاج لا يذكر مقاتلاً الا بخير. وسئل عنه عبدالله بن المبارك فقال: لقد ذكر لنا عنه عبادة؛ وروي عنه أيضاً أنه ترك حديثه. وقال ابراهيم الحربي: (مات) مقاتل قبل الضحاك بن مزاحم بأربع سنين، ولم يسمع منه ولم يلقه، وكذا لم يلق مجاهداً ولم يسمع منه. (توفي) مقاتل سنة خمسين ومائة بالبصرة.

وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فان الضحاك لم يلقه، وان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة، عن أبي روق، عنه، فضعيفة ضعف بشر. وقد أخرج عنه ابن جرير وابن أبي حاتم، وان كان من رواية جويبر، عن الضحاك، فأشد ضعفاً، لأن جويبرا شديد الضعف متروك، وانما أخرج عنه ابن مردويه، وأبو الشيخ بن حيان، دون ابن جرير وابن أبي حاتم،

واعلم: أن الضحاك ــ وهو ابن مزاحم الكوفي صاحب ابن عباس - كثير الرواية من الصالحين، فلما أخذ الحجاج العلماء هرب من الكوفة الى خراسان، وكان يعلم الصبيان بلا أجر قال: يقال كنا في كتاب الضحاك ثلاثة آلاف غلام وسبعمائة جارية. وحملته امه سنتين، وولد وله أسنان

تضحك، ولذلك سمي الضحاك. حكي أنه مات مقيداً في السجن، سنة اثنتين أو خمس ومائة بمرو أو ببلخ.

وطريق العوفي عن ابن عباس، أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً؛ والعوفي ضعيف ليس بواه، وربما حسن له الترمذي.

وأما أبي بن كعب: فعنه نسخة كبيرة، يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عنه، وهذا اسناد صحيح. وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرا، وكذا الحاكم في مستدركه، وأحمد في مسنده. وأبي بن كعب الأكبر أنصاري خزرجي، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي. كان ربعة من الرجال، أبيض الرأس واللحية، كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا المنذر، وسأله صلى الله عليه وسلم عن أعظم آية في القرآن، فقال: آية الكرسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ليهنك العلم يا أبا المنذر؛ وكناه عمر رضي الله عنه أبا الطفيل؛ وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنصار؛ وسماه عمر رضي الله عنه سيد المرسلين.

وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري. وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم ستة، عمر، وعلي، وعبدالله، وأبي، وزيد، وأبو موسى. وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عز وجل. (مات) بالمدينة سنة تسع عشرة، وقيل: عشرين أو أثنتين وعشرين أو ثلاثين، في عهد عثمان رضي الله عنه. روى عنه خلق كثير، وشهد بدراً والعقبة.

واعلم: أن من الصحابة من ورد عنه اليسير من التفسير غير هؤلاء المذكورين.

منهم: أنس.

وهو أنس بن مالك بن النضر، كنيته أبو حمزة الخزرجي، خادم النبي صلى الله عليه وسلم، أمه: أم سليم بنت ملحان، واسمها مليكة، ولقبها الرميصاء.

قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين، أو تسع أو ثمان، فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشراً أو ثمانياً أو سبعاً. كان يسمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم و يتسمى و يفتخر به. ولما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أهدى اليه هدايا، وكان أنس يتيماً، فجاءت به أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: هذا هديتي لك يا رسول الله، فليخدمك، فقبله صلى الله عايه وسلم. كان يخضب بالحناء أو بالورش والصفرة، وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة كانت به. وكانت له ذؤابة، وكان يشد أسنانه بالذهب، وكان رامياً، وكان غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني غزوات.

وانتقل الى البصرة في خلافة عمر ــ رضي الله عنه ــ ليفقه الناس بها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة، سنة احدى وتسعين، وقيل: سنة تسعين، أو اثنتين وتسعين، وله من العمر مائة وثلاث سنين، أو مائة وسنتان، أو تسع وتسعون، قال ابن عبد البر ــ وهو أصح: يقال أنه ولد له مائة ولد، وقيل: ثمانون، منهم ثمانية وسبعون ذكراً، واثنتان أنثى، إحداهما حفصة، والأخرى أم عمرو؛ وقيل: ولد له بضعة وعشرون ومائة. يقال: ركب في حياته من صلبه مائة فارس. روى عنه خلق كثير.

ومنهم: أبو هريرة رضي الله عنه.

واختلف في اسمه واسم أبيه ــ في الجاهلية والاسلام ــ على تسعة عشر اقوال: عبدالله بن عائذ، أو عبدالله بن غنم، أو عبد شمس، أو عبد نهم، أو عمرو بن عبد غنم، أو عامر بن عبد شمس، أو عبد يا ليل، أو عبد العزى، أو عامر بن عمير، أو عمير بن عامر، أو سعد بن الحارث، أو سكين بن رزقة، أو سكين بن مل، أو سكن بن صخر، أو سكين بن هانيء، أو عبدالله بن عمرو، أو عبد الرحمن بن صخر، أو عبد الرحمن بن غنم، أو أبو الأسود، كنيته واسمه معافى الجاهلية، إلا أن أشهر ما قيل فيه، أنه كان في الجاهلية عبد شمس، أو عبد عمرو؛ وفي الاسلام عبدالله، أو عبد الرحمن وهو دوس. قال

الحاكم أبو أحمد: أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة: عبد الرحمن بن صخر، وغلبت عليه كنيته، فهو كمن لا اسم له، وإنما سمي أبا هريرة، لأنه كانت له هرة صغيرة يحملها معه.

كان رجلاً أبيض ليناً كان يخضب بالحناء، ويلبس الكتان الممشق، كان من أهل الصفة. أسلم عام خيبر، وشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لزمه ثلاث سنين، وواظب عليه راغباً في العلم، راضياً بشبع بطنه. وكان يدور معه حيثما دار، ويحضر ما لا يحضره أحد منهم، لملازمته النبي صلى الله عليه وسلم. روى البخاري عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أسمع منك أشياء فلا أحفظها، قال: ابسط رداءك، فبسطه، فبسط حديثاً كثيراً، فما نسيت شيئاً حدثني به. ذكر الإمام أبو بكر السمعاني، عن اسحاق بن راهويه، قال: الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام ثلاثة آلاف: خسمائة منها مدارها على أبي هريرة. قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صحابي وتابعي؛ فمنهم: ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأنس. (توفي) بالمدينة أو بالعقيق، في أيام معاوية، سنة تسع أو ثمان أو سبع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. حدث بالشام والعراق والبحرين.

ومنهم: ابن عمر

وهو عبدالله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي. أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، ولم يشهد بدراً، واختلفوا في شهوده أُحُداً؛ والصحيح أن أول مشاهده الخندق، وشهد ما بعده من المشاهد. وأمه وأم أخته حفصة: زوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت مظعون. هاجر مع أبيه، وكان من أهل الصفة. كان آدم طوالاً، له جمة مفروقة تضرب قريباً من منكبيه، يقص شاربه حتى يحفيه، ويشمر ازاره حتى يكون من نصف الساق، ويصفر لحيته، وكان من أهل الورع والعلم والزهد، شديد التحري والاحتياط. وقال جابر بن عبدالله: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها، ما خلا عمر وابنه عبدالله. وقال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس،

وكان أعطى القوة في العبادة والبضاع، حتى روى محمد بن سيرين أن ابن عمر ربما أفطر على الجماع، وكان إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه. وقال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف انسان، وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه فرعة لحم الا مسافراً أو رمضان، وكان نقش خاتمه «عبدالله». (ولد) قبل الوحي بسنة. و(مات) سنة ثلاث وسبعين بمكة، بعد أن قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو ستة أشهر، وسنه يوم توفي أربع أو ست وثمانون سنة، وروى سبعمائة حديث، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع غزوات، وبعده أربعاً، وروى عنه خلق كثير.

ومنهم: جابر بن عبدالله بن عمر بن حرام، من بني سلمة، الأنصاري. من مشاهير الصحابة والمكثرين من الرواية، شهد هو وأبوه وخالاه بيعة العقبة. شهد بدراً وما بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة. يكنى أبا عبدالله أو أبا عبد الرحمن. رحل الى مصر والشام، وجاور بمكة أشهراً في أخواله بني سهم، وكف بصره في آخر عمره، واستشهد أبوه بأحد، وترك عليه ديوناً وتسع بنات، فكان يعولهن. وهو الذي أضاف يوم الخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذبح داجنة. وله مناقب كثيرة شهيرة. (توفي) بالمدينة وهو ابن أربع وتسعين سنة، سنة أربع أو سبع وسبعين أو ثمان أو تسع وتسعين، وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. وجابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة من أهل العقبة رضي الله عنهم.

ومنهم: أبو موسى الأشعري، وقد عرفته في القراء.

ومنهم: عبدالله بن عمرو بن العاص.

ورد عنه أشياء تتعلق بالتفسير، مما يتعلق بالقصص والأخبار. هو عبدالله ابن عمرو بن العاص السهمي القرشي. أسلم قبل أبيه، وكان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة، أو اثنتي عشرة سنة، أو عشرين. وكان عابداً عالماً حافظاً، قرأ الكتب، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكتب حديثه فأذن له. يكنى أبا محمد، أو أبا بصير، أو أبا عبد الرحمن. وأمه ريطة بنت منبه بن

الحجاج. (توفي) ليالي الحرة سنة ثلاث أو خمس أو سبع أو ثمان وستين، أو ثلاث وسبعين، أو خمس وخمسين؛ قيل: بمكة؛ وقيل بمصر؛ وقيل بالطائف، وكان حفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألف مثل، وكان قرأ الكتب، وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكان يطفىء السراج ثم يبكي حتى رسعت عيناه. قلت: الرسع فساد في الأجفان قال يعلى بن عطاء عن أمه: أنها كانت تصنع الكحل لعبدالله بن عمرو.

وهو من العبادلة الأربعة الذين استقر عليهم أمر العلم في آخر عهد الصحابة؛ هم: «عبدالله بن عباس»؛ و «عبدالله بن عمر» و «عبدالله بن الزبير». وأما عبدالله بن مسعود، فلم يعد منهم لتقدم موته، ولكونه من شيوخ الصحابة.

وكان تحت عبدالله بن عمرو عمرة بنت عبدالله بن عباس، فولدت له محمداً، فولد محمد شعيباً، فولد شعيب عمراً، وهو الذي عليه مدار صحيفة عمرو بن شعيب، عن أبيه أي محمد، عن جده أي عبدالله.

واعلم: أن العبادلة عند المحدثين هم ما ذكرناه آنفاً. وأما عند الفقهاء هم: «عبدالله بن مسعود»؛ و «عبدالله بن عمر»؛ و «عبدالله بن عباس»؛ وعبدالله بن الزبير ليس منهم عندهم. والحاصل أن عبدالله بن عباس وعبدالله ابن عمر من العبادلة اتفاقاً بين الفريقين. وأما المحدثون: فيعدون عبدالله بن الزبير معهما؛ والفقهاء: يعدون معهما عبدالله بن مسعود دون عبدالله بن الزبير. فاحفظ هذه الفائدة، فان فيها نفعاً بيناً لك في مواضع شتى.

إذا عرفت طبقات المفسرين من الصحابة فلنذكر:

طبقات التابعين

منهم: أصحاب ابن عباس، وهم علماء مكة.

فمن المبرزين منهم: مجاهد.

وهو الذي قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم. وقد عرفت ترجمة مجاهد في القراء.

ومنهم: سعيد بن جبير.

وقد عرفت ترجمته أيضاً. قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك. قال قتادة: أعلم التابعين أربعة: أعلمهم بالمناسك: عطاء بن أبي رباح، وأعلمهم بالتفسير: سعيد بن جبير؛ وأعلمهم بالسير: عكرمة؛ وأعلمهم بالحلال والحرام: الحسن البصري.

ومنهم: عكرمة.

وقد عرفته أيضاً. هو مولى ابن عباس. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وقال عكرمة: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس. وقال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكيل و يعلمني القرآن والسنن.

ومنهم: طاوس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح من أصحاب ابن عباس. وغير هؤلاء من التابعين:

أصحاب ابن مسعود: وهم علماء الكوفة. وقد مر تفصيلهم في القراء.

ومن التابعين أصحاب زيد بن أسلم: كعبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس. وقد ذكرنا زيد بن أسلم، وستعرف مالك بن أنس في طبقات الفقهاء.

ومنهم التابعين:

الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي ميسرة سلمة

الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية، والضحاك بن مزاحم، وعطية العوفي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرة الهمذاني، وأبو مالك، والربيع ابن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والسدي في آخرين. وقد عرفت بعضاً من هؤلاء المذكورين. وأما الذين لم نذكرهم فهم:

عطاء بن ميسرة الخراساني، أبو عثمان.

أصله من بلخ. وكان يحيى الليل كله. وكان يقول: أوثق عملي في نفسي نشري العلم.

وأما محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة، أو أبو عبدالله:

فهو تابعي. (ولد) في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقيل: رآه. نزل سنة أربعين الكوفة، ثم رجع الى المدينة. روى عن فضالة بن عبيد وعائشة وأبي هريرة وغيرهم. روى عنه أبا المنكدر و يزيد بن الهاد والوليد بن كثير وخلق. قال عون بن عبدالله: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي، كان يقص في المسجد، فسقط عليه وعلى أصحابه سقف، فماتوا سنة ثمان ومائة، أو سنة سبع عشرة أو عشرين ومائة. رحمهم الله.

وأما أبو العالية:

فهو رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، مولاهم البصري، من كبار التابعين. أسلم بعد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر، وصلى خلف عمر. روى عن عمر، وأبي، وابن عباس، وزيد بن ثابت؛ وعنه عاصم الأحول وغيره. قالت حفصة بنت سيرين: سمعته يقول: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات. أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم. (توفي) سنة تسعين. قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن منه، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدي، وبعده الثوري. وكان أبو العالية مزاحاً، وسئل عن قتل الذر، فجمع منهن شيئاً كثيراً، وقال: مساكين ما أكيسهن، ثم قتلهن وضحك.

وأما عطية العوفي:

فهو عطية بن سعيد بن جنادة العوفي، أبو الحسن الجدلي الكوفي. روى عن

أبي هريرة وابن عباس وغيرهما. قال مطين: (توفي) سنة احدى عشرة ومائة.

وأما قتادة:

فهو ابن دعامة، يكنى أبا الخطاب السدوسي، الأعمى الحافظ. قال بكر ابن عبدالله المزني: من أراد أن ينظر الى أحفظ أهل زمانه، فلينظر الى قتادة، ما أدركنا الذي هو أحفظ منه.

وقال قتادة: ما سمعت أذناي شيئاً قط الا دعاه قلبي؛ وقال: لا يقبل قول بلا عمل فمن أحسن العمل قبل الله قوله. روى عن عبدالله بن سرجس وأنس وخلق سواهما؛ وعنه أيوب وشعبة وأبو عوانة وغيرهم. (مات) سنة سبع عشرة ومائة.

وأما مرة الهمذاني

وأما أبو مالك

وأما الربيع بن أنس:

كان من أهل البصرة من بني بكر بن وائل. لقي ابن عمر وجابراً أو أنس ابن مالك. وهرب من الحجاج، فأتى مرو، فسكن قرية منها، ثم طلب بخراسان ــ حين ظهرت دولة بني العباس. فتغيب، فخلص اليه عبدالله بن المبارك ــ وهو مستخف يسمع منه أربعين حديثاً. وكان عبدالله يقول: ما يسرني بها كذا وكذا الشيء سماه. (مات) في خلافة أبي جعفر، واستخلف هو سنة ست وثلاثين ومائة. ومدة خلافته اثنتان وعشرون سنة.

وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني:

فروى عن أبيه وابن المنكدر؛ وعنه قتيبة وهشام وغيرهما. والنقاد ضعفوه. (مات) سنة اثنتين وثمانين ومائة.

وأما السدي:

ثم بعد هذه الطبقة، ألفت كتب التفاسير التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين: كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج،

ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي اياس، واسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرين.

أما سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، الهلالي، مولاهم أبو محمد الكوفي، ثم المكي، الأعور، الامام المشهور. (ولد) بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومائة. كان إماماً عالماً ثبتا حجة زاهدا ورعاً، مجمعاً على صحة حديثه وروايته. سمع الزهري وخلقاً. وروى عنه الأعمش والثوري وشعبة والشافعي وأحمد وخلق كثير. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. (مات) بمكة أول يوم رجب سنة ثمان وتسعين ومائة. ودفن بالحجون. وكان حج سبعين حجة وقيل: ثمانين حجة.

وأما وكيع بن الجراح الكوفي.

فهو من قيس عيلان؛ وقيل: أصله من قرية من قرى نيسابور. سمع هشام ابن عروة والأوزاعي والثوري وغيرهم. وروى عنه عبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وخلق كثير سواهم. قدم بغداد وحدث بها. وهو من مشايخ الحديث الثقات، المعمول بحديثهم، المرجوع الى قولهم. كان يفتي بقول أبي حنيفة، وكان قد سمع منه شيئاً كثيراً. (ولد) سنة تسع وعشرين ومائة و (مات) سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء.

وأما شعبة بن الحجاج بن ورد، يكنى أبا بسطام، مولى الأشاقر عتاقة وكان أسن من الثوري بعشر سنين، و (توفي) بالبصرة سنة ستين ومائة، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وكان يقول: والله لأنا في الشعر أسلم مني في الحديث، ولو أردت الله ما خرجت اليكم، ولو أردتم الله ما جئتموني، ولكنا نحب المدح ونكره الذم.

وأما يزيد بن هارون السلمي، مولاهم الواسطي. روى عن جماعة وعنه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما. قدم بغداد وحدث بها، ثم عاد الى واسط ومات بها. (ولد) سنة ثماني عشرة ومائة. قال ابن المديني: لم أر أحداً

أحفظ من ابن هارون، وكان عالماً بالحديث حافظاً ثقة زاهداً عابداً. (مات) سنة سبع عشرة ومائتين.

وأما عبد الرزاق بن همام، يكنى أبا بكر، أحد الأعلام. روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما؛ وعنه أحمد واسحاق والزهري. وصنف الكتب (مات) سنة احدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة.

وأما آدم بن أبي اياس: فهو آدم العسقلاني، من أهل مرو الروذ. طلب الحديث ببغداد، وسمع شعبة سماعاً كثيراً، ثم انتقل فنزل عسقلان، و(مات) بها سنة عشرين ومائتين. وكان وراقاً، وكان قصيراً.

وأما اسحاق بن راهويه: فهو أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم النخعي، المعروف بابن راهويه. أحد أركان المسلمين، وعلم من أعلام الدين، وممن جمع بين الحديث والفقه والاتقان والحفظ والصدق والورع. طاف خراسان والعراق والحجاز واليمن والشام في طلب العلم. ثم استوطن نيسابور الى أن مات بها في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفضائله أكثر من أن تحصى. سمع سفيان بن عيينة ووكيعاً وخلقاً كثيراً من الأئمة. روى عنه البخاري ومسلم والترمذي، وجماعة من الأئمة الأعلام.

وأما روح بن عبادة.

وأما عبد بن حميد.

وأما أبو بكر بن أبي شيبة.

ثم بعد هؤلاء الطبقة طبقة أخرى، منهم:

عبد الرزاق، والمفضل، وعلي بن أبي طلحة وغيرهم.

ثم ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها؛ ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه والحاكم، وابن مردويه، وأبو الشيخ بن حبان، وابن المنذر في آخرين.

أما عبد الرزاق بن همام، يكنى أبا بكر أحد الاعلام. روى عن ابن

جريج ومعمر وغيرهما. وعنه أحمد واسحاق والزهري. وصنف الكتب. (مات) سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون.

وأما المفضل: فهو المفضل بن محمد الأصبهاني، أبو القاسم الراغب، صاحب المصنفات. كان في أوائل المائة الخامسة. له:

١ ــ مفردات القرآن؛

٢ ــ وأفانين البلاغة؛

٣ ــ والمحاضرات؛

قال السيوطي: وقفت على هذه الثلاثة؛ قلت: وقفت له أيضاً على:

٤ ــ كتاب تفصيل النشأتين: وهو كتاب لطيف لا يمكن أحسن منه في بابه، وجامع للفوائد الشريفة.

٥ ــ وكتاب الذريعة في محاسن الشريعة؛

٦ ــ وكتاب الأخلاق.

والكل بالغ نهاية الحسن، بحيث لا يمكن لمادحها قضاء حقها. قال السيوطي: وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي، على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصه: ذكر الامام فخر الدين الرازي في (تأسيس التقديس) في الأصول: أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة، وقرنه بالغزالي، قال: وهي فائدة حسنة، فان كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي. قلت: سيما والمزكى الامام فخر الدين الرازي.

وأما علي بن طلحة

وأما ابن جرير:

فهو محمد بن جرير بن يزيد، الامام أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي، أحد الأعلام، وصاحب التفسير والتاريخ والتصانيف. (ولد) بآمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، ورحل لطلب العلم وله عشرون سنة. قرأ على كثيرين، وتفقه عليه خلق كثير. قال الخطيب: كان أحد أئمة العلم، يحكم

بقوله، ويرجع الى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. وله كتاب (تهذيب الآثار) لم أر مثله في معناه، لكن لم يتمه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة. واختار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه. وقال أبو محمد عبدالله بن أحمد الفرغاني ــ صاحب ابن جرير، أن قوماً من تلامذة ابن جرير، حسبوا له منذ بلغ الحلم الى أن مات، ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. وقال أبو حامد الاسفرايني أمام الشافعية: لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً. (توفي) سنة عشر وثلاث مائة.

والباقون معروفون.

ثم انتصبت طبقة بعدهم، الى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد، محذوفة الأسانيد، وبرزوا فيه وبرعوا، مثل أبي اسحاق الزجاج وأبي علي الفارسي. وأما أبو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سننهما مكي بن أبي طالب وأبو العباس المهدي، وكل متقن ماجور، جزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء.

وأما ابراهيم بن السرى بن سهل: فهو أبو اسحاق الزجاج. قال الخطيب: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب. كان يخرط الزجاج، ثم خدم العلم، وصار من الفضلاء. وقد مر تفصيله.

وأما أبو علي الفارسي: فقد عرفته مستوفى.

وأما أبو بكر النقاش: فهو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقاش، نزيل بغداد، الامام المعلم، مؤلف كتاب (شفاء الصدور) في التفسير، مقرىء مفسر. (ولد) سنة ست أو خمس وستين ومائتين

طاف الأمصار، وتجول في البلدان، وكتب الحديث وقيد السنن، وصنف المصنفات في القراءات والتفسير وغير ذلك. من ذلك:

١ ــ الاشارة في غريب القرآن؛
٢ ــ والموضح في القرآن ومعانيه؛
٣ ــ ودلائل النبوة؛
٤ ــ والمعجم في أسماء القراء: «الأكبر» و «الأوسط» و «الأصغر»؛
٥ ــ كتاب السبعة بعللها: «الأكبر» و «الأوسط» و «الأصغر».

وطالت أيامه، فانفرد بالامامة في صناعته، مع ظهور نسكه وورعه، وصدق لهجته، وبراعة فهمه، وحسن اضطلاعه، واتساع معرفته. قال الخطيب: كان عالماً بالحروف، حافظاً للتفسير سافر الكثير شرقاً وغرباً، وكتب بمصر والشام والجزيرة والجبال وخراسان وما وراء النهر. وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة. روي عمن سمع الشيخ البرقاني ذكر تفسير النقاش، فقال: ليس فيه حديث صحيح، فسألوه، فقال: كل حديثه منكر؛ وقد ذكر الدارقطني ما يقتضي تضعيفه؛ وبالغ الذهبي فقال: وهو مع علمه وجلالته ليس بثقة. وخيار من أثنى عليه الداني فقبله وزكاه. قال الجزري: وناهيك بالداني فانه قال: النقاش جائز القول مقبول الشهادة. سمعت عبد العزيز بن جعفر يقول: كان النقاش يقصد في قراءة ابن كثير وابن عامر لعلو اسناده فيهما. وكان له ملء بيت كتب، وكان أبو الحسن الدارقطني يستملي له، وينتقي للناس من حديثه، وقد حدث عنه مجاهد في حياته. وأما ما وقع في التجريد من أنه قرأ على الحلواني عن الأخفش فوهم. وأما قول أبي أحمد السامري: سمعت ابن شنبوذ يقول: خرجت من دمشق وقد فرغت من الأخفش، فاذا بقافلة مقبلة فيها أبو بكر النقاش بيده رغيف فقال لي: ما فعل الأخفش؟ قلت: توفي، قال: فانصرف النقاش، ثم قال: قرأت على الأخفش ــ فان السامري ضعيف. وقال أبو الحسن بن الفضل القطان: حضرت النقاش وهو يجود بنفسه، في ثالث شوال سنة احدى وخمسين، أو اثنتين وخمسين، أو خمسين وثلاثمائة، فجعل يحرك

شفتيه، ثم نادى بعلو صوته: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[1]، يرددها ثلاثاً، ثم خرجت نفسه رحمه الله تعالى.

وأما أبو جعفر النحاس:

فهو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري. كان من الفضلاء.

وله تصانيف مفيدة منها:

١ ــ تفسير القرآن الكريم؛
٢ ــ وكتاب اعراب القرآن؛
٣ ــ وكتاب الناسخ والمنسوخ؛
٤ ــ وكتاب التفاحة؛
٥ ــ والكافي، كلاهما في النحو؛
٦ ــ وتفسير أبيات سيبو يه، ولم يسبق الى مثله؛
٧ ــ وكتاب أدب الكتاب؛
٨ ــ وكتاب المعاني؛
٩ ــ وشرح المعلقات التسع بتأخير السين؛
١٠ ــ وطبقات الشعراء؛

وغير ذلك.

روى عن أبي عبد الرحمن النسائي، وأخذ النحو عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وأبي اسحاق الزجاج، وابن الأنباري، ونفطو يه، وأعيان أدباء العراق. وقد كان رحل اليهم من مصر. وكانت فيه خساسة و يقتّر على نفسه، وإذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمائم بخلاً وشحاً، وكان يلي شراء حوائجه بنفسه، و يتحامل فيها على أهل معرفته. ومع هذا فكان للناس رغبة

---

(١) سورة الصافات، آية: ٦١.

كثيرة في الأخذ عنه، فنفع وأفاد، وأخذ عنه خلق كثير. و (توفي) بمصر يوم السبت، لخمس خلون من ذي الحجة، سنة ثمان أو سبع وثلاثين وثلاثمائة. وسبب وفاته أنه جلس على درج المقياس على شاطىء النيل وهو في أيام زيادته، وهو يقطع بالعروض شيئاً من الشعر، فقال بعض العوام: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار، فدفعه برجله في النيل، فلم يوقف له على خبر. والنحاس: نسبة الى من يعمل الأواني الصفرية.

وأما مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي النحوي المقرىء، صاحب (الاعراب). (ولد) في شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. وأصله من القيروان، وسكن قرطبة. وسمع بمكة ومصر من أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون، وقرأ عليه القرآن. وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف، مجوداً للقرآن. أقرأ بجامع قرطبة وخطب به، وانتفع به جمع، وعظم اسمه، واشتهر بالصلاح واجابة الدعوة. وكان رجل يتسلط عليه اذا خطب يحصي سقطاته، وكان مكي يتوقف كثيراً في الخطبة فقال: اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه، فاقعد الرجل وما دخل الجامع بعد.

صنف:

١ ــ أعراب القرآن؛
٢ ــ والموجز في القراءات؛
٣ ــ والتبصرة فيها؛
٤ ــ والهداية في الوقف؛
٥ ــ والتفسير.

وأشياء كثيرة في القراءات. (مات) في المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

وأما أبو العباس المهدوي فهو أحمد بن عمار بن أبي العباس، الامام أبو العباس المهدوي، نسبة الى المهدية بالمغرب، أستاذ مشهور. رحل وقرأ على محمد ابن سليمان، وعلى جده لأمه مهدي بن ابراهيم، وأبي الحسن أحمد بن محمد

القنطري بمكة. وذكر الحافظ أبو عبدالله الذهبي، أنه قرأ على أبي بكر أحمد بن محمد البراني. وألف التآليف منها:

١ ــ التفسير المشهور؛

٢ ــ والهداية في القراءات السبع.

وهو الذي ذكره الشاطبي في باب الاستعاذة، وقرأ عليه جماعة. قال الذهبي: (توفي) بعد الثلاثين وأربعمائة.

هذا الذي ذكرته، طريقة السلف في إيراد التفسير على النقل، كابراً عن كابر، مع الأسانيد الصحيحة والطرق المتقنة.

ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من ها هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل. ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن خطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك خلف عن سلف، ظاناً أن له أصلاً، غير ملتفت الى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن هم القدوة في هذا الباب. قال السيوطي: رأيت في تفسير قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ نحو عشرة أقوال، مع أن الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم، ليس غير اليهود والنصارى، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً من المفسرين.

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم، وملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن، واقتصر فيه على ما تمهر هو فيه، كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أن فيه تبيان كل شيء.

«فالنحوي»: تراه ليس له هم الا الاعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة، و ينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته: كالزجاج والواحدي في (البسيط)، وأبو حيان في (البحر والنهر) وقد عرفت ترجمة هؤلاء.

و**«الأخباري»:** ليس له شغل الا القصص واستيفاؤها، والأخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة، ومنهم: الثعلبي، وقد مر.

و «**الفقيه**»: يكاد يسرد فيه الفقه جميعاً، وربما استطرد الى اقامة أدلة الفروع الفقهية، التي لا تعلق لها بالآية أصلاً، والجواب عن أدلة المخالفين، **كالقرطبي**:

وهو محمد بن عمر بن يوسف: أبو عبدالله الأنصاري، القرطبي، المالكي، إمام عالم فقيه مفسر نحوي مقرىء زاهد. (ولد) بعد الخمسين وخمسمائة. قرأ القصيدتين اللامية والرائية على الامام الشاطبي، وقرأ على جماعة من الفضلاء، وجلس للاقراء بالفاضلية بعد موت الشاطبي. وقرأ عليه الخاص والعام، وفيه مروءة وافرة، وقضاء لحقوق الأخوان. (توفي) بالمدينة في مستهل صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

و «**صاحب العلوم العقلية**» ــ خصوصاً الامام فخر الدين ــ قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء الى شيء، حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية. قال أبو حيان في (البحر): جمع الامام فخر الدين الرازي في تفسيره، أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة لها في علم التفسير. ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء الا التفسير.

و «**المبتدع**»: ليس له قصد الا تحريف الآيات، وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث أنه متى لاح شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع اليه؛ كما نقل عن البلقيني أنه قال: استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش منها: أنه قال في قوله تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾[1] وأي فوز أعظم من دخول الجنة أشار به الى عدم الرؤية.

و «**الملحد**»: فلا تسأل عن كفره والحاده في آيات الله، وافترائه على الله ما لم يقله، كقول بعضهم في: «إن هي الا فتنتك» ما على العباد أضر من ربهم، و ينسب هذا القول الى أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

الواعظ، صاحب كتاب (قوت القلوب)؛ إلا أن شأن هذا الرجل أعظم من أن يتكلم بأمثال هذا الكلام، ولعل في النقل خللا، أو صدر أثناء غلبة السكر، وأمثال هذا عند السكر معفو عنه. وقول الغير في شجرة موسى ما قال. وقول الرافضة في: «يأمركم أن تذبحوا بقرة» ما قالوا؛ وأمثال هؤلاء هم المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: «أن في أمتي قوماً يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويل». ومن ذلك القبيل الذين يتكلمون في القرآن بلا سند يعتمد عليه، ولا نقل عن السلف، ولا رعاية الأصول الشرعية والقواعد الدينية؛ كالتفسير الذي ألفه محمود بن حمزة الكرماني في مجلدين، سماه: (العجائب والغرائب)، ضمنه أقوالاً هي عجائب عند العوام وغرائب عما عهد عن السلف، بل هي أقوال منكرة، لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها الا للتحذير منها. من ذلك قول منْ قال في «حم عسق» أن الحاء: حرب عليٍّ معاوية؛ والميم: ولاية المروانية؛ والعين: ولاية العباسية؛ والسين: ولاية السفيانية؛ والقاف: قدرة مهدي. حكاه أبو مسلم قال أردت بذلك أن تعلم أن فيمن يدعي العلم حمق. ومن ذلك قول الروافض في تأويل قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ أنهما علي وفاطمة؛ قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ يعني الحسن والحسين. ومن ذلك قول من قال في «آلم» معنى ألف: ألف الله محمداً فبعثه نبياً؛ ومعنى لام: لامه الجاحدون وأنكروه؛ ومعنى ميم: ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو البرسام.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾[١] فانه قصص القرآن. واستدل بقراءة أبي الجوزاء ﴿ولكم في القصص﴾ وهو بعيد مخالف للقراءة المشهورة. ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾[٢] ان ابراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه؛ أي: يسكن هذا الصديق الى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً. قال الكرماني: وهذا بعيد جداً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾[1] انه الحب والعشق؛ وقد حكاه الكواشي في تفسيره. ومن ذلك قول من قال في: قوله تعالى: ﴿ومن شر غاسقٍ إذا وقب﴾ إنه الذكر إذا قام. ومن ذلك قول معاذ النحوي في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾[2] يعني: ابراهيم ناراً؛ أي: نوراً، وهو محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي تقتبسون الدين. ومن ذلك قول من قال في قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده﴾[3] معناه: من ذل من الذل، وذي: اشارة إلى النفس؛ و يشف: من الشفاء جواب من، وع: أمر من الوعي. وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، عن رجل فسر بهذا قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع﴾ فأفتى بأنه ملحد. وقد قال تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾[4] قال ابن عباس: وهو أن يوضع الكلام على غير موضعه.

وأما كلام «الصوفية» في القرآن فليس بتفسير. قال ابن الصلاح في فتاو يه: وجدت عن الامام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فان كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر. قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم، إذا قال شيئاً من ذلك، أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فانه لو كان كذلك، كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وانما ذلك منهم لتنظير ما ورد به القرآن، فان النظير يدرك بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الايهام والألباس. وقال النسفي في (عقائده) النصوص على ظواهرها، والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد. وقول التفتازاني في (شرح العقائد النسفية): سميت الملاحدة باطنية، لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية؛ وقال: وأما ما يذهب اليه بعض المحققين، من أن النصوص على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

ظواهرها، ومع ذلك فيها اشارات خفية الى دقائق، تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال العرفان محض الايمان. قال الامام الغزالي في بعض رسائله: أن للقرآن ظهراً وبطناً، ولكل حد ومطلع، فمن اقتصر منه على ظواهره فهؤلاء حشوية؛ ومن اقتصر منه على الباطن فهؤلاء باطنية، وكل من الطائفتين نظر العالم بالعين العوراء، ولم يعرفوا أن لكل ظاهر باطناً، ولكل عالم جسماني عالماً مثالياً، والانسان مركب منهما، فانه ببدنه الكثيف من العالم الجسماني، وبروحه اللطيف من العالم الروحاني. ولما نزل القرآن لتكميل الانسان في النشأتين، لم يخل شيئاً منهما عن البيان، فالاقتصار على أحدهما نقصان؛ وإنما الكمال حمل الكلام عليهما معاً مهما أمكن، والا فلا ينبغي أن يختل أحد الجانبين لتصحيح الطرف الآخر. هذا حاصل كلام الغزالي مع توضيح له من قبلنا، ثم ضرب لذلك مثالاً وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فاخلع نعليك﴾ فان المراد بالتعلين في عالم الأجسام ما هو المعروف؛ وفي عالم الأرواح الدنيا والآخرة، وبين العالمين موازنة ومناسبة، لا يطلع عليها إلا الأنبياء وخواص الأولياء. فحينئذ كما أراد الله تعالى خلع التعلين من موسى عليه السلام بحسب الظاهر، كذلك أراد منه ترك الدنيا والآخرة في الباطن، من غير إخلال إرادة أحدهما بالآخر. قال ابن سبع في (شفاء الصدور): ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً. وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليُثَوِّر القرآن. قال: وهذا الذي قالاه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر. وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم. فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن، مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، لأن المنقول من التفسير الظاهر ينتهي الادراك فيه بالنقل والسماع، ولا بد من النقل والسماع فيه، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط. ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر، بل لا بد منه أولاً؛ إذ لا يطمع في الوصول الى الباطن قبل أحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر، فهو كمن ادعى البلوغ في صدر البيت قبل أن يجاوز الباب. وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في

كتاب (لطائف المنن): أعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم، منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان، وثم افهام باطنه تفهم عند الآية والحديث، ممن فتح الله قلبه. وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن. فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم، أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا احالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، و يفهمون عن الله ما أفهمهم. قال القاضي البيضاوي في تفسير في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء﴾ الآية: ولعله سبحانه وتعالى أراد من الآية الأخيرة، يعني: الآية المذكورة ــ مع ما دل عليه الظاهر وسياق الكلام لأجله ــ الاشارة الى تفصيل خلق الانسان، وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل؛ فمثل البدن بالأرض، والنفس بالسماء؛ وما أفاض عليه من الفضائل العلمية والنظرية؛ المحصلة بواسطة استعمال العقل والحواس، وازدواج القوى النفسانية والبدنية، بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار، فان لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حد مطلع. انتهى كلامه.

أقول وبالله التوفيق: الايمان بالقرآن، هو التصديق بأنه كلام الله تعالى، قد أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، وأنه دال على صفة أزلية له تعالى، وأن ما دل هو عليه بطريق القواعد العربية ــ مما هو مراد الله تعالى ــ حق لا ريب فيه؛ ثم تلك الدلالة على مراده تعالى ــ بواسطة القوانين الأدبية الموافقة للقواعد الشرعية والأحاديث النبوية ــ مراد البتة. ومن جملة ما علم من الشرائع النبوية، أن مراد الله تعالى من القرآن لا ينحصر في هذا القدر، لما قد ثبت في الأحاديث أن لكل آية ظهراً وبطناً، وذلك المراد الآخر لما لم يطلع عليه كل أحد، بل من أعطى فهماً وعلماً من لدنه تعالى، يكون الضابط في صحته أن لا يرفع ظاهر المعاني المتفهمة عن الألفاظ بالقوانين العربية، وأن لا يخالف القواعد الشرعية، ولا يباين اعجاز

القرآن، ولا يناقض النصوص الواقعة فيها، فان وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه، وإلا فهو بمعزل عن القبول.

قال الزمخشري: من حق مفسر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز، أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً من القادح. وأما الذين تأيدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية، فهم القدوة في هذه المسالك، ولا يمنعون أصلاً عن التوغل في ذلك. جعلنا الله واياكم من أهل المشاهدة والعرفان، وشرفنا واياكم بكرامة الاخلاص والايقان، إنه الكريم المنان، وهو الموفق والمستعان.

قال العلماء: يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك: من نقص عما يحتاج اليه في ايضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه. وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يوافي بين المفردات. ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية: فيتكلم عليها أولاً من جهة المفردات؛ فيحقق اللغات أولاً، ثم التصريف، ثم الاشتقاق؛ ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالاعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم تبيين المعنى المراد، ثم ايراد القصص والأخبار، قدر ما يعلم به سبب النزول، ويعتمد في ذلك على الأحاديث والآثار، دون قصص القصاص والأخبار؛ ثم يتكلم عليها من جهة المعنى، فيبدأ أولاً باستنباط الأحكام الشرعية، ثم بيان الحقائق، ثم بيان الاشارات.

وينبغي أن يتحرز المفسر عن اطلاق لفظ الحكاية على الله تعالى، بأن يقول: حكى الله، وأمثاله، لأن الحكاية: الاتيان بمثل الشيء، وليس لكلامه تعالى مثل، اللهم إلا أن يريد معنى الأخبار.

وينبغي أيضاً أن يتحرز عن اطلاق الزائد على بعض الحروف، بناء على أن الزائد لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك، ولذلك يبدلون لفظ الزايد بالتأكيد والصلة والمقحم. وجوزه الأكثرون، نظراً الى أنه نزل بلسان قوم،

ومتعارفهم اطلاق الزائد. قلت: والحق أن اطلاق الزائد بمعنى ما لا معنى له غير جائز أصلاً، وأما بالمعنى الآخر ــ وان جاز ــ لكن لايهامه المعنى المذكور، يكون اطلاقه سوء أدب يجب التحرز عنه في تفسير كلامه تعالى، فالأحوط تركه الى ما يصح اطلاقه.

وينبغي أن يتحرز أيضاً عن اطلاق لفظ التكرار في مثل قوله تعالى: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾، وقوله تعالى: ﴿صلوات من ربهم ورحمة﴾، وأشباه ذلك، إذ التكرار بحسب اللفظ ــ وإن وقع لكن التكرار بحسب المعنى غير واقع، لأن في مجموع المترادفين معنى لا يحصل عند الانفراد، ففي اطلاق التكرار ايهام ادعاء التكرار المعنوي، فالأحوط تركه أيضاً. وعليه أن يتتبع مجاري الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف ما أمكن، لثبوت المجاز، ووجود معنى للتركيب غير معنى الأفراد.

ثم أعلم: أن العلماء كما بينوا في التفسير شرائط، بينوا في المفسر أيضاً شرائط، لا يحل التعاطي لمن عرى عنها أو هو فيها راجل؛ وهي: أن يعرف خمسة عشر علماً على وجه الاتقان والكمال:

(أحدها) اللغة: إذ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها الوضعية. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله تعالى إذا لم يكن عالماً بلغات القرآن. ونقل أيضاً ذلك عن الإمام مالك. ولا يكتفي بمعرفة اليسير منها، إذ لا يأمن أن يكون اللفظ مشتركاً، وهو ذاهل عن أحد المعنيين ــ أو المعاني ــ والمراد المعنى الآخر.

(الثاني) النحو: إذ تختلف المعاني وتتبدل باختلاف الاعراب، كما روي عن الحسن أنه قال: تعلم العربية، فان الرجل يقرأ الآية فيعتني بوجهها فيهلك فيها.

(الثالث) التصريف: إذ به معرفة الأبنية والصيغ، كما نقل عن ابن فارس أنه قال: كم من كلمة يجهل معناها فيتضح بمصادرها. وقال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال: إن الامام في قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس

بامامهم﴾ جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم. قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فان أمالاً يجمع على امام.

(الرابع) الاشتقاق: لأن الكلمة يختلف معناها باشتقاقها من مادتين مختلفتين، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

(الخامس) و(السادس) و(السابع) المعاني والبيان والبديع: إذ بالأول يعرف خواص التراكيب من جهة افادتها المعنى؛ وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب الزيادة في الوضوح والنقصان فيه؛ وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة.

الأولان ذاتياً، والثالث عرضياً. وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم، إلا أن ملاك الأمر فيه أما السليقة: كالاعراب الخاص ومن يحذو حذوهم؛ أو الذوق الذي هو آلة في اكتساب البلاغة، ولا يمكن تحصيلها بدونه. قال السكاكي في حق المعاني والبيان: فالويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل.

(الثامن) علم القراءات: إذ به يعرف كيفية النطق بالقرآن، ويرجع بعض الوجوه المحتملة على بعض.

(التاسع) أصول الدين: لأن في القرآن آيات لا يجوز ظاهرها في حق الله تعالى، فالأصولي: يؤول ذلك ويحمله على ما يجوز في حقه تعالى، فمعرفة ما يستحيل في حقه تعالى، وما يجب، وما يجوز، لا يمكن الا به.

(العاشر) أصول الفقه: إذ به يعرف وجوه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

(الحادي عشر) أسباب النزول والقصص: إذ سبب النزول يعرف به معنى الآية بحسب ما أنزلت فيه.

(الثاني عشر) الناسخ والمنسوخ: ليعلم المحكم من غيره.

(الثالث عشر) الفقه.

(الرابع عشر) الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

(الخامس عشر) علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لم عمل بما علم، واليه الاشارة بحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

واعلم: أن هذه العلوم التي لا مندوحة للمفسر عنها، وإلا فعلم التفسير لا بد له من التبحر في كل العلوم. وأما العلوم المستنبطة من القرآن فبحر لا ساحل له، وستعرف نبذاً منها ان شاء الله تعالى. وان أخطرت بالبال، أن العلوم الوهبية ليست في قدرة البشر، بل ذلك أمر حاصل بفضله سبحانه من غير كسب من العباد، فنقول: معنى العلوم الوهبية: أن يحصل في الانسان حالة كشفية، تنكشف معها العلوم والمعارف بلا تعمل واكتساب، بل بمحض لطف الملك الوهاب. لكن تحصيل تلك الحالة داخلة تحت القدرة، وحاصلة بالمباشرة، وستعرف في الطرف الثاني من هذه الرسالة الأسباب الموصلة اليها.

واجمالها: أن يكون في القلب بدعة وكبر وهوى وحب الدنيا والاصرار على الذنب، وأن لا يتحقق بالايمان أو يتحقق به على ضعف، وأن لا يعتمد في باب التفسير على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع الى عقله القاصر، وهذه الأمور كلها حجب عن حصول الكشف وموانع عنه، بعضها آكد من بعض.

ثم اعلم: ان التفسير الذي هو علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: علم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه: من معرفة كنه ذاته، ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو. وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه اجماعاً.

الثاني: ما اطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به. وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم، أو لمن أذن له من وارثي علمه وحاله. قيل: وأوائل السور من هذا القسم؛ وقيل: من القسم الأول.

الثالث: علوم علمها الله نبيه، مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية، أمره بتعليمها. وهذا ينقسم الى قسمين:

(منه) ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع: كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات واللغات، وقصص الأمم الماضية، وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد.

و **(منه)** ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ وهو قسمان:

قسم: اختلفوا في جوازه، وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات؛

وقسم: اتفقوا عليه، وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والاعرابية، لأن مبناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات، لا يمنع استنباطها منه، واستخراجها لمن له أهلية ذلك.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن ما عدا هذه الأمور هو، التفسير بالرأي، الذي نهى عنه، وفيه خمسة أنواع:

(أحدها): التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

(الثاني): تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

(الثالث): التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً له، فيرد اليه بأي طريق أمكن وان كان ضعيفاً.

(الرابع): التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

(الخامس): التفسير بالاستحسان والهوى.

إذا عرفت هذه الفوائد التي يرتاح اليها كل رائد؛ فاعلم: أن الكتب المصنفة في التفسير ثلاثة أنواع: «وجيز» و «وسيط» و «بسيط».

فمن الكتب الوجيزة فيه:

(زاد المسير) **لابن الجوزي.** وقد عرفت ترجمته عند ذكر التواريخ؛

و (**الوجيز**) **للواحدي**. وقد عرفته أيضاً عن قريب؛

و (**تفسير الواضح**) **للامام الرازي**: وستعرفه عن قريب؛

و (**تفسير الجلالين**). إذ عمل نصفه الثاني جلال الدين المحلي وكمله جلال الدين السيوطي.

و (**النهر**) **لأبي حيان**. وقد عرفته.

ومن الكتب المتوسطة فيه:

(**الوسيط**) **للواحدي**؛

وتفسير الماتريدي. وهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي إمام الهدى.

له:

١ ــ كتاب التوحيد؛

٢ ــ وكتاب المقالات؛

٣ ــ وكتاب رد أوائل الأدلة: للكعبي؛

٤ ــ وكتاب بيان وهم المعتزلة؛

٥ ــ وكتاب تأويلات القرآن؛

(مات) بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وتخرج بأبي نصر العياضي.

وله:

٦ ــ كتاب رد تهذيب الجدل: للكعبي؛

٧ ــ ورد كتاب وعيد العشاق: للكعبي؛

٨ ــ ورد الأصول الخمسة: لأبي محمد الباهلي؛

٩ ــ وكتاب رد الأمانة: لبعض الروافض؛

١٠ ــ وكتاب الرد على الرد على القرامطة؛

١١ ــ وكتاب الرد على فروع القرامطة؛

١٢ ــ وكتاب مأخذ الشرائع في أصول الفقه؛

١٣ ــ وكتاب الجدل في أصول الفقه. وغير ذلك.

ومن التفاسير المتوسطة:

(تفسير التيسير) لنجم الدين أبي حفص عمر النسفي. وقد عرفته في علم اللغة؛

و (تفسير الكشاف) للزمخشري.

وهو أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، الخوارزمي، الامام العلامة، المشهور بفخر خوارزم، إمام الدنيا في علم الاعراب واللغة والمعاني والبيان والزهد وحسن السيرة في السر والاعلان كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه مفتخراً به؛ وكان يقول للخادم إذا أتى باب أحد للزيارة: قل أبو القاسم المعتزلي بالباب. وكان حنفياً. (ولد) في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، وورد بغداد غير مرة. وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري، وأبي نصر الأصبهاني. وسمع من أبي سعد الشفتاني، وشيخ الاسلام أبي منصور الجواليقي الحارثي، وجماعة. وجاور بمكة، وتلقب بجار الله وفخر خوارزم أيضاً. وكتب الحافظ السلفي ليستجيزه.

وله من التصانيف:

الكشاف عن حقائق التنزيل الناطق عن دقائق التأويل، في التفسير ولم يصنف قبله مثله؛

٢ ـ والفائق في غريب الحديث؛

٣ ـ وأساس البلاغة، في اللغة؛

٤ ـ وربيع الأبرار، في المحاضرات؛

٥ ـ والمفصل في النحو؛

٦ ـ والمقامات؛

٧ ـ والمستقصى في الأمثال؛

٨ ـ وأطواق الذهب؛

٩ ــ وصميم العربية؛
١٠ ــ وشرح أبيات الكتاب؛
١١ ــ والأنموذج، في النحو؛
١٢ ــ والرايض، في الفرائض؛
١٣ ــ وشرح بعض مشكلات المفصل؛
١٤ ــ والكلم النوابغ؛
١٥ ــ والقسطاس في العروض؛
١٦ ــ والأحاجي النحوية؛
١٧ ــ ومقدمة الأدب؛
١٨ ــ ومتشابه الأسماء، في علم الحديث؛
١٩ ــ وكتاب فصوص الأخبار؛
٢٠ ــ والزيادات على الفصوص؛
٢١ ــ والمختصر من موافقة الصحابة؛
٢٢ ــ وكتاب أسماء الأودية والجبال؛
٢٣ ــ وكتاب المفرد والمؤلف، في النحو؛
ورسائله كثيرة منها:
٢٤ ــ النصائح الصغار؛
٢٥ ــ والنصائح الكبار؛
٢٦ ــ وتسلية الضرير.

وغير ذلك. وكان أعرج، والتحقيق أن إحدى رجليه كانت مقطوعة، وفي سبب قطعها اختلافات:

منها: أنه سقط من السطح حين كان صغيراً فانكسرت رجله وانثنت فقطعوها؛

ومنها: أنه سافر ببلاد خوارزم، وقد أصابه ثلج كثير وبرد شديد، فسقطت منه رجله، وكان يمشي في جاون خشب؛

ومنها: أنه أصابه ضماج في رجله فقطعها، وصنع عوضها رجلاً من خشب؛

ومنها: أنه سقط من دابة فانكسر رجله، وأفضى الى أمر أوجب قطعها.

وحكى أنه قال: أمسكت عصفوراً في صباي، وربطته بخيط في رجله، وأفلت من يدي فدخل في خرق جدار، فجذبته فانقطعت رجله فقالت والدتي: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فأدركني دعاء الوالدة. وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظن من يراه أنه أعرج. يقال: إنه اتخذ محضراً فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على ذلك، خوفاً من أن يظن أنها قطعت لريبة فيه. قيل: كان أبوه إماماً بقرية زمخشر، وقال: أعلمه الخياطة لأنه صار زمناً مبتلى، فقال لأبيه: احملني الى البلد واتركني بها، فحمله الى البلد، ورزقه الله حظاً حسناً، فكفاه الله رزقه، ودخل على الشيخ أبي علي الضرير الأديب، فأخذ منه علمه، ثم جاء الشيخ أبو مضر الخوارزمي النحوي فأخذ عنه علم الإعراب، وهو الذي قال له الزمخشري مرثيه عند وفاته منها هذا البيتان:

وقـائـلـة ما هـذه الـدرر التي   تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هي الدر التي قد حشا بها   أبـو مضر أذني تـسـاقط من عيني

ثم ترقت به همته العالية في العلوم العربية، الى أن بلغ درجة ما رأى مثل نفسه. ثم وفقه الله تعالى، أن صار الإمام ركن الدين محمود الأصولي، والإمام أبو منصور من تلامذته في علم التفسير، فكانا يقرآن عليه، وهو يأخذ منهما علم الأصول، و يأخذ علم الفقه من الشيخ السديد الخياطي ختن عين الأئمة، فجمع الله له مناقب العلوم كلها. وكان في الحادي والأربعين من عمره ينادم الوزراء والملوك ويمدحهم، و يتنعم في الدنيا، الى أن أراه الله تعالى رؤياه، فكانت سبب انقطاعه منهم، واقباله على أمر دينه، وأورد هذه الرؤيا في أول كتابه الموسوم (بالنصائح الكبار)، وهي خمسون مقامة، أنشأها في معاتبة النفس، لما رأى تلك الرؤيا في مرضه ناهكة مرضها، في مستهل شهر الله الأصم رجب، من سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وهي الحادية والأربعون من عمره، وكانت سبب انابته وتوبته، وسماها «العام المنذرة». وكان من الورع وقيام الليل وتدريس العلم في الرتبة العليا. ووقف بعرفات سبع مرات، وحط رحله في البلد الحرام

خمس سنين. وتصانيفه بين زمزم والمقام. وله نظم ونثر. و (توفي) بقصبة جرجانية خوارزم، ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بعد رجوعه من مكة شرفها الله تعالى. وله في مدح الكشاف:

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد   وليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته   فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

ومن لطائف التفاسير:

(تفسير الطيبي)؛

و (حاشية الكشاف) للطيبي.

وهو أيضاً الحسن بن محمد بن عبدالله، الطيبي الأصل، بكسر الطاء، الامام المشهور، العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان. قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم، متواضعاً، حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهراً فضائحهم، مع استيلائهم حينئذ، شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء ملازماً لأشغال الطلبة في العلوم الاسلامية بغير طمع، بل يجدلهم ويعينهم، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم، من يعرف ومن لا يعرف، محباً لمن عرف منه تعظيم الشريعة. وكان ذا ثروة من الإرث والتجارة، فلم يزل ينفقه في وجوه الخيرات حتى صار في آخر عمره فقيراً.

صنف:

١ ــ شرح الكشاف؛
٢ ــ والتفسير؛
٣ ــ والتبيان في المعاني والبيان؛
٤ ــ وشرحه؛
٥ ــ وشرح المشكاة.

وكان يشتغل في التفسير من بكرة النهار الى الظهر، ومن ثم الى العصر في الحديث، الى يوم مات، فانه فرغ من وظيفة التفسير، وتوجه الى مجلس

الحديث، فصلى النافلة وجلس ينتظر الاقامة للفريضة، فقضى نحبه متوجهاً الى القبلة، وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان، سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

قال السيوطي: ذكر في شرحه على الكشاف، أنه أخذ عن أبي حفص السهروردي، وأنه قبيل الشروع في هذا الشرح، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، وقد ناوله قدحاً من اللبن، فشرب منه رضي الله عنه.

ومن التفاسير المتوسطة:

(تفسير البغوي). وهو أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الفقيه الشافعي، صاحب:

١ ــ كتاب المصابيح؛

٢ ــ وشرح السنة؛

٣ ــ وكتاب التهذيب، في الفقه؛

٤ ــ ومعالم التنزيل في التفسير.

وغير ذلك من التصانيف الحسان. كان إماماً في الفقه والحديث. وكان متورعاً ثبتاً حجة صحيح العقيدة في الدين. (مات) بعد المائة الخامسة في سنة ست عشرة وخمسمائة. ورأيت في بعض المجاميع أنه لقب «بمحيي السنة». وسبب ذلك، أنه لما صنف (شرح السنة)، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: «أحييت سنتي بشرح أحاديثي» فلقب من ذاك اليوم بمحيي السنة. و «البَغَوي» ــ بفتح الباء وفتح الغين المعجمة ــ نسبة الى مدينة بغشور من مدن خراسان، نسبوا اليها على غير قياس، وفي ذلك تغيير وابدال على خلاف القياس؛ وقيل: «بغشور» اسم الولاية واسم المدينة «بغ».

ومن التفاسير:

(تفسير الكواشي). وهو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، الامام موفق الدين الكواشي الموصلي، المفسر الفقيه الشافعي. قال الذهبي: برع في العربية والقراءات والتفسير.

وقرأ على والده والسخاوي، وكان عديم النظير زهداً وصلاحاً وتبتلاً

وصدقاً، يزوره السلطان فن دونه فلا يعبأ بهم، ولا يقوم لهم، ولا يقبل لهم شيئاً، وله كشف وكرامات، وأضر قبل موته بعشر سنين. وكانت (ولادته) سنة تسعين وخمسمائة. وله: (التفسير الكبير) و (الصغير) جود فيه الاعراب، وحرر أنواع الوقوف. وأرسل منه نسخة الى مكة والمدينة والقدس.

قال السيوطي: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أيضاً في تكملته مع الوجيز وتفسير البيضاوي وابن كثير. (مات) الكواشي بالموصل في جمادى الآخرة سنة ثمانين وستمائة.

ومن كتب التفاسير:

(تفسير القاضي البيضاوي). هو الامام القاضي ناصر الدين أبو الخير، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي. من قرية يقال لها: البيضاء من عمل شيراز.

قال الأسنوي في (طبقات الشافعية): كان عالماً بعلوم كثيرة، صالحاً خيراً. صنف التصانيف المشهورة في أنواع العلوم منها:

١ ـ مختصر الكشاف؛

٢ ـ ومختصر الوسيط في الفقه المسمى «بالغاية»؛

٣ ـ والمنهاج في أصول الفقه؛

٤ ـ والطوالع، في علم الكلام.

وتولى قضاء القضاة باقليمه. و (توفي) سنة احدى وأربعين وستمائة. وقال الصلاح الصفدي مات بتبريز سنة خمس وثمانين. وقال القاضي تاج الدين السبكي في (الطبقات الكبرى): كان إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً، صنف «الطوالع»؛

٥ ـ والمصباح في أصول الدين؛

٦ ـ وشرح المصابيح في الحديث.

وولي قضاء القضاة بشيراز، ودخل تبريز، وناظر بها. وصادف دخوله اليها

مجلس درس، قد عقد بها عند الوزير لبعض الفضلاء، فجلس في أخريات القوم، بحيث لم يعلم به أحد، فذكر المدرس نكتة، زعم أن أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها، وطلب من القوم حلها والجواب عنها، فان لم يقدروا فالحل فقط، فان لم يقدروا فاعادتها. فلما انتهى من ذكرها، شرح البيضاوي في الجواب، فقال لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها، فخيره بين اعادتها بلفظها أو معناها، فبهت المدرس فقال: أعدها بلفظها، فأعادها، ثم حلها وبين أن ترتيبه إياها خللا؛ ثم أجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها، ودعا المدرس الى حلها، فتعذر عليه ذلك، فأقامه الوزير من مجلسه، وأدناه الى جانبه، وسأله: من أنت؟ فأخبره أنه البيضاوي، وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز، فأكرمه وخلع عليه في يومه، ورده وقضى حاجته. وقال الصلاح الصفدي في تاريخه: قال لي الحافظ نجم الدين سعيد الدهلي: (توفي) القاضي ناصر الدين البيضاوي سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز ودفن بها.

وهو صاحب التصانيف المشهورة البديعة، منها:

١ ــ المنهاج: في الأصول؛
٢ ــ وشرحه أيضاً؛
٣ ــ وشرح مختصر ابن الحاجب: في الأصول؛
٤ ــ وشرح الكافية: في النحو لابن الحاجب؛
٥ ــ وشرح المنتخب في الأصول: للامام فخر الدين؛
٦ ــ وشرح المطالع في المنطق.

ومن التفاسير:

(تفسير أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عمر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي).

ومن التفاسير:

(تفسير سراج الدين الهندي). وستعرفه في أصول الفقه.

ومن التفاسير:

(تفسير مدارك التنزيل). لحافظ الدين أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي.

صاحب:

١ ــ كتاب الكنز في الفقه؛

٢ ــ والمنار في الأصول. وستعرفه في الأصول.

ومن التفاسير المبسوطة:

(البسيط) للواحدي. وقد مر؛

و **(تفسير الراغب الأصبهاني)** وقد عرفته.

و **(تفسير أبي حيان المسمى بالبحر).** وقد عرفته.

ومن التفاسير:

(اعراب القرآن) للسفاقسي. وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن أبي القاسم، القيسي، المالكي، العلامة، برهان الدين أبو اسحاق السفاقسي النحوي، صاحب (اعراب القرآن) (ولد) في حدود سنة سبع وتسعين وستمائة. وسمع ببجاية من شيخها ناصر الدين، ثم حج وأخذ عن أبي حيان بالقاهرة، وقدم دمشق، فسمع من المزي، وزينب بنت الكمال، وخلق، ومهر في الفضائل. (مات) في ثامن من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة.

و **(تفسير ابن عطية).** وهو عبدالله بن عطية بن عبدالله بن حبيب أبو محمد الدمشقي، مقرىء مفسر، إمام ثقة. قال الداني: وكان ثقة ضابطاً خيراً فاضلاً. وقال عبد العزيز الكتاني: كان يحفظ ــ فيما يقال ــ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن. قال الذهبي: كان إمام مسجد باب الجابية. قال الجزري: هو المسجد الذي داخل الباب، ويعرف اليوم بمسجد عطية. (توفي) في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة رحمه الله.

ومن التفاسير:

(تفسير الخرقي). وهو أبو القاسم عمر بن أبي علي الحسين بن عبدالله بن

أحمد الخرقي، الفقيه الحنبلي. كان من أعيان الفقهاء الحنابلة، وصنف في مذهبهم كتباً كثيرة، منها: (المختصر) المشهور في أيدي المبتدئين من أصحابهم. و (توفي) بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وكان والده أيضاً من الأعيان. روى عن جماعة. وروى عنه جماعة. والخرقي: نسبة الى بائع الخرق والثياب. قلت: لم أر تفسيراً للخرقي أصلاً، ولا سمعته من أحد، ولكني وجدت في كتاب (الاتقان) للسيوطي: تفسير الخرقي، ولهذا ذكرته، إلا أن الغالب على ظني أنه تصحيف من الحوفي، ولهذا ذكرته عقيبه، وهذا التصحيف بعيد من المصنف، والغالب أنه من الناسخ.

ومن التفاسير:

(تفسير الحوفي) وهو علي بن ابراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي. كان نحوياً قارئاً.

صنف:

١ ــ البرهان في تفسير القرآن؛
٢ ــ وعلوم القرآن؛
٣ ــ والموضح: في النحو؛
و (مات) مستهل ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة.

ومن التفاسير:

(تفسير القشيري). وهو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة بن محمد القشيري، الفقيه الشافعي. كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف. جمع بين الشريعة والحقيقة. أصله من ناحية أسْتُوَا من العرب الذين قدموا خراسان توفي أبوه وهو صغير. وقرأ الأدب في صباه، وذهب الى نيسابور ليتعلم طرفاً من الحساب، ليحمي قرية كانت له من الخراج، وحضر بنيسابور مجلس الشيخ أبي علي الحسين بن علي النيسابوري، المعروف بالدقاق، كان إمام وقته؛ فلما سمع كلامه أعجبه ووقع في قلبه، فرجع عن ذلك العزم، وسلك طريق الارادة

وتفرس الدقاق فيه النجابة، فجذبه بهمته، وأشار اليه بالاشتغال بالعلم، فخرج الى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي، وشرع في الفقه حتى فرغ من تعليقه، ثم اختلف الى الأستاذ أبي بكر بن محمد فورك، فقرأ عليه حتى أتقن علم الأصول، ثم تردد الى الأستاذ أبي اسحاق الاسفرايني، فقال الأستاذ: لا بد في هذا العلم من الكتابة، فأعاد عليه جميع ما سمعه منه في تلك الأيام، فعجب منه، وعرف محله فأكرمه. ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر الباقلاني، وهو مع ذلك يحضر مجلس أبي علي الدقاق، وزوجه ابنته. وبعد وفاة أبي علي، سلك مسلك المجاهدة والتجويد، وصنف التفسير الكبير وسماه (التيسير في علم التفسير) وهو من أجود التفاسير. وصنف (الرسالة في رجال الطريقة) وخرج الى الحج في رفقة فيها الشيخ أبو محمد الجويني ــ والد إمام الحرمين ــ وأحمد بن الحسين البيهقي، وجماعة من المشاهير، فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز. وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء. وأما مجالس الوعظ فهو كما قيل: لو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط ابليس في مجلسه لتاب. وكان حسن الموعظة مليح الاشارة. وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. (ولد) في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة. و (توفي) سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة، بمدينة نيسابور. وتوفي شيخه أبو علي الدقاق سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. والقشيري نسبة الى قبيلة قشير بن كعب.

ومن التفاسير:

(تفسير ابن عقيل). وهو عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي الفتح ابن محمد بن عقيل، العقيلي الطالبي الهاشمي الأصل، المصري المولد، الشافعي الامام، العلامة بهاء الدين، شيخ الشافعية بالديار المصرية. قرأ القراءات السبع على الصائغ، وأتقن العلوم، وانفرد بالرئاسة، وبرع في العربية والفقه والأصولين والتفسير. وله من المصنفات:

١ ــ كتاب الجامع النفيس على مذهب الامام محمد بن ادريس: كتب منه ستة مجلدات الى آخر الاستطابة ثم لخصه في املاء سماه:

٢ ــ تيسير الاستعداد الى رتبة الاجتهاد؛

٣ ــ وكتاب الذخيرة في تفسير القرآن، كتب منه مجلدين على نحو حزب ونصف ثم لخصه وسماه:

٤ ــ الاملاء الوجيز على الكتاب العزيز؛

٥ ــ وله: كتاب مطول على مسألة رفع اليدين ثم لخصه في كراس واحد؛

٦ ــ وله: كتاب المساعد على تسهيل الفوائد؛

٧ ــ وله: املاء على شرح ألفية ابن مالك؛

٨ ــ وله: رسالة على قول: أنا مؤمن ان شاء الله تعالى.

وولي القضاء مدة مديدة. قال الجزري: ولما حججنا سنة ثمان وستين وسبعمائة، اجتمعنا بمكة ثم بالمدينة. و(توفي) مرجعه من الحج سنة تسع وستين وسبعمائة.

ومن التفاسير:

(تفسير ابن رزين)

ومن التفاسير:

(تفسير الماوردي) وقد عرفته.

ومن التفاسير:

(تفسير مسلم الرازي).

ومن التفاسير:

(تفسير إمام الحرمين). وهو أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبدالله الجويني، الفقيه الشافعي، الملقب ضياء الدين، المعروف بامام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي على الاطلاق، المجمع على إمامته وتفننه في العلوم: من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك. ورزق من التوسع في العبادة ما لم يعهد من غيره. وكان يذكر دروساً يقع كل واحد منها في عدة أوراق، ولا يتلعثم في كلمة منها. وتفقه على والده، وكان يعجب لطبعه وتحصيله وجودة قريحته، وما يظهر عليه من مخائل الاقبال. وزاد على مصنفات

والده في التدقيق والتحقيق، وقعد مكان والده للتدريس، ثم سافر الى بغداد، ولقي جماعة من العلماء، ثم جاور بمكة أربع سنين ـــ وبالمدينة ـــ يدرس ويفتي، ويجمع طرق المذهب، ولهذا قيل له: امام الحرمين. ثم بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وتولى الخطابة بها، وكان يجلس للوعظ والمناظرة، وسلم له المحراب والمنبر والتدريس والتذكير يوم الجمعة. وظهرت تصانيفه، وصارت كلها مفيدة ومقبولة، وحضر دروسه الأكابر من الأئمة، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة. وكان إذا شرع في علوم الصوفية وشرح الأحوال أبكى الحاضرين. ولم يزل على طريقة حميدة وسيرة مرضية من أول عمره الى آخره. حكى، أن والده رباه وأمه بكسب يده، ولم يزل يوصي أمه أنْ لا يرضع ولده غيرها، فاتفق أن أرضعته امرأة من جيرانهم وأمه غير واقفة فلما رآه أبوه، مسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه، حتى قاء جميع ما شربه، وهو يقول: يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه.

ويحكى: أنه إذا لحقه فترة عن المناظرة كان يقول: هذا من بقايا تلك الرضعة. (ولد) في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة. و (توفي) ليلة الأربعاء وقت العشاء الآخرة، الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. وكانت تلامذته يومئذ قريباً من أربعمائة، فكسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً. قيل: أغلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره في الجامع، وقعد الناس لعزائه.

ومن التفاسير:

(تفسير ابن برجان). وهو عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، اللخمي الاشبيلي، المعروف بابن برجان، وهو مخفف من ابن أبي الرجال. ذكره في (البلغة) فقال: إمام في اللغة والنحو؛ وقال غيره: أخذ اللغة والعربية عن ابن ملكون ولازمه كثيراً. وكان من أحفظ أهل زمانه للغة، مسلماً له ذلك، صدوقاً ثقة. وله: (رد على ابن سيدة).. (.مات) سنة سبع وعشرين وسبعمائة. قال الخلكاني في ترجمة أبي المعالي محمد بن الحسن بن علي بن محمد القرشي، الملقب محيي الدين،

المعروف بابن زكي الدين الدمشقي، الفقيه الشافعي: أن أبا المعالي المذكور أنشد (قصيدة بائية) عند فتح السلطان صلاح الدين مدينة حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة، من جملتها هذا البيت:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال، فان القدس فتحت لثلاث بقين من رجب، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

قيل له: من أين لك هذا، قال: أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾[1] وله حساب طويل. قال الخلكاني: ولم أزل أتطلب تفسير ابن برجان، حتى وجدته، فرأيت في هامش الكتاب حساباً طويلاً. وله ولأمثاله طريق مخصوص لاستخراج الأحكام ليس هذا موضع ذكره.

ومن التفاسير:

(تفسير ابن بزيزة).

ومن التفاسير:

(تفسير ابن المنير). هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار ابن أبي بكر، الجذامي الاسكندري المالكي، القاضي ناصر الدين أبو العباس ابن المنير. كان إماماً في النحو والأدب والأصول والتفسير، وله يد طولى في علم البيان والانشاء. سمع من أبيه وابن رواج؛ ومنه أبو حيان وغيره. وخطب بالاسكندرية، ودرس بالجامع الجيوشي وغيره، وناب في الحكم بها. ثم اشتغل بالقضاء، ثم صرف وصودر، ثم أعيد اليه. وسئل عنه ابن دقيق العيد، فقال: ما يقف في البحث على حد وفيه يقول العلامة ابن الحاجب من أبيات:

لقد سئمت حياتي البحث لولا   مباحث ساكن الاسكندرية

---

(١) سورة الروم، آية: ٢.

صنف:

١ ــ التفسير؛

٢ ــ الانتصاف من صاحب الكشاف؛

٣ ــ ومناسبات تراجم البخاري.

وغير ذلك.

وأراد أن يصنف في الرد على الأموات، فخاصمته أمه، وقالت له: فرغت من مضاربة الأحياء، وشرعت في مضاربة الأموات، فتركه. (مولده) ثالث ذي القعدة سنة عشرين وستمائة. و (مات) ــ قيل مسموماً ــ يوم الخميس، مستهل ربيع الأول، سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

ومن التفاسير:

(مقدمة التفسير) لابن النقيب. وهو محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن نجدة حمدان، قاضي القضاة، شمس الدين بن النقيب، الحاكم بحمص، ثم طرابلس، ثم حلب، ثم مدرس الشامية البرانية، وصاحب النووي ــ وأعظم بتلك الصحبة رتبة علية. وله الديانة والعفة، والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه، وكان من أساطين المذهب، وجمرة نار ذكاء إلا أنها لا تتلهب. قال ابن السبكي: سمعته يقول: قال لي النووي: يا قاضي شمس الدين، لا بد أن تلي تدريس الشامية. تولى القضاء ثم الشامية سمع من أحمد بن أبي بكر بن الحموي، وأبي الحسن بن البخاري وأبي حامد بن الصابوني، وأحمد بن شيبان، وزينب بنت مكي، وغيرهم (مولده) تقريباً في سنة اثنتين وستمائة. وكان يقول: إنه ما يموت إلا ليلة الجمعة، فتوفي ليلة الجمعة، ووافق ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالمدرسة الشامية.

ومن التفاسير:

(أمالي الرافعي على الفاتحة). وهو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ابن الفضل بن الحسن القزويني، الإمام الجليل، أبو القاسم الرافعي. صاحب:

١ ـــ الشرح الكبير المسمى بالعزيز؛

٢ ـــ وله: الفتح العزيز في شرح الوجيز؛

٣ـــ والشرح الصغير؛

٤ ـــ والمحرر؛

٥ ـــ وشرح مسند الشافعي؛

٦ ـــ والأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة. وهو ثلاثون مجلساً أملاها أحاديث بأسانيده عن أشياخه على سورة الفاتحة وتكلم عليها؛

٧ ـــ وله كتاب: الايجاز في أخطار الحجاز؛ ذكر فيه مباحث وفوائد خطرت له في سفره الى الحج. والصواب «خطرات أو خواطر الحجاز» ولعل الخطأ من الناقل.

وغير ذلك. وكفاه بالفتح العزيز شرفاً، فلقد علا به عنان السماء مقداراً وما اكتفى. كان متضلعاً من علوم الشريعة: تفسيراً وحديثاً وأصولاً، مترفعاً على أبناء جنسه في زمانه: نقلاً وبحثاً وتحصيلاً. وأما الفقه فهو فيه عمدة المحققين، وأستاذ المصنفين. وكان ورعاً زاهداً، تقياً نقياً، طاهر الذيل، مراقباً لله، له السيرة المرضية، والطريقة الزكية، والكرامات الباهرة. وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه. وروى عنه الحافظ عبد العظيم المنذري وغيره.

قال ابن الصلاح: أظن أني لم أر في بلاد العجم مثله. قال النووي: الرافعي من الصالحين المتمكنين، كانت له كرامات كثيرة. قال أبو عبدالله محمد بن محمد الأسفرايني: هو شيخنا إمام الدين وناصر السنة، كان أوحد عصره في العلوم الدينية أصولاً وفروعاً، مجتهد زمانه في المذهب، فريد وقته في التفسير، كان له مجلس بقزوين للتفسير ولتسميع الحديث. (توفي) في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة. يروى أن جلال الدين خوارزم شاه غزا في هذه السنة حتى جمد الدم على يده، فلما مر بقزوين، خرج اليه الرافعي، فأحب الرافعي أن يقبل يد السلطان لما ذكر من صنيعه، فقبل السلطان يده، ثم سا الرافعي قليلاً، فعثرت به الدابة فوقع، فتأذت يده التي قبلها السلطان، فقال

الشيخ: سبحان الله، حصل في نفسي شيء من العظمة بما فعل السلطان، فعوقبت بهذه العقوبة. يروى أنه طالع في بعض الليالي فأضاءت له شجرة في بيته.

ومن التفاسير:

(الغرائب والعجائب) للكرماني. وستعرفه في علم الحديث.

ومن التفاسير:

(قواعد لابن تيمية). وهو أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله، المعروف بابن تيمية الحراني، الملقب فخر الدين بن الخطيب، الواعظ الفقيه الحنبلي. كان فاضلاً، تفقه ببلده على جماعة، وسمع الحديث، وصنف في مذهبه مختصراً. وله خطب مشهورة في غاية الجودة، وله نظم حسن. وله (تفسير القرآن الكريم). ولم يزل أمره جارياً على صلاح وسداد. (مولده) في حران سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة و (توفي) بها سنة احدى وعشرين وستمائة.

ومن التفاسير:

(التفسير الكبير) للامام فخر الدين الرازي. وهو محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين، التيمي البكري، الامام فخر الدين الرازي بن خطيب الري. إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ماله من الزواهر، وروضة علم تستقل الرياض نفسها أن تحاكي ما لديه من الأزاهر. انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الاسلامية، وابتسمت بدره النظيم ثغور المحمدية، وخاض من العلوم في بحار عميقة، وراض النفس في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة. وله أشعار أوى الأشعري من سننه الى ركن شديد، واعتزل المعتزلي علماً أنه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد. وأما الشرعيات ــ تفسيراً وفقها وأصولاً وغيرها ــ فكان بحراً لا يجارى، وبدراً إلا أن هداه يشرق نهاراً. (ولد) الإمام سنة ثلاث أو أربع وأربعين

وخمسمائة، واشتغل على والده الشيخ ضياء الدين عمر، وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي. وقرأ الحكمة على المجد الجيلي بمراغة، وتفقه على الكمال السمناني. ويقال أنه حفظ (الشامل) في علم الكلام لإمام الحرمين، وذكر الإمام في رسالة (تحصيل الحق في تفصيل الفرق) أن أستاذه في أصول الدين، والده الإمام السعيد ضياء الدين عمر بن الحسين الرازي؛ وهو تلميذ إمام الأئمة أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري؛ وهو تلميذ صدر الأئمة أبي المعالي عبد الملك بن عبدالله؛ وهو تلميذ الإمام أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفرايني؛ وهو تلميذ أبي الحسن الباهلي؛ وهو تلميذ شيخ السنة أبي الحسن علي بن اسحاق بن سالم بن عبدالله بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري؛ وهو كان أولاً تلميذ أبي علي الجبائي المعتزلي، ثم هداه الله تعالى، فرجع عن مذهبه الى مذهب أهل السنة من الصحابة والتابعين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وكان أول أمره فقيراً، ثم فتحت عليه الأرزاق، وانتشر اسمه وبعد صيته في الآفاق، وقصد من أقطار الأرض. وكانت له يد طولى في الوعظ باللسان العربي والفارسي، ويلحقه فيه حال. وكان من أهل الدين والتصوف، وله يد فيه، وتفسيره ينبىء عن ذلك. وعبر الى خوارزم فجرى بينه وبين المعتزلة مناظرات أدت الى خروجه منها. ثم جرى بما وراء النهر نحو ما جرى بخوارزم، فعاد الى الري، واتصل بالسلطان شهاب الدين الغوري وحظي عنده، ثم بالسلطان الكبير علاء الدين خوارزم شاه محمد تكش، ونال عنده أسنى المراتب، وكان السلطان يأتي اليه. وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة من الفقهاء وغيرهم. وكان شديد الحرص في العلوم. وأصحابه أكثر الخلق تعظيماً له وتأدباً معه، له عندهم المهابة الوافرة. وأقبل الناس على الاشتغال بها. واشتهرت تصانيفه في الآفاق، ورفضوا كتب المتقدمين. وكان يلقب بهراة بشيخ الاسلام. وكان كثير الازراء بالكرامية، فوضعوا عليه من سقاه سما فمات منه.

ومن تصانيفه:

١ ــ التفسير الكبير: في اثني عشر مجلداً، وجعل تفسير سورة الفاتحة في مجلد؛

٢ ــ والمطالب العالية؛
٣ ــ ونهاية العقول؛
٤ ــ والأربعين؛
٥ ــ والمحصل؛
٦ ــ والتبيان في المعاني؛
٧ ــ والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان؛
٨ ــ والمباحث العمادية؛
٩ ــ والمحصول؛
١٠ ــ وعيون المسائل؛
١١ ــ وارشاد النظار؛
١٢ ــ وأجوبة المسائل البخارية؛
١٣ ــ والمعالم؛
١٤ ــ وتحصيل الحق؛
١٥ ــ والزبدة؛
١٦ ــ وشرح الاشارات؛
١٧ ــ وشرح عيون الحكمة؛
١٨ ــ وشرح الأسماء الحسنى؛
١٩ ــ وشرح مفصل الزمخشري في النحو، ولم يتمه؛
٢٠ ــ وشرح وجيز الغزالي في الفقه؛
٢١ ــ وشرح سقط الزند للمعري.

وله طريقة في الخلاف، ومصنف في مناقب الشافعي، وغير ذلك.

وأما كتاب (السر المكتوم في مخاطبة النجوم) فلم يصح أنه له، وقيل أنه مختلق عليه.

وكتب رحمه الله تعالى على القسم الأول من كتاب (المطالب العالية): وتم ذلك في يوم الجمعة من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة هجرية.

وكتب على آخر الكتاب الثاني منها: وقد تم هذا الكتاب بجرجانية خوارزم، في النصف الآخر من شهر ربيع الأول، سنة خمس وستمائة هجرية.

وكتب على آخر الثالث منها: وقد تم هذا الباب من هذا الكتاب، ليلة الاثنين السادس من ربيع الأول، سنة خمس وستمائة هجرية، في جرجانية خوارزم، في الدار المملوكة في سكة ماخويات. وأسأل الله الكريم الرحيم أن يختم عاقبتي بالرحمة والراحة والريحان، أنه الملك المنان، الرحيم الديان.

وكتب على آخر الكتاب الرابع: وقد تم ليلة الأربعاء من جمادى الأولى، سنة خمس وستمائة هجرية.

وكتب على آخر الخامس منها: تم هذا الكتاب ليلة السبت، السابع عشر من جمادى الأولى، سنة خمس وستمائة هجرية.

وكتب على آخر السادس منها: تم هذا الكتاب يوم الاثنين، الثاني عشر من جمادى الأخرى، سنة خمس وستمائة، والحمدلله كما هو له أهل ومستحق، والصلاة على خير خلقه من الأنبياء والمرسلين، وخصوصاً على محمد وآله وأصحابه أجمعين.

حكى الأديب شرف الدين محمد بن عين، أنه حضر درسه مرة وهو شاب، وقد وقع ثلج كثير، فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح، فلما وقعت رجع عنها الجارح، فلم تقدر الحمامة على الطيران من الخوف والبرد، فلما قام الامام من الدرس، وقف عليها ورق لها وأخذها.

قلت: وجدت في بعض الرسائل، تصنيف بعض المشايخ الثقات، والرسالة بخطه أيضاً، أن الحمامة هربت ورمت بنفسها الى مجلس الامام ودخلت في كمه.

قال ابن عين: فقلت في الحال:

جاءت سليمان الزمان بشكوها　　والموت يلمع من جناحي خاطف
من نبأ الورقاء أن محلكم　　حرم وأنك ملجأ للخائف

فطرب لها الشيخ فخر الدين، وأمر له بالجلوس قريباً منه، وأمر له بجائزة سنية وبقي محسناً اليه. قيل: ان ابن عين قال: وصل إلي من جهة الإمام فخر الدين نحو عشرة آلاف دنانير. قال ابن السبكي في طبقاته الكبرى: اعلم أن شيخنا الذهبي ذكر الإمام في كتاب (الميزان) في الضعفاء، وهذا أمر لا معنى له من وجوه: (أعلاها): أنه ثقة حبر من أحبار الأمة. و (أدناها): أنه لا رواية له، وذكره في الرواية مجرد فضول وتعصب، وتحامل تقشعر منه الجلود.

وقال الذهبي في (الميزان): له (كتاب أسرار النجوم) سحر صريح قال ابن السبكي: وقد عرفناك أن هذا الكتاب مختلق عليه، وعلى تقدير صحة نسبته اليه، ليس هو بسحر، فليتأمل من يحسن السحر. و يكفيك شاهداً على تعصب شيخنا عليه، ذكره إياه بالفخر الرازي في حرف الفاء، ولا يخفى أن شهرته بابن الخطيب والإمام، واسمه محمد، فاذا نظرت أيها الطارح رداء العصبية عن كتفيه، الجانح الى جعل الحق بمرأى عينيه، الى رجل عمد الى إمام من أئمة المسلمين، وأدخله في جماعة ليس هو منهم، أعني رواة الحديث، فان الإمام لا رواية له، ودعاه باسم لا يعرف به، ولو تأملها المسكين حق التأمل، وأوتي رشده، لأوجبت له حباً عظيماً في هذا الامام، ولكنها الحامل له على هذه العظيمة، والمردية له في هذه المصيبة العميمة. نسأل الله الستر والسلامة.

ذكر: أن الإمام وعظ يوماً بحضرة السلطان شهاب الدين الغوري، وحصلت له حال، فاستغاث: يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي يبقى، وان مردنا الى الله. قال المولى الشهير بمصنفك في كتابه (التحفة المحمودية): أن المولى فخر الدين الرازي، أرسل رقعة الى السلطان محمد خوارزم شاه، في حاجة عرضها عليه في شأن بعض الصلحاء، وكتب فيها: رفعت قصتي الى الله، فان أعطيتها فالله هو المعطي وأنت المشكور، وان منعتها فهو المانع وأنت المعذور، والسلام. قال أبو عبدالله الحسن الواسطي: سمعت الإمام بهراة ينشد على المنبر عقيب عتابه أهل البلدة.

شعر

المرء ما دام حياً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

قال ابن السبكي: قال الامام في تفسيره ــ وأظنه في سورة يوسف عليه السلام: والذي جربته من طول عمري، أن الانسان كلما عول على أمر من الأمور على غير الله، صار ذلك سبباً للبلاء والمحنة، والشدة والرزية؛ وإذا عول على الله، ولم يرجع الى أحد من الخلق، حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي، من أول عمري الى هذا الوقت الذي بلغت فيه الى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للانسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه. انتهى. قال ابن السبكي: وما ذكره الإمام حق، ومن حاسب نفسه وجد الأمر كذلك. وإن فرض أحد عول في أمره على غير الله وحصل له ذلك؛ فاعلم: أنه لا يخلو عن أحد رجلين: أما رجل ممكور به والعياذ بالله؛ وأما رجل يطلب شراً وهو يحسب أنه خير لنفسه، ويظهر له ذلك بعاقبة ذلك الأمر، فا أسرع انقلابه في الدنيا قبل الآخرة الى أسوأ الأحوال، ومن شاء اعتبار ذلك فليحاسب نفسه.

واعلم: أن هذه الجملة من كلام الإمام، دالة على مراقبته طول وقته، ومحاسبته لنفسه، فرضي الله عنه، وقبح من يسبه أو يذكره بسوء حسداً وبغياً من عند نفسه. الى هنا كلام ابن السبكي.

واعلم: أن الامام كان من زمرة الفقهاء، ثم التحق بالصوفية فصار من أهل المشاهدة، وصنف التفسير بعد ذلك، ومن تأمل في مباحثه وتصفح لطائفه، يجد في أثنائه كلمات أهل التصوف من الأمور الذوقية.

قلت: وسمعت رجلاً ثقة صالحاً عالماً عابداً زاهداً عارفاً صادقاً، أنه حكى: أن الإمام لما دخل هراة، أتاه من بها من العلماء والصلحاء والسلاطين والأمراء، وسأل يوماً: هل بقي أحد تخلف عن زيارتنا، قال أصحابه: نعم، بقي رجل صالح منقطع في زاوية، قال الامام: أنا رجل واجب التعظيم، وأنا إمام المسلمين فلم لم يزرني. فقالوا لذلك الرجل كلام الإمام، فا تكلم بشيء أصلاً،

ووقع بينهما الخلاف، فصنع أهل البلدة طعاماً فدعوهما، فأجابا الدعوة، واجتمعا في حديقة، فسأله الإمام عن سبب تخلفه عن اتيانه اليه، فقال: أنا رجل فقير لا شرف في زيارتي ولا نقص في تخلفي عنها؛ قال الامام: هذا جواب أهل الأدب ــ يعني: الصوفية ــ فقل لي حقيقة الحال؛ فقال ذلك الرجل: لأي شيء وجبت زيارتك؛ قال: أنا إمام المسلمين وواجب التعظيم؛ قال: إن افتخارك بالعلم، ورأس العلوم معرفة الله تعالى، فكيف عرفته تعالى؛ قال: بمائة برهان. قال الرجل: البرهان لأزالة الشك، والله تعالى جعل في قلبي نوراً لا يدخل معه الشك، فضلاً عن الحاجة الى البرهان. فأثر هذا الكلام في قلب الإمام، فتاب في ذلك المجلس على يده، ودخل الخلوة، وفتح له ما فتح، وبعدما خرج عنها، صنف (التفسير الكبير). وقال الناقل لهذه الحكاية: وكان ذلك الشيخ أبو الجناب الشيخ نجم الدين الكبري- قدس الله سره. (توفي) الإمام ــ رحمه الله ورضي عنه ــ بهراة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة.

ومن التفاسير الواقعة على لسان أهل الذوق من الصوفية:

(تفسير بشير) لنجم الداية؛

و **(الحقائق) لأبي عبد الرحمن السلمي** ــ هو بضم السين وفتح اللام ــ واسمه محمد بن الحسين بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. (مولده) سنة ثلاثين وثلاثمائة. (توفي) في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. له ترجمة في (الميزان)، قال الذهبي فيها: قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان كان يضع الأحاديث للصوفية. انتهى. كذا في شرح شفاء قاضي عياض للشيخ برهان الدين الحلبي المسمى: (بالمعتنى في ضبط ألفاظ الشفا)، وللقشيري.

ومن التفاسير على لسان أهل العرفان:

(تفسير الفاتحة) لصدر الدين القونوي. وهو محمد بن اسحاق، الشيخ الزاهد، صدر الدين القونوي، صاحب التصانيف في التصوف ــ وتزوج أمه الشيخ محيي الدين بن العربي، ورباه واهتم به، وجمع بين العلوم الشرعية وعلوم

التصوف، فصار مجمعاً للبحرين، وملتقى للبدرين ــ وقصده الأفاضل من الأفاق، حتى أن العلامة قطب الدين الشيرازي أتاه وهو بقونية، وقرأ عنده وصاحبه في العلوم الظاهرة والباطنة. ذكره العلامة في كتابه (درة التاج) في القسم العملي منه.

ولصدر الدين القونوي مكاتبات ومراسلات مع خواجة نصير الدين الطوسي في بعض المسائل الحكمية. ودار الكلام بينهما مراراً، حتى اعترف النصير الطوسي بالعجز والقصور.

ولصدر الدين المذكور ــ قدس سره ــ مصنفات كثيرة في علم التصوف وله: (تفسير الفاتحة)؛ و (شرح الأحاديث الاربعينية) لكن لم يتمه، وغير ذلك. (توفي) سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومن التفاسير:

(تفسير سورة الفاتحة) لمولانا شمس الدين الفناري. مزج فيه بين العلوم الشرعية وعلوم التصوف، وهو من أحسن المصنفات، وأولاها بالاهتمام والاعتناء بشأنه. والفناري: هو محمد بن حمزة بن محمد الرومي، العلامة شمس الدين بن الفناري ــ بفتح الفاء والنون وبالراء المهملة؛ قال السيوطي: نسبة الى صنعة الفنار؛ قال: سمعته من شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي، لكنه غير صحيح، بل هو نسبة الى قرية تسمى فنار. قال ابن حجر: كان عارفاً بالعربية والمعاني والقراءات، كثير المشاركة في الفنون. (ولد) في صفر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. وأخذ عن العلامة علاء الدين الأسود، شارح (المغني) في الأصول، وشارح (الوقاية في الفقه)؛ وأخذ ببلاده عن الجمال محمد بن محمد بن محمد الاقصرائي؛ ولازم الاشتغال، ورحل الى مصر، وأخذ عن الشيخ أكمل الدين وغيره. ثم رجع الى الروم فولى قضاء برصه، وارتفع قدره عند ابن عثمان جداً، وحل عنده المحل الأعلى، وصار في معنى الوزير، واشتهر ذكره وشاع فضله. وكان حسن السمت، كثير الفضل والأفضال غير أنه يعاب بنحله ابن العربي وباقراء الفصوص.

ولما دخل القاهرة لم يتظاهر بشيء من ذلك، أو كان بعض من اعتنى به أوصاه أن لا يتكلم في شيء من ذلك، واجتمع به فضلاء العصر، وذاكروه وباحثوه، وشهدوا له بالفضيلة، ثم رجع. وكان قد أثرى الى الغاية، حتى يقال: أن عنده من النقد خاصة مائة وخمسين ألف دينار. وحج سنة اثنتين وعشرين، فلما رجع طلبه المؤيد، فدخل القاهرة واجتمع بفضلائها، ثم رجع الى القدس فزاره، ثم رجع الى بلاده، ثم حج سنة ثلاث وثلاثين على طريق انطاكية، ورجع (فمات) ببلاده في شهر رجب. وكان قد أصابه رمد وأشرف على العمى، بل يقال أنه عمي ثم رد الله عليه بصره، فحج في هذه الحجة الأخيرة شكراً لله على ذلك. وله:

١ ــ مصنف في أصول الفقه سماه: (فصول البدائع في أصول الشرائع) وجمع فيه المنار والبزدوي ومحصول الإمام الرازي ومختصر ابن الحاجب وغير ذلك، وأقام في عمله ثلاثين سنة؛

٢ ــ وله: تفسير الفاتحة؛

٣ ــ ورسالة أتى فيها مسائل من مائة فن، وسماها (أنموذج العلوم). قيل: أن هذه الرسالة لابنه محمد شاه، والله أعلم؛

٤ ــ ورسالة أخرى منظومة، أتى فيها عشرين قطعة كل منها في علم واحد، وبدل أسماء العلوم، وامتحن بها علماء عصره، فعجزوا عن حلها، فضلاً عن الجواب عنها، وأجاب عنها ابنه محمد شاه. وشرح الرسالة أيضاً؛

٥ ــ وصنف شرح الرسالة الأثيرية في (الميزان). وصنفها في يوم واحد من أقصم الأيام، افتتحه بعد صلاة الفجر وختمه مع أذان مغربه.

وله الرسائل والحواشي كثيرة لكن بقيت في المسودة، ومنع الدرس والفتوى والقضاء عن تدوينها. يقال أنه أقرأ (شرح العضد) نحو عشرين مرة. قال ابن حجر: كتب لي بخطه بالإجازة لما قدم القاهرة. (مات) في رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة. قال السيوطي: لازمه شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي،

وكان يبالغ في الثناء عليه جداً. وكان للفناري ولدان:

(أحدهما) اسمه يوسف بالي؛ ويحكى: أنه كان من الفضلاء لكن لم نر تصنيفه.

و (الآخر) محمد شاه؛ قال ابن حجر: محمد شاه بن الشيخ شمس الدين الفناري الحنفي الرومي، كان ذكياً، وحج في بضع وثلاثين وثمانمائة، ودخل القاهرة، ثم رجع الى بلاد ابن قرمان فمات بها.

أما محي الدين الكافيجي: فهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي البرغمي. قال السيوطي: شيخنا العلامة، أستاذ الأستاذين، محيي الدين أبو عبدالله الكافيجي الحنفي. (ولد) سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، واشتغل بالعلم أول ما بلغ، ورحل الى بلاد العجم والتتر، ولقي العلماء الأجلاء؛ فأخذ عن الشمس الفناري، والبرهان حيدره والشيخ واجد، وأبا فرشته (شارح المجمع)، وحافظ الدين البزازي وغيرهم. ودخل القاهرة، وأخذ عنه الفضلاء والأعيان، وولي مشيخة الشيخونية لما رغب عنها ابن الهمام. وكان إماماً كبيراً في المعقولات كلها: الكلام وأصول الفقه والنحو والتصريف والاعراب والمعاني والبيان والجدل والمنطق والفلسفة والهيئة، بحيث لا يشق أحد غباره في شيء من هذه العلوم، وله اليد الحسنة في الفقه والتفسير، والنظر في علوم الحديث وألف فيه وأما تصانيفه في العلوم العقلية فلا تحصى، بحيث أني سألته أن يسمي لي جميعها لأكتبها في ترجمته فقال: لا أقدر على ذلك. قال: ولي مؤلفات كثرة أنسيتها، فلا أعرف الآن أسماءها، وأكثرها مختصرات، وأجلها على الاطلاق.

١ ــ شرح قواعد الاعراب؛

٢ ــ وشرح كلمتي الشهادة؛

٣ ــ وله مختصر في علوم الحديث؛

٤ ــ ومختصر في علوم التفسير مسمى: بالتيسير، قدر ثلاث كراريس وكان يقول أنه اخترع هذا العلم ولم يسبق اليه. وذلك لأن الشيخ لم يقف على

(البرهان) للزركشي، ولا على (مواقع العلوم) للجلال البلقيني.

وكان صحيح العقيدة في الديانات، حسن الاعتقاد في الصوفية، محباً لأهل الحديث، كارهاً لأهل البدع، كثير التعبد على كبر سنه، كثير الصدقة والبذل لا يبقي على شيء، سليم الفطرة صافي القلب، كثير الاحتمال لأعدائه صبوراً على الأذى، واسع العلم جداً. لازمته أربع عشرة سنةً، فما جئت مرة، إلا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك.

قال لي يوماً: ما اعراب «زيد قائم»؛ فقلت: قد صرنا في مقام الصغار نسأل عن هذا؛ فقال لي: في زيد قائم مائة وثلاثة عشر بحثاً؛

فقلت: لا أقوم من هذا المجلس حتى استفيدها، فأخرج لي تذكرتها فكتبتها منه. (توفي) الشيخ شهيداً بالأشهاد، ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى، سنة تسع وسبعين وثمانمائة، رحمه الله تعالى.

الشعبة الرابعة

من العلوم الشرعية

علم دراية الحديث

وهو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها، مبتنياً على قواعد اللغة العربية، وضوابط الشريعة، ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم.

وموضوعه: أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث دلالتها على المعنى المفهوم والمراد.

وغايته: التحلي بالآداب النبوية، والتخلي عما يكرهه وينهي عنه.

ومنفعته: أعظم المنافع، كما لا يخفى على المتأمل.

ومبادئه: العلوم العربية كلها، ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعرفة الأصلين والفقه، وغير ذلك.

واعلم أن قصارى نظر أبناء هذا الزمان في علم الحديث، النظر في: (مشارق الأنوار) للصاغاني، فان ترفعت الى (مصابيح) البغوي، ظننت أنها تصل الى درجة المحدثين، وما ذلك الا لجهلهم بالحديث، بل لو حفظهما عن ظهر قلب، وضم اليهما من المتون مثليهما، لم يكن محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط.

وانما الذي يعده أهل هذا الزمان بالغاً الى النهاية، و ينادونه محدث المحدثين، و بخاري العصر، من اشتغل (بجامع الأصول) لابن الأثير، مع حفظ علوم الحديث، (كمختصر) ابن الصلاح، أو (التقريب)، و (التيسير) للنووي، ونحو ذلك، إلا أنه ليس في شيء من رتبة المحدثين، وإنما المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، و (مسند) الإمام أحمد بن حنبل، و (سنن البيهقي)، و (معجم الطبراني)، وضم الى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته. فاذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطبقات، وزاد على الشيوخ، وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد، كان في أول درجات المحدثين. ثم يزيد الله سبحانه وتعالى من يشاء ما يشاء. هذا ما ذكره تاج الدين السبكي رحمه الله.

والكتب المصنفة في علم الحديث، أكثر من أن تحصى، وأوفر من أن تستقصى، إلا أن السلف والخلف، قد أطبقوا قاطبة على أن أصح الكتب، بعد كتاب الله تعالى، كتاب:

١ ــ صحيح البخاري؛

٢ ــ ثم صحيح مسلم؛

٣ ــ ثم الموطأ؛

ثم بقية الكتب الستة، وهي:

٤ ــ سنن أبي داود؛

٥ ــ وسنن الترمذي؛

٦ ــ وسنن النسائي؛

٧ ــ وسنن ابن ماجة؛

٨ ــ وسنن الدارقطني؛

والمسندات المشهورة؛

٩ ــ كمسند أحمد؛

١٠ ــ وابن أبي شيبة؛

١١ ــ والبزار، ونحوها.

ولنذكر ها هنا أصحاب الكتب الستة، ومن يحذو حذوهم، على وجه الاختصار، لنتشرف بذكرهم، و يفيض علينا من بركاتهم، قدوة الدين، وشيوخ الاسلام، وحفاظ السنة، وخزنة الأحاديث، يتبرك بأسمائهم، و يظن استجابة الدعاء عند ذكر أوصافهم، إذ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

ذكر الإمام العالم صدر الشريعة في كتابه (تعديل العلوم)، في قسم تعديل الكلام، أن المشايخ أئمة الحديث، مشهورون بطول الأعمار، وأن الفلاسفة المستهزئين بالشريعة، مشهورون بقصر الأعمار. ولا شكل أن طول العمر في الاسلام، والعلم والعمل، مظنة الخيرات والبركات، وأن الشيبة في الاسلام، مئنة السعادات.

ذكر ابن السبكي في (طبقاته الكبرى)، أن أبا سهل قال: سمعت ابن الصلاح يقول: سمعت شيوخنا رحمهم الله يقولون: دليل طول عمر الرجل، اشتغاله بأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، و يصدقه التجربة، فان أهل الحديث، إذا تتبعت أعمارهم، تجدها في غاية الطول.

واعلم أن رئيس هؤلاء الطائفة وقدوتهم، بعد الامام مالك رضي الله عنه، الامام أبو عبدالله، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري. وانما قيل له الجعفي، لأن المغيرة أبا جده، كان مجوسياً، فأسلم على يد يمان البخاري، وهو الجعفي والي بخارى، فنسب اليه، حيث أسلم على يده. وجعفي ــ أبو قبيلة من اليمن ــ هو جعفي بن سعد، والنسبة اليه كذلك.

(ولد) يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة، و (توفي) ليلة الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين، و (دفن) بخرتنك على فرسخين من سمرقند، وعمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، ولم يعقب ولداً ذكراً.

وكان شيخاً نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير. والبخاري الإمام في علم الحديث، رحل في طلب العلم الى جميع محدثي الأمصار. وكتب بخراسان، والجبال، والعراق، والحجاز، والشام، ومصر. وأخذ الحديث عن المشايخ الحفاظ، منهم: مكي بن ابراهيم البلخي، وعبدالله بن موسى العبسي، وأبو عاصم الشيباني، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعبدالله بن الزبير الحميدي، وغير هؤلاء من الأئمة.

وأخذ عنه الحديث كثير في كل بلدة حدث بها. قال الضريري ــ قلت: هو بفتح الفاء وكسرها، وفتح الراء الأول، واسكان الموحدة بين الرائين، منسوبة ــ الى قرية من قرى بخارى ــ: سمع كتاب البخاري عليه، تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري. قال: وسمعته منه بفربر.

ورد البخاري على المشايخ وله احدى عشرة سنة، وطلب العلم وله عشر سنين. قال البخاري: خرجت كتاب (الصحيح) من زهاء ستمائة ألف حديث، وما وضعت فيه حديثاً، إلا بعدما استخرت الله تعالى واغتسلت وصليت ركعتين. وقال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وصنفته في ست عشرة سنة، وما أدخلت فيه حديثاً إلا بعدما تيقنت بصحته، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً، بالأحاديث المكررة، وقيل إنها باسقاط المكررة، أربعة آلاف حديث. وصحيح مسلم أيضاً أربعة آلاف حديث بعد حذف المكررة.

قال البخاري: أصح الأسانيد على الاطلاق: مالك عن نافع عن ابن عمر، وأصح أسانيد أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، رضي الله عنهم.

وكان البخاري من عباد الله الصالحين، ملازماً للورع والزهادة. رأى أبوه مالك بن أنس، وعبدالله بن المبارك، وحماد بن زيد. وقدم البخاري بغداد،

فسمع به أصحاب الحديث، واجتمعوا، وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر، واسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها الى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على البخاري، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب اليه رجل من العشرة، فسأله من حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، ثم وثم، الى أن فرغ من العشرة، ثم انتدب رجل آخر، فجرى معه مثل ما جرى مع الأول الى أن تمت العشرة الرجال، كل ذلك يقول: لا أعرفه. فأما العلماء فعرفوا بانكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك منه. ثم التفت البخاري الى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والثاني كذا، على النسق، الى آخر العشرة، فرد كل متن الى اسناده، وكل اسناد الى متنه، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

قال أبو مصعب، أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل، فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال مصعب: لو أدركت مالكاً، ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل، لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت بخارى مثل محمد بن اسماعيل البخاري. وقال: انتهى الحفظ الى أربعة من أهل خراسان، وذكر منهم البخاري.

وقال رجاء بن مرجى: فضل محمد بن اسماعيل البخاري على العلماء كفضل الرجال على النساء، فقال له رجل: يا أبا محمد، كل ذلك؛ قال: هو آية من آيات الله تعالى تمشي على ظهر الأرض.

وقال محمد بن إسحاق: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن اسماعيل البخاري.

وسبب مفارقته بخارى، على ما رواه أبو سعيد بن منير، قال: بعث الأمير

خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى، الى البخاري، أن أحمل إلي (كتاب الجامع) و (التاريخ)، لأسمع منك، فقال لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله الى أبواب الناس، فان كانت لك الى شيء حاجة، فاحضرني في مسجدي أو في داري، وان لم يعجبك هذا مني، فأنت سلطان، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، فاني لا أكتم العلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار».

وقال غيره: أن خالداً سأله أن يحضر منزله، فيقرأ (الجامع) و (التاريخ) على أولاده، فامتنع عن ذلك، فراسله أن يعقد مجلساً يخص أولاده، فامتنع عن ذلك أيضاً، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم، فاستعان خالد بعلماء بخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم البخاري، فاستجيب، ووقعوا بعد زمان يسير في البلايا.

قال عبد القدوس السمرقندي: جاء البخاري الى أقربائه بخرتنك، فسمعته ليله من الليالي، وقد فرغ عن صلاة الليل، يدعو و يقول: اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني اليك، فما تم الشهر حتى قبضه الله. وقبره بخرتنك ظاهر يزار، رحمه الله. وكانت اسم تلك القرية غير هذا الاسم، وسميت خرتنك يوم مات البخاري، فان أهل سمرقند أطبقوا على أن يشهدوا الصلاة عليه، وعزت الحمر في الكراء، فلهذا أسميت به، لأن خر هو الحمار بلغة الفرس، وتنك معناه الغالي.

روي أن الإمام أبا محمد المزني، أمر بكتاب الله عز وجل، و بصحيح البخاري، فكتبوا له بماء الذهب من الأول الى الآخر. قيل: إن الأصل الذي سمعته بهمدان: كان في تسعة مجلدات، فلقد عظم كتاب الله تعالى وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم.

قال أبو حفص النسفي: فلما قضى البخاري نحبه، سال منه من العرق شيء لا يوصف، الى أن أدرجناه في ثيابه، وقد سطع من قبره ريح طيبة، تعجب

أهل البلد من ذلك، وظهرت عليه الأنوار، وكانوا يأخذون التراب، حتى خفنا على القبر، فنصبنا على القبر خشباً مسنداً.

وقال محمد بن أحمد المروزي: كنت نائماً بين الركن والمقام، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا أبا زيد، الى متى تدرس كتاب الشافعي، ولا تدرس كتابي، فقلت: وما كتابك يا رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم)، قال: جامع محمد بن اسماعيل البخاري.

وقال النجم بن الفضل: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، ومحمد ابن اسماعيل خلفه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد، و يضع قدمه على خطوة النبي صلى الله عليه وسلم، و يتبع أثره.

وقال عبد الواحد بن آدم الطواو يسي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف في موضع ذكره، فسلمت عليه، فرد السلام؛

فقلت: ما وقوفك يا رسول الله، فقال أنتظر محمد بن اسماعيل البخاري، فلما كان بعد أيام، بلغنا موته، فنظرنا، فاذا هو مات في تلك الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها. ومناقب البخاري لا تحصى.

وأما مناقب كتابه، فهو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وهذه منقبة عظيمة لهذا الكتاب؛ وأن من ختمه على أي نية كانت، حصل ما نواه على أحسن وجه؛ وأنه إذا قرىء في بيت في أيام الطاعون، حفظ الله تعالى أهاليه عن الطاعون؛ وأيضاً سمعت من مشايخ الحديث، أن الدعاء يستجاب عند ذكر أسامي أصحاب بدر رضي الله عنهم.

و يليه في الرتبة (كتاب مسلم). وهو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاد القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الحفاظ، وأعلام المحدثين، صاحب الصحيح، إمام خراسان في الحديث بعد البخاري. وإذا ذكر الصحيحان مطلقاً، فهو (صحيح البخاري) و (صحيح مسلم).

كان تام القامة أبيض الرأس واللحية، (ولد) سنة أربع ومائتين، وقيل: سنة اثنتين ومائتين. والصحيح أنه (ولد) في سنة ست ومائتين بنيسابور. رحل الى العراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى النيسابوري، وقتيبة بن سعيد، واسحق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وعبدالله ابن مسلمة القعنبي، وغير هؤلاء من أئمة الحديث وعلمائه، وقدم بغداد وحدث بها.

روى عنه خلق كثير، منهم: ابراهيم بن محمد بن سفيان، والترمذي، وابن خزيمة. وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخمسين ومائتين.

وقال مسلم: صنفت المسند الصحيح، من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة. وقيل: من يقول: ما تحت أديم الأرض، أصح من كتاب مسلم في علم الحديث. وقال الخطيب أبو بكر البغدادي: إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر مرة، لازمه مسلم، وأدام الاختلاف اليه. وكان مسلم يختلف أيضاً الى محمد بن يحيى أحد الحفاظ المشهورين، ولما وقعت وحشة بين محمد بن يحيى وبين البخاري في مسألة خلق اللفظ، تغير محمد على البخاري، وعلى من صاحبه، فترك مسلم صحبة محمد ولم يتخلف عن زيارة البخاري.

ويليها أبو داود، سليمان بن الأشعث بن اسحق الأزدي السجستاني.

رحل وطوف وجمع، وسمع الخلق بخراسان والعراق والشام وغيرها. سكن البصرة وقدم بغداد غير مرة. وصنف وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزيريين.

(ولد) سنة اثنتين ومائتين، و (توفي) بالبصرة لأربع عشرة بقيت من شوال، سنة خمس وسبعين ومائتين. وقدم بغداد مراراً، ثم أخرج منها آخر مرة سنة إحدى وسبعين.

وأخذ الحديث عن مسلم بن ابراهيم، وسليمان بن حرب، وعبدالله بن

مسلمة القعنبي، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغير هؤلاء من أئمة الحديث ممن لا يحصى كثرة.

وأخذ الحديث عنه ابنه عبدالله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن محمد الخلال، وغيرهم.

وسكن البصرة، وقدم بغداد، وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله أهلها عنه، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه.

قال أبو داود: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف حديث، وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح منها وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الانسان لدينه منه أربعة أحاديث:

أحدها: قوله «إنما الأعمال بالنيات».

والثاني: قوله «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

والثالث: قوله «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه».

والرابع: قوله «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات».

قال أبو بكر الخلال: أبو داود الامام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه الى معرفته بتخريج العلوم، وبصيرة لمواضعه، أحد في زمانه، رجل ورع مقدم.

وقال أحمد بن محمد الهروي: كان أبو داود أحد حفاظ الاسلام لحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، علمه وعلله وسنده، في أعلى درجة من النسك والعفاف والصلاح والورع، من فرسان الحديث.

وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق، فقيل له: ما هذا يرحمك الله، قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج اليه.

وقال الخطابي: (كتاب السنن) لأبي داود، كتاب شريف، لم يصنف في

علم الدين كتاب مثله. وقال أبو داود: ما ذكرت في كتابي حديثاً اجتمع الناس على تركه.

وقال ابراهيم الحربي: لما صنف أبو داود هذا الكتاب، ألين لأبي داود الحديث، كما ألين لداود عليه السلام الحديد. وقال ابن الاعرابي: كتاب أبي داود، لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم، إلا المصحف الذي فيه كتاب الله عز وجل، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما الى شيء من العلم بتة.

وكان ولده أبو بكر عبدالله، من أكابر الحفاظ ببغداد، عالماً متفقاً عليه، إمام ابن إمام. وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وشيراز وسجستان. و (توفي) سنة ست عشرة وثلاثمائة، (رحمه الله تعالى).

ويليهم أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي.

(توفي) بها ليلة الاثنين الثالث عشر من رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين. وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله في الفقه يد صالحة. أخذ الحديث عن جماعة من أئمة الحديث، ولقي الصدر الأول من المشايخ، مثل: قتيبة بن سعيد، ومحمود بن غيلان، ومحمد بن بشار، وأحمد بن منيع، ومحمد بن المثنى، وسفيان ابن وكيع، ومحمد بن اسماعيل البخاري، وغير هؤلاء. وأخذ الحديث عن خلق كثير لا يحصون كثرة، وأخذ عنه خلق كثير، منهم محمد بن أحمد المحبوبي المروزي.

له تصانيف كثيرة في علم الحديث، وهذا (كتابه الصحيح) أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً، وفيه ما ليس في غيره، من ذكر المذاهب، ووجوه الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث، من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل. وفي آخره كتاب العلل، وقد جمع فيه فوائد حسنة، لا يخفى قدرها على من وقف عليها.

قال الترمذي: صنفت هذا الكتاب، فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به،

وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به. ومن كان في بيته هذا الكتاب، فكأنما في بيته نبي يتكلم.

والترمذي نسبة الى ترمذ بكسر التاء، وبالذال المعجمة، وهي مدينة مشهورة من قرى جيحون، على شاطئه الشرقي.

ويليهم أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي. (مات) بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن بها. وهو أحد الأئمة الحفاظ العلماء الفقهاء. لقي المشايخ الكبار. وأخذ الحديث عن قتيبة بن سعيد، ومحمد بن بشار، ومحمود بن غيلان، وأبي داود سليمان بن الأشعث، وغير هؤلاء من المشايخ الحفاظ.

وأخذ عنه الحديث خلق كثير، منهم أبو القاسم الطبراني، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو بكر أحمد بن اسحق السني الحافظ.

وله كتب كثيرة في الحديث والعلل، وغير ذلك. قال مأمون المصري الحافظ: خرجنا مع أبي عبد الرحمن الى طرسوس، فاجتمع جماعة من مشايخ الاسلام، والاسلام، واجتمع من الحفاظ عبدالله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن ابراهيم وغيرهما، فتشاوروا من ينتقي لهم على الشيوخ، فأجمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي، وكتبوا كلهم بانتخابه.

وقال الحكيم النيسابوري: أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث، فأكثر من أن يذكر، ومن نظر الى كتاب السنن له، تحير في حسن كلامه. وقال: سمعت علياً بن عمر الحافظ غير مرة، يقول: أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم في زمانه، كان شافعي المذهب، وكان ورعاً متحرياً. النسائي بفتح النون، وتخفيف السين المهملة، وبالمد والميم، منسوب الى مدينة نساء من خراسان، رحمه الله تعالى.

واعلم أن الامام النووي، رحمه الله، عد الكتب الأصول خمسة، وهي هذه الخمسة التي ذكرتها، إلا أن الجمهور جعلها ستاً، وقد عد منها (موطأ الإمام مالك) رضي الله عنه، وجعلوه بعد الترمذي، وقبل النسائي والحق أنه بعد مسلم في الرتبة. وسنذكر الإمام مالك رضي الله عنه في المجتهدين، لأنه بذلك أشهر.

وعد بعضهم بدل (الموطأ)، كتاب ابن ماجة وهو محمد بن يزيد بن ماجة، أبو عبدالله القزويني الحافظ، صاحب السنن. سمع أصحاب مالك والليث، وعنه أبو الحسن القطان، وخلق سواه. (ولد) سنة تسع ومائتين، و (مات) سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وله من العمر أربع وستون سنة.

واعلم أنه قد يقع في السنة أهل الحديث، الأئمة السبعة، فيزاد على هؤلاء: **رزين، وهو أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ** صاحب (كتاب التجريد) في الجمع بين الصحاح. (مات) بعد العشرين وخمسمائة، وانما ألحقوا جامعه بالكتب الستة، لأن جامعه جامع للستة.

وقد يقع في السنتهم الأئمة الثمانية، فيزاد عليهم الحميدي؛ وهو أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأندلسي الحميدي، صاحب (كتاب الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم). وهو إمام كبير عالم مشهور، سمع ببلده، وسمع بمصر أصحاب المهندس، وسمع بمكة أصحاب ابن خواص وغيرهم، وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وغيرهم، ورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطني وغيرهم. وصنف تاريخاً لأهل الأندلس.

قال الأمير ابن ماكولا: لم أر مثله في نزاهته وعفته وورعه. (مات) ببغداد في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان مولده قبل العشرين وأربعمائة.

وربما يقال: الأئمة التسعة، فيزاد أحد هذين الامامين: أحدهما الإمام أبو بكر أحمد بن محمد البرقاني؛ والآخر الإمام أبو مسعود ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي، فان كلا من هذين الإمامين قد جمع بين صحيحي البخاري ومسلم، فيقال لأحدهما (جامع البرقاني)، وللآخر (جامع الدمشقي).

وربما يقال: الأئمة العشرة، فيزاد عليهم كلاهما، وتلك عشرة كاملة.

واعلم أن البرقاني هو أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي المعروف بالبرقاني. سمع ببلده من أبي العباس بن حمدان النيسابوري وغيره، ثم خرج الى جرجان،

فسمع أبا بكر الاسماعيلي، ثم الى بغداد فاستوطنها وحدث بها. وكان ثقة ورعاً فهماً متثبتاً. قال الخطيب أبو بكر البغدادي: لم أر في شيوخنا أثبت منه. كان حافظاً للقرآن عارفاً بالفقه، له حفظ من علم العربية.

وله تصانيف في علم الحديث. (ولد) سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، و (مات) في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وله من العمر تسع وثمانون سنة. ودفن في مقبرة جامع المنصور. البرقاني بكسر الباء الموحدة وفتحها وبالقاف والنون.

وأما الدمشقي فهو:

إذا عرفت هذا، فاعلم أن أصحاب الحديث اختاروا سبعة أخرى من الحفاظ، وجعلوهم في ساقة الستة المشهورة، وأطبقوا على أنهم أحسنوا التصنيف، وأن مصنفاتهم وقعت عظيمة النفع.

منهم: **أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني** الحافظ، الإمام العلامة المشهور. كان فريد عصره، وقريع دهره، وإمام وقته. انتهى اليه علم الحديث والمعرفة بعلله، وأسماء الرجال، ومعرفة الرواة، مع الصدق والأمانة والعدالة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب، والقيام بعلوم أخرى سوى الحديث؛ منها: علم القرآن ومعرفة مذاهب الفقهاء. درس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري، وكتب عنه الحديث أيضاً؛ ومنها معرفة الأدب والشعر.

قال أبو الطيب: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث. سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه الحافظ أبو نعيم، وأبو بكر البرقاني، والجوهري، والقاضي، وأبو الطيب الطبري، وغيرهم.

(ولد) سنة خمس أو ست وثلاثمائة، و (مات) ببغداد يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. ودارقطن محلة كانت ببغداد قديماً.

ومنهم: **الحاكم** أبو عبدالله النيسابوري. (مات) بها في صفر سنة خمس

وأربعمائة، وولد، بها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

ومنهم: **أبو محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي**، حافظ مصر. (ولد) في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، و (مات) بمصر في صفر سنة تسع وأربعمائة.

ومنهم: **أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني**، صاحب (الحلية). هو من مشايخ الحديث الثقات المعمول بحديثهم، المرجوع الى قولهم، كبير القدر. (ولد) سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، و (مات) في صفر سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان، وله من العمر ست وتسعون سنة.

ومنهم **أبو عمرو بن عبد البر النحوي**، حافظ المغرب. كان ثقة في الحديث، مرجوعاً الى روايته، كثير الحفظ والضبط. (ولد) في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة، و (وتوفي) بشاطبة سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

ومنهم: **أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي**، كان أوحد دهره في الحديث والتصانيف ومعرفة الفقه، وهو من كبار أصحاب الحاكم أبي عبدالله. (ولد) البيهقي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، و (مات) بنيسابور في جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وله من العمر أربع وسبعون سنة.

ومنهم: **أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي**. (ولد) في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، و (مات) ببغداد في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

ثم اعلم أن الصحيح إذا أطلق يراد به (الجامع الصحيح) للبخاري، وإذا أطلق الصحيحان، يراد بهما صحيح البخاري ومسلم، وإذا أطلق الصحاح، يراد بها الصحاح الستة، ويقيد ما دون هذا، (كصحيح) ابن خزيمة، و (صحيح) ابن حبان، و (صحيح) أبي عوانة، و (صحيح) مستدرك الحاكم.

أما ابن خزيمة، فهو أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة النيسابوري الفقيه

الحافظ، شيخ خراسان، إمام الأئمة. (توفي) في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة على نحو من تسعين سنة.

وأما ابن حبان، فهو أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي الحافظ، صاحب التصانيف. (توفي) سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

وأما أبو عوانة، فهو الحافظ عثمان بن أبي شيبة العبسي، وكان أكبر من أخيه. صنف:

١ ــ المسند؛

٢ ــ والتفسير.

(مات) سنة تسع وثلاثين ومائتين.

وأما الحاكم فقد مر آنفاً.

وإذا أطلق السنن، يراد بها سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والقزويني، وقد عرفت هؤلاء.

وأما السنن لغير هؤلاء يذكر مقيداً. (كالسنن للدارقطني)، و (السنن الكبير للبيهقي)، وقد عرفتها.

وإذا أطلق المسانيد، يراد بها (مسند) الإمام أحمد بن حنبل، وستعرفه في الفقهاء، و (مسند) أبي يعلى الموصلي، و (مسند) الدارمي، و (مسند) البزار.

وإذا أطلق المعاجم، يراد بها (المعجم الكبير) للطبراني، و (المعجم الأوسط) له، و (المعجم الصغير) له أيضاً.

أما أبو يعلى، فهو محدث الموصل أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الحافظ، صاحب السنن. (توفي) سنة سبع وثلاثمائة، وله سبع وتسعون سنة.

وأما الدارمي، فهو الإمام أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ، عالم سمرقند، صاحب المسند. (توفي) سنة خمس وخمسين ومائتين.

وأما البزار، فهو أبو بكر أحمد بن عمرو البصري البزار، حافظ الوقت، صاحب (المسند الكبير). (مات) بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

وأما الطبراني، فهو أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ، مسند الدنيا بأصفهان. توفي سنة ستين وثلاثمائة، وله مائة سنة وشهران.

إذا عرفت هؤلاء الشيوخ المحدثين المتقدمين،فلنرجع الى المحدثين منهم وليس الري عن التشاف.

منهم أبو سليمان، أحمد بن محمد الخطابي البستي، الإمام المشار اليه في عصره، والعلامة فريد دهره في الفقه والحديث والأدب ومعرفة العرب. له التصانيف المشهورة والتأليفات العجيبة مثل:

١ ـــ معالم السنن؛

٢ ـــ وأعلام السنن؛

٣ ـــ وغريب الحديث، وغير ذلك.

ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي، الواعظ ببغداد، صاحب التصانيف المشهورة. (ولد) سنة عشر وخمسمائة، و (مات) سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وقد مر نبذ من مناقبه (في ذكر التواريخ).

ومنهم: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، أمام أهل زمانه. كان عالماً فاضلاً متورعاً فقيهاً محدثاً ثبتاً حجة. له مصنفات كثيرة مشهورة، وتأليفات عجيبة مفيدة في الفقه، مثل (الروضة)، وفي الحديث مثل (رياض الصالحين)، و (الأذكار في دعوات الليل والنهار)، وفي شرحه مثل (شرح مسلم)، وغير ذلك من معرفة الحديث واللغة.

سمع من المشايخ الكبار، ومنه خلق كثير، وأجاز رواية شرح مسلم والأذكار لجميع المسلمين. وكان من أهل نوى، قرية من أعمال دمشق، ونشأ بها، وحفظ الختمة، وقدم دمشق في خمسين وستمائة، وله تسع عشرة سنة، فتفقه وبرع. وكان خشن العيش، قانعاً بالقوت، تاركاً للشهوات، صاحب عبادة وخوف. وكان قوالاً بالحق، صغير العمامة، كبير الشأن. وكان كثير السهر مكباً على العلم والعمل. (مات) في رجب سنة ست وسبعين وستمائة، وقبره يزار بنوى. عاش خمساً وأربعين سنة.

ومنهم: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المشهور بابن الأثير، صاحب كتاب:

١ ــ جامع الأصول؛

٢ ــ ومناقب الأخيار،

٣ ــ والنهاية.

كان عالماً محدثاً لغوياً، روى عن خلق من الأئمة الكبار. كان بالجزيرة، وانتقل الى الموصل سنة خمس وستين وخمسمائة، ولم يزل بها الى أن قدم بغداد حاجاً. وعاد الى الموصل، ومات بها يوم الخمس سلخ ذى الحجة، سنة ست وستمائة. وقد مر نبذ من مناقبه ومناقب أخويه.

ومنهم: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب:

١ ــ المصابيح؛

٢ ــ وشرح السنة؛

٣ ــ وكتاب التهذيب. في الفقه؛

٤ ــ ومعالم التنزيل في التفسير.

له من التصانيف الحسان. كان إماماً في الفقه والحديث، وكان متورعاً ثبتاً حجة، صحيح العقيدة في الدين. (مات) بعد المائة الخامسة في سنة ست عشرة وخمسمائة. وقد مر نبذ من مناقبه.

ومنهم: تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردري الشهرزوري، الشيخ العلامة ابن الصلاح. (ولد) سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وهو أحد أئمة المسلمين علماً وديناً. سمع الحديث ببلاد كثيرة من المحدثين. وتفقه عليه خلائق، وكان إماماً كبيراً فقيهاً محدثاً زاهداً ورعاً مفيداً. استوطن دمشق، وتولى عدة مدارس بها. كان ماهراً في الحديث والتفسير والفقه ومشاركاً في فنون عديدة.

وذكر أن ابن الصلاح قال: ما فعلت صغيرة في عمري قط. وهذا فضل

من الله عظيم. (توفي) سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وازدحم الخلق على صلاته، فصلى أولاً بالجامع، وصلى أيضاً ثانياً، فدفنوه بقرب مقابر الصوفية. وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار و يتبرك به. قيل: والدعاء عنده مستجاب.

ومنهم: الصاغاني، صاحب المشارق، وقد مر ذكره في علم اللغة.

ومنهم: شمس الدين الكرماني، شارح البخاري، وكذا العيني شارحه، (وكذا ابن حجر شارحه) الى غير ذلك. وقد مر هؤلاء.

أما الكرماني، فهو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني، ثم البغدادي، شمس الدين، صاحب (شرح البخاري)، الإمام العلامة في الفقه والحديث والتفسير والأصلين والمعاني العربية. (ولد) يوم الخميس سادس عشر جمادي الآخرة، سنة سبع عشرة وسبعمائة، و (توفي) بكرة يوم الخميس سادس عشر المحرم، سنة ست وثمانين وسبعمائة. وقد مر نبذ من مناقبه في علم المعاني.

ومنهم: الشيخ أكمل الدين، شارح (المشارق)، وستعرفه؛ والشيخ ابن الملك، شارح (المشارق)، الى غير ذلك.

ومنهم: النوربشتي، شارح (المصابيح). هو رجل محدث فقيه من أهل شيراز، شرح مصابيح البغوي شرحاً حسناً، وروى صحيح البخاري عن عبد الوهاب بن صالح بن محمد بن المعزم، إمام الجامع العتيق، عن الحافظ أبي جعفر محمد بن علي، أنا أبو الخير محمد بن موسى الصفار أنا أبو الهيثم الكشميهني، أنا الفربري. قال ابن السبكي: وأظن هذا الشيخ (مات) في حدود الستين وستمائة، وواقعة التتار، أوجبت عدم المعرفة بكماله.

ومنهم القاضي عياض، صنف (كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى) (صلى الله عليه وسلم)، وهو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه. هو أحد أركان الاسلام، وهو عالم المغرب، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن

عياض السبتي اليحصبي. كان ثقة ورعاً زاهداً عابداً متصلباً في الدين، قوي العقيدة، بعيداً عن البدع. (مات) سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وله ثمان وستون سنة. وسمعت من المشايخ أن الاشتغال بكتابه (الشفاء) في أيام الوباء نافع مفيد، رضي الله عنه.

واعلم أن هذا الذي ذكرناه، تبصرة لك، لتعرف لا أقل من هذا العلم، أسامي الأئمة والكتب، فان علماء عصرنا، ومحدثي زماننا، لا يعرفون من هذا العلم الا الاسم، ولا يعرفون من أصحابه الا الرسم، وكان عصر مشايخ الحديث خلاصة الأعصار، ودهرهم سلالة الدهور، وزينة الأزمان والأدوار، ثم انتقص هذا العلم قليلاً قليلاً، وصار رجاله في المعرفة عليلاً. ولا تزال العلوم تنمو وتزيد الى أن تصل الى منتهاها، وتبلغ الى مراتب هي أقصاها، ثم تعود كما بدأت. وستبصر صدق هذا المقال غداً. واليه أشار الحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام: «بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ». ألا ترى أن غاية علم الحديث، أنتهت الى البخاري ومسلم ومن كان تلوهما، ثم تنزل وتقاصر الى زماننا هذا، وسيزداد تقاصراً، والهمم فتوراً، إن دام اشتغال الناس قصوراً. والله يقبض و يبسط ما يشاء، و يفعل ما قضاه، ويحكم ما يريد، وهو الحكيم المجيد.

الشعبة الخامسة

من العلوم الشرعية

علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام

وهو علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية، بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها.

وموضوعه: ذات الله سبحانه وتعالى، وصفاته عند المتقدمين. وقيل: موضوعه الموجود من حيث هو موجود. وإنما يمتاز عن العلم الالهي الباحث عن أحوال الموجود المطلق، باعتبار الغاية، لأن الباحث في الكلام على قواعد الشرع، وفي الالهي على مقتضى العقول.

وعند المتأخرين، موضوع الكلام: المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقاً قريباً أو بعيداً. وأرادوا بالدينية المنسوبة الى دين نبينا محمد صلوات الله عليه وسلامه، وذلك بأن يسلم المدعي منه، ثم يقام عليه البرهان العقلي، وهذا التسليم، هو معنى التدين اللائق بحال المكلفين، حتى لو لم يؤخذ منه، لا يعد كلاماً ولا علماً دينياً، وإن وافقه في الحقيقة، لفوات أمر التدين، بل يعد من العلوم الحكمية. وبالجملة يشترط في الكلام، أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل، وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة، ولو فات أحد هذين الشرطين لا يسمى كلاماً أصلاً.

ولما لم يلزم من قصد موافقة الشرع، الموافقة في نفس الأمر، عد بعضهم كلام أهل الاعتزال من الكلام، وإن لم يوافق الكتاب والسنة. فظهر من هذا

التفصيل، أن الكلام من العلوم الشرعية، لكن إن كانت على طريقة الكتاب والسنة، وأن هناك كلاماً مموهاً يشبه الكلام، وليس بذاك، ككلام أهل الاعتزال وأمثاله، فذلك علم شرعي باعتبار مسائله، وعلم غير شرعي باعتبار دلائله.

ومنفعة علم الكلام: الفوز بالسعادة الأبدية، والسيادة السرمدية.

ومبادئه، العلوم الشرعية بأسرها، وكذا الصناعات المنطقية. وجعل بعضهم المنطق داخلاً فيه، لئلا يحتاج أعلى العلوم الشرعية الى علم غير شرعي، ولا حجر فيه، لأن أمر التدوين استحساني، ولكل أحد أن يعمل بما استحسنه طبعه، ومن قال: المنطق علم غير شرعي، إن أراد بذلك ما يخالف الشرع، فهذا من عدم الوقوف على المسائل المنطقية، وإن أراد أنه غير مأخوذ من الشرع صورة، فليس كذلك، إذ كم من أقيسة برهانية واردة في الشرع، وإن أراد أنه مما وضعته الفلاسفة مادة، فليس في ذلك نقص بعد، إن لم يخالف الشرع؛ مثلا علم الحساب الذي وضعته الفلاسفة، له مدخل عظيم في كثير من الأمور الشرعية، ولم يقدح فيه أحد من علماء الشريعة.

ثم ان المعتبر في علم الكلام اثبات ما ورد في العقل بالشرع فقط، إذا توقف الشرع على تلك المسألة، أو بالعقل والشرع معاً، إذا لم يكن كذلك. وأما إثبات ما لم يرد في الشرع أصلاً، فأما أن يخالف الشرع، فايراده في كتب الكلام ليس إلا لرده، وأما أن لا يخالفه، فايراده في كتب الكلام، إن وقع، فاستطرادي أورد لتتميم الصناعة إن وقع من مبادئه، وإلا فلا يورد فيه أصلاً.

ثم أعلم أن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان، أحدهما حنفي، والآخر شافعي.

أما الحنفي، فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى، له:

١ ــ كتاب التوحيد؛
٢ ــ وكتاب المقالات؛
٣ ــ وكتاب تأويلات القرآن.

وله كتب في الرد على المعتزلة والقرامطة والروافض، وله:

٤ ــ كتاب مأخذ الشرائع، في أصول الفقه؛

٥ ــ وكتاب الجدل في أصول الفقه.

(مات) بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وتخرج بأبي نصر العياضي.

وأما الآخر الشافعي، فهو شيخ السنة، ورئيس الجماعة، إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، **أبو الحسن الأشعري البصري،** إمام حبر، وتقي بر، منقي الصدور من الشبه، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، والمرتقي بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفتري، الذي قام في نصرة ملة الاسلام، فنصرها نصراً مؤزراً.

(ولد) سنة ستين ومائتين، وتبع أولاً مذهب الجبائي، واستمر على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً. فلما أراد الله نصر دينه، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثلاث مرات، وكل ذلك يقول: أنصر المذاهب المروية عني فانها الحق، واعتذر في الثالثة بأني كيف أدع مذهباً تصورت مسائله، وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة، فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. لولا أني أعلم أن الله يمدك بمدد من عنده لما أمرتك به. ثم استيقظ وقال: فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وأخذ في نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة وغير ذلك، فأمده الله تعالى بمدد من عنده، وكان يفتح عليه من المباحث والبراهين، ما لم يسمعه من شيخ قط، ولا اعترف به خصم، ولا رآه في كتاب. فغاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، ثم خرج الى الجامع، وصعد المنبر، وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأني نظرت، فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى، فهداني الى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب

كان عليه ورمى به. ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة الى الناس.

وكانت المعتزلة قبل ذلك قد رفعوا رؤوسهم، فجرهم الأشعري، حتى دخلوا في أقماع السمسم. والصحيح أن وفاة الشيخ الأشعري، بين العشرين والثلاثين، والأقرب أنها سنة أربع وعشرين، ويقال سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة.

واعلم أن السلف من الفقهاء والمجتهدين، قد ينقل عنهم التكير في حق علم الكلام، حتى أن كثيراً من فقهاء عصرنا، أنكروا على المشتغلين بعلم الكلام أشد الانكار، متمسكاً بما ورد في ذلك عن العلماء الأخيار، حتى انزعج منه المحصلون، وشوشوا اعتقادهم في حق علم الكلام، فوجب علينا الكلام في الكلام، ليتميز كلام أهل السنة عن كلام العوام، وبيان ما وقع من الفتاوى من الأحكام، ودفع ما سبقت اليه الافهام من الأوهام، وبالله التوفيق والاعلام **فلننقل أولاً ما ورد عن المجتهدين من النقول، ثم نورد ما قيل ونقول.**

قال قاضي خان في (فتاواه)، في كتاب الحظر الاباحة: تعلم الكلام والنظر فيه. والناظرة به وراء قدر الحاجة منهي عنه، لما ورد عن حماد بن أبي حنيفة رحمه الله، أنه كان يتكلم في الكلام، فنهاه أبوه عن ذلك، فقال له حماد: رأيتك وأنت تتكلم، فما بالك تنهاني، فقال: يا بني كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون، كل واحد يريد أن يزل صاحبه، ومن أراد أن يزل صاحبه، فكأنه أراد أن يكفر، ومن أراد أن يكفر صاحبه، فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه.

روى يحيى بن شيبان عن أبي حنيفة (رحمه الله)، أنه قال. كنتُ رجلاً أعطيت جدلاً في الكلام، فمضى وهو فيه أتردد، وبه أخاصم، وعنه أناضل، وكان أكثر أصحاب الخصومات بالبصرة، فدخلتها نيفاً وعشرين مرة، أقيم سنة وأقل وأكثر، وكنت قد نازعت طبقات الخوارج من الأباضية وغيرهم،

وطبقات المعتزلة، وسائر طبقات أهل الأهواء، وكنت بحمد الله أغلبهم وأقهرهم. ولم يكن في طبقات أهل الأهواء (أحد) أجدل من المعتزلة، لأن ظاهر كلامهم مموه تقبله القلوب، وكنت أزيل تموبهم بمبدأ الكلام. وأما الروافض وأهل الارجاء الذين يخالفون الحق، فكانوا بالكوفة، أكثر، وكنت قهرتهم بحمد الله أيضاً. وكنت أعد الكلام أفضل العلوم وأرفعها، فراجعت نفسي بعدما مضى فيه عمر، وتدبرت، فقلت أن المتقدمين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتابعين وأتباعهم، لم يكن يفوتهم شيء مما ندركه نحن، وكانوا عليه أقدر، وبه أعرف، وأعلم بحقائق الأمور، ثم لم يتهيأوا فيه متنازعين ولا مجادلين، ولم يخوضوا فيه، بل أمسكوا عن ذلك، ونهوا أشد النهي، ورأيت خوضهم في الشرائع وأبواب الفقه وكلامهم فيها، وعليها تجالسوا، واليها دعوا، وكانوا يطلبون الكلام والمنازعة فيها، و يتناظرون عليها، وعلى ذلك مضى الصدر الأول من التابعين وتبعهم، فلما ظهر لنا من أمورهم ذلك، تركنا المنازعة والخوض في الكلام، ورجعنا الى ما كان عليه السلف، وشرعنا فيما شرعوا، وجالسنا أهل المعرفة بذلك، مع أني رأيت ممن تنحل الكلام وتجادل فيه، قوماً ليس سيماهم سيماء المتقدمين، ولا منهاجهم منهاج الصالحين، رأيتهم قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح، فهجرتهم ولله الحمد. كذا ذكر الإمام ظهير الدين المرغيناني في مناقب الإمام الأعظم، ذكره في (كشف البزدوي).

وأما إنكار الإمام أبي يوسف، فقد ذكر في (فتاوى قاضي خان)، في فصل الاقتداء. وعن أبي يوسف رحمه الله: لا ينبغي للقوم أن يؤمهم صاحب خصومة في الدين، وإن صلى رجل خلفه جاز. قال الفقيه أبو جعفر: يجوز أن يكون مراد أبي يوسف، الذين يناظرون في دقائق علم الكلام. وعن أبي يوسف رحمه الله: من طلب الدين بالخصومات فقد تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء فقد أفلس، ومن طلب غريب الحديث فقد كذب. ذكر في (الخلاصة) و (مجمع الفتاوى)، أنه أراد به كلام الفلاسفة، وكلام الخصومة.

فأما المناظرة على وجه الاظهار للحق، على ما قال عز وجل: ﴿ وجادلهم

بالتي هي أحسن﴾[1]، فلا كراهة فيها، بل هي المأمور بها. و يؤيده ما ورد في (التترخانية) في كراهية جماعة، الاشتغال بعلم الكلام. قال: وتأويله عندنا أنه كره المناظرة والمجادلة، لأنها تؤدي الى اثارة الفتن والبدع وتشويش العقائد، أو يكون الناظر فيه قليل الفهم، أو طالباً للغلبة لا للحق.

وأما معرفة الله تعالى، وتوحيده، ومعرفة النبوة، والذي ينظر فيه من العقائد؛ فلا يمنع عنها، وكان من فروض الكفاية. وقال في (فتاوى قاضي خان) عن أبي يوسف رحمه الله أيضاً، أنه دخل على هارون وعنده اثنان يتناظران في الكلام، فقال هارون لأبي يوسف: احكم بينهما، فقال أبو يوسف: إني لا أخوض فيما لا يعني، فقال الخليفة: أحسنت، وأمر له بمائة ألف درهم، وأمر أن يكتب في الديوان اسمه، أن أبا يوسف أخذ مائة ألف درهم بتركه ما لا يعني، ذكره في (خلاصة النوازل).

وقال في (غياث المفتي): رأيت بخط شمس الأئمة الحلواني، عن أبي يوسف رحمه الله أنه لا تجوز الصلاة خلف المتكلم، وإن تكلم بحق، فهو مبتدع، ولا تجوز الصلاة خلف المبتدع. فعرضت هذه الرواية على أستاذي، قال: تأويله أن لا يكون غرضه اظهار الحق. قال رحمه الله: ما قاله أستاذنا، ما رأيت في تلخيص الإمام الزاهد ابراهيم بن اسماعيل الصفار: كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يكره الجدال على سبيل البحث، لا على سبيل الحق، حتى روى عن أبي يوسف رحمه الله، قال: كنا جلوساً عند أبي حنيفة، إذ دخل جماعة في أيديهم رجلان، فقالوا: إن أحد هذين يقول: القرآن مخلوق، وهذا ينازعه و يقول: إنه غير مخلوق، فقال أبو حنيفة: لا تصلوا خلفهما، فقلت: أما الأول فنعم، فانه لا يقول بقدم القرآن، وأما الآخر فما باله لا نصلي خلفه، قال أبو حنيفة: إنهما تنازعا في الدين، والمنازعة في الدين بدعة.

وأما الإمام مالك، فقد قال: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء، قال بعض أصحابه: أراد بأهل الأهواء أهل الكلام، على أي مذهب كانوا.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

وأما الإمام الشافعي، فقد روي عنه أنه قال: لو يعلم الناس ما في علم الكلام من الأهواء، لفروا منه فرارهم من الأسد.

قال ابن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا القرد، وكان من متكلمي المعتزلة، يقول: لأن يلقى الله تعالى عبد بكل ذنب، ما خلا الشرك، خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام. وقال أيضاً مغضباً لما سئل عن شيء من الكلام: سل عن هذا حفصاً القرد وأصحابه أخزاهم الله. قيل: لما مرض الشافعي رحمه الله، دخل عليه حفص القرد، فقال له: من أنا، قال: أنت حفص القرد، لا حفظك الله ولا رعاك، حتى تتوب مما أنت فيه. وقال أيضاً: حكمي في أهل الكلام، أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك السنة، وأخذ في الكلام. وقال أيضاً: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غيره، فاشهد أنه من أهل الكلام، ولا دين له. وقال أيضاً: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يلقى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك، خير له من أن ينظر في الكلام.

وأما الإمام أحمد رحمه الله، فقد قال: لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا ترى أحداً ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض. وبالغ في ذمه، حتى هجر الحارث المحاسبي، مع زهده وورعه، لتصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك، ألست تحكي بدعتهم أولاً وترد عليهم، ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالب كلام أهل البدعة والتفكر فيه، فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث، وقال أحمد أيضاً: علماء الكلام زنادقة.

إذا عرفت هذه النقول المروية عن العلماء المجتهدين، رضوان الله عليهم أجمعين، فاعلم أن الحق في هذا المقام، يتوقف على تعيين مباحث علم الكلام، ومعرفة ما يدور عليها من الأحكام. وقد عرفت أن علم الكلام باحث عن ذات الله تعالى وصفاته والنبوة والمعاد على قانون الاسلام، ولا يخفى أن هذه المسائل أصل العلوم الشرعية وأسها، ومبنى العلوم الدينية

وأساسها، بل هي تفصيل الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على وجه الايقان والاتقان، بل هذه هي المرادة بالايمان في حديث جبريل عليه السلام، حين سأل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان، على ما بيناه في صدر الرسالة.

ولا يخفى أن معرفة هذه المباحث على وجه الاجمال، فرض عين على كل مسلم، وعلى وجه التفصيل من فروض الكفاية، أو فرض عين، على الاختلاف في ذلك بين الحنفية والشافعية، فانه فرض كفاية عند الحنفية، وفرض عين عند الشافعية، فلا يجترىء أحد من المسلمين على منعه وتحريمه فضلاً عن العلماء المجتهدين، والفضلاء المتورعين، وإنما يتداخله الحرمة والكراهة، لأحد أمور ثلاثة: بأما من جهة ادخال مسائل لا توافق الكتاب والسنة، كخلط مباحث الفلسفة المخالفة للكتاب والسنة؛ وأما من جهة إثبات مسائله، لا على وجه يوافق الكتاب والسنة، بل يجري على وفق العصبية والهوى، ككلام المعتزلة والمرجئة والروافض وأمثالهم؛ وأما من جهة أن علم الكلام له قوة قاهرة، وقدرة باهرة في دفع الخصوم، وقمع الأعداء، فلعله يداخل صاحبه العجب والهوى، من حيث لا يشعر، ولهذا يشترط أن لا يعلم العالم علم الكلام، الا بعد تزكية أخلاق المتعلم، واخلائه عن الهوى والبدعة، واشراب قلبه عقائد واردة في الكتاب والسنة تقليداً ثم يثبتها ببراهين واردة في علم الكلام.

فهذه آفات ثلاث، الأوليان منها خاصتان بعلم الكلام، والثالثة عامة له ولغيره، نجانا الله تعالى عن الآفات القادحة في الاعتقاد والقول والعمل، وتجاوز عنا وعنكم الخطأ والخطل، إنه الكريم المنان، والرحيم المستعان.

ولا يخفى أن الكلام المؤوف بالآفة الأولى، لا يكون كلاماً أصلاً، لما عرفت في تعريف علم الكلام أن العقائد لا بد وأن تؤخذ من الكتاب والسنة، فتسميته كلاماً نزاع لفظي، فلا مغمز في كلامنا بتحريمه والمنع عنه.

وأما الكلام المؤوف بالآفة الثانية، وإن كان داخلاً في الكلام، لكنه كلام مموه مذموم كما عرفت فيما سبق، فالطعن فيه والانكار، لا يضر كلامنا قطعاً.

وأما الكلام المؤوف بالآفة الثالثة، وإن كان مذموماً، لكن لا يختص بالكلام، فذمه بها من بين غيره من العلوم، لا يعرى عن العدول عن الانصاف وأيضاً هذا الذم ان كان، فانما يكون في الباحث عنه لا في العلم نفسه، إذ كم من عالم بالكلام، عار عن الهوى والعصبية، وكم من عالم بغيره من العلوم، متصف بهما، فأخذ الكلام بذلك، أخذ الجار بذنب الجار، وكأن لسان حال الكلام يقول في مقابلة هذا الملام:

غيرجنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم

هذا ولعل ما وقع من الانكار من العلماء الأبرار، كان على الآفتين الأولين، لا على علم الكلام نفسه، وكيف لا، وعلماء الكلام قد شرطوا في الكلام الخلو عنهما.

وأما الآفة الثالثة، فلا اختصاص لها بالكلام أصلاً، فقد اتضح لديك أن نهى أبي حنيفة رحمه الله ابنه عن الكلام، كان لأجل الآفة الثانية، لأنه جعل سبب الحرمة الجدال واتباع الهوى، وكذا ما حكاه عن نفسه من المنازعة، فانما وقعت له مع الاعتزال والارجاء وأمثالهما، فالمذموم كلام أهل العصبية والهوى. وأما كفه نفسه آخراً عن الجدال معهم، مع أن الجدال بالتي هي أحسن مأمور به في الشرع فلافضائه الى الاشتغال به وراء قدر الحاجة، وذلك منهي عنه، لأن قدر الحاجة منه تأييد الكتاب والسنة بالأدلة العقلية، وليس وراءه الا المباحث الفلسفية، لأن علم الكلام يتاخم علم الحكمة ويجاوره، فربما يتجاوز الطالب بالافراط فيه الى المباحث الحكمية وهذه منهي عنها، لكن إن بحث عنها على وجه التسليم والقبول، (وأما البحث عنها لكونها مبادىء علم الكلام، أو لأجل ردها، فذلك منهي عنه، كما عرفت فيما سبق).

وأما قول أبي حنيفة: مع أني رأيت من تنحل بالكلام، وتجادل فيه، ليس سيماؤهم سيماء المتقدمين، ولا منهاجهم منهاج الصالحين، رأيتهم قاسية قلوبهم، غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسنة؛ يدل دلالة صريحة على أنه أراد بالكلام المذموم كلام أهل الاعتزال الشائع في زمانه، وأما الكلام الذي

ظهر في العصر الأخير، بالمساعي الجميلة من جهة أبي الحسن الأشعري فكل الغرض فيه موافقة الكتاب والسنة واقتداء أهل السنة والجماعة، فكيف يسوغ القول بحرمته أو كراهته والحالة هذه.

على أن أبا حنيفة رحمه الله نفسه، تكلم في علم الكلام، مثل: (كتاب الفقه الأكبر)، و (كتاب العالم والمتعلم)، إذ صرح فيهما بأكثر مباحث علم الكلام، وما قيل أنهما ليسا له، بل لأبي حنيفة البخاري، فمن اختراعات المعتزلة، زعما منهم أن أبا حنيفة على مذهبهم. وقد ذكر العلامة حافظ الدين البزازي في كتابه في مناقب أبي حنيفة: أني رأيت بخط العلامة مولانا شمس الدين الكروري البراتقيني العمادي هذين الكتابين، وكتب فيهما أنهما لأبي حنيفة. وقد تواطأ أيضاً على ذلك جماعة كثيرة من المشايخ، مثل فخر الاسلام البردو ي، ذكرهما في أصوله؛ ومثل الشيخ عبد العزيز البخاري، ذكرهما في (شرح أصول فخر الاسلام). ثم قال حافظ الدين البزازي: والحاصل أن الامام بين العلماء كابراهيم بين الأنبياء عليهم السلام، لأن كل ملة تدعي أن الخليل كان على ذلك الدين. قال الله تعالى: ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾[1]، كذلك ما كان الامام معتزلياً ولا قدرياً، وانما كان سنياً حنيفياً، ومتبعوه كانوا حنيفيين. هذا كلامه.

وأما ما روي عن أبي يوسف: من طلب الدين بالخصومات فقد تزندق، فقد أراد به الآفة الأولى، كما فسره بذلك في (الخلاصة) و (مجمع الفتاوى)، حيث قال: أراد به كلام الفلاسفة. وأيضاً ما صدر عنه في مجلس هارون، أما كلام الفلاسفة أو كلام أهل الاعتزال، لا كلام أهل السنة والجماعة، لما ستعرفه من أن أهل عصره، كانوا على مذهب الاعتزال. وأما ما ذكر في (غياث المفتي)، من أن المتكلم بحق فهو مبتدع، فقد أولوه بأن لا يكون غرضه اظهار الحق.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٧.

وحاصله أن الكلام وان سلم عن الآفتين الأوليين، لكنه إذا لم يسلم عن الآفة الثالثة، يكون مبتدعاً أيضاً. وكذا ما روى أبو يوسف عن أبي حنيفة رحمه الله، أن المنازعة في الدين بدعة وان تكلم بحق، فقد أراد الحكم بالبدعة لمن له الآفة الثالثة.

وكذا حال ما روي عن الامام مالك. وأما الإمام الشافعي، فقد أراد أيضاً كلام أهل الأهواء، كما أشار اليه في ضمن كلامه، و يؤيده ذكر انكاره حفصاً القرد وهو من أئمة المعتزلة. وأما قوله: لأن يلقى الله عبد بأكبر الكبائر، خير له من أن يلقاه بعلم الكلام، فالظاهر أنه أراد الآفة الأولى، لأن أكبر الكبائر إذا كان خيراً منه، يكون الكلام شركاً، وكلام أهل السنة ليس فيه شرك، بل هو لدفع الشرك وقمعه، فلا يكون مراده الا كلاماً لا يوافق الكتاب والسنة، لا كلام أهل السنة والجماعة. وكذا الحال فيما روي عن الإمام أحمد.

وبالجملة فالكلام موضوع لاثبات الواجب لله تعالى وصفاته والنبوة والمعاد على قانون الاسلام، وغير ذلك من المباحث العقلية، والقوانين المنطقية، التي هي مبادىء لذلك.

ولا يخفى أن المباحث المذكورة، لتقوية الكتاب والسنة، لا لمخالفتهما، فلا حرمة أو كراهة فيهما، بل هي فرض، لأن بعض المباحث المذكورة فرض عين، كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبعض آخر منها فرض على الكفاية كالمباحث الأخر، وأيضاً فيه حراسة العقيدة على العوام، وحفظها عن تشويشات المبتدعة، وهذه من فروض الكفايات، كالقيام بحراسة الأموال، وسائر الحقوق؛ كالقضاء والولاية وغيرهما، وليس في مجرد الطباع كفاية تحل شبه البدعة، ما لم تتعلم، فينبغي أن يكون التدريس فيه من فروض الكفايات، لكن ليس من الصواب تدريسه على العوام كتدريس الفقه والتفسير، فان الكلام مثل الدواء، والفقه والتفسير مثل الغذاء، وضرر الغذاء لا يحذر، وضرر الدواء محذور.

وإذا عرفت حال علم الكلام، فلا بد أن يكون المذموم عند الأئمة غيره؛

وذلك إما الفلسفة التي اشتبهت بالكلام؛ أو كلام أهل الاعتزال؛ أو كلام يداخل صاحبه العجب والهوى.

والأول حرام إن خالف الكتاب والسنة، وبدعة إن لم يخالفهما ولم يوافقهما أيضاً، اللهم إلا أن يجعل مبادىء لعلم الكلام.

والثاني بدعة وحرام لمخالفة الكتاب والسنة.

والثالث، أعني الكلام المقارن بالجدال، الباعث على العصبية والهوى، حرام أيضاً، إلا الجدال بالتي هي أحسن، كما عرفت.

ولا يخفى أن إنكار السلف، لا ينبغي أن يكون على كلام الأشاعرة والماتريدية، بل على كلام الفلاسفة وأهل الاعتزال، وعلى كلام أهل الجدال بالباطل، إذ الكلام الشائع في زمان الأئمة المجتهدين، هو كلام أهل الاعتزال والارجاء وأمثالها. وأما كلام أهل السنة والجماعة، فقد حدث بعد انقراضهم بزمان كثير.

وتفصيل ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، على عقيدة واحدة، لأنهم أدركوا زمان الوحي، وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام، وهكذا الى زمن انقراض الصحابة رضي الله عنهم.

ولما مضى العلماء الذين يرجعون اليهم في المضايق، ترأس الناس كلهم لائقاً وغير لائق، وأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

ولما صار حدود المائة من الهجرة، وانقضى الصدر الأول من الصحابة ظهر بين الناس الجدال والمراء والعصبية والهوى، وظهر تشويش عقائد المسلمين، وخرم نظام الدين، وتشعب مسالك الاسلام، واشتبه الصحة بالسقام، حتى أن رجلاً قال لابن عمر، رضي الله عنهما: ظهر في زماننا رجال يزنون، ويسرقون، ويشربون الخمر، ويقتلون النفس التي حرم الله، ثم يحتجون علينا، ويقولون: كان ذلك في علم الله، فغضب ابن عمر، وقال: سبحان الله كان ذلك في علم الله، ولم يكن علمه يحملهم على المعاصي.

وأيضاً، وأتى عطاء بن يسار ومعبد الجهني، الحسن البصري، وقالا يا أبا سعيد، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين، و يأخذون أموالهم، و يقولون: إنما تجرى أعمالنا على قدر الله تعالى. وقالت جماعة أخرى: وظهر أيضاً طائفة يكفرون مرتكب الكبيرة، وطائفة أخرى يقولون: لا يضر مع الإيمان كبيرة، وسأل رجل منهم الحسن عن حال هاتين الطائفتين، فقبل أن تكلم الحسن، قال واصل بن عطاء: أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأثبت منزلة بين المنزلتين، وأصر على ذلك، حتى طرده الحسن عن مجلسه، فاعتزل عنه، وجلس اليه عمرو بن عبيد، فسموا المعتزلة.

يقال أن الذي سماهم بهذا قتادة بن دعامة السدوسي. وهو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه، كان تابعياً وعالماً كبيراً. وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة، فاذا بعمرو بن عبيد ونفر معه، فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري، فلما عرف أنها ليست هي، فقال: إنما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم. فمذ يومئذ سموا المعتزلة. (ولد) سنة ستين، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة، وقيل سنة ثمان عشرة ومائة.

وهكذا كان الخلاف يتدرج و يقوى شيئاً فشيئاً الى آخر أيام الصحابة، حتى ظهر معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، و واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، و يونس الأسواري، وخالفوا في القدر، واسناد جميع الأمور الى تقدير الله تعالى، وهلم جرا، الى أن ظهرت قواعد الاعتزال، ونشأت مذاهب الضلال، حتى تفرق أهل الاسلام الى ثلاث وسبعين فرقة.

وهكذا تشعبت المذاهب وظهرت الأهواء لا سيما مذهب الاعتزال، لأنه مذهب مبني على الظواهر والأوهام، فتميل اليه طباع العوام. وما بقي من سلم من هذه المذاهب الباطلة الا شرذمة قليلة من خواص العلماء والسلف الصالحين، ممن عصمهم الله عن الزيغ والطغيان، وأولئك من حزب طائفة لا يزالون ظاهرين على الحق الى يوم القيامة.

وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع، إنما ظهر من واصل بن عطاء.

أخذ الاعتزال عن الإمام أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب. قيل: كان أول من أحدث مذهب الاعتزال واخترعه، كان الإمام أبو هاشم المذكور، وأخوه الإمام الحسن بن محمد بن الحنفية، قال برهان الدين الحلبي: في (شرح شفاء قاضي عياض): أن هذا الرجل، وهو الحسن بن محمد ابن الحنفية، كان أول المرجئة، وله فيه تصنيف.

لكن ظهر واشتهر من واصل بن عطاء، أبي حذيفة المعتزلي، المعروف بالغزال، مولى بني ضبة أو بني مخزوم. ولم يكن غزالاً، بل كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء، فيجعل صدقته لهن. وكان ألثغ بالراء قبيح اللثغة، وكان يجعلها غيناً. إلا أنه كان يسقط الراء عن كلامه، مع طول خطبه وكثرتها، حتى لم يشعر بها كثير من الناس، وذلك من غاية فصاحته وقدرته على الكلام، حتى قيل فيه:

نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وأكثر من هذا المعنى الشعراء في أشعارهم.

ثم إن واصلاً جالس الحسن البصري، بعد الإمام أبي هاشم المذكور، يأخذ منه الفقه. ثم ترك مجلس الحسن البصري، وجلس اليه عمرو بن عبيد، وانتحلوا بنحلة أخرى، فسموا المعتزلة كما مر.

ولد واصل سنة ثمانين، وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة، وهو ومعبد الجهني كانا مبدأ مذهب الاعتزال.

وأما الحسن البصري، فهو من سادات التابعين وكبرائهم. وهو الحسن بن أبي الحسن يسار. وأبوه يسار، كان مولى زيد بن ثابت الأنصاري. واسم أمه خيرة، وهي مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

قيل: ولد الحسن على الرق، وكانت أمه خيرة ربما غابت، فيبكي الحسن، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به الى أن تجيء أمه، فدر عليه ثديها، فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك اللبن، ومن دخول ثدي مبارك

مس بشرة النبي صلى الله عليه وسلم فمه. وكان يشبه برؤية ابن العجاج في عربية وفصاحة ولهجة.

قيل: وكان تكلم في شيء من القدر فرجع عنه، ثم أنكر عليه أشد الانكار. جمع العلم الى الزهد والورع والعبادة. وكان من أجمل أهل البصرة حين سقط عن دابته، فحدث بأنفه ما حدث. وقيل: ما رأيت أعرض زنداً من الحسن، كان عرضه شبراً.

(ولد) لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و (توفي) بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة. ومات محمد بن سيرين بعده بمائة يوم، ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما. وكان واصل بن عطاء من تلامذته، وقد تقدم سبب اعتزاله عن مجلسه. ومن جملة تلامذته معبد الجهني. وصار هو رئيس أهل الاعتزال بعد الحسن، وصار إمام المعتزلة بعد واصل.

ومنهم أبو عثمان عمرو بن عبيد المتكلم المعتزلي الزاهد المشهور، وكان آدم مربوعاً، بين عينيه أثر السجود. أخذ علم الأصول أولاً عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، ثم آخراً عن واصل. وأخذ الفقه والحديث عن الحسن. وكان عمرو من أعلم الناس بأمر الدين، إلا أن الناس لا يرضون باجتهاده لاعتزاله. وكان إماماً مجتهداً، صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً، وحج أربعين سنة ماشياً، وكان يحيي ليله في ركعة واحدة.

(ولد) سنة ثمانين، وتوفي سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو ثمان وأربعين ومائة. وله:

١ ــ كتاب التفسير، عن الحسن البصري؛
٢ ــ وكتاب الرد على القدرية؛
٣ ــ وكتاب في العدل والتوحيد.

ومن أئمة المعتزلة، أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي، من أصحاب الحسن البصري في الفقه، وله أتباع يقال لهم: الغيلانية. كان قبطياً قدرياً، لم

يتكلم أحد في القدر قبله، ودعا اليه، الا معبد الجهني. قال الأوزاعي: أول من تكلم في القدر معبد الجهني ثم غيلان بعده. وأخذ غيلان هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق. يقال أن ذلك بدعوة عمر بن عبد العزيز. وهؤلاء من مشاهير أئمة المعتزلة.

وهكذا أخذ مذهب الاعتزال خلف عن سلف، الى أن حدث أبو علي الجبائي. وهو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان. وحمران مولى عثمان بن عفان. وأبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة، أخذ علم الكلام عن أبي يوسف، يعقوب بن عبدالله الشحام البصري، رئيس المعتزلة في عصره بالبصرة. (ولد) الجبائي سنة خمس وثلاثين ومائتين، و (توفي) سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأخذ علم الكلام عن الجبائي، شيخ السنة، أبو الحسن الأشعري البصري، مقتدي طريقة أهل السنة والجماعة، إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين المتين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين. وقد مر نبذ من مناقبه فيما سبق. ودام هذا الإمام على مذهب الاعتزال مدة أربعين سنة، ولما أراد الله نصر دينه، ألهمه طريق الحق في رؤياه ثلاث مرات، كما عرفت تفصيله، فقام بنصرة طريقة أهل السنة والجماعة في حدود الثلاثمائة من الهجرة، حتى أنه تناظر مع الجبائي يوماً، وسأله عن ثلاثة أخوة ماتوا، الأكبر منهم مؤمن برتقي؛ والأوسط كافر فاسق شقي؛ والأصغر مات على الصغر ولم يبلغ الحلم، فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات؛ وأما الكافر ففي الدركات، بناء على أن ثواب المطيع وعقاب العاصي، واجبان على الله تعالى عندهم؛ وأما الصغير فمن أهل السلامة لا يثاب ولا يعاقب: فقال الأشعري: أن طلب الصغير درجات أخيه الأكبر في الجنة، قال الجبائي: يقول الله تعالى: الدرجات ثمرة الطاعات؛ قال الأشعري: فان قال الصغير: ليس مني النقص والتقصير، فانك ان أبقيتني الى أن أكبر، لأطعتك ودخلت الجنة، قال الجبائي: يقول الباري تعالى: قد كنت أعلم منك، أنك لو بقيت، لعصيت ودخلت العذاب الأليم في دركات الجحيم، فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً: فقال

الأشعري: أن قال العاصي المقيم في العذاب الأليم، منادياً من بين دركات النار وأطباق الجحيم: يا إله العالمين، و يا أرحم الراحمين، لم راعيت مصلحة أخي دوني، وأنت تعلم أن الأصلح لي أن أموت صغيرا، ولا أصير في السعير أسيرا، فماذا يقول الرب. فبهت الجبائي في الحال، وانقطع عن الجدال.

إذا عرفت هذا التفصيل، فاعلم أن مبدأ شيوع الكلام، كان بأيدي المعتزلة والقدرية، في حدود المائة من الهجرة. وقد ثبت في التواريخ الصحاح، أن إحياء طريقة السنة والجماعة، كان في حدود الثلاثمائة من الهجرة، لأن ظهور الاعتزال، كان من جهة واصل بن عطاء وكان (وفاته) في إحدى وثلاثين ومائة، وولادته في سنة ثمانين، فيصير زمان طلبه العلم، وقدرته على الاجتهاد، في حدود المائة تقريباً. وظهر أيضاً مذهب أهل السنة والجماعة، بالسعي الجميل، والاقدام المشكور، من جهة أبي الحسن الأشعري، في حدود الثلاثمائة، إذ كانت ولادته سنة ستين ومائتين، ودام على الاعتزال أربعين سنة. فيكون علم الكلام بأيدي المعتزلة مائتي سنة، ما بين المائة والثلاثمائة.

وقد صح في كتب التواريخ المعتمد عليها، أن ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين، ووفاته سنة خمسين ومائة، فيكون مدة عمره في زمن شيوع الاعتزال. وكذا مدة عمر أبي يوسف ومحمد رحمهما الله، لأن أبا يوسف رحمه الله، ولد سنة ثلاث عشرة ومائة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة؛ ومحمداً ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة، وتوفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وكذا مولد الإمام مالك سنة أربع أو ثلاث وتسعين، أو سنة تسعين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة، وله أربع وثمانون، أو تسعون سنة.

وكذا مولد الامام الشافعي سنة خمسين ومائة، وقيل: ولد في اليوم الذي توفي فيه أبو حنيفة رحمه الله، وتوفي أخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين.

وكذا الإمام أحمد بن حنبل، ولد سنة أربع وستين ومائة، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين.

فظهر من هذا التفصيل، أن واحداً منهم لم يبلغ زمن ظهور الكلام بأيدي أهل السنة والجماعة، بل مضت مدتهم زمن ظهور الاعتزال. ولعل الله سبحانه وتعالى قدر وجودهم في زمن أرباب الأهواء، لتندفع بنورهم ظلم البدع عن الدين، وتمتاز بحسن شعائرهم أركان الشرع وأساس اليقين، سيما وقد وقع بشر ابن غياث المريسي: وهو الذي جدد القول بخلق القرآن، وكان يقول بالارجاء، من تلامذة أبي يوسف.

وكان مسلم بن خالد، الذي كان من مشايخ الشافعي بمكة، كان من تلامذة غيلان بن مسلم الذي هو رئيس أهل الاعتزال، كما مر. وأيضاً كان حفص القرد، الذي هو من ضلال أهل الاعتزال، مناظراً له، كما ذكرناه. ولا سيما قد جرى على أحمد بن حنبل واقعة عظيمة، في سنة الداهية الدهياء والمصيبة العمياء، من جهة الأمة النكراء. وكان ذلك بسبب القاء أحمد بن دؤاد للمأمون القول بخلق القرآن، وحسنه عنده، وأراه إياه حقاً، حتى تبعه المأمون، وأقاموا فتنة عظيمة سنة ثمان عشرة ومائتين، فأجابه طائفة خوفاً من السيف، منهم يحيى بن معين، وامتنع آخرون، منهم أحمد بن نصر الخزاعي حتى قتلوه، والإمام أحمد بن حنبل حتى ضربوه بالسياط. وستعرف تفاصيل هذه الواقعة إن شاء الله تعالى.

ولو رأت هذه الأئمة أبا الحسن الأشعري، أو سمعوا مقالته، لأنزلوه منزلة أحب أبنائهم، وجعلوا أتباع طريقته أساس إيمانهم، فضلاً عن الانكار، والعدول عن فضيلة الاقرار.

ومما يدل على حقية مذهبه، ارتضاء من يخلف بعده من العلماء والفضلاء أساطين الحكمة، ورؤساء الكلام، بل المشايخ العارفون من أهل التصفية والذوق. ولم ينقل عن واحد من هؤلاء، من مبدأ ظهور الأشعري، الى زماننا هذا، وهو ثمان وأربعون وتسعمائة من الهجرة، إنكار شيء من مذهبه ولو في شيء قليل.

ولا شك أن اتفاق الأمة، والمدة هذه، (على الضلال، من قبيل الممتنع

والمحال). وإنما العجب من بعض الفقهاء، حيث رأى الانكار عن السلف الابرار، وجعل الانكار لازماً لعلم الكلام، ولم يعرف تفاوت الأحكام، بتفاوت الأحوال والأعوام، حتى أن بعضاً منهم حكموا بأن العلماء إذا أطلقوا، لم يدخل فيهم علماء الكلام؛ وهذا القائل، إن أراد أن المتبادر من الاطلاق في العرف، هو الفقهاء لا غير، فذاك، وإلا فان أراد بأنهم ليسوا بعلماء على التحقيق، فقد عدل عن سواء الطريق. وكيف لا يعد الباحث عن الله وصفاته وأحوال النبوة والمعاد على قانون الاسلام من العلماء، وهم يعدون الباحث عن أحوال المكلفين منهم، مع أن التفاوت بينهما، من أين الى أين، سيا وقد نقل ابن السبكي عن والده، من أن الصواب دخول المتكلمين في العلماء، إذا كانوا متكلمين على قوانين الشرع، وأيضاً حكم بدخول الصوفي في العلماء، إذا كان كذلك. وقال: وهذا هو الرأي السديد عندنا. فان قلت: السبكي شافعي، قلت: هذه المسألة ليست مما يتعلق بالخلافيات.

وإذا انتهى الكلام الى هذا المقام، فلا علينا أن نذكر مما جرى من المحنة بسبب مسألة خلق القرآن، لأن ذلك مصيبة عظيمة في الدين، يكون ذكرها عظة عظيمة للمعتبرين، وموجباً لازدياد صبر المحن من العلماء، وباعثا لشكرهم على ما هم عليه من الابتلاء.

كان القاضي أحمد بن أبي دؤاد، ممن نشأ في العلم وتضلع بعلم الكلام، وصحب فيه هياج بن العلاء السلمي، صاحب واصل بن عطاء، أحد رؤساء المعتزلة. وكان ابن أبي دؤاد رجلاً فصيحاً. قال أبو العيناء: ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق منه. كان كريماً ممدحاً. وكان معظماً عند أمير المؤمنين المأمون، يقبل شفاعاته، ويصغي الى كلامه وأخباره، فدس ابن أبي دؤاد للمأمون القول بخلق القرآن، وحسنه عنده، وصيره يعتقده حقاً مبيناً، الى أن أجمع رأيه في سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء اليه، وقد كان ابتداء بالكلام فيها في سنة اثنتي عشرة، ولكن لم يصمم. فكتب الى نائبه على بغداد اسحاق ابن ابراهيم الخزاعي، ابن عم طاهر بن الحسين، في امتحان العلماء، كتاباً يقول فيه: وقد عرف أمير المؤمنين، أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر، من حشو

الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا روية ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه، أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه، وقصدوا أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، وذلك أنهم ساووا بين الله وبين خلقه، وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله ولم يخترعه، وقد قال تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾[١]، فكل ما جعله الله فقد خلقه، كما قال: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾[٢]: وقال: ﴿نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾[٣] فأخبر أنه قصص لأمور أحدثها؛ وقال: ﴿أحكمت آياته ثم فصلت﴾[٤]، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه. ثم انتسبوا الى السنة وأنهم أهل الحق والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر، فاستطالوا بذلك، وأغروا به الجهال، حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشع لغير الله، الى موافقتهم، فنزعوا الحق الى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة الى ضلالهم... الى أن قال: فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة المنقوصون حظاً، أوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان ابليس الناطق في أوليائه على أعدائه من أهل دين الله. وأحق أن يتهم في صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق به، من عمى عن رشده، وحظه من الايمان والتوحيد، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلاً. ولعمر أمير المؤمنين، أن أكذب الناس، من كذب على الله ووحيه، وتخرص الباطل، ولم يعرف الله حقيقة معرفته. فأجمع من بحضرتك من القضاة، فاقرأ عليهم كتابنا، وامتحنهم فيما يقولون، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله وأحداثه، وأعلمهم أني غير مستعين في عمل ولا واثق بمن لا يوثق بدينه. فاذا أقروا بذلك ووافقوا، فاكتب الينا ذلك. وكتب المأمون اليه أيضاً في أشخاص سبعة أنفس، وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وأبو مسلم مستملي يزيد ابن هارون، واسماعيل بن داود، واسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن ابراهيم الدورقي، فأشخصوا اليه، وامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوه، فردهم من الرقة الى

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٣.
(٢) سورة الأنعام، آية ١.
(٣) سورة طه، آية: ٩٩.
(٤) سورة هود، آية: ١.

بغداد، وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولاً، ثم أجابوه تقية، وكتب الى اسحاق بن ابراهيم أن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث، ويخبرهم بما أجاب هؤلاء السبعة، ففعل ذلك، فأجابه طائفة، وامتنع آخرون، فكان يحيى بن معين وغيره يقولون: أجبنا خوفاً من السيف. ثم كتب المأمون أخرى، وأمر بإحضار من امتنع، فأحضر جماعة، منهم: أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد الكندي، وأبو حسان الزنادي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، وعبيدالله بن عمر القواريري، وعلي بن الجعد، وسجادة، وقتيبة بن سعيد، ومحمد بن نوح العجلي، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وأبو نصر التمار، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وغيرهم، فعرض عليهم كتاب المأمون ولم يجيبوا ولم ينكروا، ولما ألحوا عليهم قالوا: كلام الله ولا نزيد على هذا، وقال بعضهم: القرآن مجعول ومحدث، وقال أسحاق: والمجعول مخلوق، قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق، قال: لا أقول مخلوق.

ثم وجه بجواباتهم الى المأمون، فورد عليه كتاب المأمون، بلغنا أجوبة متصنعة أهل القبلة، وملتمسو الرئاسة، فيما ليسوا له بأهل، فمن لم يجب أنه مخلوق، فامنعه من الفتوى والرواية والقول في الكتاب، وأما بشر وابن المهدي أن أجابا وتابا، فأشهر أمرهما، والا فاضرب عنقهما، ومن لم يرجع عن شركه ممن عداهما، فاحملهم موثقين الى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم، فان لم يرجعوا، أحملهم على السيف.

قال: فأجابوا كلهم عند ذلك، إلا أحمد بن حنبل وسجادة ومحمد بن نوح والقواريري، فقيدوا، ثم سألهم اسحاق من الغد، فأجاب سجادة، ثم عاودهم ثالثاً فأجاب القواريري، ووجه بأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الى طرسوس، فبلغهم وفاة المأمون.

ومات محمد بن نوح في الطريق، وسلم أحمد بن حنبل، إلا أن المأمون قد كتب وصية ضمنها تحريض الخليفة بعده على حمل الخلق على القول بخلق القرآن، ثم توفي في رجب، ودفن بطرسوس.

واستقل المعتصم بالخلافة، فكان من سعادة المأمون موته قبل أن يحضر أحمد ابن حنبل الى بين يديه، فلم يكن ضربه على يديه. قال أحمد بن حنبل: تبينت الاجابة في دعوتين: دعوتي أن لا يجمع الله بيني وبين المأمون، وكان كذلك، ودعوتي أن لا أرى المتوكل، فكان كذلك. ولما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدث ولد المتوكل، قعد المتوكل في خوخة حتى نظر الى أحمد، ولم يره أحمد.

قيل: أول من امتحن بخلق القرآن عثمان بن مسلم الحافظ، ولما امتنع قيل له: قد قطعنا عطاءك، وكان ألف درهم في كل شهر، فقال: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، وكان عنده عائلة كبيرة، فدق عليه الباب داق في ذلك اليوم لا يعرف، وقال: خذ هذه الألف، ولك عندي ألف كل شهر يا أبا عثمان، ثبتك الله كما ثبت الدين.

قال أحمد: فلما كان رمضان سنة تسع عشرة، حبسني اسحاق بن ابراهيم في داره، ثم نقلني بعد ذلك الى حبس العامة، فمكثت فيه نحواً من ثلاثين شهراً، ثم حملت الى دار اسحاق، فقال: يا أحمد، والله لا يقتلنك أمير المؤمنين بالسيف، ولكن آلى ان لم تجبه، أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يقتلك في موضع لا ترى فيه شمس ولا قمر. قال: فسكت، ثم صرنا الى الموضع المعروف بباب البستان، حملت على دابة، فكدت أخر على وجهي غير مرة، لثقل القيود علي، فأدخلت حجرة، وأدخلت الى بيت، وأقفل الباب علي، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فأردت أن أتمسح للصلاة، فمددت يدي، فإذا بأناء فيه ماء وطست موضوع، فتوضأت وصليت. فلما كان من الغد، خرجت تكتي من سراويلي، وشددت بها الأقياد أحملها، وعطفت سراويلي، فجاء رسول المعتصم، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، والتكة في يدي، فاذا هو جالس وابن أبي دؤاد حاضر معه خلق كثير من أصحابه.

قال لي ــ يعني المعتصم ــ: ادنه ادنه، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه، ثم قال لي: اجلس، فجلست، ثم دعاني الى البدعة، وطال الكلام بيننا. وبالجملة دعا المعتصم أحمد مرتين في مجلسين، وهو يدعوه الى البدعة، وأحمد رضي الله عنه يأبى عليه أشد الاباء، والكلام فيه يطول.

قال أحمد: ولما كانت الليلة الثالثة، طلبت من بعض الموكلين بي خيطاً، فشددت به الأقياد، ورددت التكة الى سراويلي، قلت: خليق أن يحدث غداً من أمري شيء، فأتوا، فأدخلت في الغد داراً غاصاً بالناس، ثم الى أخرى، ثم الى أخرى. فاذا هناك قوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك، فجعلوا يناظروني، وجعل يتكلم هذا وأرد عليه، ثم وثم، وجعل صوتي يعلو أصواتهم. ثم أمر المعتصم فسحبت ثم خلعت، فوجدوا في كمي شيئاً فيه شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرتهم به، فأراد القوم حرق قميصي، فمنع المعتصم، فنزعوه لذلك الشعر، ثم جيء بالعقابين والسياط.

قيل: فلما رأى المعتصم ثبوته وصلابته في أمره، لان في أمره، حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقال: إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله، فهاجه ذلك على ضربه، فضربه السياط سوطين، ثم يتنحى و يتقدم الآخر و يضربه سوطين، كل ذلك يقول أحمد: شد قطع الله يدك، وهكذا، حتى ضربوا تسعة عشر سوطاً، فقام المعتصم، فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك، أني والله عليك لشفيق، وجعل بعض الناس يقول: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم، و يقول بعضهم: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع، وقال بعضهم: أقتله يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، كل ذلك يقول أحمد: أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فرجع المعتصم وجلس، وقال للجلاد: تقدم وأوجع قطع الله يدك، ثم قام الثانية، فجعل يقول: ويحك يا أحمد أجبني، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله، فرجع وقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم و يضربه سوطين و يتنحى، وفي خلال ذلك يقول المعتصم: شد قطع الله يدك.

قال ابنه صالح: قال أبي: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فاذا الأقياد قد أطلقت عني، وأتوني بسويق، فقيل لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لا أفطر، ثم جيء بي الى دار اسحاق بن ابراهيم، فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سماعة وصلى، فلما انفتل من الصلاة، قال: صليت والدم يسيل في ثوبك، فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثعب دماً.

قال ابنه صالح: ثم خلى عن أبي، فصار الى منزله، وكان مكثه في السجن وضربه الى أن خلى عنه ثمانية وعشرين شهراً.

وروي أنه لما ضرب سوطاً قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة الا بالله، فلما ضرب الثالثة قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابعة قال: قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا، فضربه تسعة وعشرين سوطاً، وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت، فرمى بطرفه الى السماء، وحرك شفتيه، فما كان بأسرع من ثبوت السراويل على حالته لم يتزحزح.

قال الراوي: فدخلت عليه بعد سبعة أيام، فسألته: ما الذي قلت حين حركت شفتيك، قال: قلت: اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش، إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً؛ وفي رواية قال: قلت: الهي وسيدي، وقفتني هذا الموقف، فلا تهتكني على رؤوس الخلائق.

وروي أنه كان كلما ضرب سوطاً أبرأ ذمة المعتصم، فسئل فقال: كرهت أن آتي يوم القيامة فيقال: هذا غريم ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم أو رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا مختصر من حال الإمام أحمد في المحنة.

وأما الأستاذ أحمد بن نصر الخزاعي ذو الجنان واللسان، والثبات عند اضطراب المهند والسنان، كان شيخاً جليلاً قوالاً بالحق، أماراً بالمعروف، نهاء عن المنكر، وكان من أولاد الأمراء، وكانت محنته على يد الواثق. قال له: ما تقول في القرآن، قال: كلام الله، وأصر على ذلك غير متلعثم، فقال بعض الحاضرين: هو حلال الدم، فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، شيخ مختل، لعل به عاهة وتغير عقل، يؤخر أمره و يستتاب، فقال الواثق: ما أراه إلا مؤذناً لكفره، قائماً بما يعتقده منه، ثم دعا بالصمصامة، وقال: إذا قمت اليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطئي الى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها. ثم أمر بالنطع وأجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى اليه فضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه

الى بغداد فنصب بالجانب الشرقي أياماً، وفي الجانب الغربي أياماً، وتتبع رؤوس أصحابه فسجنوا.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر بن محمد الصائغ يقول: رأيت رأس أحمد بن نصر بعد ضرب عنقه يقول: لا اله إلا الله. روي عن أبي العباس بن سعيد يقول: لم يصبر في المحنة الا أربعة كلهم من أهل مرو: أحمد ابن حنبل، وأحمد بن نصر الخزاعي المضروب عنقه، ومحمد بن نوح بن ميمون المضروب، ونعيم بن حماد قد مات في السجن مقيداً.

وهذه نسخة الرقعة المعلقة في أذن أحمد بن نصر بن مالك: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك، دعاه عبدالله الامام هارون، وهو الواثق بالله أمير المؤمنين، الى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه، فأبى الا المعاندة، فجعله الله الى ناره، وكتب محمد بن عبد الملك.

ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون، والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل، والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك، وكذلك نعيم بن حماد.

ولما جلس المتوكل، دخل عليه عبد العزيز بن يحيى المكي، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رؤي أعجب من أمر الواثق، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن الى أن دفن، قال: فوجد المتوكل من ذلك، وساءه ما سمعه في أخيه، إذ دخل عليه محمد بن عبد الملك الزيات، فقال له: يا بن عبد الملك، في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنار ان قتله أمير المؤمنين الواثق الا كافراً، وقال هرثمة: قطعني الله إرباً إرباً ان قتله أمير المؤمنين الواثق الا كافراً، وقال أحمد بن أبي دؤاد: ضربني الله بالفالج إن قتله أمير المؤمنين الواثق الا كافراً.

قال المتوكل: أما ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار، وأما هرثمة فاجتاز بقبيلة خزاعة، فعرفه رجل فقال: يا معشر خزاعة، هذا الذي قتل أحمد بن نصر، فقطعوه إرباً إرباً، وأما أحمد بن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده.

وقد طال أمر هذه الفتنة، وطار شررها، واستمر من سنة ثمان عشرة الى

سنة أربع وثلاثين ومائتين، فرفعها المتوكل، ونهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك الى الآفاق، وتوفر دعاء الخلق له، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في احياء السنة.

ومن جملة أسباب رفع الفتنة، أن الواثق أتى بشيخ مقيد، فقال له ابن أبي دؤاد: يا شيخ، ما تقول في خلق القرآن، قال: هذا الذي تقول، شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أو جهلوه، فقال: بل علموه، فقال: فهل دعوا اليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا، قال: بل سكتوا، قال: فهل (لا) وسعك ما وسعهم من السكوت، فسكن ابن أبي دؤاد، وأعجب الواثق كلامه، وأمر باطلاق سبيله. وقام الواثق من مجلسه وهو يقول: فهل (لا) وسعك ما وسعهم، يكرر هذه الكلمة. ولكن كان رفع الفتنة بالكلية في يد المتوكل كما أن ابتداءها في يد المأمون.

يقال أن المأمون، وهو عبدالله بن هارون الرشيد، كان معتنياً بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك الى القول بخلق القرآن، وإلا فهو بارع في الفقه والعربية وأيام الناس، وكان ذا حزم وعزم وعلم وحلم ودهاء وذكاء وهيبة وفطنة وفصاحة ودين وشرع متين. قيل: ختم في رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة، وحدث يوماً في المنبر نحو ثلاثين حديثاً بسنده، ثم قال ليحيى بن أكثم: يا يحيى، إنما المجالس لأصحاب الخلقان والمحابر. وكان كثير العفو والصفح. وكان يقول: لو عرف الناس حبي للعفو، لتقربوا الي بالجرائم، وأخاف أن لا أؤجر فيه؛ يعني أن العفو كان طبعاً له.

ولسنا نستوعب ترجمة المأمون في هذه الأوراق، مع أن كتابنا غير موضوع له، إلا أنه كان دخيلاً في علم الأوائل، فجره نقصه فيه الى القول بخلق القرآن، وجره قلة معرفة الفقه الى اباحة متعة النساء، الا أنه لم يرجع عن الأول، ورجع عن الثاني، بارشاد يحيى بن أكثم رحمه الله، الى حديث يرويه

عن الزهري، عن ابني ابن الحنفية، عن أبيهما محمد، عن علي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر، فلما صحح له الحديث رجع الى الحق. ومات المأمون غازياً الى أرض الروم في سنة ثمان عشرة ومائتين.

واستقل بالخلافة بعده أخوه المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، وكان ملكاً شجاعاً بطلاً مهيباً، وهو الذي فتح عمورية، وقد كان المنجمون قضوا بأنه لا يفتح وانتصر نصراً مؤزراً، وأنشد فيه أبو تمام قصيدة أولها:

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
والنصر في شهب الأرماح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت	جلودها قبل نضج التين والعنب

وكان المعتصم شجاعاً مهيباً ذا أموال وخيول وكثرة العساكر، حتى ضاق عنها بغداد، فبنى سر من رأى، وانتقل اليها بالعساكر، وكان عدد غلمانه الأتراك فقط يبلغ سبعة عشر ألفاً. (مات) في سنة سبع وعشرين ومائتين.

وولي بعد ابنه الواثق بالله، أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد، وكان مليح الشعر، وشدد في القول بخلق القرآن، وكيف لا يشدد المسكين، إذ رأى قاضياً كأحمد بن أبي دؤاد يصر على ذلك، حتى بدل فيه دينه واسلامه. فنعوذ بالله من علماء السوء، وإنما يتلف السلاطين فسقة الفقهاء، فان الفقهاء ما بين صالح وطالح، فالصالح غالباً لا يتردد الى أبواب الملوك، والطالح يتردد اليهم، ويجري معهم على أهوائهم، ويهون عليهم العظائم، وهو على الناس شر من ألف شيطان، كما أن صالح الفقهاء أشد على الشيطان من ألف عابد. ولكن هؤلاء المساكين باعوا الدين بالدنيا، و بدلوا الاسلام بالهوى، ومثل هؤلاء كثير في كل زمان، والله المستعان وعليه التكلان. فنعوذ بالله من أمثالهم. والى الله تعالى أتبرأ من أحوالهم وأفعالهم.

واعلم أنك إذا عرفت تعريف علم الكلام والفرق بينه و بين علم الحكمة،

وأنه من فروض الكفايات، والقائلون بحرمته أو كراهته، أرادوا غير هذا الفن الذي قد اشتهر بالكلام في زمانهم، وعرفت ما وقع في خلق القرآن وقدمه من الفتن والمحن، **فلا علينا أن نذكر هاهنا نبذاً من الكتب المصنفة في هذا الفن.**

منها: (قواعد العقائد) و(التجريد)، كلاهما لخواجة نصير الدين الطوسي، وقد عرفته. وعلى التجريد شروح: (شرح شمس الدين الأصفهاني)، وستعرف ترجمته، وعليه حواش لابن المطهر الحلي، ثم للفاضل الشريف الجرجاني. ومن شروحه: (شرح أكمل الدين)، وقد مر ذكرهم. ومن شروحه: (شرح مولانا علي بن محمد القوشيجي السمرقندي)، وعليه حواش لمولانا جلال الدين الدواني، وللسيد صدر الدين الشيرازي، ثم دار الكلام بينهما مراراً، ورتبوا حواشي أطواراً يعرفها أهلها.

ومنها (الطوالع) للبيضاوي، وقد مر ذكره. وعليه شروح أفضلها وأحسنها: (شرح شمس الدين الأصفهاني)، وهو محمود بن أبي القاسم بن محمد الأصبهاني، الشيخ شهاب الدين أبو الثنا. (ولد) بأصبهان سنة أربع وسبعين وستمائة. وبرع في فنون العقليات، وقدم دمشق، ودرس بالرواحية، ثم قدم مصر، ودرس بالمعزية، وأقام بها الى حين وفاته.

وله التصانيف الكثيرة:

١ ــ شرح مختصر ابن الحاجب؛

٢ ــ وشرح الطوالع؛

٣ ــ وشرح المطالع؛

٤ ــ وناظرة العين، وغيرها؛

٥ ــ وشرع في تفسير كبير لم يتمه، قال ابن السبكي في (طبقاته الكبرى): أوقفني على بعضه؛

٦ ــ وله: شرح البديع للساعاتي في أصول الفقه.

(توفي) في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وسبعمائة بطاعون مصر.

ومنها: (**المحصل**) و (**الأربعين**)، **كلاهما للإمام الرازي** وقد مر ذكره.

ومنها: (**لباب الأربعين**): **للأرموي وقد مر ذكره.**

ومنها: (**نهاية العقول**)، **للإمام الرازي أيضاً.**

ومنها: (**الصحائف**) **للسمرقندي**، ولم أقف على ترجمته.

ومنها: (**أبكار الأفكار**) **للآمدي.** وهو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الإمام أبو الحسن السيف الآمدي المشهور، صاحب (أبكار الأفكار) في علم الكلام، وصاحب (أحكام الأحكام)، في أصول الفقه. (ولد) بآمد بعد سنة خمسين وخمسمائة، قرأ على مشايخ بلده الفقه على مذهب الشافعي، وقرأ بها القراءات، وحفظ كتاباً في مذهب أحمد بن حنبل، ورحل الى العراق، وأقام في الطلب ببغداد مدة، وصحب ابن بنت الجنى المكفوف، وأخذ عنه علم الجدل والمناظرة، وأخذ علم الأوائل من جماعة من نصارى الكرخ ويهودها، وتظاهر بذلك، فجفاه الفقهاء وتحاموه ووقعوا في عقيدته، وفر من العراق.

ودخل مصر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ونظر بمصر وحاضر وأظهر بها تصانيفه في علوم الأوائل، فقرىء عليه تلك التصانيف، وتصنيفه في أصول الدين وأصول الفقه. ثم وقع التعصب عليه، فخرج من القاهرة مستخفياً، وقدم الى حماه، ثم استوطن دمشق وتولى بها التدريس. ثم اتهم بأن راسل مع صاحب آمد على أن يتولى قضاء آمد، فرفعت يده عن المدرسة وتعطل، وأقام بمنزله شهوراً قليلة.

و (مات) في سنة إحدى وثلاثين وستمائة. يقال إنه حفظ الوسيط، وحمل عنه الأذكياء العلم، أصولاً وكلاماً وخلافاً، وتصانيفه مرغوب فيها.

فمن ذلك:

١ ــ كتاب الباهر في علم الأوائل والأواخر، خمسة مجلدات كبار؛

٢ ــ وكتاب أبكار الأفكار، في أصول الدين، أربعة مجلدات؛

٣ ــ وكتاب الحقائق في علوم الأوائل، ثلاثة مجلدات؛

٤ ــ وكتاب المآخذ على الإمام الرازي في شرح الاشارات، مجلد؛

٥ ــ وله المنتهى؛
٦ ــ ومنائح القرائح؛
٧ ــ وشرح جدل الشريف.

وله طريقة في الخلاف، وتعليقة حسنة، وكان يعرف في الخلاف طريقة الشريف وطريقة أسعد الميهني. وكان تفنن في علم النظر. وتصانيفه فوق العشرين كلها حسنة منقحة.

ويحكى أن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام قال: ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن من الآمدي، كأنه يخطب؛ وقال: ما علمنا قواعد البحث الا من سيف الدين الآمدي؛ وقال: لو ورد على الاسلام متزندق يشكك، أما تعين لمناظرته غير الآمدي، لاجتماع أهلية ذلك فيه.

ويحكى أن الآمدي رأى في منامه حجة الإسلام الغزالي في تابوت، وكشف عن وجهه وقبله، فلما انتبه، أراد أن يحفظ شيئاً من كلامه، فحفظ (المستصفى) في أيام يسيرة.

ومنها: (المواقف)، و(جواهر الكلام)، و(العقائد العضدية)، جميعها لمولانا عضد الملة والدين، وقد مر ذكره. وللمواقف شروح: (شرح الأبهري)، و(شرح الكرماني)، وأحسن شروحه وأنفعها (شرح الشريف الجرجاني) قدس سره، وقد مر ذكرهم. وللجواهر أيضاً شرح لم أدر من صنفه. وكذا على العقائد العضدية شرح لمولانا جلال الدين الدواني قدس سره.

ومنها: (المقاصد) و(شرحه)، كلاهما لمولانا سعد الدين التفتازاني رحمه الله، وله كتاب (تهذيب المنطق والكلام)، وهو مع وجازته مشتمل على مهمات هذا الفن.

ومنها: كتاب (تهافت الفلاسفة) للإمام الهمام، وقدوة علماء الاسلام، النور اللامع بين الأنام، حجة الاسلام، محمد بن محمد الغزالي الطوسي. وستعرف مناقبه الشريفة في المحل اللائق به، رضي الله عنه وأرضاه. رد الامام المذكور في كتاب التهافت مطالب الحكماء وجهلهم وبدعهم في سبع

عشرة مسألة، وأكفرهم في ثلاث مسائل: إحداها أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات؛ وثانيتها انكار حشر الأجساد؛ وثالثتها قدم العالم.

ثم إن السلطان الأعظم والخاقان الأكرم، شرف آل عثمان من سلاطين الروم، السلطان محمد بن مراد خان، روح الله روحه وروح أسلافه، وأدام عمر أعقابه وأخلافه، ولا زال كافة الأنام يأوي الى ظلالهم الى يوم القيامة، أمر المولى علي الطوسي ومولانا مصلح الدين مصطفى، الشهير بخواجة زادة، أن يكتبا محاكمة بين الإمام الغزالي والحكماء، فكتبا كتابين، وكتب مولانا مصلح الدين في أربعة أشهر، والطوسي في ستة أشهر، ومع ذلك رجح علماء ذاك الزمان كتاب مولانا مصلح الدين على الآخر، فأعطى السلطان المذكور لكل منهما عشرة آلاف درهم، وخص مولانا مصلح الدين ببغلة نفيسة عالية غالية، يقال إن هذه البغلة كانت من جملة أسباب ترك علي الطوسي في بلاد الروم. يحكى أن مولانا جلال الدين الدواني عندما رأى كتاب مولانا مصلح الدين، دعا له بالخير، وكان في خاطره أن يكتب في هذا الباب كتاباً، قال: ولو كتبت قبله، لكنت ضحكة للناظرين.

ومنها: (تعديل الكلام)، للمولى العالم الرباني والحبر الصمداني، ولي صدر الشريعة، أكرمه الله في الدرجات الرفيعة. وهو رحمه الله، كتب كتاباً سماه: (تعديل العلوم)، بدأ فيه بالمنطق، ثم بالكلام، ثم أقسام الحكمة على التمام. ولعمري لقد أتى فيه مباحث، عجز عن حلها الأوائل والأواخر، تحقيقاً لما قيل: كم ترك الأول للآخر. وقد كان رحمه الله بحراً زاخراً لا يدرك له قرار، وطوداً شامخاً لا يرتقي الى قنته ولا يصار، ولقد كان آية كبرى في الفضل والتدقيق، وعروة وثقى في الاتقان والتحقيق. روح الله روحه، وزاد في غرف الجنان فتوحه. وستعرف ترجمته في علم الفقه ان شاء الله تعالى.

وأما الشروح والحواشي في هذا العلم سوى ما ذكر، فخارجة عن العد والاحصاء، لكن فيما ذكر كفاية لذي لب، وبلاغ لكل طالب، والله الموفق والمرشد.

الشعبة السادسة

من العلوم الشرعية

علم أصول الفقه

وهو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الاجمالية اليقينية.

وموضوعه: الأدلة الشرعية الكلية من حيث أنها كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية.

ومبادئه: مأخوذة من العربية وبعض من العلوم الشرعية والعقلية.

والغرض منه: تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة التفصيلية، أعني الكتاب والسنة والاجماع والقياس.

وفائدته: استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة.

ومن الكتب القديمة المصنفة في هذا العلم: كتاب للإمام الجصاص؛ وهو أحمد بن علي، أبو بكر الرازي، المعروف بالجصاص. (ولد) سنة خمس وثلاثمائة، وسكن بغداد، وانتهت اليه رئاسة الحنفية، وسئل بالقضاء فامتنع. وتفقه على أبي الحسن الكرخي وتخرج به، وكان على طريقة من الزهد والورع، وخرج الى نيسابور، ثم عاد وتفقه عليه جماعة، وروى عن عبد الباقي بن قانع.

وله:

١ ــ كتاب الهام القرآن؛

٢ ـــ وشرح مختصر الكرخي؛
٣ ـــ وشرح مختصر الطحاوي؛
٤ ـــ وشرح الجامع لمحمد بن الحسن؛
٥ ـــ وشرح الأسماء الحسنى؛
٦ ـــ وصنف كتاباً في أصول الفقه؛
٧ ـــ وكتاب جوابات المسائل.

(توفي) يوم الأحد، سابع ذي الحجة، سنة سبعين وثلاثمائة ببغداد وقد وهم من جعل الجصاص غير أبي بكر الرازي، بل هما واحد.

ومنها: (كتاب الأسرار)، و(كتاب تقويم الأدلة)، و(كتاب الأمد الأقصى)، كلها لأبي زيد الدبوس، وهو عبيدالله بن عمر بن عيسى، أبو زيد الدبوسي. ودبوسة بفتح المهملة وضم الموحدة، قرية بين بخارى وسمرقند. وهو أول من وضع علم الخلاف، وصنف الكتب المذكورة، وكان ممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج. وهو من كبار الفقهاء الحنفية، وناظره مرة رجل فجعل الرجل يضحك و يبتسم، فأنشد أبو زيد لنفسه:

شعر

مالي إذا ألزمته حجة ... قابلني بالضحك والقهقهة
إن كان ضحك المرء من فقهه ... فالدب في الصحراء ما أفقهه
و يروي: بالضحك والتبسمة ... فالدب في الصحراء ما أفهمه

(توفي) ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة.

ومنها: (أصول فخر الاسلام البزدوي) وهو علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد، أبو الحسن، فخر الاسلام البزدوي، الفقيه بما وراء النهر؛ صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة رحمه الله. و(توفي) يوم الخميس خامس رجب سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ودفن بسمرقند.

له:

١ ــ كتاب المبسوط، أحد عشر مجلداً؛

٢ ــ وشرح الجامع الكبير والجامع الصغير؛

٣ ــ وكتابه في أصول الفقه مشهور.

قال قاسم بن قطلو بغا في (طبقات الحنفية): قد خرجت أحاديثه، ولم أسبق اليه. قال الذهبي: وكان مولده في حدود الاربعمائة. روى عنه أبو المعالي محمد بن نصر الخطيب.

وعلى (أصول فخر الاسلام) شروح كثيرة، أحسنها وأشهرها شرح عبد العزيز البخاري المسمى (بالكشف)، وهو عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري.

له:

١ ــ شرح البزدوي؛

٢ ــ وشرح الاخسيكثي المسمى (بالتحقيق)؛

٣ ــ وشرح الهداية الى النكاح.

وعلى أصول فخر الاسلام شرح آخر، المسمى (بالتقرير) للشيخ أكمل الدين وستعرفه.

وللإمام فخر الاسلام البزدوي أخ مشهور بأبي اليسر، ليسر تصانيفه، كما أن فخر الإسلام مشهور بأبي العسر، لعسر تصانيفه، وهو محمد بن محمد الحسين ابن عبد الكريم، أبو اليسر البزدوي. قال عمر بن محمد النسفي في (كتاب القند) (في أحوال سمرقند) كان أبو اليسر شيخ أصحابنا بما وراء النهر، وكان إمام الأئمة على الاطلاق، والوفود اليه من الآفاق. ملأ الشرق والغرب بتصانيفه في الأصول والفروع. (توفي) ببخارى في رجب سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. قال السمعاني: ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

ومنها: (أصول شمس الأئمة السرخسي) وهو محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي، شمس الأئمة، صاحب (المبسوط). تخرج بعبد

العزيز الحلوائي والحصيري وغيره. (مات) في حدود الخمسمائة.

كان عالماً أصولياً مناظراً، وقد شاع أنه أملى المبسوط من غير مراجعة الى شيء من الكتب، يدل عليه ما ذكره فيه، وهو قوله: انتهى ربع البيوع، من المبتهل الى الله تعالى بالخضوع، واسبال الدموع، المنقطع عن الأهل والكتاب المجموع. الى غير ذلك من أماكن يترجع بنحو هذا من السجع، وعدته عشرة أجزاء ضخمة.

وله (كتاب في أصول الفقه) جزءاً ضخماً، و (شرح السير الكبير) في جزءين ضخمين، أملاهما وهو في الجب محبوس، بسبب كلمة نصح بها الأمراء. وكان تلامذته على أعلى الجب يكتبون، فلما وصل الى باب الشروط، حصل الفرج، فأطلق فخرج الى فرغانة، فأكرمه الأمير حسن، فوصل اليه الطلبة، فأكمله. وشرح (مختصر الطحاوي)، وكتب محمد بن الحسن. وقيل له يوماً: حفظ الشافعي ثلاثمائة كراس، فقال: حفظ زكاة ما أحفظ، فحسب ما حفظه، فكان اثني عشر ألف كراس.

ومنها: (أحكام الأحكام) للآمدي، وقد مر ذكره. وهذا مجلد ضخم أكثر فيه من القواعد الأصولية، وما يبتنى عليها من المباحث العقلية.

ومنها: (منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل)، ومختصر هذا، كلاهما لابن الحاجب وقد مر ذكره. وعلى هذا المختصر شروح فوق عشرة،

مثل: ١ ــ شرح العلامة الشيرازي،
٢ ــ وشرح السيد ركن الدين الموصلي؛
٣ ــ وشرح الشيخ جمال الدين الحلي؛
٤ ــ وشرح المولى زين الدين الخنجي؛
٥ ــ وشرح المولى العلامة شمس الدين الأصبهاني؛
٦ ــ وشرح الفاضل بدر الدين التستري؛
٧ ــ وشرح المولى شمس الدين الخطيبي؛

٨ ــ وشرح مولانا عضد الملة والدين.

وقد ذكرنا أسماء هؤلاء على ترتيب وجود شروحهم. وقد اعتنى العلماء من بينها بشرح مولانا عضد الملة والدين لحسن اختصاره، مع اشتماله على تدقيقات وتحقيقات لا توجد في غيرها، ولهذا كتبوا على ذلك حواشي شريفة، مثل. (حاشية سيف الدين الأبهري)، و (حاشية شمس الدين الكرماني)، وهما من تلامذة هذا الشارح، كتبا على مصنفاته الشروح والحواشي، ومثل: (حاشية المولى سعد الدين التفتازاني)، و (حاشية الفاضل مولانا السيد الشريف الجرجاني)، وقد مر ذكر هؤلاء.

ومنها: (القواعد)، و (البدائع)، كلاهما لابن الساعاتي. وهو أحمد بن علي بن ثعلب بن الضياء مظفر الدين بن الساعاتي، البغدادي الأصل، البعلبكي. سكن ببغداد ونشأ بها. وأبوه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد. وكان مظفر الدين أحمد اماما فاضلا صاحب تصانيف مفيدة، وبرع في الفقه وكتب الخط المنسوب.

وصنف (كتاب مجمع البحرين) في الفقه، جمع فيه بين مختصر القدوري ومنظومة النسفي، مع زوائد لطيفة، وأحسن وأبدع في ترتيبه واختصاره، ثم شرحه في مجلدين. وله كتاب (البديع) في أصول الفقه، جمع فيه بين أصول فخر الاسلام على البزدوي و (أحكام الأحكام) للآمدي؛ أخذ من الأول الشواهد الجزئية، ومن الثاني القواعد الكلية.

وذكر في تاريخ البدري أنه (توفي) سنة ثلاث وثمانين وستمائة في أيام الملك المنصور، وقيل: توفي بعد اثنتين وثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى.

ومنها: (المنار)، لحافظ الدين النسفي، وهو عبد الله بن أحمد بن محمد، حافظ الدين النسفي.

له: ١ ــ كتاب المستصفى في شرح المنظومة؛
٢ ــ وكتاب المنافع في شرح النافع؛
٣ ــ وكتاب الكافي في شرح الوافي، كلاهما؛

٤ ــ وكتاب كنز الدقائق، وهذه كلها في الفقه؛
٥ ــ وكتاب المنار، في أصول الفقه؛
٦ ــ وكتاب العمدة، في أصول الدين؛
٧ ــ وكتاب شرح الهداية.

كان ببغداد سنة عشر وسبعمائة، تفقه على شمس الأئمة الكردي، وروى الزيادات عن العتابي، وسمع منه السغناقي. وشرح (المنار)، وسماه (الكشف)، وشرح (العمدة)، وسماه (الاعتماد). قال بعضهم: ولا يعرف له شرح على (الهداية).

ومن شروح (المنار) (جامع الأسرار). وهو شرح نفيس في الغاية، إلا أنا لم نعرف مصنفه، غير أني رأيت في ذيل بعض نسخ هذا الشرح، أن أسمه محمد ابن محمد الجبلي، وأنه من تلامذة عبد العزيز البخاري صاحب (الكشف في شرح أصول فخر الاسلام)، ومن تلامذة حافظ الدين النسفي، وقد مر ذكرهما.

ومن شروح (المنار)، (افاضة الأنوار في اضاءة أصول المنار) لسعد الدين محمود الدهلوي، ومن شروحه، (شرح أكمل الدين)، و (شرح ابن الملك)، وغير ذلك.

ومنها: (المغني) للخبازي وهو عمر بن محمد بن عمر، الشيخ جلال الدين الخبازي. له حواش على الهداية، و (كتاب المغني) في أصول الفقه. كان فقيها عالما. (مات) لخمس بقين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة في عشر السبعين.

ومن شروح (المغني)، (شرح منصور القاآني)، وهو أبو محمد منصور بن أحمد بن يزيد الخوارزمي القاآني. شرح (المغني) للخبازي شرحا مفيدا في الغاية في بابه. قيل انه نظم أرجوزة في مناسك الحج. قال الذهبي: هو من الأعلام. (توفي) يوم السبت سنة خمس وسبعين وأربعمائة. قلت: هكذا وقع في النسخة التي عندي، لكنه غلط ظاهر، لأن تاريخ وفاة الخبازي قبل تمام الستمائة، فكيف يتقدم عليه شارح كتابه.

ومن شروحه، (شرح سراج الهندي)، وهو أبو حفص عمر بن اسحق بن أحمد الغزنوي، سراج الدين الهندي قاضي الحنفية بالقاهرة. يقال: اسم أبيه اسماعيل، والصحيح اسحق. تفقه ببلاده على الوجيه الرازي، والسراج الثقفي، والركن البدواني، وغيرهم من علماء الهند.

وحج، فسمع من الشيخ خضر، شيخ رباط السدرة (عوارف المعارف)، وحدث به عند القطب العسقلاني عن مؤلفه. وقدم القاهرة قديما سنة أربعين، وسمع من أحمد بن منصور الجوهري وغيره. وظهرت فضائله، ثم ولى قضاء العسكر، بعد أن تاب عن الجمال التركماني، ثم عزل. كان عالما فاضلا، له وجاهة في دولة.

وله: ١ ــ شرح المغني؛
٢ ــ وشرح الهداية، على طريقة الجدل، وسماه بالتوشيح؛
٣ ــ وشرح بديع ابن الساعاتي؛
٤ ــ وشرح تائية ابن الفارض؛

وصنف:

٥ ــ الشامل في الفقه؛
٦ ــ وشرح المغني للخبازي؛
٧ ــ وله كتاب: العزة المنيفة في شرح مذهب أبي حنيفة، رحمه الله؛
٨ ــ وكتاب: فقه الخلاف؛
٩ ــ وشرح الزيادات؛
١٠ ــ والجامعين، ولم يكملها؛
١١ ــ وله كتاب في التصوف، وغير ذلك.

وكان واسع العلم، كثير الأقدام والمهابة. وكان يتعصب للصوفية الموحدة، وعزر ابن أبي حجلة لكلامه في ابن الفارض. (مات) في الليلة التي مات فيها البهاء السبكي، وهي ليلة السابع من شهر رجب، سنة ثلاث وسبعين

وسبعمائة. وكانت ولايته نحو أربع سنين، وكان يكتب بخطه: مولدي سنة أربع وسبعمائة.

ومنها: (كتاب المنتخب) للاخسيكثي، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عمر، حسام الدين الاخسيكثي. واخسيكث، صح بالسين المهملة بعد الخاء المعجمة، وآخرها الثاء المثلثة، قرية فيما وراء النهر. صاحب (المختصر) في أصول الفقه. مات سنة أربع وأربعين وستمائة.

وعليه شروح، منها: (شرح عبد العزيز البخاري المسمى بالتحقيق)، وهو صاحب (الكشف) في شرح أصول فخر الاسلام، وقد مر ذكره. و (للمنتخب) شرح آخر للاتقاني، المسمى (بالتبيين)، وستعرفه عند ذكر (شرح الهداية).

ومنها: (التحصيل) للأرموي وقد مر ذكره.

ومنها: (المحصول) للأمام فخر الدين الرازي، وقد مر ذكره في المفسرين.

ومنها: (التنقيح) وشرحه (التوضيح) للمولى الفاضل صدر الشريعة، وهو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن عبيد الله بن محمود، صدر الدين المحبوبي، عالم محقق، وحبر مدقق، له تصانيف مفيدة.

منها: ١ ــ التنقيح؛

٢ ــ وشرحه التوضيح، في أصول الفقه؛

٣ ــ وشرح الوقاية؛

٤ ــ ومختصر الوقاية، في الفقه؛

٥ ــ والوشاح في المعاني؛

٦ ــ وتعديل العلوم؛ في أقسام العلوم العقلية كلها.

ثم شرح هذا الكتاب بجميع أقسامه، ولقد أبدع فيها، بحيث أورد تحقيقات عجز عنها الأوائل، سيما المنطق والكلام، و يشهد بما ذكرناه من طالع ذلك الكتاب.

يحكى أن العلامة قطب الدين الرازي، أراد أن يجتمع مع صدر الشريعة، ويتباحث معه، فأرسل اليه اولا من تلامذته مولانا مبارك شاه — وكان مبارك شاه من غلمان الرازي، ورباه صغيرا وعلمه كبيرا، وتبناه، فصار مشهورا في الآفاق — ليتعرف كيفية الحال، فحضر مبارك شاه درس صدر الشريعة وهو يومئذ بهراة، والعلامة بالري، فوجده يدرس (كتاب الاشارات) لابن سينا، ولا يتابع فيه المصنف ولا واحدا من شارحيه: الامام والطوسي، فكتب مبارك شاه الى مولاه العلامة، أن الرجل نار وقادة، والاقدام ربما يورث الملام، فعمل العلامة برأيه، وقبل نصحه ولم يتجاسر على ما قصده.

ومنها: (التلويح في شرح التنقيح) لمولانا سعد الدين التفتازاني، وقد مر ذكره.

ومنها: (فصول البدائع في أصول الشرائع) للمولى العالم العامل، والفاضل الكامل، مولانا شمس الدين الفناري قدس ذكره، وقد مر ذكره.

ومنها: (منهاج الوصول الى علم الأصول) للقاضي البيضاوي، وهذا كتاب نفيس على مذهب الشافعي، لكن ينتفع به الحنفية أيضا، وعليه شروح أحسنها (شرح السيد العبري).

ومنها: (مرقاة الوصول الى علم الأصول) وشرحه المسمى (بالمرآة)، كلاهما لمولانا محمد بن فرامرز بن خواجة علي، الشهير بمولانا خسرو، وقد كان قاضيا لعسكر السلطان محمد بن مراد خان، ثم تقلد منصب الفتوى سنين كثيرة، ودام على ذلك، الى أن (مات) في سنة خمس وثمانين وثمانمائة، قبيل وفاة السلطان محمد خان بسنة. وفي تلك السنة توفي الشيخ قطب الدين الأزنيقي، ومولانا مسعود خليفة المتوفي بأدرنة، وكان كلاهما من العلماء السادات، ومشايخ الصوفية أرباب السعادات، أولى الخوارق والكرامات. وكان مولانا خسرو رحمه الله عالما عاملا محقا محققا، وكان له ثروة ومماليك كثيرة، ومع ذلك كان لا يخدم في بيت مطالعته الا نفسه الشريفة، وقد كان

عهد كذلك مع الله تعالى. وكان له خط مليح في الغاية، وقد التزم أن يكتب كل يوم ورقتين من تصانيفه وغيرها. ورأيت بخطه الشريف كتبا كثيرة.

وله: ١ ــ المرقاة؛

٢ ــ وشرحه المرآة، في الأصول؛

٣ ــ والدرر؛

٤ ــ وشرحه الغرر، في الفقه؛

٥ ــ وحواشي تفسير البيضاوي؛

٦ ــ وحواشي التلويح شرح التنقيح؛

٧ ــ وحواشي شرح مولانا عضد الدين لمختصر ابن الحاجب؛

٨ ــ وحواشي الشرح المطول لتلخيص المعاني لمولانا سعد الملة والدين التفتازاني، وغير ذلك من الحواشي والرسائل؛

٩ ــ ومن رسائله رسالة الولاء.

ووقع له مع بعض من معاصريه المناظرات الكثيرة في مسألة الولاء.

واعلم ان الكتب في علم الأصول كثيرة، لكن من ظفر بما ذكرناه، فاز بالمرام، ولا نطول بذكرها الكلام، والله ولى التوفيق والاعلام.

الشعبة السابعة
من العلوم الشرعية
علم الفقه

وهو علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية، من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية، ومبادئه: مسائل أصول الفقه، وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية، وفائدته حصول العمل به على الوجه المشروع، والغرض منه: تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعيّة. ولما كانت الغاية والغرض في العلوم العملية تحصيل الظن دون اليقين، بناء على أن أقوى الأدلة الكتاب والسنة، وأنه وإن كان قطعي الثبوت، لكن أكثره ظن الدلالة، فصار محلا للاجتهاد، جاز الأخذ فيها أولا بمذهب أي مجتهد أراد.

والمذاهب المشهورة التي تلقتها العقول بالصحة هي المذاهب الأربعة للأئمة الأربعة ــ أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم، ثم الأحق والأولى من بينها مذهب أبي حنيفة، نعمان بن ثابت، رضي الله عنه لأنه المتميز من بينهم بالاتقان والاحكام، وجودة القريحة، وقوة الرأي في علم الأحكام وكثرة المعرفة بالكتاب والسنة، وصحة الرأي والروية وزيادة المنة، الى غير ذلك.

لكن ينبغي لمن يقلد مذهبا معينا في الفروع، أن يحكم بأن مذهبه صواب ويحتمل الخطأ، ومذهب المخالف خطأ يحتمل الصواب، وذلك من لوازم الظنية بخلاف الاعتقاديات التي يطلب فيها اليقين، لكون دلائلها عقلية يقينية،

حيث يحكم فيها بأن مذهبه حق جزما، ومذهب المخالف خطأ قطعا، لأنه من لوازم القطعية.

واعلم أن نذكرها هنا أحوال أصحاب المذاهب الأربعة الأئمة المشهورين في كل من المذاهب، ثم نشير الى جهة رجحان مذهب أبي حنيفة رحمه الله على المذاهب الأخرى.

وأعلم أن أول الأئمة وأولاهم وأفضلهم وأعلاهم، أمام المسلمين؛ وسيد التابعين، وسراج الأمة، وفخر الأئمة:

أبو حنيفة نعمان بن ثابت، رضي الله عنه

والكلام في مناقبه مما لا يمكن الاستقصاء فيها، سيا في هذه الوريقات اذ قد كسر عليها الأئمة عدة مجلدات، ومع ذلك لم يؤدوا عشر أعشار مناقبه، وان أطنبوا في فصوله وأبوابه، وها نحن نذكرها هنا عشرة مطالب متضمنة لمهمات تلك المطالب.

المطلب الأول

تقدمه على غيره

قال بعض المصنفين: وانما قدمنا ذكر الامام مالك، لأنه المقدم زمانا وقدرا ومعرفة وعلما. ونحن نقول أن المقدم زمانا، هو الامام أبو حنيفة على التحقيق، و يؤيده ما روي أن الامام سئل عن علماء المدينة، قال: ان أفلح منهم واحد، فالأزرق الأشقر، عني به الامام مالكا رضي الله عنه. وأما في المعرفة، فهو ذو الاتقان والتدقيق، كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى، ولهذا قدمنا ذكره.

أما تقدمه سنا فلأن الامام أبا حنيفة (ولد) سنة ثمانين، كذا ذكره الواقدي والسمعاني عن أبي يوسف. وذكر السمعاني أيضا، عن مزاحم بن زياد، أنه ولد عام احدى وستين، والأول أكثر وأثبت، وأن الامام مالكا (ولد) سنة خمس وتسعين، و (مات) سنة تسع وسبعين ومائة.

وأما الامام الشافعي، فالمشهور أنه (ولد) يوم مات أبو حنيفة.

وأما تقدمه في الشرف فلما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي يوم القيامة». وزيد في رواية (أن) أسمه النعمان. وفي رواية أخرى: «سيكون رجل يقال له النعمان بن ثابت، ويكنى بأبي حنيفة، يحيى دين الله وسنتي». وروي عن أبي لهيعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «في كل قرن من أمتي سابقون وأبو حنيفة سابق زمانه». وفي الروايات اختلافات، إلا أنه اتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم، وصف الامام قبل وجوده بثلاثة أوصاف: بسراج الأمة، ومحيى الشرع، والسابق، وكل من هذه كاف في ترجيحه على غيره من الأئمة.

ومن جهات شرفه، أنه ليس بين الأئمة تابعي غيره، وقد ذكر ابن الصلاح أن الامام مالكا من تبع التابعين، وأما أبو حنيفة فقد اتفق المحدثون على أن أربعة من الصحابة، كانوا على عهد الامام في الحياة، وان تنازعوا في الرواية عنهم.

منهم: انس بن مالك، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، توفي سنة احدى أو ثلاث وتسعين وله ثلاث أو تسع وتسعون، فيكون الامام يوم وفاته، ابن ثلاث أو إحدى عشرة، وقد دخل البصرة أكثر من عشرين مرة، ومكث في كل دخلة سنة أو سنتين لمناظرة المعتزلة وأهل الأهواء. وذكر الامام شهر دار ابن شيرويه، وبرهان الإسلام الغزنوي، بأسانيدهم الصحيحة، أن الإمام روى عن أنس.

ومنهم: أبو ابراهيم أو أبو محمد أو أبو معاوية، عبد الله بن أوفى بن علقمة بن قيس بن خالد، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، مات بها سنة ست أو سبع وثمانين، فيكون سن الامام على الأكثر يوم مات هذا سبعا أو ستا على قول الأقل أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين، فعلى كلا القولين يتحقق سن السماع. أما على قول الأقل فظاهر، وأما على قول الأكثر، فلأن سن

السماع اذا فرق الصبي بين البغل والحمار.

وعند المحدثين سن محمود بن الربيع قال: عقلت منه صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو. فاذن لا ينكر سماع الامام من ابن أبي أوفى، سيما وقد ذكر شهردار الديلمي أنه روى عنه.

ومن غرائب هذا الباب ما روي عن ابراهيم بن سعيد الجوهري، قال: رأيت صبيا ابن أربع سنين، حمل الى المأمون، وقد قرأ القرآن، ونظر في الرأي، غير أنه اذا جاع بكى. وعن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني، قال: حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت الى ابي بكر المقري ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ فانه صغير، فقال لي ابن المقري: اقرأ سورة الكافرين، فقرأتها، فقال: اقرأ سورة التكوير، فقرأتها، فقال لي غيره: اقرأ المرسلات، فقرأتها، فقال ابن المقري: اسمعوا له والعهدة علي:

قال مولانا أحمد الكوراني في شرحه الموسوم (بكتاب الكوثر الجاري إلى رياض البخاري)، بعد ما نقل حديث محمود بن الربيع: قال ابن الصلاح: استدل الجمهور بهذا الحديث على أن أقل زمان يجوز فيه تحمل الحديث خمس، ثم قال: والحق أنه ليس في الحديث ما ينفي الأقل منه، والمناط قدرة الصغير على الضبط، وهي تتفاوت بحسب الفطرة، ثم حكى الصبي الذي قرأ القرآن في مجلس المأمون.

ونظير هذه الحكاية، ما روى مولانا حسين اليزدي في كتاب (الفواتح) في شرح أبيات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن جمع كثير مقبولي الرواية، أنهم رأوا بمدينة يزد، من بلاد العجم، طفلا وهو في المهد يقرأ القرآن والأشعار وأنواع الكلمات، ويخبر عن الأمور الخفية، وكان رأسه أكبر مثل رؤوس الكبار، ومات في السنة الثانية من ولادته. قال مولانا حسين: ومن جملة من رأوه والدي رحمه الله.

ومن غرائب الاتفاقيات، أني عقيب ما طالعت في شرح البخاري لمولانا الكوراني، نظرت كتاب (الفواتح) المذكور، وصادفت ما فيه من الحكاية المذكورة، وتعجبت من اتفاق وقوفي على هاتين الحكايتين في وقت واحد.

رجعنا الى المقصود، وهو ذكر من رآه أبو حنيفة من الصحابة أو روى عنه.

ومنهم: سهل بن سعد الساعدي، كان اسمه حزنا، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا. مات بالمدينة، وقدم المدينة وهو ابن خمس عشرة سنة، و (مات) بها وهو ابن احدى وتسعين أو ثمان وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بها. والامام أدرك زمانه وان لم يره.

ومنهم: أبو الطفيل عامر بن واثلة. (مات) بمكة سنة اثنتين ومائة وهو آخر من مات من الصحابة في جميع الأرض، والامام أدرك زمانه لا محالة. وقال بعض المحدثين أنه لم يره، وأصحاب المناقب ذكروا بأسانيدهم أنه رآه. وقد ثبت أن الامكان ثابت، والناقل عدل، والمثبت أولى من النافي. هذا الذي ذكرناه من غلب على الظن أن الامام لقيه وتحقق أنه أدرك زمانه.

وها هنا رجال أخر شك القوم في ان الامام أدرك زمانهم.

منهم: معقل بن يسار لأن معقلا (مات) بالبصرة سنة سبع وستين أو سبعين، وولادة الامام سنة ثمانين، اللهم الا على قول من قال ان الامام ولد سنة احدى وستين، ومعقلا مات سنة سبع وستين.

ومنهم: جابر بن عبد الله ، فانه مات بالمدينة ستة سبع أو ثمان وسبعين، وولد الامام سنة ثمانين، اللهم الا على قول من قال: ولد الامام سنة احدى وستين والأكثر على خلافه.

ومنهم: عبد الله بن أنيس. قيل: لقيه وروى عنه، الا أن فيه أشكالا، اذ قد أجمع أهل التاريخ على أنه مات بالمدينة سنة أربع وخمسين قبل ولادة الامام بسبع سنين.

ومنهم: عائشة بنت عجرد، لقيها وروى عنها.

والحاصل ان جماعة من المحدثين أنكروا ملاقاته مع الصحابة، وأصحابه أثبتوا بالأسانيد الحسان، وهم بأحواله أعرف منهم، والمثبت العدل العالم أولى

من النافي، حتى جمع أصحابه مسنداته فبلغت خمسين، وهذا سبب صالح لتقديم مذهبه على سائر المذاهب.

وقد ثبت بما ذكرناه من التفصيل أن الامام من التابعين، وقد ثبت في الأحاديث السالفة أنه سيد زمانه، فينتج من ذلك أنه سيد التابعين، وإلى ذلك أشار الامام بقوله: ما جاءنا عن الصحابة، فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال. ومن جهات شرفه، ثناء الأئمة عليه؛ وستعرف تفصيله.

ومن فضائله ما روى الامام أبو حفص الكبير، أنه عد مشايخ الشافعي فبلغ ثمانين، وعد مشايخ الامام فبلغ أربعة آلاف شيخ. قال في (الانتصار) هذا من أدنى فضائله، ولا يختلج في صدرك أن مشايخ البخاري ربما تبلغ عشرة آلاف، فيلزم أن يكون أفضل منه، لأن مشايخ الحديث ليسوا كمشايخ الفقه، فإن الأولين لا بد أن يكونوا عالمين دون الآخرين، ولهذا قل الفقهاء وكثر رواة الحديث.

وإذا عرفت أن مذهبه أشرف المذاهب، فأعلم أن ما ذكره الشافعية من أن قوله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش»، وقوله: «قدموا قريشا ولا تقدموا عليها»، دليل على تقدم مذهب الشافعي على غيره، لأنا لم نجد من قريش اماما سواه، ولأنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولأنه كان أعلم بلغة العرب لأنه نشأ بمكة، وتخرج بالمدينة على إمام دار الهجرة مالك، فمدفوع. أما أولا: فلأنه إن أراد بالإمامة إمامة الصلاة، فذلك لا يختص بقريش، لأن غير قريش تقدم في الصلاة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء الراشدين أيضا، مع وجود علماء قريش، وكذلك أجمعوا على أن الأعلم مقدم في الصلاة، وإن لم يكن قرشيا.

وأما أن يراد إمامة العلم، فلا يشترط فيه النسب، لما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن معلماً، وقد كان أكثر من يؤخذ عنه العلم في الأمصار، من الموالي، كأبي موسى وحذيفة بالعراق، وزيد بن ثابت والزهري

بالحجاز، ومعاذ وأبي إمامة بالشام. ولا يخفى حال أسامة بن زيد وقربه منه صلى الله عليه وسلم، وحال صهيب وسلمان. وكذلك من بعد الصحابة، كشريح كيف استقضاه الخلفاء الثلاثة، ولم ينعقد الإجماع بدون رأيه، إلى غير ذلك. ولو أردت ذكر الموالي من الفقهاء في كل عصر، مع وجود علماء قريش، لما حصر.

روي عن عطاء أنه قال: سألني هشام بن عبد الملك عن علماء الأمصار، قلت: للمدينة نافع مولى ابن عمر، ولمكة عطاء بن أبي رباح المولى، ولليمن طاووس بن كيسان المولى، وللشام مكحول المولى، وللجزيرة ميمون بن مهران المولى، وللبصرة الحسن وابن سيرين المولى، وللكوفة ابراهيم النخعي العربي. قال هشام: لولا قولك عربي، لكادت نفسي تخرج. ولأجل هذا يقال للعلماء: الموالي، ومولانا. وأيضاً لما احتج الصديق في أمر الخلافة بقوله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش»، تعين أن المراد الخلافة الكبرى لا امامة العلم والصلاة.

وقولهم: ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك شرف النسب، وذا لا يستلزم شرف المذهب، وقولهم: كان عالماً باللسان مسلم، لكن الاختصاص به ممنوع، فإن مالكا نشأ بالمدينة، والإمام جاور بالحرمين مدة كثيرة حين فر من بني أمية.

وقد ذكر الرازي أن شعر الإمام كان ألطف وأفصح من شعر الشافعي، وجودة الشعر لا تكون إلا بكمال البلاغة. ثم ان الاعتبار للتقوى لا للنسب، قال الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فأنظر إلى لقمان الحكيم، كان عبداً غليظ المشافر، وآتاه الله الحكمة (أي الفقه)، أو جنس الحكمة، وفقراء الصحابة وزهادهم، كانوا مقدمين على أكثر الإشراف.

قولهم: الباهلي ليس بكفؤ لغيره من العرب، والعربي ليس بكفؤ لقريش، وقريش بعضهم أكفاء بعض، فلا يضرنا، لأن الكفاءة معتبرة لترتيب المقاصد المتعلقة بالنكاح، ولا مدخل لها في شرف المذهب، وإنما الكلام في رد استلزام شرف النسب شرف المذهب، وأيضاً ما اخترناه ليس مذهب الشعوبية، لأنهم

قوم يعادون العرب، و يصغرون شأنهم، ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم، وأما نحن فلا نبغضهم ولا ننكر فضلهم على سائر الطوائف، بل نقول ان شرف النسب لا يفضل شرف التقوى والمذهب، كما عرفت.

المطلب الثاني

في

نسبه وحرفته

قال الجزري في (جامع الأصول) أنه نعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه من أهل كابل أو أهل بابل، وذكر صاحب (الكافي) أنه نعمان بن ثابت بن طاووس بن هرمز ملك بني شيبان، وعلى هذا يحتمل أن يكون عربياً، فإن بغداد تسمى ببابل في القديم، وإليه أشار في عراقيات الابيوردي. وذكر أبو مطيع البلخي أنه من الأنصار، وهو نعمان بن ثابت بن زوطيا بن يحيى بن راشد الأنصاري. وقيل من أبناء أفريدون من نسل ملوك العجم، وذكر الغزنوي عن صالح بن أحمد العجلي بإسناده، أنه كوفي تيمي، من رهط حمزة الزيات المقري، وكان بزازاً يبيع الخز.

قيل: كان ثابت من قرية نساء خراسان، وقيل من مدينة الرجال ترمذ، وقيل من أنبار، وقيل من كابل. ولد ثابت على الإسلام، وكان زوطاً مملوكاً، باعه مولاه من تيم الله بن ثعلبة. وعن ابنه حماد، أن جده ثابت بن نعمان بن مرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، ما وقع علينا رق قط. ذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب، فدعا بالبركة له ولذريته من بعده، قال حماد: فنحن نرجو من تلك البركة. ونعمان بن المرزبان هو الذي أهدى الى علي رضي الله عنه الفالوذج يوم النيروز والمهرجان، فقال علي رضي الله عنه: نورزونا أو مهرجونا كل يوم.

قيل: والتوفيق بين نسبة الإمام إلى بلاد متعددة، يمكن أن يولد بواحدة و يتوطن بأخرى، و يكون نشأته وتأهله بأخرى، وكل واحد من هذه يصدق

عليه أنه وطن؛ قيل: من أقام ببلدة أربع سنين ينتسب إليها، وقيل: من تأهل ببلدة فهو منهم. وسمعت من أثق به يروي عن بعض الكتب، أن ثابتاً توفي، وتزوج أم الامام أبي حنيفة رحمه الله الامام جعفر الصادق، وكان أبو حنيفة رحمه الله صغيراً وتربى في حجر جعفر الصادق، وأخذ علومه منه، وهذه ان ثبت فمنقبة عظيمة لأبي حنيفة.

المطلب الثالث

في

ثناء الأئمة عليه وغير ذلك

روى هارون بن سعيد عن الشافعي رحمه الله تعالى: ما رأيت أحداً أفقه منه، من أراد أن يتفقه فعليه به وبأصحابه، وأن الناس عيال على أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ في الفقه. ومعنى قوله: ما رأيت، ما علمت، لأنه ولد في السنة بل في اليوم الذي مات فيه الإمام. وفي رواية الصيمري: عيال على أبي حنيفة في القياس والإستحسان. قال الواقدي: كان مالك كثيراً ما يقول قوله وإن لا يظهره، وعن إسحق بن محمد: كان مالك ربما اعتبر بقوله في المسائل، وعن إسماعيل بن أبي فديك قال: رأيت مالكاً قابضاً على يد الإمام وهما يمشيان، فلما بلغا المسجد قدم الإمام، فسمعته يقول: لما دخل المسجد قال بسم الله هذا موضع الأمان، فآمني من عذابك ونجني من النار. وعن الشافعي رحمه الله: من أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيال على محمد بن إسحق؛ وفي الفقه عيال أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ؛ وفي النحو عيال الكسائي؛ وفي التفسير عيال محمد بن مقاتل؛ وفي الشعر عيال زهير. وعنه: من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في الفقه. وعنه: قوله أعظم من أن يدفع بالهوينا. وعن مالك بن أنس: وضع أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ ستين ألف مسألة في الإسلام وعن الإمام أبو بكر بن عتيق، أنه وضع خمسمائة ألف مسألة. وذكر الخطيب الخوارزمي أنه وضع ثلاثمائة ألف مسألة، ثمانية وثلاثين ألفا في العبادة، والباقي في المعاملة، لولا هذا لبقي الناس في الضلالة.

المطلب الرابع

في

مذهبه في أصول الدين

قال عمرو بن حماد بن أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ: أقمت عند مالك مدة، فلما أردت الرجوع، قلت: لعل بعض الحساد ذكروا جدي عندك على خلاف ما كان عليه، فأذكر لك مذهبه، فإن رضيت فذاك، وإلا فعظني، قلت: كان لا يخرج أحداً من الإيمان بذنب، قال: أصاب؛ قلت: وإن أصاب الفواحش، قال: أصاب؛ قلت وكان لا يكفر قاتل النفس، قال: أصاب، فمن قال غير هذا فقد أخطأ؛ قال: بلغني أنه كان يقول: إيماني مثل إيمان جبريل، قلت: بلغك الباطل، كان يقول: إن الله تعالى بعث جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما بعثه إلى من قبله، فأمره أن يدعو الناس إلى الإيمان، إيمان واحد لا ايمانان أو ثلاثة، ولا إيمان هذا وإقرار هذا، غير إيمان هذا وإقرار ذا، فتبسم كالراضي ولم يقل شيئاً؛ قلت: وكان ينكر الشك في الإيمان، قال: وما الشك فيه، قلت: عندنا أقوام لا يقولون أنا مؤمن حتى يستثنون إيمانه، أو يقول أحدهم: لا أدري أنا مؤمن أم لا، فأنكره وقال: من يقول هذا.

وروي عن الإمام أبي مقاتل أن (كتاب العالم والمتعلم)، كان لأبي حنيفة ــ رحمه الله ــ وأنه كان على مذهب أهل السنة والجماعة، اذ قد صرح الإمام في ذلك الكتاب بأكثر قواعد أهل السنة، و يلزم منه أن يكون بريئاً عن مذهب الإعتزال. وصرح صدر الأئمة أخطب الخطباء الخوارزمي المعتزلي في مناقبه، أن ذلك الكتاب له. وزعم المعتزلة أنه كان على رأيهم، وليس هذا بأول مكابرتهم. ولما سئل الإمام عن أهل السنة والجماعة، قال: أن تفضل الشيخين، وتحب الجنتين، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وتمسح على الخفين، وتحل نبيذ التمر للتقوى على الطاعة لا للسكر، وألا تكفر أحداً بذنب، وألا تكلم في الله ــ يعني في صفاته ــ بشيء. وهذا أيضاً دليل على أنه على مذهب أهل السنة، فإن صفات الله تعالى عندهم توقيفية.

وكان لا يقول في الصحابة إلا خيراً، حتى أن بعضهم أمسكوا عن تفضيل بعضهم على البعض الآخر، إلا أن الجمهور على خلافه، فذهب الأكثر: الصديق أفضل، والخطابية: الفاروق أفضل والراوندية: العباس أفضل، والرافضة: علي أفضل، وأهل السنة اتفقوا على تقدم الشيخين، ثم عثمان، ثم علي عند الأكثر، وهو الأصح من مذهب الإمام، وعند الأقل علي ثم عثمان، وهو رواية عن الإمام.

واتفق أهل السنة على أن بعد الخلفاء الأربعة تمام العشرة المبشرة بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، ومن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذا السابقون الأولون الذين صلوا إلى القبلتين، ثم اختلفوا أن هذا التفضيل ظني أو قطعي، قال الأشعري بالأول، والباقلاني بالثاني؛ وفي أنه بحسب الظاهر فقط، أو بحسب الظاهر والباطن معاً.

روي أن الإمام جالس عطاء بن أبي رباح امام أهل مكة، فقال: ممن قال من أهل العراق، ومن الذين لا يكذبون القدر، ولا يكفرون بالذنب، ولا يتناولون السلف، فعقد عطاء بيده ثلاثين، وقال: هكذا أدركنا السلف. وقد مر مناظرة الإمام مع أهل الأهواء بالبصرة، ووصيته لابنه حماد في ذلك.

المطلب الخامس

في

أجوبته اللطيفة

عن محمد بن مقاتل، قال: قال رجل للإمام: ما تقول فيمن لا يرجو الجنة، ولا يخاف النار ولا يخاف الله، ويأكل الميتة، ويصلي بلا ركوع ولا سجود، ويشهد بما لم يره، ويبغض الحق، ويحب الفتنة؛ قال أصحابه: أمر هذا الرجل مشكل؛ قال الإمام: هذا رجل يرجو الله تعالى لا الجنة، ويخاف الله تعالى لا النار، ولا يخاف الظلم من الله تعالى في عدله، ويأكل السمك والجراد، ويصلي الجنازة، ويشهد بالتوحيد، ويبغض الموت وهو حق، ويحب

المال والولد وهما فتنة، فقام السائل وقبل رأسه، وقال: أشهد أنك للعلم وعاء.

وقال العلامة حسام الدين السنغاقي أن رجلاً جاء إليه وقال: بواوأم بواو ين، قال الإمام: بواو ين، قال الرجل: بارك الله تعالى فيك كما بورك في لاولا، فلم يعلم الحاضرون ما قالا، قال الإمام: سألني عن التشهد بواو ين أم بواو، فقلت: بهما، فقال: بارك الله فيك كما بورك في لا شرقية ولا غربية. قلت: ورأيت في بعض المواضع أن السائل هو الخضر عليه السلام.

ذكر المرغيناني أن الإمام اجتمع مع شيطان الطاق في الحمام، فقال للإمام: أستاذكم مات فاسترحنا منه، وكان قريب العهد بموته، قال الإمام: أستاذنا يموت، وأستاذكم من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فتحير الرافضي وكشف عورته، فأغمض الإمام بصره، فقال الشيطان: منذ كم أعمى الله بصرك يا نعمان، قال: منذ هتك الله سترك، فبادر الإمام إلى الخروج من الحمام، وأنشأ الإمام:

أقول وفي قولي بلاغ وحكمة ... وما قلت قولاً جئت فيه بمنكر
ألا يا عباد الله خافوا إلهكم ... ولا تدخلوا الحمام إلا بميزر

عن عبد الواحد الخطيب صدر الأئمة الخوارزمي العسكري: قال الإمام: كنا لا ننصرف من عند حماد إلا بفائدة، فقال لنا يوماً: إذا وردت عليك مسألة معضلة، فاجعلها سؤالاً على صاحبها، فوعيته، فقال لي يوماً ربيع الحاجب في دار المنصور ـ وكان يعاديني ـ أن أمير المؤمنين يأمرنا بقتل الرجل، فهل يحل لنا ذلك ولا ندري ما سببه، قلت: يا أبا العباس، أن أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل، قال: بالحق، قلت: أنفذ الحق حيث كان، وكان أراد الربيع أن يوثقني فربطته.

عن أبي يوسف بن خالد أن الإمام كان مع ابن أبي ليلى في الطريق، فمرا على نسوان يغنين، فلما سكتن قال الإمام: أحسنتن، قال ابن أبي ليلى: أسقطت من بعد عن الشهادة، قال الإمام: لم؟ قال: قلت لمن يغني أحسنت، قال: متى قلت، قال: حين سكتن، قال: أراد بذلك أحسنتن بالسكوت.

وكان ابن أبي ليلى إذا وقع عويصة دس إلى الإمام من يسأله، وكان الإمام يعلم به و ينشد:

وإذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

حكي أن واحداً من أشراف البصرة، خطب إبنتي صديقه لأ بنيه، الكبرى للأكبر، والصغرى للأصغر، ووقع الغلط ليلة الزفاف، فزفت إلى كل منهما منكوحة الآخر، فلما تبين الأمر، تحير أبوهما واتخذ ضيافة، فجمع العلماء وفيهم الإمام والكسائي، فلما اجتمع الناس، عرض الأ بنان القصة، فاجترأ الكسائي، وفي رواية سفيان، وقال: حكم علي كرم الله وجهه في مثله على كل واحد من الرجلين العقد والصبر إلى أن يظهر براءة رحم موطوءته، فاشمأزا من هذا الجواب، لما فيه من الإنتظار، وأن يطأ كل منهما موطوءة أخيه، فقال أبو حنيفة: غير هذا أرفق بالفريقين، وهو أن يطلق كل منهما منكوحته و يتزوج بموطوءته، فرضيا به وفرحا عليه، ودعا الحاضرون لأبي حنيفة ــ رحمه الله ــ في علمه، ثم اشتغلوا بالطعام، قال الإمام: هذه أطعمة الوليمة الأولى، فأين أطعمة الوليمة الثانية، فضحك واستحسنوا كلامه وعلمه.

روي أن الأعمش وامرأته تخاصماً ليلة، فحلف الأعمش بالطلاق ان لم تكلميني الليلة، والمرأة سكتت ورضيت بالطلاق، وندم الأعمش، فذهب ليلاً إلى الإمام وكلمه بالحاجة، فقال الإمام: الفرج قريب، فأمر مؤذن الأعمش أن يؤذن قبل طلوع الفجر، فلما سمعت المرأة الأذان، قالت: الحمد لله الذي أراحني منك، فقال الأعمش: رحم الله أبا حنيفة حيث وقانا من الحيفة.

قيل: كان محمد بن اسحق صاحب المغازي يعادي للامام، فقال ابن اسحق عند الخليفة منصور، أن هذا يخالف جدك ابن عباس، ولا يجوز الاستثناء المنفصل، قال الخليفة: أهكذا، قال الامام: نعم، لكن هؤلاء بايعوك تقية، و يريدون لأنفسهم الاستثناء متى شاءوا، فغضب الخليفة، وأمر، بحبس محمد بن اسحق.

روي أن دهرياً من الروم، ناظر مع علماء الإسلام، فأفحمهم إلا حماداً، ولم يأت أحد بما فيه مقنع، والإمام إذ ذاك لا يزال صبياً، فخاف حماد لأجل أنه لو ألزمه أيضاً، يهون أمر الإسلام. فرأى تلك الليلة في المنام، أن خنزيراً أكل شعب شجرة وفروعها، ولم يبق إلا أصلها، فخرج من الشجرة شبل أسد فقتل الخنزير. ولما ذهب الإمام إلى حماد وقت الصبح، وجده مغتماً في الغاية لأجل الدهري اللعين، ولأمر هذه الرؤيا، فسأله الإمام عن سبب هذا الاغتمام فبينه له، وقال: الحمد لله، الخنزير هو الدهري الخبيث، والشجرة العلم، وفروعها غيرك من العلماء، وأصلها أنت، والأسد أنا، وأنا أقهره بعون الله. فذهب الإمام مع أستاذه إلى الجامع، وصعد الدهري المنبر، وطلب الخصم، فحضر الإمام وهو صبي، فاستحقره الدهري، قال الإمام: دع هذا وهات كلامك، فتعجب الدهري من جرأته، ثم قال: كيف يمكن أن (يوجد) شيء لا أول له ولا آخر له، قال الإمام: هل تعرف العدد، قال: نعم، قال: ما قبل الواحد، قال: هو الأول ليس قبله شيء، فقال: إذاً لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظي شيء، فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي. قال الدهري: في أي جهة وجهه، وكل شيء لا يخلو عن الجهات، قال الإمام: إذا أوقدت السراج فإلى أي وجه نوره، قال: يستوي لنوره الجهات، قال: إذا كان حال النور المجازي المستعار هذا، فكيف نور السموات والأرض الباقي الدائم. قال الدهري: في أي مكان هو، وكل موجود لا بد له مكان، فأتى الإمام باللبن، وقال: هل فيه سمن، قال: نعم، قال: في أي مكان منه، قال: لا يختص بمكان منه، قال: إذا كان حال الموجود الزائل كذا، فكيف حال الباقي الدائم خالق الأرض والسماء، قال الدهري: بماذا يشتغل (هو)، قال: سألت هذه الأسئلة وأنت على المنبر، وأنا أجبت عنها، والآن أنزل على الأرض وأنا أصعد المنبر، فنزل وصعد الإمام، وقال: إذا كان على المنبر مشبه مثلك أنزله، وإذا كان على الأرض موحد مثلي رفعه، كل يوم هو في شأن، فبهت الدهري وقتلوه. هذا حال الإمام في صغره، فكيف في كبره.

وعن الحسن بن زياد: نسي رجل مكان ماله الذي دفنه، وجاء إلى

الإمام، فقال: صل طول الليل تتذكر، فما صلى ربع الليل حتى تذكر، وقيل له: من أين لك هذا، قال: لأن الشيطان لا يمكنه أن يسهر طول الليل، فيلقيه خاطره، وقال: لكن لم لم تصل بقية الليل شكراً لله تعالى على ذلك. وعنه: دفن رجل ماله في المفازة وقد سرق، وكان الرجل بخيلاً وكاد يموت غماً، فأتى الإمام ذلك الموضع، فوجد فيه قوماً يستخرجون الكمأة، فقال: هل تخلف منكم أحد، فقالوا: فتى يسمى زرزر، فجاء إليه وقال: الذي رآك حين أخذت المال يشهد عليك، فهلم بالبقية، وما أنفقته يهبك صاحب المال، فأعطاه، وعنى بقوله: الذي يشهد عليك، الله تعالى، فإنه شهيد على ما تعملون.

وكان الإمام جالساً، فمر به رجل، فقال: هذا الرجل غريب ومعلم وفي كمه حلاوة، فسئل الرجل، وكان كما قال، فقيل له: من أين علمت، قال: رأيته يلتفت يميناً وشمالاً، فعلمت أنه غريب، ورأيته ينظر إلى الصبيان، فعلمت أنه معلم، ورأيت الذباب يدخل في كمه، فعلمت أن فيه حلاوة.

مرض أبو يوسف، وقيل أنه قضى، قال الإمام: لا، قيل: من أين تقول، قال: أنه خدم العلم، فما لم يجن ثماره لا يموت، وكان كما قال، حتى روي أنه كان له يوم مات سبعمائة ركاب ذهبية.

المطلب السادس

في كرم أخلاقه وشمائله وورعه

سئل يزيد بن هارون: متى يحل للرجل أن يفتي، قال: إذا كان مثل الإمام، قيل له: أو تقول هذا، قال: ما رأيت أفقه منه ولا أورع، رأيته يوماً بفناء دار غريم له، قائماً في الشمس، فأنكرت، فقال لي: على مالكه مال، أخاف إن جلست في ظله أن يكون قرضاً جر نفعاً.

روي أن الإمام إذا أشكلت عليه المسألة، كان يستغفر ويقول: ما هذا إلا لذنب أحدثته، وربما قام وصلى، فيكشف المسألة ويقول: رجوت أنه تيب

علي، فبلغ ذلك فضيل بن عياض الزاهد، فبكى بكاء شديداً، ثم قال: ذلك لقلة ذنبه، وأما غيره فلا ينبه لهذا.

وعن إبراهيم بن عمرو بن حماد بن الإمام أنه قال: كان الإمام حسن الفراسة، وقال لكل واحد من تلامذته كلاماً، فكان كما قال لهم. قال لداود الطائي: انك تتخلى للعبادة، وكان كما قال، وقال لأبي يوسف: إنك تميل إلى الدنيا، وكان كذلك. روي أنه قال: لا يكتني أحد بعدي بكنيتي إلا وفيه جنون، قالوا: فرأينا عدة اكتنوا بها في قلوبهم ضعف.

عن النضر بن محمد أن الإمام نهى عن الإفتاء، وكان ابنه يسأله فلا يجيبه، فقال حماد: أنت بمكان لا يراك أحد، قال: أخاف أن يسألني السلطان: هل أفتيت، وأقول له: لا. روي أنه سئل عن شيء لا يعلمه، فلم يفت عشر سنين حتى ظن أنه احتيج إليه وعلم ما جهله غيره.

قيل: أنكر من بعض شركائه شيئاً من وجوه التجارة، فتصدق من ربحها بثلاثين ألفاً، وقيل تسعين ألفاً. وقعت في الكوفة غارة، فسئل عن عمر الغنم، فقيل: سبع سنين، فلم يأكل اللحم هذه المدة.

روى يوسف بن خالد أنه كان له جار يغني إذا جن الليل وهو سكران:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه الحرس يوماً وحبسته، فقال الإمام: فقدنا صوت جارنا وقيل حبس، فذهب إلى أمير البلدة، فلما رآه وثب من مكانه، فقال: ما جاء بك، فقص عليه الأمر، فقال: هلا أرسلت لي برسول، فأطلق كل من في الحبس وقال: أطلقتكم لحرمة شيخي، فاشكووا له، فأخذ الإمام بيد الفتى، وقال: هل ضيعناك، قال: لا يا سيدي، فأعطاه كيساً وقال: استعن بها على نقصان أيام الحبس، فتاب الفتى من عمله، ولازم مجلسه، وصار من الفقهاء.

روي أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، فلما توفي، قال بنت

جاره أو ابن له: أين الدعامة؟، قال أبوه أو أبوها: كان ذلك دعامة الشرع، أبو حنيفة، رضي الله عنه.

كان له في كل شهر ستون ختمة، ختمة بالليل وختمة بالنهار، وكان يختم في رمضان، مع يوم الفطر، اثنتين وستين ختمة، وختم في الموضع الذي فارق فيه الدنيا سبعة آلاف ختمة. وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه.

وكان مسعر معاديا له، ولما رأى عبادته وأحياءه الليالي، تاب وقال: اجعلني في حل، فقال له: أما المغتاب من أولى الجهل، فهو في حل، وأما وقيعة العلماء، فشين الأبد، إلا أن يتوب. فكانا متآخيين بعد ذلك.

ولما هرب من بني أمية، أقام بمكة والمدينة إلى ظهور الهاشمية، فحج خمساً وخمسين حجة، والله أعلم بكمية عمرته. وكان يبضع الأمتعة، ويشتري بأرباحها حوائج المحدثين، ثم يدفع الباقي إليهم ويقول لهم: احمدوا الله تعالى، فإنه أرباح بضائعكم، يجريه الله تعالى على يدي.

وكان إذا أنفق على عياله تصدق بمثلها، وكذلك إذا اكتسى ثوباً أو أكل طعاماً. وقال: ما ملكت يداي منذ أكثر من أربعين سنة، إلا أربعة آلاف درهم، وإذا زاد عليها أخرجتها، وإنما أبقيتها، لقول علي رضي الله عنه: أربعة آلاف وما دونها نفقة، ولولا أني أخاف أن ألتجيء إلى هؤلاء، ما تركت منها درهما واحداً. وكان يتصدق عن والديه كل جمعة عشرين ديناراً، سوى ما يتصدق به في عامة السنة. وكان يذهب بأمه إلى مجلس عمرو بن ذر لتصلي التراويح، وكان بينهما ثلاثة أميال.

وقال: ما صليت صلاة منذ مات حماد، إلا استغفرت له ولوالدي، ولمن تعلم مني أو تعلمت منه، وقال: ما مددت رجلي نحو دار حماد، تعظيماً له. وكان بينهما سبع سكك.

روي أن عبد الله الدباخي، كان يقع في الإمام، فاحترق داره، ولم يجد الباب، واحترق معه. قال حافظ الدين البزازي: سمعت من ثقة عالم، أن

علاء الدين السوخي، بمدينة قيرم، مصنف (شرح المصابيح) و (التفسير اللطيف)، كان يدرس مسألة ابتلاع الصائم ما في أسنانه من الطعام، فلما قرر أن الفاصل مقدار الحمصة عند الإمام، قال: كانت أسنان الإمام كذا، كلاماً لا يرضي، فلم يمر إلا أياماً قلائل، حتى سقطت أسنانه المحكمة.

المطلب السابع

في هربه من القضاء

وذكر المرغيناني، أن المنصور دعا الإمام والثوري وشريكاً ومسعراً، فقال الإمام: أما أنا فأحتال، والثوري يهرب، ومسعر يتجنن، وأما شريك فلا آمن عليه أن يقع فيه. وكان الجندي يذهب بهم، فقال له سفيان: أريد البراز، فتوارى بالحائط، فإذا سفينة مملوءة بالشوك، فقال للملاح: خلف هذا الحائط رجل يريد أن يذبحني، أراد القضاء، فستروه تحت الشوك؛ وأما مسعر فقال للخليفة: كيف دوابك وغلمانك، فتركوه وقالوا أنه مجنون، وفي رواية: قال: مسناة الكوفة خربت، قال: يا شيخ، ما أنت وذكر المسناة، قال: بنو أمية خربوا السور، قال: أخرجوه فإنه مختل العقل؛ وأما الإمام فقال: اني رجل بزاز، وأهل الكوفة لا يرضون بي، وفي رواية: أهل الكوفة قريش والأنصار والعرب، وأنا من الموالي، وأنت ان وليتني يرمونني بالآجر، فتركه الخليفة؛ وأما شريك فقال: غالب حالي النسيان، قال: نطعمك اللبان حتى يذهب عنك النسيان، قال: بي خفة، قال: أطعمك كل يوم فالوذج السكر بدهن اللوز، قال: لا أبالي في الحكم على قريب أو بعيد، قال: أحكم علي وعلى ولدي. فتقلد، وتقدم إليه يوماً مولى الخليفة مع خصم له، فأراد التقدم على خصمه، فزبره القاضي، فقال له المولى: إنك شيخ أحمق، قال شريك: قلت ذلك لمولاك فلم يقبل، فعزلوه. روى أنه قال شريك: اني لا أبصر نقش خاتمي، قال: يعينك على النظر انسان، قال: تغير دماغي، قال: كل العسل بدهن اللوز، قال: أميل إلى النساء، قال: نبسط الجوائز تشتري بها الاماء.

عن عبد الرحمن بن مالك بن معول، قال: أحضر المنصور الإمام إلى بغداد،

وطلب منه أن يتولى القضاء، ويخرج القضاة إلى الكور من تحت يده، فأبى، فحلف المنصور بحبسه، وضرب كل يوم عشرة سياط، حتى ضرب مائة وعشرة سياط، فلما تتابع عليه الضرب، بكى وأكثر البكاء، فلم يلبث إلا يسيراً حتى انتقل الى جوار الله تعالى، محبوساً مبطوناً مجهوداً، فأخرجت جنازته، وكثر البكاء عليه، ودفن بمقابر الخيزران.

قيل: فلما أبى دسوا إليه السم فقتلوه. مات سنة خمسين ومائة، وكان ابن سبعين سنة، وقيل سنة إحدى وخمسين ومائة، في رجب أو شعبان أو نصف شوال، ولم يعقب إلا حماداً، وصلى عليه الحسن بن عمارة وأخرج من باب خراسان، ونودي في الناس، فلم يقدر على دفنه إلا بعد العصر من الزحام، وحزر من صلى عليه مقدار خمسين ألفاً، وجاء المنصور فصلى على قبره، ومكث الناس يصلون على قبره إلى عشرين يوماً.

والصحيح أن الإمام توفي في السجن، وإنما الخلاف في أنه مات بالضرب أو بالسم. والتوفيق بينهما، أنه سقي السم، ثم ضرب مصلوباً حتى يتفرق السم. واختلف في كيفية السم، قال بعضهم: دسوا إليه السم ولم يعرفه، وقيل: أكره على شربه، فامتنع وقال: أعلم ما فيه ولا أعين نفسي، فطرح وصب في فمه. روي أنه لما أحس بالموت، سجد، فمات وهو ساجد. قيل: لما أحس الإمام بالسم قام، قال المنصور: إلى أين، قال: إلى حيث وجهتني، فمضى به إلى السجن فمات فيه، رحمة الله عليه.

واعلم أنه جرى للإمام، مثل ما جرى له مع المنصور، مع ابن هبيرة، مرة أخرى في أيام المروانية، وأراد أن يوليه قضاء الكوفة، فأبى، وحبسه وضرب سياطاً على رأسه، حتى انتفخ رأسه ووجهه، فلم يقبل، فقال: ضربه في الدنيا أهون من مقامع الحديد في الآخرة، ثم قال: أشاور أصحابي، فأخرجه من السجن، فهرب إلى مكة، وأقام هناك إلى الدولة العباسية، فجاء زمن الخليفة المنصور، فأكرمه وأعطاه جائزة فلم يقبل. قيل: رأى ابن هبيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: أما تخاف الله تعالى، تضرب رجلاً من أمتي بلا

جرم وتهدده. يقال قال الامام لأ بن هبيرة حين أمر بالضرب: أذكر مقامك بين يدي الله تعالى، فإنه أذل من مقامي هذا بين يديك، ولا تهددني، فإني أقول لا إله إلا الله، والله تعالى يسألك عني، حيث لا يقبل منك الجواب إلا بالحق.

المطلب الثامن

في اتصافه بعلم الباطن

عن شفيق بن ابراهيم قال: قال الإمام لإبراهيم بن أدم: يا ابراهيم انك رزقت من العبادة شيئاً صالحاً، فليكن العلم من بابك، فإنه رأس العبادة وقوام الأمر. عن حازم قال: كلمت الإمام في الزهد والعبادة واليقين والتوكل، ففسر لي كل باب على حدة، وميز لي كل فن منها. قال شريك النخعي: كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس، وهذا من أوضح الامارات على العلم الباطن، والإشتغال بمهمات الدين، فمن أوتي الصمت والزهد، فقد أوتي العلم كله.

ذكر الإمام أبو الحسين الهمداني في آخر (خزانة المفتين)، أن الإمام لما حج حجة الوداع، أعطى لسدنة الكعبة مالاً عظيماً حتى أخلوا له البيت، فدخل وشرع للصلاة، وافتتح القراءة ــ كما هو دأبه ــ على رجله اليمنى، حتى قرأ نصف القرآن، ثم ركع وقام في الثانية على رجله اليسرى، حتى ختم القرآن، ثم قال: إلهي عرفتك حق المعرفة، لكن ما قمت بكمال الطاعة، فهب نقصان الخدمة بكمال المعرفة، فنودي من زوايا البيت: عرفت فأحسنت المعرفة، وخدمت فأخلصت الخدمة، غفرنا لك، ولمن اتبعك، ولمن كان على مذهبك إلى قيام الساعة.

روي أن مسعراً كان يقول في سجوده: اللهم اني أتقرب إليك بدعائي لأبي حنيفة، رحمه الله تعالى.

المطلب التاسع

في المنامات في حقه

عن الشافعي رضي الله عنه، أنه كان يتبرك بقبر الإمام، ويجيء إلى قبره زائراً كل يوم، فإذا عرضت له حاجة، صلى ركعتين عند قبره، وسأل الله حاجته فتقضى.

روي أن الإمام رأى في المنام، كأنه ينبش قبر النبي عليه الصلاة والسلام، ويجمع عظامه إلى صدره، فهاله ذلك وارتحل إلى ابن سيرين، فقص الرؤيا، فقال: لست صاحب هذه الرؤيا، وإنما صاحبها أبو حنيفة. ـ رحمه الله ـ، فقال: أنا هو، قال: اكشف عن ظهرك، فإذا بين كتفيه خال، فقال: أنت الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: «يخرج في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة، بين كتفيه خال، يحيى الله تعالى دينه على يديه».

روى محمويه، وكان يعد من الأبدال، قال: رأيت محمد بن الحسن في المنام، فقلت: ما فعل الله بك، قال: أني لم أجعل جوفك وعاء للعلم وأنا أريد أن أعذبك، قلت: فما فعل بأبي يوسف، قال: فوقي، قلت: فما فعل بأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ، قال: أعلى عليين، وفي رواية: فوق أبي يوسف.

ذكر أبو النجيب الهمداني عن أبيه، قال: رأيت في النوم، كأن ثلاثة نجوم سقطت على الأرض، فمات الإمام، ثم مسعر، ثم سفيان، فذكرت ذلك لمحمد ابن مقاتل، فقال: ما ننكر أن يكون العلماء نجوم الأرض.

المطلب العاشر

في تلامذته الأعلام

جمع الله لأبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ ما لم يجمع لإمام من الأصحاب، الذين هم لب الألباب. منهم: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر، وحسن ابن زياد، ووكيع، وعبد الله بن المبارك، وبشر بن غياث المريسي، وعافية بن

يزيد، وداود الطائي، و يوسف بن خالد السمتي، ومالك بن معول البجلي، ونوح بن أبي مريم. وفي مثله قال الفرزدق:

أولـئـك آبـائي فـجـئني بمـثـلهـم إذا جمـعـتـنـا يـا جـريـر المجامع

وحق للإمام أن يقول:

أولـئـك أبـنـائي فـجئني بمـثـلهـم إذا جمـعـتـنـا يـا عـتـيـد المـنـاقـب

ذكر الإمام أبو المعالي الاسفراييني، عن نجيح بن ابراهيم، عن ابن كرامة: قال رجل: أخطأ أبو حنيفة، قال ابن كرامة: كيف تقول هذا، وعنده مثل أبي يوسف وزفر في قياسها، ومثل يحيى بن أبي زائدة، وحفص بن غياث، وحبان ومنديل في حفظهم الحديث، والقاسم بن معن في معرفته بالفقه والعربية، وداود الطائي وفضيل بن غياض في زهدهم، لم يكن يخطىء، وإن أخطأ ردوه إلى الحق.

قيل: اختلف إليه الطبقة العليا، ثم أبو يوسف، وأسد بن عمرو، والقاسم ابن معن، وزفر بن الهذيل، وأبو بكر الهذلي، والوليد بن أبان، والحسن بن زياد اللؤلؤي، و يوسف بن خالد، وداود الطائي الزاهد، ونوح بن أبي مريم الجامع، ويحيى بن زكريا، وابن المبارك، والمغيرة بن حمزة، ومحمد بن الحسن، وغيرهم.

قيل: اختلف إلى الإمام كثير من الحكام، وهم: أبو بكر، وأبو برزة، وأبو جابر، وأبو حصين، وزيد بن ثابت؛ وتكلم فيه ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، والثوري، وشريك؛ ولم يضر الإمام مخالفتهم، ولا لحق منهم الشين، وجعل أمره وشأنه يزداد قوة، و يكثر أصحابه و يزيدون شوكة، فال إليهم وجوه الناس، ووضح الحق بلا التباس.

ومن الأئمة المجتهدين:

الإمام مالك

رضي الله عنه

هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، يكنى أبا عبد الله.

(ولد) سنة خمس أو أربع أو ثلاث وتسعين، أو تسعين من الهجرة. (مات) بالمدينة سنة تسع أو ثمان وسبعين ومائة، وله أربع وثمانون سنة، قال الواقدي: مات وله تسعون سنة.

وهو إمام دار الهجرة وعالم المدينة؛ روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان يضربون فيه أكباد الأبل، لا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة»؛ قال سفيان والزهري: المراد بعالم المدينة هو الإمام مالك.

قيل: هو من بني أصبح، قبيلة باليمن، حمل في بطن أمه ثلاث سنين، وهرم ابن حيان سنتين، والضحاك أربع سنين، حتى أنه ولد وأسنانه نابتة، فسمي الضحاك.

ومات مالك بالمدينة في أيام الرشيد، وقبره بالمدينة على شط بقيع الغردق.

وكان شديد البياض إلى الشقرة، طويلاً عظيم الهامة، أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويعده من المثلة. قيل: وكان قبيحاً، قالت له أمه: لا تقبلك حرفة إلا العلم، فاشتغل به فبلغ ما بلغ. قيل: كفاه فخراً أن الشافعي من أصحابه.

أخذ العلم عن الزهري، ويحيى بن سعيد، ونافع بن المنكدر، وهشام بن عروة، وزيد بن أسلم، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وخلق كثير. وأخذ عنه العلم جماعة كثيرة، هم أئمة البلاد؛ منهم الامام الشافعي، ومحمد بن ابراهيم بن دينار، وأبو هاشم، وعبد العزيز بن أبي حازم ـــ وهؤلاء نظراؤه من أصحابه ومعن بن عيسى، ويحيى بن يحيى، وعبدالله بن مسلمة القعيني، وعبدالله بن

وهب، وغير هؤلاء ممن لا يحصى عدده، وهؤلاء مشايخ البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم من أئمة الحديث.

قال بكر بن عبد الله الصنعاني، أتينا مالك بن أنس، فجعل يحدثنا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وكنا نستزيده من حديثه، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق، فأتينا ربيعة، فنبهناه وقلنا له: أنت ربيعة، قال: نعم، قلنا: الذي يحدث عنك مالك بن أنس قال: نعم، قلنا: كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك، قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل من علم.

قال عبد الرحمن بن مهدي: سفيان الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة؛ والأوزاعي امام في السنة وليس بإمام في الحديث؛ ومالك بن أنس إمام فيهما جميعاً.

وكان مالك مبالغاً في تعظيم العلم والدين، حتى كان إذا أراد أن يحدث، يتوضأ، و يلبس ثيابه وعمامته، و يسرح لحيته، و يستعمل الطيب، ويجلس على صدر مجلسه، و يتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، وكان يطرق، ولا يعبث بشيء من لحيته وثوبه، ولا يتنخم، فقيل له في ذلك، قال: تعظيماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية معن بن عيسى: اغتسل وتبخر وتطيب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه، زجره وقال: قال الله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾[1]، فمن رفع صوته عند حديثه، فكأنما رفع صوته عنده.

ومر يوماً على أبي حازم وهو جالس، فجازه وقال: لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ الحديث وأنا قائم، وكان نقش خاتمه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقيل له في ذلك، فقال: ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾[2].. الآية.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

قال يحيى بن سعيد: ما في القوم أصح حديثاً من مالك، وقال الشافعي: إذا ذكر العلماء، فمالك النجم، وما أحد أمن على من مالك، وقال: إذا جاء الحديث عن مالك، فاشدد يديك به، وقال: كان مالك بن أنس إذا جاء بعض أهل الأهواء، قال: أراني على ثقة من ديني، أما أنت فشاك، اذهب الى شاك مثلك فخاصمه. وقال مالك: إذا لم يكن للإنسان خير في نفسه لم يكن للناس خير فيه، وقال: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب.

قال أبو عبد الله: رأيت كأن النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، قاعد والناس حوله، ومالك قائم بين يديه، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسك، فهو يأخذ منه قبضة قبضة، ويدفعها إلى مالك، ومالك يذرها على الناس؛ قال مطرف: فأولت ذلك العلم واتباع السنة.

قال الشافعي: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجباً، فقلت لها: وما هو، قالت: رأيت كأن قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض، قال الشافعي: فحسبنا ذلك، فإذا هو يوم مات مالك بن أنس.

قيل: بعث هارون إلى مالك يستحضره مجلسه، ليسمع منه ابناه الأمين والمأمون، فقال له: يا أبا عبد الله، ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: قلت: أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه يعز، وإن أنتم أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتي، فقال: صدقت: أخرجا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس، قال مالك: بشريطة ألا يتخطيا رقاب الناس، ويجلسا حيث بهما المجلس، فحضراه بهذا الشرط.

قيل: لما حج هارون الرشيد، وصار إلى المدينة، أرسل إلى مالك أن أحمل إلينا كتابك، فقال: العلم يؤتى ولا يأتي، فقال الرشيد: والله لا نسمع إلا في بيتك، فقال مالك: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ان العالم إذا خص العلم دون العامة لا ينتفع به الخاص ولا العام»، فنادى في الناس، وأقبل أصحاب الحديث، ثم قال: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من تواضع للعلم يرفعه

الله »، فنزل وجلس مع أصحاب الحديث، ثم قرأ الكتاب، ولذلك سمي الكتاب (الموطأ)، فإن هارون قد تواطأ له، فحمل إليه هارون بغلاً ودابة وحماراً وخمسمائة دينار، فقبل المال ورد البهائم، ثم قال: ما كنت لأركب في مدينة، نبي الله ملحود في ترابها، ولم ير مالك راكباً بالمدينة قط.

روي عن الشافعي، أنه رأى على باب مالك: كراعاً من افراس خراسان وبغال مصر، ما رأيت أحسن منه، فقلت له: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله، قلت، دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: أنا أستحي من الله تعالى، أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحافر دابة.

روي أن الرشيد سأل مالكاً: هل لك دار، فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها داراً، فأخذها ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق، قال لمالك: ينبغي أن تخرج معي، فأني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ، كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال: أما حمل الناس على الموطأ، فليس إلى ذلك سبيل، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « اختلاف أمتي رحمة »؛ وأما الخروج معك، فلا سبيل إليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيخرجون بعدي من المدينة لأجل الدنيا، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون »، وقال: « المدينة تنفي خبثها »، وهذه دنانيركم كما هي، ان شئتم فخذوها، وإن شئتم فدعوها — يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة، لما اصطنعته إليَّ، فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ فرحل الرشيد إلى مكة، فأرسل إلى سفيان بن عيينة أن أحمل إليَّ علمك، فحمل إليه، فلما قدم العراق، كان الرشيد يقول: رحم الله مالكاً، تواطأنا له فانتفعنا بعلمه، ورحم الله سفيان، تواطأ لنا فلم ننتفع بعلمه.

قيل: كان مالك كلما جلس مجلسا، لا ينطق بشيء حتى يقول: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم﴾[1] و يروى أن سعيداً كلما

(١) سورة البقرة، آية: ٣٢.

نسي شيئاً، يقول هذه الكلمات فيذكره.

وأعلم أنه لا يفي بتعداد فضائل هذا الطود الأشم، والبحر الزخار، بطون الكتب ومضامين الأسفار، فضلاً عن هذه السطور والأوراق، فاكتفينا بهذا القدر المسطور.

ومن الأئمة المجتهدين:

الإمام أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي.

لقي شافع النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو مترعرع، وأسلم أبو السائب يوم بدر، كان السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأسر وفدى نفسه، ثم أسلم.

(ولد) الشافعي بغزة، أو بعسقلان، أو باليمن، سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة. وقيل: بل ولد يوم وفاته، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين قال محمد بن الحكم: إن أم الشافعي لما حملت به، رأت كأن المشتري خرج من بطنها وانقض، ثم وقع في كل بلدة منه شظية، فقال المعبر: أنه يخرج من بطنك عالم عظيم.

وقال الشافعي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، في النوم، فقال لي: يا غلام، من أنت، فقلت: من رهطك يا رسول الله، فقال: ادن مني، فدنوت منه، فأخذ من ريقه، ففتحت فمي، فأمر من ريقه على لساني وفي وشفتي، وقال: امش بارك الله فيك.

وقال أيضاً: رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، بمكة في زمان الصبا في المنام، ذا هيبة يؤم الناس في المسجد الحرام، فلما فرغ من صلاته، أقبل على الناس يعلمهم، فدنوت منه فقلت: علمني، فأخرج ميزاناً من كمه، فأعطاني وقال: هذا لك؛ قال الشافعي: فعرضت الرؤيا على المعبر، فقال: إنك تصير

إماماً في العلم، وتكون على السنة، لأن امام المسجد الحرام أفضل الأئمة كلهم، وأما الميزان، فإنك تعلم حقيقة النبي، صلى الله عليه وسلم، في نفسه.

وذكروا أن الشافعي كان في أول الأمر فقيراً، ولما سلموه إلى المعلم، ما كانوا يجدون أجرة المعلم، فكان المعلم يقصر في التعليم، إلا أن المعلم كلما علم صبياً شيئاً، كان الشافعي يتلقف ذلك الكلام، ثم إذا قام المعلم من مكانه، أخذ الشافعي يعلم الصبيان تلك الأشياء، فنظر المعلم، فرأى الشافعي يكفيه أمر الصبيان، أكثر من الأجرة التي كان يطمع بها منه، فترك طلب الأجرة، واستمرت هذه الأحوال، حتى تعلم القرآن لتسع سنين.

قال الشافعي: ولما ختمت القرآن، دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الجيف، وكنت فقيراً بحيث ما كنت أملك ما أشتري به القراطيس، فكنت آخذ العظم وأكتب فيه. وكان في أول الأمر تفقه على مسلم بن خالد، وفي أثناء ذلك الأمر، وصل إليه الخبر بأن مالك بن أنس إمام المسلمين وسيدهم. قال الشافعي: فوقع في قلبي أن أذهب إليه. فاستعرت (الموطأ) من رجل بمكة، وحفظته، ثم دخلت إلى والي مكة، فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك ابن أنس، وقدمت المدينة وبلغت الكتاب، فقال والي المدينة: يا فتى، ان كلفتني المشي من جوف المدينة إلى جوف مكة راجلاً حافياً، كان أهون علي من المشي إلى باب مالك، فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره، فقال: هيهات، وليتنا إذا ركبنا إليه، ووقفنا على بابه كثيراً، فتح لنا الباب، قال: ثم ركب وذهبنا معه إلى دار مالك، معه رجل، وقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء، فقال لها الأمير: قولي لمولاك أني بالباب، فدخلت الجارية وأبطأت، ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقول: إن كان لك مسألة، فادفعها في رقعة، حتى يخرج إليك الجواب، وإن كان المجيء لمهم آخر، فقد عرضت يوم الخميس، فانصرف، فقال: إن معي كتاب والي مكة في مهم، فدخلت، ثم خرجت وفي يدها كرسي، فوضعته، فإذا مالك شيخ طوال، وقد خرج عليه

المهابة وهو متطلس، فرفع الوالي الكتاب إليه، فلما بلغ إلى قوله: إن محمد بن إدريس رجل شريف من أمه، حاله كذا وكذا، فرمى الكتاب من يده، وقال: سبحان الله، صار علم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بحيث يطلب بالرسائل، قال الشافعي: فقلت: أصلحك الله، اني رجل مطلبي من حالتي، وقصتي كذا وكذا، فلما سمع كلامي، نظر إلى ساعة، وكان لمالك فراسة، فقال لي: ما أسمك، قلت: محمد، فقال لي: يا محمد، اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، فقلت: نعم وكرامة، فقال: ان الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بالمعاصي، ثم قال: إذا كان غداً تجيء بمن يقرأ لك (الموطأ)، فقلت: اني أقرأه من الحفظ. ورجعت إليه من الغد، وابتدأت بالقراءة، فلما أردت قطع القراءة خوفاً من ملاله، أعجبه حسن قراءتي، فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك. وكان الشافعي إذا حكى شيئاً لمالك، يقول: هذا قول أستاذنا مالك. قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فاني سمعتك تكثر الدعاء له، فقال لي: يا بني، كان الشافعي كالشمس للنهار، وكالعافية للناس، فأنظر، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض.

وقال أخوه صالح بن أحمد بن حنبل: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده، وكان عليلاً، قال: فوثب أبي إليه، وقبل بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه، وجلس بين يديه، ثم أخذ يسأله ساعة، فلما قام الشافعي وركب، أخذ أبي بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين ذلك، فقال: سبحان الله، لم فعلت ذلك، قال أبي: وأنت يا أبا زكريا، لو مشيت من الجانب الآخر، لانتفعت به، ومن أراد الفقه، فليشم ذنب هذه البغلة.

وقال أحمد بن حنبل: ما أعلم أحداً أعظم منه على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، وأني لأدعو له في آثار صلواتي: اللهم أغفر لي ولوالدي ولمحمد بن ادريس الشافعي.

وقال الحسين بن محمد الزعفراني: ما قرأت على الشافعي من الكتب شيئاً، إلا وأحمد بن حنبل شاهد.

قال الشافعي: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العلم أفلح. وقال: ما ناظرت أحداً قط، إلا أحببت أن يوفق و يسدد و يعان عليه، وتكون عليه رعاية من الله وحفظه، وما ناظرت أحداً، إلا ولم أبال، بين الله الحق على لساني أو لسانه.

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ــ ما عدا الشرك ــ خير من أن ينظر في الكلام، فاني والله أطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط؛ وقال: ما أرتدى أحد بالكلام فأفلح.

وقال أبو محمد بن أخت الشافعي، عن أمه، قالت: ربما قدمنا في ليلة واحدة، ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر، المصباح إلى بين يدي الشافعي، وكان يستلقي و يتذكر، ثم ينادي: يا جارية، هلمي المصباح، فتقدمه، و يكتب ما يكتب ثم يقول: أرفعيه؛ فقيل لأبي محمد: ما أراد برد المصباح، قال: الظلمة أجلى للقلب.

وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر؛ وقال: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه..

وقال الحميدي: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة، بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءه خارجاً من مكة، وكان الناس يأتونه، فما برحت حتى ذهبت كلها، ثم دخل مكة.

وقال المزني: ما رأيت أكرم من الشافعي، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره في مسألة، فأتاه غلام بكيس، فقال له: مولاي يقرئك السلام، و يقول لك: خذ هذا الكيس، فأخذه منه؛ وأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله: ولدت امرأتي الساعة، وليس عندي شيء، فدفع إليه الكيس، وصعد وليس معه شيء.

وفضائله أكثر من أن تحصى، و بالجملة: هو إمام الدنيا وعالم الأرض شرقاً

وغرباً، جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لإمام قبله ولا بعده، وانتشر له من الذكر ما لم ينتشر لأحد سواه، سمع مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد، وخلق كثير؛ حدث عنه أحمد بن حنبل، وأبو ثور ابراهيم بن خالد، وأبو ابراهيم المزني، والربيع بن سليمان المرادي، وخلق كثير غيرهم.

قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة، وأقام بها سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم قدمها سنة ثمان وتسعين ومائة، فأقام بها أشهراً، ثم خرج إلى مصر، و (مات) بها عند العشاء الآخرة ليلة الجمعة، و (دفن) في يوم الجمعة بعد العصر، وكان آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة.

قال الربيع: رأيت في المنام قبل موت الشافعي بأيام، أن آدم صلوات الله عليه مات، ويريدون أن يخرجوا بجنازته، فلما أصبحت، سألت بعض أهل العلم عنه، فقال: هذا موت أعلم أهل الأرض، لأن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها، فما كان يسيراً حتى مات الشافعي وقال المزني دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحت، قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللأخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء أعمالي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منه وتكرما
فلولاك لم يسلم من ابليس عابد ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما

وقال أحمد بن حنبل: رأيت الشافعي في المنام، فقلت له: يا أخي، ما فعل الله بك، قال: غفر لي وتوجني وزوجني، وقال لي: هذا بما لم تزهى بما أرضيتك، ولم تتكبر فيما أعطيتك.

اتفق العلماء قاطبة، من أهل الفقه والأصول والحديث واللغة والنحو وغير

ذلك، على أمانته وعدالته، وزهده وورعه، وتقواه وجوده، وحسن سيرته، وعلو قدره فالمطنب في وصفه مقصر، والمسهب في مدحه مقتصر، سيما وقد كثر عليها المجلدات الكبار، ولم يبلغوا ساحل هذا البحر الزخار، فكيف يستقصى في هذه الوريقات الصغار.

وأعلم أن الأئمة الشافعية، استدلوا على رجحان مذهب الشافعي على سائر المذاهب، بأحاديث مطلقة ومقيدة.

أما الأحاديث المطلقة، فهي الأحاديث الواردة في فضل قريش، منها حديث جبير بن مطعم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن للقرشي قوة الرجلين من غير قريش»، قيل للزهري: ما عنى بذلك، قال: نبل الرأي؛ ومنها: «هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»؛ ومنها «إذا اجتمعت جماعات في بعضها قريش، فالحق مع قريش، وهي مع الحق»؛ ومنها «أمان أهل الأرض من الخلاف الموالاة لقريش»؛ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش.

ومنها ما في الصحيحين: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس إثنان». وقد أوردوا غير ذلك أحاديث تدل على فضل قريش مطلقاً، لا في حق العلم، بل أعم من ذلك، ولذلك لم أذكرها، والذي يمكن حمله على فضيلة العلم في الجملة في حق قريش مطلقاً هو الذي ذكرناه.

وأما الأحاديث الدالة على فضيلة الشافعي بخصوصه، فهي ما روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً». وعن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا تؤموا قريشاً وائتموا بها، ولا تقدموا على قريش وقدموها، ولا تعلموا قريشاً وتعلموا منها، فإن أمانة الأمين من قريش، تعدل أمانة الأمينين من غيرهم، وإن علم عالم قريش يملأ سبع طباق الأرض».. وهذا الحديث قاله علي، كرم الله وجهه، يوم حروراء، لعبد الله بن عباس، لما أرسله الى الخوارج، وقال: قل لهم: علام تتهموني، وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها»، وفي لفظ آخر: «في رأس كل مائة سنة رجلاً من أهلي يبين أمر دينهم»، ذكره الإمام أحمد بن حنبل.

وقال عقيبة: نظرت في سنة مائة، فإذا هو رجل من آل رسول الله، صلى الله عليه وسلم: عمر بن عبد العزيز؛ ونظرت في رأس المائة الثانية، فإذا هو رجل من آل رسول الله، صلى الله عليه وسلم: محمد بن ادريس الشافعي، وهذا ثابت عن الإمام أحمد سقى الله عهده.

قال العلماء: فعلى هذا عالم المائة الثالثة ابن سريج، وقيل: الأشعري، لكن رجحوا كون عالم المائة الثالثة ابن سريج لوجهين:

الأول: أن أبا الحسن الأشعري، كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها، وابن سريج كان قيامه للذب عن فروع المذهب الواقع عن عالم المائة الثانية، فإن المناسبة بينه وبين عالم المائة الثانية، اقتضت تعيين ابن سريج.

الثاني: أن الأشعري تأخرت وفاته عن رأس القرن إلى رأس العشرين، ووفاة ابن سريج في رأس القرن.

وقد صح أن الحديث ذكر في مجلس أبي العباس ابن سريج، فقام شيخ من أهل العلم، فقال: أبشر أيها القاضي، فإن الله تعالى، بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى الثانية الشافعي ــ رحمه الله ــ، وبعثك على الثالثة، ثم أنشأ يقول:

إثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السؤدد
الشافعي الألمعي محمد ... أرث النبوة وابن عم محمد
أرجو أبا العباس أنك ثالث ... من بعدهم سقيا لتربة أحمد

قال: فصاح ابن سريج، وبكى وقال: لقد نعى إلي نفسي، وروي أنه مات في تلك السنة.

وأما المائة الرابعة، فقد قيل أنه الشيخ أبو حامد الاسفراييني، وقيل: بل الأستاذ سهل بن أبي سهل الصعلوكي.

قال ابن السبكي: والخامس الغزالي، والسادس الإمام فخر الدين الرازي، ويحتمل أن يكون الإمام الرافعي، إلا أن وفاته تأخرت إلى بعد العشرين والستمائة، كما تأخرت وفاة الأشعري. ومن العجيب وقوع الإختلاف في المائة الثالثة بين الأشعري وابن سريج، وفي المائة السادسة بين الإمام الرازي والرافعي، مع وقوع وفاة ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة وتأخر وفاة الأشعري إلى بعد العشرين، ووقوع وفاة الإمام الرازي سنة ست وستمائة وتأخر وفاة الرافعي إلى بعد العشرين. وفي المائة السابعة ابن دقيق العيد، بلا مدافعة فيه أصلاً.

ثم قالوا: إن العلماء المذكورين كلهم شافعية، ومن هنا تبين أنه الإمام المبعوث، الذي استقر أمر الناس على قوله، وبعث بعده في رأس كل مائة من يقرر مذهبه. وإذا ثبت هذا ثبت أنه مصيب في اجتهاده، فإن الله تعالى يأبى ـ ان شاء الله ـ أن يبعث لتجديد دينه ناقصاً في علمه ومخطئاً في اجتهاده، والمذهب أن المصيب بين المجتهدين واحد فقط. هذا ما ذكروه.

ولكن لا يخفى عليك أن أمر التفضيل يدور على أنواع ثلاثة:

أحدها: فضيلة الأفراد، كقولك: زهاد العلم أفضل من عوام المسلمين؛

وثانيها: كثرة الأفراد الفاضلة، فيراد فضيلة الجنس، كقولك: الرجل خير من المرأة، إذ ليس كل رجل حتى الفساق، خيراً من كل امرأة حتى رابعة العدوية قدس سرها؛

وثالثها: قوة جهة الفضيلة، كقولك: عوام البشر أفضل من عوام الملائكة، فإن الأفراد الفاضلة، وإن لم تكن أكثر في البشر، لكن جهة الفضيلة أقوى فيهم، كما حقق في موضعه، فيراد فضيلة الجنس أيضاً.

وإذا عرفت ذلك، فأعلم أن فضيلة القرشي على غيره، ليس من قبيل النوع

الأول، وذلك ظاهر، إذ ليس كل قرشي أفضل ممن عداه، بل أما من قبيل النوع الثاني أو الثالث، وعلى كل تقدير، لا يدل على فضيلة الشافعي بخصوصه، ولو سلم دلالة بعض الأحاديث السالفة على فضيلته بخصوصه على غيره، وهو أحق بذلك، لكن من حيث أنه قرشي لا مطلقاً، ولو سلم أنه يدل على فضيلته في العلم، وهو كذلك، كما يفهم من بعض الأحاديث السالفة، لكن يدل على فضيلته على معاصريه وعلى من بعده، لا على السلف ولا على من عداه مطلقاً، بحيث يدخل السلف فيهم، لأن العرف شاهد على أن الفضيلة في أمثال هذا الكلام لا تتناول من تقدمه، على أنه يلزم حينئذ فضيلته على الصحابة أيضاً، وأنه باطل جزماً.

وأما حديث: «الأئمة من قريش»، فقد يراد به ــ والله أعلم ــ الإمامة الكبرى دون إمامة العلم، أو ما هو أعم منها، وإلا لنازعت الأنصار الصديق وقت احتجاجه بهذا الحديث عليهم، وأيضاً لو كان المراد امامة العلم، لأختص الفتوى بقريش في زمن الأصحاب، وليس كذلك، فحاشاهم عن المساهلة في أمر الدين.

وأعلم أن من تدبر قوله، صلى الله عليه وسلم: «اختلاف أمتي رحمة»، وعرف أن مبنى مسائل الفروع على الظن، لا يسوغ له التحكم بين المذاهب؛ ولا العصبية لواحد من المجتهدين على الآخر منهم، وإنما قصارى أمر المقلد أن يعتقد صحة مذهبه، وإلا لما صح تقليده، وأن يعتقد خطأ مخالفة في موضع خلافه، وإلا لم يصح مذهبه، لأنه يعتقد خطأ من يخالفه مطلقاً، إذ كم من مسائل اتفاقية بين الأئمة، وإذا كان مسائل الفروع ظنيات، يلزم أن يكون صحة مذهبه محتمل الخطأ، وخطأ مخالفة محتمل الصحة، فلا يكون الصحة والخطأ هناك أمراً يقينياً، بل راجعاً إلى ظن المجتهد والمقلد، فحينئذ لا يبقى مزيد جدال للعصبية والجدال، إلا أن بعضاً من فقهاء زماننا، أخذتهم الحمية لبعض المذاهب، و يركب الصعب والذلول في العصبية، وهذا من سوء أخلاقهم، ولقد يوجد فيهم من يبالغ في العصبية، حتى يمتنع من الصلاة خلف بعض، إلى غير ذلك مما يستقبح ذكره، و يا و يح هؤلاء، أين هم من الله، ولو كان

الشافعي وأبو حنيفة حيين، لشددا النكير على هذه الطائفة وتبرآ منهم فيما يفعلون، فلعمر الله لا أحصي عدد من رأيته يشمر عن ساعد الإجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يسمي، أو حنفي يلمس ذكره ولا يتوضأ، أو مالكي يصلي ولا يبسمل، أو حنبلي، يقدم الجمعة على الزوال، وهو يرى من العوام ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى يتركون الصلاة، بل يرى كثيراً من أهل بيته يتركونها وهو ساكت عنهم، مع أن جزاء من تركها عند الشافعية ومالك وأحمد ضرب العنق، فيا لله والمسلمين، أهذا فقيه على الحقيقة، قبح الله مثل هذا الفقيه، ثم وما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تنكرون المكوس والمحرمات المجمع عليها، ولا تأخذكم الغيرة لله تعالى فيها، وإنما تأخذكم الغيرة للشافعي وأبي حنيفة، حتى يؤدي ذلك إلى افتراق كلمتكم، وتسلط الجهال عليكم، وسقوط هيبتكم عند العامة، وقول السفهاء في أعراضكم ما لا ينبغي، فيهلكون لكلامهم فيكم، لأن لحومكم مسمومة على كل حال لأنكم علماء، وإنما تهلكون أنفسكم بما تركبونه من العظائم، تاب الله عليكم، وأرشدكم طريق الصلاح والفلاح، بحرمة العلم الذي منحه الله إياكم، وبحرمة العلماء الذين أخذتموه منهم، عصمنا الله وإياكم عن التعصب في الدين، وثبتنا وإياكم على التقوى واليقين، بحرمة نبيه الأمين، وآله وصحبه الأكرمين.

ومن الأئمة المجتهدين.

الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي

(ولد) ببغداد سنة أربع وستين ومائة، ومات بها سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة. كان إماماً في الفقه والحديث، والزهد والورع والعبادة، وبه عرف الصحيح والسقيم، والمجروح من المعدل.

نشأ ببغداد، وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والجزيرة، وكتب عن علماء ذلك العصر، فسمع

من يزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن ادريس الشافعي، وعبد الرزاق بن همام، وخلق كثير سواهم.

روى عنه ابناه صالح وعبد الله، وابن عمه حنبل بن إسحق، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبو زرعة، وأبو داود السجستاني، وخلق كثير سواهم، إلا أن البخاري لم يذكر في صحيحه عنه إلا حديثاً واحداً في آخر كتاب الصدقات تعليقاً، وروى أحمد بن الحسن الترمذي عنه حديثاً آخر. وفضائله كثيرة، ومناقبه جمة، وآثاره في الإسلام مشهورة، ومقاماته في الدين مذكورة، انتشر ذكره في الآفاق، وسرى حمده في البلاد، وهو أحد المجتهدين المعمول بقوله ورأيه، ومذهبه في كثير من البلاد.

قال إسحق بن راهويه: أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبده في أرضه. وقال الشافعي: خرجت من بغداد، وما خلفت بها أحداً أتقى وأورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل. وقال أحمد بن سعيد الدارمي: ما رأيت أسود الرأس، أحفظ لحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم بفقهه ومعانيه، من أبي عبد الله أحمد بن حنبل. وقال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: ما يدريك، قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب. وقال ابراهيم الخرقي: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء. وقال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، وما رأيته ذكر الدنيا قط.

وقال محمد بن موسى: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر، مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه ميراث حلال، فخذها واستعن بها على عائلتك، فقال: لا حاجة لي فيها، أنا في كفاية، فردها ولم يقبل منها شيئاً.

وقال عبد الله بن أحمد: كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر صلاته: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصن وجهي عن المسألة لغيرك.

وقال ميمون بن الأصبغ: كنت ببغداد، فسمعت ضجة، فقلت: ما هذا، فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فدخلت، فلما ضرب سوطاً، قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث، قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع، قال: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾[1]، فضرب تسعة وعشرين سوطاً، وكانت تكة أحمد حاشية ثوب، فانقطعت، فنزل السراويل إلى عانته، فرمى أحمد طرفه إلى السماء، وحرك شفتيه، فما كان بأسرع من أن ارتقى السراويل ولم ينزل، فدخلت إليه بعد سبعة أيام، فقلت: يا أبا عبد الله: رأيتك تحرك شفتيك، فأي شيء قلت، قال: قلت اللهم اني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش، إن كنت تعلم أني على الصواب، فلا تهتك لي ستراً.

وقال أحمد بن محمد الكندي: رأيت أحمد بن حنبل في المنام، فقلت: ما صنع الله بك، قال: غفر لي، ثم قال: يا أحمد ضربت في، قال: قلت: نعم يا رب، فقال: يا أحمد هذا وجهي فأنظر إليه، فقد أبحتك النظر إليه.

وقد تقدم قصة محنة أحمد بن حنبل بخلق القرآن على وجه لا مزيد عليه.

روى أنه لما مات أحمد بن حنبل، صلى عليه من المسلمين ما لا يحصى، فأمر المتوكل أن يمسح موضع الصلاة عليه من الأرض، فوجدوا موقف ألفي ألف وثلاثمائة ألف ونحوها. ولما انتشر خبر موته، أقبل الناس من البلاد يصلون على قبره، فصلى عليه ما لا يحصى. روى أنه أسلم في ذلك اليوم من اليهود والنصارى نحواً من ثلاثين ألفاً، لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته، ولما رأوا من العجب ذلك اليوم.

(١) سورة التوبة، آية: ٥١.

ومن الأئمة المجتهدين.

الإمام أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد

ابن حبتة الأنصاري البجلي

وجده سعد أول أب لأبي يوسف في الإسلام، وله نصرة للنبي، وعرض عليه، عليه الصلاة والسلام، يوم أحد، فرده لصغره، وكان لا يأذن للخروج إلى الغزاة إلا البالغ.

نزل الكوفة فمات بها، وصلى عليه زيد بن أرقم، وكبر عليه خمساً، وقد أصاب لسعد من النبي صلى الله عليه وسلم دعوة.

ذكر الإمام الصيمري أن سعد بن حبتة البجلي من الأوس، جاء يوم الخندق، فاستصغره النبي صلى الله عليه وسلم، ومسح رأسه، فتلك المسحة فيهم إلى قيام الساعة. وكان الإمام أبو يوسف إذا نظر إليه كأن رأسه أدهن من تلك المسحة.

(ولد) أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة بالكوفة، ثم سكن بغداد، وسمع من الإمام أبي حنيفة، وأبي إسحق الشيباني، وسليمان التيمي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان الأعمش، وهشام بن عروة، وعبد الله بن عمرو العمري، وحنظلة بن أبي سفيان، وعطاء بن السائب، ومحمد بن إسحق بن يسار، وحجاج بن أرطأة، والحسن بن دينار، وليث بن سعد، وأيوب بن عتبة، وجماعة.

وروى عنه محمد بن الحسن، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن مجعد، وابن حنبل ويحيى بن معين، وعمر بن محمد الناقد، وأحمد بن منيع، وعلي بن موسى الطوسي، وعبدوس بن بشر، والحسن بن شبيب في آخرين.

ولاه موسى أبو هارون الرشيد قضاء بغداد، ثم الرشيد، وهو أول من لقب بقاضي القضاة في الإسلام، لم يختلف يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المدايني في أنه ثقة. وكان استخلف ابنه يوسف على الجانب الغربي، وأقره الرشيد على عمله، وولاه قضاء الرصافة بعد أبيه.

قال بشر بن غياث: صحبت أبا يوسف سبع عشرة سنة، ثم أنصبت عليه الدنيا سبع عشرة سنة؛ قال أبو يوسف: ما أظن أجلي إلا قد اقترب فما لبث شهراً حتى مات. قيل أنه مات لخمس خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة.

روى أن الشيخ معروف الكرخي تأسف حيث فاتته صلاته، فقيل له في ذلك أنه ولى القضاء، وكان من عمال السلاطين، قال: أني رأيت البارحة كأني دخلت الجنة، فرأيت قصراً فرشت مجالسه، وأرخيت ستوره، وقام ولدانه، قلت: لمن هذا، قالوا: لأبي يوسف، قلت: سبحان الله، وبم استحق هذا، قالوا: بتعليم العلم وصبره على أذاهم.

ذكر الإمام عبد الحميد الخوارزمي، والإمام الصيمري، عن يحيى بن حرملة، عن أبي يوسف أنه قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل الحال، فجاء إلى أبي وأنا عند الإمام، فقال: يا بني، لا تمد رجلك معه، فإن خبزه مشوي وأنت محتاج إلى المعاش، فاخترت طاعة والدي، وقعدت عن الطلب، فسألني الإمام وتفقدني وقال: ما خلفك عنا، قلت: طلب المعاش، فلما رجع الناس، دفع إلي صرة مائة درهم، فقال: أنفق هذا، فإذا نفد فأعلمني، وألزم الحلقة، وجعل كلما نفد يعطيني مائة أخرى بلا أعلامي، كأنه يخبر بنفادها، حتى بلغت حاجتي من العلم، أحسن الله تعالى مكافأته وغفر له.

وذكر الإمام الحلبي، عن علي بن الجعد، عن أبي يوسف، قال: مات أبي وأنا صغير، وأسلمتني أمي إلى القصار، فكنت أدع القصار وألزم حلقة الإمام، ولما طال ذلك، جاءت أمي إلى الإمام وقالت: ما للصبي أستاذ غيرك، أطعمه غزلي وهو يتيم، قال الإمام: دعيه فإنه يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فولت قائلة: هذا شيخ ذهب عقله، فلزمته حتى نفعني الله بالعلم، وتقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، وآكل على مائدته، فلما كان في بعض الأيام، قدم إلى الرشيد فالوذجة بدهن الفستق، فقال: كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها، فضحكت، فسألني عن الضحك، فأخبرته، وقال: لعمري أن العلم ينفع ويرفع ديناً ودنيا، وترحم على الإمام وقال: كان ينظر بعين

قلبه، ويرى ما لا يراه غيره بعين رأسه.

وعن شجاع بن محمد، عن أبي يوسف، قال: مات أبي فلم أحضر جنازته، وتركته على الجيران والأقارب، خشية أن يفوتني مجلس من الإمام ما لا تذهب حسرته عني.

وعن بشر بن الوليد، قال: كان عيالي يدخلون على عيال أبي يوسف، فحكت امرأته القديمة، أن أبا يوسف كان لا يغيب عن مجلس الإمام ليلاً ونهاراً إلا في بعض الليالي، فذهبت إلى الإمام، وشكيت من الإقلال، قالت: فوعظني وقال: إنما هي أيام قلائل وستفتح الدنيا لكم أضعاف ما ترجونه، فلم تمر الأيام حتى فتحت، فسألت أبا يوسف عن مقدار ما يملك، فقال: لا أعرف الجميع، إنما أعرف أن لي سبعمائة بغل ركابهن من ذهب، وثلاثمائة فرس.

عن طلحة بن محمد بن جعفر، أنه كان مشهوراً بالعلم ظاهراً بالفضل من أصحاب الإمام، أفقه أهل عصره، وهو أول من وضع في أصول الفقه على مذهب الإمام، وأملي المسائل، وبث علم الإمام في أقطار الأرض.

عن القاسم بن رزيق، قال: كان أبو يوسف صغير الجثة، يكاد يغرق في فراشه، فأخذ في الكلام، فتحيرت وقلت: لو شاء الله أن يجعل العلم في جوف طير لفعل.

عن بشر بن الوليد: أوى أبو يوسف ليلة إلى فراشه، فإذا رجل يقرع الباب، فإذا هرثمة بن أعين، فقال: أجب الخليفة، قال: ما السبب، قال: لا أدري، خرج مسرور الخادم، فأمرني أن أجيء بك، فاغتسل وتحنط وراح؛ قال: فدخلت، فإذا عيسى بن جعفر عنده، فسلمت، فرد السلام وقال: روعناك، ثم قال: عند هذا جارية لا يبيعني، قلت: وما قدرها حتى تمنعها من الخليفة، قال: ليس من العدل سرعة العزل، لي حلف على ألا أبيعها ولا أهبها، قال الرشيد: هل من مخرج، قلت: نعم، يبيع النصف ويهب النصف، فيكون لم يهب ولم يبع؛ فأتي بالجارية وفعل ذلك، ثم قال الرشيد: يا يعقوب، إن لم أبت معها الليلة، كادت نفسي تخرج، ولا من الإستبراء، قال: اعتقها وتزوجها، فإن الحرة لا تستبرأ؛ فأعتقها وتزوجها على عشرين ألف دينار، ثم

أمر لأبي يوسف عشرين تختاً من ثياب ومائتي ألف درهم، ووهبت له الجارية نصف مهرها، واعتذرت بأن نصفه جعلته لأحتياجي، قال بشر: فأخذ المال وأعطاني ألف دينار، وقال: هل رأيت بأساً فيما فعلت، قال بشر: قلت: لا.

يروى أن الرشيد، حلف بالطلاق ثلاثاً ان باتت زوجته زبيدة في ملكه، وندم وتحير، فقال: ان هاهنا فتى من أصحاب الإمام، (منه) يرجى المخرج، فدعاه وعرض عليه، فقال: استعمل حق العلم، قال: كيف، أنت على السرير وأنا قائم، فوضع له كرسي وجلس عليه، ثم قال: تبيت الليلة في المسجد ولا يد لأحد عليه، قال الله تعالى: «وأن المساجد لله»؛ فولاه الرشيد قضاء القضاة، وقال له: حاجتك، قال: أن تخرجني من اليمين كما أخرجتك، فإن أمي كانت تنهاني عن التعلم، فحلفت أن أطعمها خبيص سكر تتخذ للخليفة في طبق الخليفة، وكان في جواري يهودي، فبنى كنيفاً وضيق الطريق، فمنعته، وقال: إذا جئت بعمارة الخليفة وضاق الطريق لها تهدمه، فحلفت أن أفعل ذلك؛ فأمر بعمارته وركب عليها، وجعل في طبق خبيصة فبعث إلى أمه، فلما ركب العمارة ضاقت المحلة بسبب الكنيف فهدم، فقال اليهودي: كنت علمت بالهدم حين قلت: إذا ضاقت بالعمارة فأهدمه، وخرج أبو يوسف عن الحلفين.

يروى أنه حج مع الرشيد وكان زميله وكان إذا بزق رفع ذيل العمارة فبصق، فقال له الرشيد: أتدري من أنت، فباهى أنه من آل هاشم، فقال أبو يوسف: فخرك بنسبك وفي العالم ألوف مثلك، وأنا أوحد العصر في العلم، فانقطع الخليفة وقال: ليتني كنت حمالاً وتعلمت العلم.

وقال محمد بن سلمة الفقيه: حج أبو يوسف مع الرشيد، وتقدم يعقوب للإمامة في عرفات، فلما صلى ركعتين سلم وقال: يا أهل مكة، أتموا صلاتكم، فأنا قوم سفر، فقال رجل من أهل مكة: نحن أعلم به منك وممن علمك، فقال: لو كنت كذلك لما تكلمت في صلاتك، فسر هارون وقال: وددت أن هذا الجواب لي بشطر مملكتي. وقيل: قال ذلك الرجل: جبلنا جبل الرحمة، ومنزل الحكم والعلم والبركات من السماء، ونحن مهبط الوحي، فقال: نعم،

ولكن ما استقرت (الرحمة) بجبلكم، بل سالت إلينا في الأودية والشعاب، فاستقرت عندنا. ذكر الإمام الغزنوي عن هلال، أن أبا يوسف كان يحفظ التفسير والحديث وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه.

وعن أحمد بن حنبل (أنه قال): صحبت من لا يخشى العار، عار يوم القيامة؛ وعنه أنه قال: رؤوس النعمة ثلاثة: الإسلام، والغنى، والعافية، ولا يتم العيش إلا بها. وعن علي بن الجعد قال: العلم لا يعطيك بعضه، حتى تعطي أنت له كلك، فإذا أعطيت كلك، كنت في إعطائه البعض لك على غرر. وعن الفضل قال: لا يبلغ في الفقه، إلا من ليس له هم الدنيا والآخرة. وعن محمد بن سماعة، (أنه) كان يصلي بعدما ولى القضاء كل يوم مائة ركعة. وعن بشر بن القاسم قال: قال أبو يوسف: أخذت الفرائض ومسائل الحيض عن الإمام في مجلس، والنحو عن رجل حاذق في مجلس.

وذكر عباس الدوري، أنه كلم الخليفة في أرزاق الأنصار فأجرى عليهم، وكان هو منهم. وكان معظماً لأمور الدين، لم يكن يرفع يديه تحت الثياب إذا دعا ربه، بل كان يبرز، وكان يصوم رجب وشعبان.

وعن محمد بن فضل بن عطية: رأيت رجلين يتساومان جارية، فقال أحدهما: مثلي ومثلك قول الله تعالى: ﴿ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾[1]، فسمع أبو يوسف كلامهما، فتغير لونه وكاد يغشى عليه، فأقبل يعاتب القائل وقال: أما يخشى أحدكم من الله تعالى، يجعل كلامه نزلة لكلامه، أما ينبغي لقارىء القرآن أن يقرأه بخشوع وورع وهيبة، أما أراك إلا وقد زال عقلك. وفي رواية: سمع رجلاً يقول لآخر: ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾[2]، فعاتبه بهذا العتاب.

وقال محمد بن الفضل: كنت لا أحب أبا يوسف لمخالطته الولاة، فلما سمعت هذا الكلام أحببته. وذكر أبو إسحق الرازي، أنه سئل عن ركابه،

---

(١) سورة ص، آية: ٢٣.
(٢) سورة طه، آية: ٤٠.

حيث كان من الذهب، وقد نهى عنه، فقال: أريد أن أرى الناس عز العلم، أن ابن الخياط بلغ به جلالة العلم إلى هذا القدر حتى يزداد الناس حرصاً.

قيل وكان هو أول من خوطب بقاضي القضاة، وأول من غير لباس العلماء بهذا الزي، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وإملاء الناس المسائل ونشرها في أقطار الأرض، حتى قيل: لولا أبو يوسف لما ذكر أبو حنيفة. وكان يقول: ما قلت قولاً خالفت فيه أبا حنيفة، وإنما هو قول قاله ثم رغب عنه. وعن ابراهيم بن مسلمة الطيالسي، أنه كان يدعو للإمام قبل أبويه، وقال: كان الإمام يدعو لحماد قبل أبويه. وكانت له عند الرشيد منزلة رفيعة، بحيث يبلغ دار الخلافة راكباً بغلته، فيرفع له الستر، فيدخل كما هو راكباً، والرشيد يبدأه بالسلام، حتى رد شهادة بعض قواده، فشكاه، فسأله الرشيد، فقال: سمعته يقول: أنا عبد الخليفة، فإن كان صادقاً فلا شهادة له، وإن كان كاذباً فشهادته مردودة. قيل: قال الخليفة له: إن أنا شهدت أمراً، هل تقبلها مني، قال: لا، فسأل عن ذلك، قال: لأنك تتكبر على الحق، ولا تحضر الجماعة مع المسلمين؛ فبنى الرشيد مسجداً في داره، وأذن للعامة في الصلاة في مسجده، فحضر بعد ذلك الصلاة معهم.

ويروي أن الرشيد قال له يوماً: إنك تبطىء في زيارتي وأنا راغب مشتاق إلى صحبتك، قال: إنما يحصل لك الشرف بزيارتي إذا زرتك في بعض الأوقات، وأما إذا أكثرت منها، فلا يحصل لك الشرف أصلاً، قال: فقبله الرشيد واستحسن جوابه.

روى أن الرشيد لما جعل الأمين ولي عهده في صباه، قال أبو يوسف: الحمد لله الذي جعل ولي عهد المؤمنين من لم يسود صحيفته بالأوزار، فبلغ ذلك أمه زبيدة، فأنفذت إليه مائة ألف درهم.

عن علي بن عيسى القمي قال: جئت إلى أبي يوسف في وقت ظننت أنه مشتغل بجواريه، فإذا على الطاقات قماطر حول البيت، قال: هذا قضايا قضيت بها على عباد الله تعالى، وأنا محتاج إلى أن أعدلها جواباً يوم القيامة. وعن

القاسم بن حكيم قال سمعته يقول: يا ليتني مت على ما كنت عليه من الفقر ولم أدخل في القضاء، على أني بحمد الله تعالى ما تعمدت جوراً، ولا حابيت خصماً من خصم، من سلطان ولا سوقة.

وعن محمد بن جماعة: سمعته يقول في اليوم الذي مات فيه: اللهم انك تعلم أني لم أظلم في حكم حكمت به بين عبادك متعمداً، واجتهدت على أن يوافق كتابك وسنة نبيك عليه الصلاة والسلام، وما لم أجده، جعلت بيني وبينك الإمام أبا حنيفة، لعلمي أنه لم يكن أحد أعلم به منه. وعن بشر بن الوليد قال: قال في مرضه الذي مات فيه: اللهم إنك تعلم أني لم أطأ فرجاً حراماً قط، وأنا أعلم وأنك تعلم أني لم آكل درهماً حراماً.

وذكر الإمام أبو الفرج سعيد بن رجاء الأصفهاني، عن أبي عبد الله السيد مولى، عن أبيه، قال: سمعته يقول عند موته: اللهم إن كنت تعلم أنه ما تقدم إليَّ خصمان، فأحببت أن يكون القضاء لأحدهما فأغفر لي. قال أبو حفص: ورأيتهم على مثله، أن يقول في مثل هذه الحالة بخلاف ما كان هو فيه، والله أعلم.

* * *

ومن الأئمة المجتهدين.

الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني

من قرية تسمى حرستا من أعمال دمشق، قدم أبوه العراق، فولد محمد بواسط، ونشأ بالكوفة؛ وقيل أنه مولى لبني شيبان من قرية فلسطين، ثم انتقل إلى الكوفة.

وذكر الإمام العلامة النسفي، صاحب (المصفى) و (الكافي)، أنه محمد بن الحسن بن عبد الله بن طاوس بن هرمز ملك بني شيبان، وأبو حنيفة نعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز، أسلم على يد عمر، وقد نقل عن بعض الكتب إن

هذه النسبة تبلغ إلى أفريدون. وذكر الخطيب البغدادي أنه من الجزيرة، كان أبوه في جند الشام.

(ولد) بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛ نشأ بالكوفة، وغلب عليه الرأي، أي الإجتهاد؛ قدم بغداد، وسمع منه الناس الحديث والرأي سمع العلم من الإمام أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، والثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن معول ومالك، وأبي عمر، والأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف.

سكن بغداد وحدث بها. روى عنه الإمام الشافعي، وأبو سليمان الجوزجاني، وهشام بن عبد الله الرازي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وإسماعيل بن توبة، وعلي بن مسلم الطوسي، وغيرهم.

كان الرشيد ولاه القضاء، فخرج معه إلى خراسان، ومات بالري ودفن به.

وكان الإمام من أحسن الناس وجهاً ولباساً، قدم به أبوه إلى الإمام، فقال لوالده: أحلق رأسه وألبسه الخلقان، ففعل، فزاد جمالاً، وفيه يقول أبو نواس:

حلقوا رأسه ليكسوه قبحاً غيرة منهم عليه وشحا
كان في وجهه صباح وليل نزعوا ليله وأبقوه صبحاً

وعن وكيع: كنا نتجانب أن نمشي معه في طلب الحديث، لأنه كان غلاماً جميلاً. وعن عبد الله بن محمد بن سلام، أنه رأى في المنام كأن قرين وقعاً من السماء إلى الأرض، فما مضى شهران حتى مات محمد والكسائي بعده بيومين.

ذكر أنه مات بالري سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة؛ وقيل: إن الإمام محمداً والكسائي ماتا في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت بالري الفقه واللغة؛ روى أن الرشيد قال: انها بلدة مشؤومة، دخلتها ومعي الفقه والأدب وخرجت وليس معي شيء منهما.

دفن الإمام محمد بجبل طبرك، بقرب دار هشام بن عبد الله الرازي؛

والكسائي بقرية أرنبوية، وبينهما أربعة فراسخ، وكان معسكره أربعة فراسخ، نزل الإمام محمد في جانب، والكسائي في جانب.

عن هشام بن عبد الله ــ الذي توفي الإمام في بيته ــ أنه لما حضرته الوفاة، بكى وقال: لو أوقفني الله تعالى، وقال: يا محمد، ما أقدمك على الري، أمجاهداً في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي، ما أقول.

عن الربيع، عن الشافعي: ما رأت عيناي مثل محمد بن الحسن، ولم تلد النساء في زمانه مثله. حكى أنه قيل لمحمد: ألا تصنف في الزهد كتاباً، قال: نعم، وكان قد فرغ من تصنيف الأحكام، وخف دماغه، وأراد أن يصنف في الزهد مائة تصنيف، فلم يتفرغ إلا لهذا الكتاب، وأنه كان في الزهد والورع؛ وقيل أنه طلب من محمد أن يفهرس تصانيفه، فبلغ ألف تصنيف، لو عاش لأتمها وأتعب المقتبسين، وقيل: موته رحمة وحياته رحمة.

وعنه عن الشافعي: ليس لأحد عليّ من المنة في العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد علي؛ وكان يترحم عليه في عامة الأوقات، وقال: حبست بالعراق لدين فسعى محمد حتى خلصني، فأنا له شاكر من بين الجميع. قيل: أفلس الشافعي، فأمر محمد أصحابه فجمعوا له مائة ألف درهم، ثم أفلس الثانية، فأمر له سبعين ألف درهم، ثم أفلس في الثالثة، وقال: لو كان فيك خير لكفاك ما جمعت، لك ولعقبك. وقيل كان الشافعي مشتغلاً بكتب محمد، فلما قال ذلك أظهر الخلاف.

وعن الجارود بن معاوية، قال: كان الشافعي بالعراق يصنف الكتب، وأصحاب محمد يكسرون عليه أقاويله بالحجج، وأصحاب الحديث أيضاً لا يلتفتون إلى أقواله، ويرمونه بالاعتزال، فلما لم يقم له بالعراق سوق، خرج إلى مصر، ولم يكن بها فقيه معلوم، فقام بها سوقه.

عن أبي عبيد قال: قدمت على محمد، فرأيت الشافعي عنده، فسأله عن شيء فأجاب، فرضي بالجواب فكتبه، فرآه محمد فوهب له مائة درهم، وقال: ان كنت تشتهي العلم فألزم. سمعت الشافعي يقول: لقد كتبت عنه حمل بعير، ولولاه ما لصق بي من العلم شيء، والناس كلهم عيال على أهل العراق، وهم

على اهل الكوفة، وهم على الإمام أبي حنيفة؛ وقال، لو كان محمد يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا كلامه، لكن كان يكلمنا على قدر عقولنا؛ وقال: ما رأيت سميناً عاقلاً قط غيره، وما رأيت سميناً قط أخف روحاً منه.

وأنشدوا للشيخ سيف الدين الباخرزي البخاري:

يقولون أجسام المحبين نضوة وأنت سمين لست غير أمرىء
فقلت لأن الحب خالف طبعهم فوافق لي طبعي فصار غذائي

وعن ابن سماعة، أنه قال لأهله: لا تسألوني حاجة، فإن فيها شغل قلبي، وخذوا ما بدا لكم من وكيل لي، فإنه أفرغ لقلبي. وحبس محمد في السجن وضيق عليه، لامتناعه عن القضاء. وكان من أورع الناس، وكان أهل بغداد أميل إليه، وآخذ بقوله من قول أبي يوسف.

وعنه أنه قال: مذهبي ومذهب الإمام في تفضيل الصحابة: أبو بكر، ثم عمر، ثم علي، ثم عثمان، رضي الله عنهم. عن محمد بن سلمة، أنه كان جزءاً من الليلة ينام، وجزءاً يصلي، وجزءاً يدرس؛ وكان يتوسخ لباسه ولا يتفرغ لنزعه؛ وكان في داره ديك يصوت، فقال: اذبحوه فإنه يشغلني وكان لا ينام بالليل، و يضع حوله كراريس ربما يرفع منها واحداً، ثم يضعه، و يرفع آخر؛ وكان بين يديه طشت، وربما ينزع قميصه، وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية، يقرأن عليه العلم، فقيل له: لم لا تنام، قال: كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين ثقة بي، و يقولون: إذا وقع بنا أمر رفعناه إليه، فإذا نمت ففيه تخريب الدين؛ وكان يقول: النوم من الحرارة، فأدفعها بنزع الثوب، وبصب الماء من الطشت على جسدي، وأما أن الكراريس، فلأن العلم ثقيل، فإذا ثقل هذا أخذت من هذا.

وعن محمد بن سماعة، أن الرشيد كان قد أعطى ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب كتاب الأمان، ثم أراد إبطاله، فسأل محمداً عن ذلك، فقال: هذا أمان صحيح، ودمه حرام، فدفع الكتاب إلى الحسن بن زياد، فقال بصوت ضعيف؛ أمان فغضب الرشيد، فدخل البختري وهب بن

وهب القاضي، وأخرج من خفه سكيناً، فقطع الكتاب من غير أن يسأل عنه، وقال: هذا أمان مفسوخ وكتاب فاسد، أقتله ودمه في عنقي، فضرب الرشيد بالدواة وجه محمد فشجه، وخرج وهو يبكي، قال ابن سماعة: قلت له: أتبكي من شجة في الله تعالى، قال: إنما أبكي لتقصيري، حيث لم أقل للبختري: بأي حجة قلت ذلك. قال الرشيد لما غضب على محمد: إن الذي يقوم عزم هؤلاء على الخروج علينا أنت وأمثالك، ومنع محمداً عن الفتيا، ثم بعد مدة قربه الرشيد، وولاه قضاء القضاة، وحمل معه إلى الري، حين خرج إلى مقاتلة رافع بن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند، وتوفي بها كما ذكرناه.

وعن أبي نصر محمد بن سلام: وصف عند هارون فصاحته وعلمه وفهمه، فأمر بإحضاره، فعلم أبو يوسف أنه لو أحضر، ربما يميل إليه قلب الخليفة ويهجره، فقال يا أمير المؤمنين، أنه لا يصلح لمجلس الخليفة، لما به من سلس البول ــ وليس فيه ذلك ــ فقال الخليفة: إذا أراد القيام فليقم، فجاء إلى محمد وقال أبو يوسف: إن الخليفة يحب أن يراك ويسمع كلامك؛ ولكنك لا تعرف آداب الخلفاء، فإذا أشرت إليك القيام فقم، فحضر مجلس الخليفة، فلما مال قلب الخليفة إليه بالكلية لفصاحته وحلو منطقه ــ وكان في أطيب الكلام ــ أشار إليه أن يقوم فقام، فقال الرشيد: لولا به ما قال، ما قام، فبلغ ذلك محمداً، فقال: اللهم لا تخرجه من الدنيا حتى يبتلى بما نسبني إليه، فحج أبو يوسف مع الرشيد في عمارة واحدة، فأخذه البول، فأستحيى من الرشيد أن يبول فصبر، فانشقت مثانته، ومات من ذلك، فحكي ذلك للرشيد، فقال لو علمت أنه كذلك، لأذنت له أن يبول في ذيلي. ولما مات رحمه الله، لم يخرج محمد لجنازته، قيل أن جواري أبي يوسف كن يبكينه ويقلن:

اليوم يرحمنا من كان يحسدنا   اليوم نتبع من كانوا لنا تبعاً

قيل: وغيره محمد بمخالطة السلطان، فدعا عليه أبو يوسف، فاستجيب له فيه، فلم يخرج من الدنيا حتى ابتلى بالقضاء ستة أشهر.

قيل: كان الإمام محمد يكتب في تصانيفه: روى محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة، وبعد ما وقع كتب روى محمد عن أبي حنيفة، وهجر اسم أبي

يوسف، كما يشاهد في آخر تصانيفه، وبين بعض المتأخرين: لفعل كل منهما محامل بعيدة، ولكن الأمر ظاهر للمتأمل.

ومن الأئمة الحنفية.

عبد الله بن المبارك المروزي

مولى رجل من بني حنظلة، أو بني عبد شمس، أو بني سعد تميم. ولد سنة ثمان عشرة ومائة، أو تسع وعشرين ومائة، وكانت أمه خوارزمية وأبوه تركيا.

وسئل عن بدء أمره، قال: كنت يوماً مع أخواني في بستان لنا، حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلت وشربت إلى الليل، وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور، فقمت في بعض الليل فضربت، وطائر على شجرة فوق رأسي يصيح، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا العود الذي بيدي ينطق كما ينطق الإنسان، ويقول: ﴿ألم يأذن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾[1]، قلت: بلى والله، فتركت العود وكسرته، وصرفت من كان عندي، قال وكان هذا أول زهدي. وكذلك كانت هذه الآية سبب التوبة لفضيل بن عياض كما ذكر في موضعه. وذكر السمعاني والصيمري أن عبد الله ابن المبارك (مات) بهيت سنة ثمانين ومائة.

ذكر صاحب (حلية الأولياء)، أنه ورد على الرشيد من عامل هيت: أنه مات هنا غريب يدعى بعبد الله بن المبارك، فاجتمع الناس على جنازته، قال الرشيد لوزيره يا فضل بن الربيع: أيذن للناس يعزوننا فيه، فتعجب الفضل، وقال الرشيد، كان ينشد:

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

عن أشعث بن شعبة، قال: قدم علينا بالرقة ابن المبارك، فأنحفل الناس

(١) سورة الحديد، آية: ١٦.

إليه، حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة، وكان الرشيد فيها، فأشرفت أم ولد للرشيد من برج، وقالت: من هذا؟ قالوا: قدم من خراسان عالم، قالت: هذا هو الملك ولا يجتمع الناس على هارون إلا بشرط وأعوان.

عن ابن إسحق: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك، فما رأيت لهم فضلاً عليه، إلا بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت كتبه التي حدث بها من أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، عشرين ألفاً أو أحد وعشرين ألفاً.

ومن لطيف ما يحكى عنه، أنه عطس رجل فلم يحمد الله، فقال: ما يقول العاطس، قال: الحمد لله، قال: يرحمك الله؛ قال الراوي ــ وهو محمد بن حنبل ــ: فتعجبنا من حسن أدبه.

عن أبي وهب: قال له رجل أعمى: أدع الله تعالى أن يرد عليَّ بصري، فدعا، فرد الله تعالى عليه بصره وأنا أنظر.

وعن المسيب بن واضح: كلمه طائفة أن يقضي عن رجل سبعمائة درهم، فكتب إلى وكيله، فأمر له سبعة آلاف درهم، وأعاد الوكيل إليه الكتاب بأن القلم قد غلط، فكتب إليه: أعطه أربعة عشر ألف درهم، فكتب إليه الوكيل أن العمل إذا كان على هذا الوجه، فإن الضيعة تباع، فكتب إليه: إن كنت وكيلي فأنفذ ما أمرتك به، وإلا فأقعد وأنا أكون وكيلاً لك أنفذ أمرك، فإني سمعت سفيان قال: سمعت ليثاً قال: سمعت مجاهداً قال: سمعت ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فاجأه من أخيه فرحة غفر الله له»، فأحببت أن أدخله فرحة بعد فرحة.

قال صاحب (حلية الأولياء): أدرك ابن المبارك من التابعين يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، وأمثالهم، وكثيراً من الأئمة، مثل سفيان وابن جريج وشعبة.

حدث عنه من الأئمة مثل معتمر بن سليمان، والوليد بن مسلم. وأمثالها.

وعن ابن المبارك: أن أول العلم النية، ثم الفهم، ثم العمل، ثم الحفظ، ثم

النشر. وكان أكثر أوقاته في الجهاد، وكان يقاتل و يبلى بلاء حسناً، فإذا كان وقت القسمة غاب، فقيل له في ذلك، قال يعرفني الذي أقاتل له. وفضائله كثيرة، وفيما ذكرناه مقنع.

ومن الأئمة الحنفية

أبو الهذيل أو أبو خالد زفر بن هذيل بن صباح الكوفي

وكان من أصبهان، وكان أحد العشرة الذين دونوا الكتب. قال أصحابه: ما كنا نقدر أن نذكر الدنيا بين يديه، إذا ذكرها واحد منا عن المجلس وتركه، وكنا نتحدث فيما بيننا أن الخوف قتله.

عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: أكره زفر على أن يلي القضاء، فأبى وهدم منزله، واختفى مدة، ثم خرج وأصلح منزله، ولما أكره ثانياً اختفى كذلك حتى عفي عنه.

وعن يحيى بن معين: زفر زاهد ثقة مأمون. عن بشر بن القاسم، سمعته يقول: لا أخلف بعد موتي شيئاً أخاف عليه الحساب، فلما مات، قوم ما في بيته فلم يبلغ ثلاثة دراهم. ولما احتضر، قال أبو يوسف وغيره: أوص، فقال: هذا المتاع لزوجتي، وهذه ثلاثة آلاف درهم لولد أخي ــ وكان تزوج امرأة أخيه بعد وفاته ــ وأما أنا، فليس لي أحد ولا لأحد علي شيء.

وعن عبد الله بن أبي رزمة: كنا نختلف إليه وإلى أبي يوسف، وكان أبو يوسف يطول المسألة و يبسط، فتلتبس علينا المسألة؛ وكنا إذا جالسنا زفر، يختصر المسألة، ويجيء بالدليل القاطع من غير حشو.

وعن يحيى بن أكثم، قال: قال زفر: لم أجترِ أن أخالف الإمام بعد وفاته، لأنه ألزمني وردني إلى قوله في حياته، وأما بعد وفاته فكيف أخالفه، وهو لو كان حياً وحاج ردني إلى قوله.

عن الحسن بن زياد: كان زفر وداود الطائي متواخيين، فترك داود الفقه وأقبل على العبادة، وأما زفر فقد جمع بينهما.

(مات) زفر بالبصرة في أول خلافة المهدي سنة ثمان وخمسين ومائة. وكان أبوه هذيل والياً على البصرة، ومات وهو وال عليها؛ وكان أخوه صباح ابن الهذيل والياً على صدقات بني تميم؛ وكان أمه أمة. وكان وجهه يشبه وجوه العجم، ولسانه لسان العرب. عن الوليد بن حماد ــ أخي حسن بن زياد: قلت لعمي حسن: كيف كان هو وأبو يوسف عند الإمام، قال: كأنهما عصفوران انقض عليهما البازي.

ومن الأئمة الحنفية.

الإمام داود بن نصير الطائي الكوفي

أصله من خراسان. عن عبد الله بن داود، سأله إسحق عن أصحاب الإمام، فقال: أبو يوسف وزفر، وداود، وعافية الأودي، وأسد بن عمرو، وعلي بن مسهر، ويحيى بن أبي زائدة، والقاسم بن معن؛ ثم قال: لو أن داود وزن بأهل الأرض لوزنهم فضلاً وصلاحاً.

وكان من أجلة أصحاب الإمام فأثر أثر كل أثير الزهد والورع. قيل: قال لنفسه: إن طلبت الدنيا بالحديث أو بالقرآن فأنت عاص؛ أو بالشعر وأيام الناس فأنت غافل؛ أو ليس بعده الموت. وكان له خطة خطها الفاروق، رضي الله عنه، لأجداده حين هزم هرمز، فباع ثلثيها بأربعمائة درهم، فعبد الله تعالى عشرين سنة يأكل منها، ولما مات كان كفنه منه.

عن أبي نعيم قال: جالس داود أهل العربية، ثم علماء القرآن، ثم المحدثين، حتى صار رأساً في كل منهم؛ ثم جالس الإمام وتفقه حتى لم يتقدم عليه أحد، ثم ترك وتخلى للعبادة حتى صار جبلاً. وكان لا يأكل الخبز، بل يشرب السويق، ويقول: ما بين مضغ الخبز وشرب السويق قراءة خمسين آية.

عن ابن السماك قال له: أوصني، قال: أنظر ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، واستح من الله تعالى في قربه منك وقدرته عليك؛

وقال: صم الدهر، وليكن افطارك الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، غير تارك لجماعتهم ولا مفارق لسنتهم.

روى أنه أراد أن يجرب نفسه أنه هل يقدر على العزلة، فجلس في مجلس الإمام سنة لا يتكلم، ثم تخلى، وسببه أن الإمام قال له يوماً: أما الأداة فقد أحكمناها، قال: وهل بقي شيء، قال الإمام: العمل، وقيل: قال له الإمام: لقد طال يدك ولسانك، و يلك، ثم كان يختلف ولا يتكلم، فلما علم أنه تصبر، قصد إلى كتبه فغرقها في الفرات، وتعبد وتخلى.

وأتاه فضيل بن عياض يوماً يعوده، فقال له: أقلل من زيارتنا، فإني أبغض غلبة الناس، فجاءه يوماً فلم يفتح له الباب، فقعد يبكي في الخارج وداود في الداخل.

وقيل له: دلني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالة لا توجد. وقال له الحارث بن ادريس: عظني، قال: عسكر الموتى ينتظرونك. وقال له رجل من أهله: عرفت الرحم بيننا فأوص، فدمعت عيناه، ثم قال: إن الليل والنهار مراحل ينزلها الناس حتى يبلغوا إلى آخر أسفارهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديك، فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذلك، وأني أقول لك هذا ولا أعلم أحداً أشد تضييعاً مني لذلك، ثم قام.

وعن عمرو بن صدقة قال: كان داود صديقاً لي، وكنا نجلس معه في مجلس حلقة الإمام، فلما اعتزل زرته وقلت له: خوفتنا، فقال: مجلسكم ليس من أمر الآخرة ثم قال مكرراً: أستغفر الله، وقام وتركني وقال: لا تجلسن إلى أحد يحفظ.

وذكر الإمام الحلبي، أن داود سمع عبد الملك بن عمير، وحبيب بن أبي عمرو، والأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ وروى عنه إسماعيل ابن علبة، والمصعب بن مقدام، وأبو نعيم الفضل بين دكين وغيرهم.

وقيل له: لو طبخنا لك دسماً، قال: وددت، فطبخوه ووضعوه بين يديه،

فقال: ما فعل أيتام بني فلان، قالوا: على حالهم، قال: اذهبوا به إليهم، فإنهم إذا أكلوا كان عند الله مدخراً، ولو أكلت يكون في الكنيف.

قال الحسن بن الربيع لأبن المبارك: ما بال داود ارتفع ذكره، وفي البلد رجال كسفيان وأصحابه، قال: إنما عظم أمره عندهم، لعظم أمر الله تعالى في قلبه، وما ترك داود الناس إلا لمعرفته.

قال محمد بن سويد الطائي: رأيته يغدو ويروح إلى الإمام، فلما تخلى للعبادة، رأيت الإمام جاءه زائراً غير مرة. ودخل حماد ابن الإمام عليه وقد اتصلت به شدة، فأعطاه أربعمائة درهم، وقال: هذا ميراث الإمام، فأخذها، ثم ردها وقال: أريد أن أعيش في عز القناعة، ولو كنت قابلاً من أحد لقبلتها منك؛ وفي رواية: كانت أربعة الآف درهم، ومعه أبو يوسف، فقال له سراً: انثرها بين يديه، فنثرها، فقال: لو نثرت الدنيا بحذافيرها ذهباً وفضة كان أهون عليّ من التراب، فبكى حماد وخرج.

وكان ورث من أخيه أربعمائة درهم، فجعل ينفق منها في ثلاثين عاماً حتى نفذ، فلما تم، جعل ينقض سقوف الدار ويبيع، حتى باع الخشب والبواري، وكان حائط داره قصيراً، لو أن غلاماً وثب منه لسقط على الدار، فقال رجل: لو سويت، لكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال: اللهم عفواً، كانوا يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله: أخرج من عندي، شغلت قلبي، أني أبادر طي الصحيفة.

وكان سبب علته، أنه قرأ آية فيها ذكر النار، فكررها، فلما أصبحوا وجدوه قد مات ورأسه على لبنة. فدخل عليه الناس ومعهم ابن سماك، فقال: يا داود، فضحت القراء. فلما أخرجوا جنازته، خرج خلق كثير. حتى ذوات الخدور، فقال: سجنت نفسك قبل أن تسجن، وحاسبت نفسك قبل أن تحاسب، اليوم ترى ما كنت ترجو.

عن الوليد بن عقبة: سمعته يقول: كم من مسرور بأمر فيه هلاكه، وكم

من كاره أمراً فيه صلاحه دنيا وديناً، وليس لنا إلا الرضاء والتسليم، والإستكانة والخشوع.

عن محارب بن دثار، عن أبيه: لو كان في الأمم الماضية، لقص الله تعالى علينا أمره. وقال الصلت بن حكيم: رأيت ليلة مات داود ملائكة ونوراً، قالوا: زخرفت الجنة لقدوم داود. وعن محمد بن عبد الله بن بجير، أنه مات سنة خمس وستين ومائة، في خلافة المهدي، قدس الله سره العزيز.

ومن الأئمة الحنفية.

وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى، أبو سفيان الرواسي الكوفي

من قيس عيلان، أصله من قرية من قرى نيسابور، أو من السغد.

سمع هشام بن عروة، والأعمش، وعبد الله بن عون، وابن جريج، والأوزاعي والثوري، وإسرائيل، وشعبة بن خالد؛ وسمع الرأي قياساً من الإمام، وأبي يوسف، وزفر. وروى عنه ابن المبارك، ويحيى بن آدم، وابن سعيد، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي (ابن) المديني. وأبو خيثمة، وغيرهم من هذه الطبقة.

ولد سنة تسع أو ثمان وعشرين ومائة. أراد الرشيد أن يوليه وعبد الله بن ادريس وحفصا القضاء، فامتنع وكيع وابن ادريس، وأجابه حفص.

عن يحيى بن أكثم: صحبته في السفر والحضر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن في كل ليلة. وقيل: (كان) لا ينام حتى يقرأ كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الإستغفار، حتى يطلع يصلي ركعتين.

عن الجاحظ قال: قال كنا نستعين على طلب العلم بالصوم، وعلى حفظه بالعمل.

عن محمد بن جرير قال: مكث وكيع بعبدان أربعين ليلة، وختم القرآن بها أربعين مرة، وتصدق أربعين ألف درهم، وروى أربعة آلاف حديث.

عن أبي السائب قال: جالست وكيعاً سنين، فما رأيته يحلف بالله تعالى؛ وشكا إليه صاحبه سوء الحفظ، فقال استعينوا على الحفظ بترك المعاصي، فأنشأ صاحبه يقول:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأوصاني إلى ترك المعاصي
وحفظ العلم فضل من آله ... وفضل الله لا يهدي العاصي

وكان يقول: ما خطوت للدنيا منذ أربعين سنة، ولا سمعت حديثاً فنسيته؛ قيل: كيف ذلك، قال: لأني لم أسمع إلا عملت به مرة.

عن ابن معين: ما رأيت حياً قط أحفظ منه، أنه في زمانه في الحفظ كالأوزاعي في زمانه. وعن أحمد بن حنبل: ما رأيت قط مثله في العلم والحفظ والإسناد والأبواب، مع خشوع وورع. وذكر الإمام الديلمي، عن مليح بن وكيع: أن أباه لما نزل به الموت، أخرج إلى يديه، وقال: يا بني، ترى يدي، ما ضربت (بهما) شيئاً قط.

وعن داود بن يحيى بن يمان قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: من الإبدال، فقال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئاً، وإن وكيعاً منهم.

وذكر الإمام الحلبي، عن ابراهيم الجوني، قال: حج وكيع فأخذه البطن، وكان ينزل في كل منزل مراراً، فما زال به البطن حتى مات، ودفن في الجبل آخر القبور، سنة ثمان أو تسع وتسعين ومائة.

ومن الأئمة الحنفية.

أبو عمرو حفص بن غياث بن طلق النخعي الكوفي

سمع الإمام وأبا يوسف والثوري. روى عنه ابن حنبل، وابن معين، وعلي ابن المدايني، وإسحق بن راهويه، وعامة الكوفيين. وأخذ الفقه عن الإمام.

ولاه الرشيد قضاء بغداد فعدل في حكمه، وحبس المرزبان وكيل زبيدة لدين عليه، وألحت زبيدة على الرشيد حتى عزله، وولى أبا يوسف مكانه، ثم ولاه الكوفة فمكث بها ثلاث عشرة سنة.

عن محمد بن حميد قال: لما أُتِيَ بعبد الله بن ادريس ووكيع وحفص إلى الرشيد ليوليهم القضاء، فلما دخل ابن ادريس قال: السلام عليك، وطرح نفسه كأنه مفلوج، قال الرشيد: لا فضل في هذا؛ وقال وكيع ــ ورفع أصبعه ووضعه على عينيه وقال ــ: ما أبصرت بهذا منذ سنة، وأراد أصبعه، فأعفاه؛ وأما حفص فقال له: لولا دين وعيال ما وليت.

قيل: مرض خمسة عشر يوماً، وأعطى لعامل بيت المال المائة والخمسين درهماً، وقال: هذا رزق خمسة عشر يوماً، وهذا حق المسلمين، لقعودي عن الحكم بمرضي. وقال: ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة.

توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وجعل مكانه الحسن بن زياد اللؤلؤي.

ومن الأئمة الحنفية.

يحيى بن زكريا بن أبي زائدة بن ميمون بن فيروز

وميمون إسلامي، وفيروز جاهلي؛ مولى عمرو بن عبد الله الوادعي الكوفي. سمع أباه، وهشاماً، والأعمش، وإسماعيل بن خالد، وعبيد الله بن عمر العمري، والحجاج بن أرطأة.

وسمع الفقه من الإمام. وروى عنه يحيى بن آدم، وقتيبة بن سعيد، وابن حنبل، وابن معين، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة، وشريح بن يونس، ومحمد ابن العلاء، وزياد بن أيوب، وهناد بن السري، وأبو داود الخولي، ومحمد بن عيسى بن الطباع. ولاه الرشيد قضاء المدينة، وقدم بغداد وحدث بها.

عن علي بن المدايني: انتهى العلم إلى ابن عباس في زمانه، ثم إلى الثوري في زمانه، ثم إلى يحيى بن أبي زائدة في زمانه. كان يحيى أحفظ أهل زمانه للحديث وأفقههم، مع دين وورع، وهو أول من صنف الكتب بالكوفة. وكان

على قضاء المدائن أربعة أشهر، ومات بها سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة، وهو قاض للرشيد بها، وعمره ثلاث وستون سنة.

ومن الأئمة الحنفية.

الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي

من الأنصار. روى عن الإمام. وروى عنه محمد بن سماعة، ومحمد بن شجاع البلخي، وشعبة بن أيوب. قال الحسن: سمعت من ابن جريج اثني عشر ألف حديث يحتاج إليها الفقهاء.

عن نصير بن يحيى قال: كان قسم النهار: كان يدرس بعد صلاة الصبح مسائل الفروع إلى الزوال، ثم يدخل منزله فيقضي حوائجه إلى وقت الظهيرة، ثم يخرج للظهر، ويجلس للواقعات إلى العصر، ثم يصلي العصر فيناظرون في الأصول إلى الغروب، ثم يصلي المغرب و يدخل المنزل ثم يخرج فيذكرون المسائل المعلقة إلى العشاء، فإذا صلى العشاء جلس لمسائل الدور والوصايا إلى ثلث الليل.

وكان لا يفتر عن النظر في العلم؛ وكانت له جارية، إذا اشتغل بالطعام أو بالوضوء أو بغير ذلك، تقرأ عليه المسائل حتى يفرغ من حاجته.

عن محمد بن أحمد الحسن بن زياد، عن أبيه، أن جده الحسن أخطأ في مسألة، فأرسل منادياً: ألا أن الحسن قد أخطأ في يوم كذا في مسألة كذا، فمن كان أفتاه الحسن فليرجع إليه، فمكث أياماً لا يفتى، حتى عاد إليه السائل، فأعلمه بخطئه، ورده إلى الحق.

قيل: كان الحسن أحسن الناس سؤالاً، ولم يكن جوابه على قدر سؤاله، وكان محمد بن الحسن أحسن الناس جواباً، ولم يكن سؤاله على قدر جوابه، وكان أبو يوسف أحسن الناس سؤالاً وجواباً. قال الحسن: وكنت لا أبيت — أربعين سنة — إلا والسراج بين يدي.

وذكر الطحاوي أن الحسن بن مالك والحسن بن زياد ماتا سنة أربع

ومائتين، وفي هذه السنة مات الإمام الشافعي بمصر.

واعلم أن الأئمة الذين أخذوا العلم عن الإمام لا يحصون عدداً، وقد عرفوا منهم سبعمائة وثلاثين رجلاً، من مشايخ البلدان وأئمة المسلمين، الذين وصل إلينا العلم بسعيهم واجتهادهم، جزاهم الله عنا وعن الإسلام وعن كافة المسلمين خير الجزاء، وحشرنا معهم، وحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء. ولنذكر ها هنا علماء مشهورين من بينهم.

منهم حماد ابن الإمام، وهو أبو إسماعيل. وكان الغالب على حماد الدين والورع والفقه وكتابة الحديث، وكان شديداً على أهل الأهواء، يكسر عليهم أقاويلهم، ويحتج عليهم بحجج، لا يتيسر ذلك لحذاق المسلمين.

ومنهم إسماعيل بن حماد المذكور. تفقه على أبيه والحسن بن زياد، وسمع أباه، ومالك بن معول، وعمرو بن ذر، والقاسم بن معن؛ وحدث عنه عمر بن ابراهيم النسفي، وسهل بن عثمان العسكري، وآخرون.

تولى قضاء البصرة، وكان إماماً عالماً عارفاً بصيراً بالقضاء، محمود السيرة فيه، عارفاً بالأحكام والوقائع، ديناً صالحاً عابداً.

صنَّف: ١ ــ الجامع في الفقه، عن جده الإمام أبي حنيفة؛

٢ ــ وكتاب الرد على القدرية؛

٣ ــ وكتاب الأرجاء.

وتفقه عليه أبو سعيد البردعي. توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين.

ومنهم يوسف بن خالد. كان قديم الصحبة مع الإمام، ثم خرج إلى البصرة، فلم يحسن سياسة الناس، فأقيم (من الحلقة) وهجر، فلم يزل كذلك، حتى قدم الإمام أبو يوسف البصرة مع هارون قاضياً وزيراً، فركب إليه، فأقبل عليه الناس، وعاد ذكره، ثم ترك الدنيا وتخلى للعبادة حتى مات.

ومنهم عافية بن يزيد الأودي الكوفي. وكان الإمام يجله اجلالاً شديداً، وكان عافية رجلاً فقيهاً فطناً، وكان معجباً به، فاذا تكلم في مسألة وعافية

حاضر، حكم وألحق بالكتاب، وإن كان غائباً قال: لا تعجلوا حتى يحضر عافية، فان وافق رأيه كتب والا ترك.

ومنهم حبان ومندل ابنا علي الغزي الكوفي. قيل: اسم مندل عمرو، ومندل لقبه غلب على اسمه. وكان الإمام يقربهما و يتلطف بهما، وكانا من ألزم الناس لمجلس الامام، وكان مندل أشهر من حبان.

توفي بالكوفة سنة سبع أو ثمان وستين ومائة في خلافة المهدي، وكان المهدي أشخصهما من الكوفة، فلما دخلا عليه، قال: أيكما مندل وكان أصغرهما وأشهرهما، قال: هذا حبان. ولما حضر مندلاً الوفاة، قال لأخيه حبان: يا أخي تتحمل عني ديناً، فقال أخوه: وذنوبك أتحملها.

ومنهم علي بن مسهر الكوفي. لزم الإمام وتفقه عليه وسمع منه الكثير. قال الحسن بن حماد: كان الحفاظ للفقه ـ كحفاظ القرآن ـ أربعة: زفر و يعقوب وأسد بن عمرو وعلي بن مسهر. و يزعمون أن سفيان استعار منه كتابه الذي يسمى (الجامع).

ومنهم القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفي الفقيه. صحب الإمام وتفقه عليه وروى عنه. ولي قضاء الكوفة بعد شريك. كان إماماً في الفقه، بحراً في العربية، مقدماً فيه؛ قيل له: أنت من أولاد ابن مسعود، أفترضى أن يكون من غلمان أبي حنيفة، قال: كل من جالسه انتفع بمجالسته.

ومنهم أسد بن عمرو بن عامر بن أسلم بن مغيث بن يشكر بن زهم، أبو المنذر البجلي الكوفي، صاحب الإمام، يكنى أبا عمرو.

سمع ابراهيم بن جرير بن عبد الله، والإمام، ومطرف بن طريف، و يزيد ابن أبي زياد، وحجاج بن أبي أرطأة.

روى عنه ابن حنبل، ومحمد بن بكار، وأحمد بن منيع، والحسن بن محمد الزعفراني.

ولي القضاء ببغداد وواسط من الرشيد، وحج مع الرشيد معادلاً له، ولما أنكر من بصره شيئاً اعتزل عن القضاء.

قال يحيى بن معين أنه صدوق ثقة. ولما مرض اختلف إليه الإمام غداة وعشيا. وقال محمد بن شجاع: ألق الإمام على أصحابه مسألة، فلم يخرجها إلا هو، فقال: أحسنت يا فتى بجيلة. توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائة.

ومنهم: أحمد بن حفص، أبو حفص الكبير. أخذ عن محمد بن الحسن، وله أصحاب ببخارى كثيرة في زمن محمد بن إسماعيل البخاري صاحب (الصحيح).

ومنهم: أبو عصمة نوح بن أبي مريم يزيد بن جعونة المروزي. لقب بالجامع لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة؛ وقيل: لأنه كان جامعاً نفائس العلوم. وكان له أربعة مجالس: مجلس للأثر، ومجلس لأقاويل أبي حنيفة، ومجلس للنحو، ومجلس للشعر. روى عن الزهري، ومقاتل بن حيان. مات سنة ثلاث وسبعين ومائة، وكان على قضاء مرو لأبي جعفر المنصور.

ومنهم: خلف بن أيوب. من أصحاب محمد بن الحسن وزفر، وخرج له الترمذي، ومن مسائله: لا أقبل شهادة من تصدق على السائل في المسجد. مات سنة خمس أو خمس عشرة أو عشرين ومائتين.

ومنهم: شداد بن حكم. من أصحاب زفر، وكان يستفيد من محمد بن الحسن المسائل. وكان إذا اشترى أمة تزوجها ويقول: لعلها حرة. مات آخر سنة عشر ومائتين.

ومنهم: موسى بن نصر أبو سهل الرازي. روى عن أصحاب محمد بن الحسن. تفقه على أبي علي الدقاق، وأبي سعيد البردعي؛ وروى الحديث، وله (كتاب المخارج) وهو بديع في بابه.

ومنهم: أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني. صاحب الإمام محمد ابن الحسن. أخذ الفقه عن محمد بن الحسن وروى كتبه. عرض عليه المأمون

القضاء، فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ حقوق الله في القضاء، ولا تول على زمانك مثلي، فاني والله غير مأمون الغضب، ولا أرضى لنفسي أن أحكم في عباده، قال: صدقت، وقد أعفيناك، فدعا له بخير.

وله:

١ ــ كتاب السير الصغير؛

٢ ــ وكتاب الصلاة؛

٣ ــ وكتاب آخر أطول من هذا؛

يروبها عن محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة؛

٤ ــ وأصل محمد بن الحسن الموجود بأيدينا رواية عنه.

ومنهم: هلال بن يحيى بن مسلم الرأي النصري. قيل له هلال الرأي لسعة علمه، كما قيل ربيعة الرأي. أخذ عن أبي يوسف وزفر، وروى عن أبي عوانة وابن مهدي؛ وعنه أخذ بكار بن قتيبة، وعبد الله بن قحطبة، والحسن بن أحمد بن بسطام؛ وله مصنف في الشروط، وله (أحكام الوقف). مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن سماعة بن عبيد بن هلال بن وكيع. حدث عن الليث بن سعد، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن؛ وكتب النوادر عن أبي يوسف ومحمد، وروى الكتب والأمالي.

قال الصيمري: هو من الحفاظ الثقات. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وله مائة وثلاث سنين، وكان مولده سنة ثلاثين ومائة. وروى أنه بلغ ذلك السن وهو يركب الخيل ويفض الأبكار. وكان يصلي في كل يوم مائتي ركعة. ولي القضاء للمأمون ببغداد سنة اثنتين وسبعين ومائة بعد موت يوسف ابن أبي يوسف، فلم يزل على القضاء إلى أن ضعف بصره، فعزل وضم عمله إلى إسماعيل بن حماد بن الإمام أبي حنيفة.

له: ١ ــ كتاب أدب القاضي؛

٢ ــ وكتاب المحاضر والسجلات.

وقال الصيمري: سبب كتابة محمد بن سماعة للنوادر عن محمد بن الحسن، أنه رآه في النوم كأنه يثقب الأ بر، فعبره المعبر فقال: هذا رجل ينطق بالحكمة، فاجتهد ألا يفوتك من لفظه شيء، فكتب عنه النوادر.

قال محمد بن عمران: سمعت ابن سماعة يقول: مكثت أربعين سنة، لم تفتني التكبيرة الأولى مع الإمام، إلا يوم ماتت فيه أمي، ففاتتني صلاة واحدة في الجماعة، فقمت صليت خمساً وعشرين صلاة، أريد بذلك التضعيف، فغلبتني عيني، فآتاني آت، فقال: يا محمد، صليت خمساً وعشرين صلاة، ولكن كيف بتأمين الملائكة.

ومنهم: أبو مطيع الحكم بن عبد الله بن سلمة بن عبد الرحمن. القاضي الفقيه، راوي كتاب (الفقه الأكبر) عن أبي حنيفة. روى عن ابن عون، وهشام بن حسان، ومالك بن أنس، وابراهيم بن طهمان؛ وعنه أحمد بن منيع، وغيره. تفقه عليه أهل بلاده، وكان ابن المبارك يجله لعلمه ودينه. مات سنة سبع وسبعين ومائة، عن أربع وثمانين سنة، بعدما ولي قضاء بلخ.

إذا عرفت من الأئمة الحنفية ما سمح به الوقت، فلنذكر الآن من الكتب المعتبرة ما هو المشهور في الزمان، وإلا فتوخى استقصاء كتب الفروع من قبيل المحال، ولا يدخل معرفة مصنفيها تحت الوسع والمجال.

فمن الكتب المعتبرة فيه:

ــ الجامع الكبير؛

ــ والجامع الصغير؛

ــ والمبسوط؛

ــ والزيادات؛

ــ والسير الكبير؛

ــ والنوادر؛

ــ والأمالي؛

ــ والرقيات؛

ــ والكيانيات؛

١٠ ــ والهارونيات؛

١١ ــ والجرجانيات.

وهذه كلها لمحمد بن الحسن، وقد عرفت مناقبه الشريفة عند ذكر المجتهدين.

ومما تطابقت عليه كلمة الفقهاء التعبير من (المبسوط) بالأصل، ومن (المبسوط) و (الزيادات) و (والجامعين) برواية الأصول، ومن (المبسوط) و (الجامع الصغير) و (السير الكبير) بظاهر الرواية ومشهور الرواية، ومن (النوادر) و (الجرجانيات) و (الكيانيات) و (الهارونيات) و (الرقيات) بغير ظاهر الرواية وببعض الرواية.

و (الجرجانيات) مسائل جمعها الإمام محمد بن الحسن بجرجان؛ و (الكيانيات) جمعها لرجل يسمى كيان، وقد يوجد في بعض الهوامش (الكيسانيات)، وقالوا جمعها بكيسان، وهي بلدة، لكن هذا غير صحيح، والصحيح ما ذكرناه أولاً؛ و (الهارونيات) مسائل جمعها لرجل مسمى بهارون؛ و (الرقيات) مسائل جمعها حين كان قاضياً بالرقة، وهي واسطة ديار ربيعة.

ومن الكتب المعتبرة:

١ ــ الأمالي لأبي يوسف؛

٢ ــ والنوادر له أيضاً.

وقد ذكرنا مناقب أبي يوسف في الأئمة المجتهدين.

ومنها: المبسوط للإمام شمس الأئمة أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي وقد مرت مناقبه.

ومنها:

١ ــ الهداية؛

٢ ــ والتجنيس والمزيد؛

٣ ــ ومناسك الحج، جميعها للإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل بن برهان الدين المرغيناني الرشداني.

وصنَّف:

كتاب البداية في الفقه؛ جمع فيه (مسائل القدوري) و (الجامع الصغير) لمحمد بن الحسن، ثم شرحها شرحاً في نحو ثمانين مجلدة، وسماه: (كفاية المنتهى)، ولما تبين فيه الأطناب، وخشي أن يهجر لأجله الكتاب، شرحه شرحاً مختصراً لطيفاً نافعاً وافياً بالغاً في الحسن والتقرير والتحرير والضبط والإتقان، وسماه: (الهداية)، وبالجملة: هو كما قاله صاحب (الوقاية) كتاب فاخر، لم يكتحل عين الزمان بثانية.

ومن لطائف أحواله، أنه مع اشتماله الدقايق وحسن الإيجاز في التحرير، وقع سهلاً بظاهره على كل طالب، فهو بالحقيقة سهل ممتنع، والأولى ألا يبالغ أحد في وصفه، فإن السكوت عن مدحه مدحه.

ولصاحب الهداية:

٥ ــ كتاب مختار مجموع النوازل؛

٦ ــ وكتاب في الفرائض.

كان متعبداً ناسكاً، لقي المشايخ وتبرك بأنفاسهم، مات سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

حكي أنه بقي في تصنيف كتاب (الهداية) ثلاث عشرة سنة، وكان صائماً في تلك المدة لا يفطر أصلاً، وكان يجتهد ألا يطلع على صومه أحد، فإذا أتى خادم بطعام كان يقول: خله ورح، فإذا راح كان يطعمه أحد الطلبة أو غيرهم، فإذا أتى الخادم ووجد الإناء فارغاً، يظن أنه أكله نفسه، فكان ــ ببركة زهده وورعه ــ كتابه مقبولاً بين العلماء أي قبول.

ومن إنشاد الإمام عماد الدين، ابن شيخ الإسلام صاحب (الهداية) ــ رحمهما الله ــ في حق الهداية:

كـتـاب الهـدايـة يهـدي الهـدى ... إلى حـافـظـيـه ويجـلـو الـعـمـى
فـلازمـه واحـفـظه يـا ذا الحـجـى ... فـمـن نـالـه نـال أقصى المنى

ولغيره:

إن الهـدايـة كـالقـرآن قـد نـسـخـت ... مـا صـنفوا قبلها في الشرع من كتب
فـاحـفـظ قـراءتهـا والـزم تـلاوتهـا ... يـسـلـم مـقـالك من زيغ ومن كذب

ثم أنه أصطلح في كتابه على أمور، لا يخلو التنبيه عليها عن النفع للمبتدي:

منها: أنه يذكر لفظ «قال» في أول كل مسألة، إذا كانت مسألة القدوري أو الجامع الصغير، أو كانت مذكورة في البداية، وإن كانت مذكورة في غيرها لم يذكر «قال».

ومنها: أنه يذكر مسائل القدوري أولاً، ومسائل الجامع الصغير في آخر الأبواب، وإذا كان نوع مخالفة بينهما، يصرح بلفظ: «الجامع الصغير».

ومنها: أنه إذا قال: «الحديث محمول على المعنى الفلاني»، يريد به حمل أئمة الحديث. وإذا قال «نحمله» يريد حمل نفسه عليه دون الأئمة.

ومنها: أنه يقول في الدليل العقلي: «لما بينا»؛ وفي الثابت بالكتاب: «لما تلونا»؛ وفي الثابت بالسنة: «لما روينا»؛ وفي الثابت بقول الصحابة: «للأثر»، وقد لا يفرق بين الأثر والخبر ويقول: «لما روينا»، ويقول: «لما ذكر» فيما هو أعم.

ومنها: أنه لا يذكر الفاء في جوابه، اعتماداً على ظهور المعنى.

ومنها: أنه يشير الى المسألة التي أورد لها النظير بأسماء الإشارة التي للقرب، وإلى نظيرها بأسماء الإشارة التي للبعد.

ومنها: أنه يعبر عن الدليل العقلي بالفقه، حيث يقول: والفقه فيه كذا.

ومنها: أنه إذا قال: «عن فلان»، يريد به الرواية عنه، وإذا قال: «عند فلان»، يريد به أنه مذهبه.

ومنها: أنه يرضي الجواب الآخر كائناً لمن كان.

ومنها: أنه إذا ذكر خاصته وتصرفه، لا يقول: قلت، احترازاً عما فيه من الافتيات والأنانية، بل يقول: «قال العبد الضعيف عفي عنه»، وما وقع في بعض النسخ من «قال رحمه الله» فمن تصرف تلامذته بعد وفاته.

ومنها: أنه يجيب السؤال المقدر، ولا يصرح السؤال، وذكر: فإن قيل قلنا صريحاً في ثلاثة مواضع في المجلد الأخير.

ولصاحب الهداية خصائص وأسلوب اختص هو بذلك، يعرفها من مارس كتابه وخدم به حق الخدمة.

ثم إن العلماء اعتنوا بشرحه كثير اعتناء، إلا أن من اجترأ على شرحه إنما هو واحد من الأفراد. ولنذكر ها هنا شروحه المشهورة في بلادنا، ليتنبه عليها الطالب، ويجتهد في تحصيلها، وينتفع بمطالعتها.

منها: (كتاب النهاية)، وهو لمولانا حسام الدين الحسين بن علي بن الحجاج بن علي شارح الهداية. قدم حلب وصنف (الكافي في شرح البزدي)، قدم دمشق سنة عشر وسبعمائة، وشرح (المنتخب) للأخسيكثي، وشرح (التمهيد في أصول الدين) تصنيف أبي المعين النسفي.

تفقه على الإمام حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر، والإمام فخر الدين محمد بن محمد المايمرغي. مات في رجب سنة احدى أو أربع عشرة وسبعمائة بحلب، وله تصنيف في الصرف أسمه (النجاح). وانتخب كتاب (النهاية) للسغناقي في شرح الهداية الشيخ أحمد بن الحسن شهاب الدين المعروف بابن الزركشي، درس بالحسامية، وكانت له مشاركة في علوم.

مات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وقيل سنة سبع.

ومنها: (كتاب الكفاية) للسيد جلال الدين الكرلاني، ولم أقف له على ترجمة.

ومنها: (نهاية الكفاية) لتاج الشريعة. وهو محمود بن عبيد الله بن محمود

المحبوني، عالم فاضل حبر كامل، له شرح الهداية المسمى (بنهاية الكفاية) ومختصر الهداية المسمى (بالوقاية).

ومنها: (كتاب الغاية) للشيخ قاضي القضاء شمس الدين أبي العباس أحمد بن ابراهيم بن عبد الغني السروجي، تفقه على الصدر سليمان ابن أبي الغرر نجم الدين أبي طاهر إسحق بن علي بن يحيى، ولي القضاء بالديار المصرية، وصنف وأفتى، ووضع شرحاً على (كتاب الهداية) وسماه (الغاية)، انتهى فيه إلى كتاب (الإيمان) في عدة مجلدات ضخمة، توفي بالمدرسة السيوفية بالقاهرة في يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة عشر وسبعمائة؛

ودفن بتربة بجوار قبة الإمام الشافعي، ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومنها: (غاية البيان) للأتقاني، وهو أمير كاتب ابن أمير عمر العميد ابن العميد أمير غازي، أبو حنيفة الفارابي الاتقاني، وقيل: اسمه لطف الله. واتقان قصبة من قصبات فاراب، ولي تدريس مشهد الإمام الأعظم بظاهر بغداد، (ولد) بإتقان ليلة السبت تاسع عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة، اشتغل ببلاده، ومهر وتقدم إلى أن شرح الأخسيكثي، وقدم دمشق مرتين؛ اجتمع في الأولى بالأمير مليغاً نائب السلطنة، واختص به وتكلم عنده في مسألة رفع اليدين، وأراد إبطاله، فدفعه الشيخ تقي الدين السبكي، ثم قدم ثانياً في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وولي بها تدريس دار الحديث الظاهرية بعد وفاة الذهبي، ثم ذهب إلى مصر في صفر سنة إحدى وخمسين، فعظمه الأمير صرغتمش الناصري، ودرس بالجامع المارداني، فلما عمر الأمير صرغتمش المدرسة المجاورة لجامع ابن طولون، أجلسه بها مدرساً، وذلك في جمادي الأولى سنة سبع وخمسين، فاختار لحضور الدرس طالعاً، فحضر والقمر في السنبلة والزهرة في الأوج، وأقبل عليه صرغتمش إقبالاً عظيماً، وقدر أنه لم يعش بعد ذلك سوى سنة وشيء، وصار معادياً للشافعية يتمنى تلافهم، واجتهد في ذلك بالشام فما أفاد، وأمر صرغتمش أن يقصر مدرسته على الحنفية، وحدث بالموطأ رواية محمد بن الحسن بإسناد نازل جداً، وذاكره القاضي عز الدين بن

جماعة أن بينه وبين الزمخشري اثنين فأنكر ذلك وقال: أنا أسن منك وبيني وبينه أربعة أو خمسة.

وكان أحد الدهاة، أخذ عنه الشيخ محب الدين بن جماعة. قال ابن حبيب: كان رأساً في مذهب الحنفية، بارعاً في الفقه واللغة العربية، كثير الإعجاب بنفسه، شديد التعصب على المخالف.

صنَّف:

١ ــ شرح الهداية وسماه (غاية البيان ونادرة القرآن في آخر الزمان؛

٢ ــ (شرح الأخسيكي) وسماه (التبيين)؛

٣ ــ وله (رسالة) في مسألة رفع اليدين؛

٤ ــ وأخرى في عدم صحة الجمعة في موضعين من البلد.

قال ابن حجر: ودخل مصر ثم رجع فدخل بغداد وولي قضاءها.

(ولد) بإتقان ليلة السبت التاسع والعشرين من شوال سنة خمس وثمانين وستمائة كما وجد في خطه، و(توفي) يوم السبت حادي عشر شهر شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وفرغ عن تحصيل العلوم وسنه ما بين العشرين والثلاثين، كما صرح به في خطبة التبيين، وصنف (التبيين) في سنة ست عشرة وسبعمائة فيكون عمره وقتئذ إحدى وثلاثين، ولعله فرغ من تصنيف (شرح الهداية) وسنه ست وثلاثون والله أعلم.

ومن شروح الهداية: (معراج الدراية) للشيخ الإمام محمد بن محمد البخاري، المدعو بقوام الدين الكاكي، قيل إنه ــ روح الله روحه ــ بعد ما أخذ الفقه بترمذ من الشيخ الإمام عبد العزيز البخاري، صاحب (كشف أصول الإمام فخر الإسلام البزدوي)، وصاحب (التحقيق في شرح أصول الإمام حسام الدين الأخسيكثي)، قدم إلى القاهرة فأقام بالجامع المارداني، فأم فيه ودرس، إلى أن مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة. وكاك: قيل أنه بلغتهم بايع الكعك، ونقل عن السمعاني أنه قال: أظن أنها قرية من قرى بخارى.

ومن شروح الهداية: (حواشي الخبازي). وهو الشيخ الإمام عمر بن محمد بن عمر، الشيخ جلال الدين الخبازي. وله (كتاب المغني) في أصول الفقه، وقد مر ذكره في أصول الفقه.

ومن شروح الهداية: شرح الشيخ أكمل الدين، المسمى (بالعناية). وهو محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الرومي البابرتي، أكمل الدين بن شمس الدين بن جمال الدين، (ولد) سنة بضع عشرة وسبعمائة، واشتغل بالعلم، ورحل إلى حلب فأنزله القاضي ناصر الدين ابن العديم بالمدرسة الساذجية فأقام بها مدة. ثم قدم القاهرة بعد سنة أربعين، فأخذ هو ومولانا قطب الدين الرازي التحتاني عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني، وأخذ أيضاً عن أبي حيان، وسمع من ابن عبد الهادي والدلاصي وغيرهما، وصحب شيخون واختص به وقرره شيخاً بالخانقاه التي أنشأها وفوض أمرها إليه فباشرها أحسن مباشرة، وكان قوي النفس عظيم الهمة، مهاباً عفيفاً في المباشرة، عمر أوقافها وزاد معاليمها، وعرض عليه القضاء مراراً فامتنع، وكان حسن المعرفة بالفقه والعربية والأصول، وبرع وساد وأفتى ودرس وأفاد وصنف فأجاد.

وصنَّف:

١ ــ شرح مشارق الأنوار؛
٢ ــ وشرح البزدوي والهداية؛
٣ ــ وعمل تفسيراً حسناً؛
٤ ــ وشرح مختصر ابن الحاجب؛
٥ ــ وشرح المنار والتلخيص؛
٦ ــ وشرح التجريد: للنصير الطوسي في الكلام؛
٧ ــ وشرح ألفية ابن المعطي؛
٨ ــ وشرح المقدمة السراجية، في الفرائض؛
٩ ــ وشرح تلخيص الخلاطي للجامع الكبير، قطعتين ولم يكمل.

وصنَّف:

١٠ ــ حاشية على الكشاف إلى تمام الزهراوين، وغير ذلك.

وما علمته حدث بشيء من مسموعاته، وكانت رسائله لا ترد مع حسن البشر والقيام مع من يقصده والإنصاف والتواضع والتلطف في المعاشرة، والتنزه عن الدخول في المناصب الكبار، بل كان أصحاب المناصب على بابه قائمين بأوامره، مسرعين إلى قضاء مآربه، وكان الظاهر بالغ من تعظيمه ختم أنه إذا اجتاز به لا يزال راكباً واقفاً على باب الخانقاه إلى أن يخرج فيركب معه ويتحدث معه في الطريق، ولم يزل على ذلك إلى أن (مات) في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة. وحضر السلطان فمن دونه جنازته، وأراد السلطان حمل نعشه فمنعه الأمراء وحمله أيتمش، وأحمد بن ملبغا، وسودون النائب ونحوهم، وتقدم في الصلاة عليه عز الدين الرازي، ودفن بالخانقاه المذكورة.

ومن شروح الهداية: (فتح القدير) للعاجز الفقير للشيخ الإمام ابن الهمام وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي، ثم السكندري العلامة كمال الدين ابن الهمام الحنفي.

(ولد) سنة تسعين وسبعمائة تقريباً، وتفقه بالسراج قارىء الهداية، ولازمه في الأصول وغيرها، ولازم القاضي محب الدين بن الشحنة لما قدم القاهرة سنة ثلاث عشرة ورجع معه إلى حلب، وأقام عنده إلى أن مات. وأخذ العربية عن الجمال الحميدي، والأصول وغيره عن البساطي، والحديث عن أبي زرعة ابن البساطي، والتصوف عن الخواتي، والقرآن عن الزراتني وسمع الحديث عن الجمال الحنبلي، والشمس الشامي وأجاز له المراغي وابن ظهيرة ورقية المدينة، وتقدم على أقرانه وبرع في العلوم وتصدى لنشر العلم، وانتفع به خلق، وكان علامة في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان والتصوف، والموسيقى وغيرها، محققاً جدلياً نظاراً، وكان يقول: أنا لا أقلد في المعقولات أحداً، وقال البرهان الأنباسي من أقرانه: لو طلبت حجج الدين ما كان في

بلدنا من يقوم بها غيره، وكان للشيخ نصيب وافر مما لأرباب الأحوال من الكشف والكرامات، وكان تجرد أولاً بالكلية فقال له أهل الطريق: ارجع فإن للناس حاجة بعلمك، وكان يأتيه الوارد كما يأتي الصوفية ولكنه يقلع عنه بسرعة لأجل مخالطته للناس.

قال بعضهم أتاه الوارد يوماً فأخذ بيدي يجرني وهو يعدو في مشيه وأنا أجرى معه إلى أن وقف على المراكب فقال: ما لكم واقفين ها هنا، قالوا: أوقفنا الريح وما هو باختيارنا فقال: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾[1] وهو الذي يوقفكم، قالوا نعم، قال الحاكي: ثم أقلع عنه الوارد فقال، لي لعلي شققت عليك قال قلت: أي والله وانقطع قلبي من الجري فقال: لا تأخذ فأني لم أشعر بشيء مما فعلته.

وكان الشيخ يلازم الطيلسان كما هو السنة و يرخيه كثيراً على وجهه وقت حضور الشيخونية، وكان يخفف الحضور جداً ويخفف الصلاة كما هو شأن الأبدال، فقد نقلوا أن صلاة الأبدال خفيفة، وكان الشيخ أفتى برهة من عمره ثم ترك الافتاء جملة ودرس بالمنصورية و بالأشرفية ثم رغب عنها واستقر بعد ذلك في مشيخة الشيخونية، فباشرها مدة أحسن مباشرة غير ملتفت إلى أحد من الأكابر وأرباب الدولة، ثم رغب عنها لما جاور بالحرمين، واستقر بعده شيخنا العلامة محيى الدين الكافيجي وكان حسن اللقاء والسمت واليسر، والبزة طيب النغمة مع الوقار والهيبة والتواضع المفرط والإنصاف والمحاسن الجمة، وكان أحد الأوصياء على كذا.... قال السيوطي:

وله تصانيف منها:

١ ــ شرح الهداية، سماه (فتح القدير للعاجز الفقير) وصل فيه إلى أثناء الوكالة؛

٢ ــ «التحرير في أصول الفقه؛

٣ ــ والمسايرة في أصول الدين؛

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٢.

٤ ــ وكراسة في أعراب (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)؛
٥ ــ وله مختصر في الفقه سماه (زاد الفقير)، وله نظم نازل.

(مات) في يوم الجمعة سابع رمضان سنة إحدى وستين وثمانمائة.

وشروح الهداية لا تنحصر فيما ذكر، لكن الأشهر ما ذكرناه ومع جد الفضلاء وسعيهم على شرحها لم تبرز لطائفة من جلباب التمتع والإحتجاب، ولم تذلل صعاب دلائله للطلاب، بل بقي بعد خبايا في الزوايا، والله در مصنف لا تنتهي لطائفة ودقائقه، ولا تنكشف معانيه وحقائقه، فسبحان من بيده الفضل والبهاء، ويوتيها بلطفه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهو العليم الحكيم.

ومن الكتب المعتبرة:

(المحيط) الشيخ رضى الدين برهان الإسلام محمد بن محمد بن محمد السرخسي، وصنف المحيط أربعة مصنفات، كبير في أربعين مجلداً، ومتوسط في اثني عشر مجلداً، وصغير في مجلدات، ومختصر في مجلدين، وقدم حلب ودرس بعد محمود الغزنوي. قيل إن المحيط ليس من مصنفاته بل كان من مصنفات شيخه فادعاه لنفسه ولهذا عزله نور الدين الشهيد عن التدريس، فقدم دمشق ودرس بالخاتونية.

وأعلم أن كتاب (المحيط) اثنان أحدهما ما تقدم ويعرف بالمحيط السرخسي، والآخر (محيط برهان الدين محمود) وهو من بني ماره وأبوه تاج الدين أخو الصدر الشهيد، و(الذخيرة) من مصنفاته أيضاً، وصاحب (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) لم يفرق بينهما وقال: صاحب المحيط لقبه رضى الدين وقال: رأيت على بعض نسخ المحيط برهان الدين بخط بعض الفضلاء.

ومنها: (كتاب المبسوط) وهو اثنان أحدهما لشمس الأئمة السرخسي وقد مر ذكره في علم الأصول، والآخر لشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد بن صالح الحلوائي نسبة لبيع الحلواء، أمام الحنفية في وقته ببخاري.

(توفي) سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة بكش ودفن ببخاري. تفقه على القاضي أبي الحسن النسفي وأبي الفضل الزرنجري، وتفقه عليه الأزرقي وسمع منه شمس الأئمة السرخسي، وقيل: توفي سنة ست، وقيل: اثنتين وخمسين وأربعمائة، والأصح سنة ست وخمسين وأربعمائة، نقله الذهبي عن خط شيخه.

ومنها: كتاب (البدائع) للكاساني، وهو علاء الدين ملك العلماء أبو بكر ابن مسعود بن أحمد الكاساني صاحب كتاب البدائع.

تفقه على علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، وتزوج ابنته فاطمة الفقيهة من أجل أنه شرح كتاب (التحفة) للسمرقندي، هذا وسماه البدايع وجعله مهر ابنته، فقال فقهاء عصره: شرح تحفته وزوجه ابنته.

يحكى أن زوجته ووالدها والكاساني كلهم كانوا يفتون في عصره، وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يفتي في بيت واحد.

وقد جاء رسولاً من صاحب الروم إلى نور الدين الشهيد فولاه تدريس الحلاوية عوضاً عن الرضا السرخسي بعد وفاته، وكان له وجاهه وخدمة وشجاعة.

حكى أنه قدم دمشق فحضر إليه الفقهاء وطلبوا منه الكلام في مسألة خلافية بين الشافعية والحنفية، فعينوا مسائل كثيرة، فجعل يقول: يذهب إليها من أصحابنا فلان وفلان، فلم يزل كذلك حتى أنهم لم يجدوا مسألة إلا وقد ذهب إليها واحد من أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه فانقضى المجلس ولم يتكلموا معه.

قال محمد بن خميس الحنفي: حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[1] فخرجت روحه عند فراغه من قوله: في الآخرة،

(١) سورة ابراهيم، آية: ٢٧.

ودفن داخل مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب.

وأما الإمام علاء الدين السمرقندي الذي تفقه عليه الكاساني وتزوج ابنته فهو محمد بن أحمد بن أبي أحمد الإمام علاء الدين أبو منصور السمرقندي وله (كتاب تحفة الفقهاء) والأصول وغيره.

ومن الفقهاء في عصر الكاساني زوجته فاطمة بنت محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي مؤلف (التحفة) تفقهت على أبيها وحفظت التحفة، وكانت تنقل المذهب نقلاً جيداً، وكانت ربما ترد فتوى زوجها الكاساني وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكان زوجها يحترمها و يكرمها، وكانت الفتوى أولاً تخرج عليها خطها وخط أبيها السمرقندي ثم تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني.

قال داود بن علي أحد فقهاء الحلاوية بحلب: هي التي سنت الفطر في رمضان للفقهاء بالحلاوية، كان في يديها سواران فأخرجتها وباعتها وعملت بالثمن الفطور كل ليلة واستمر على ذلك إلى اليوم.

قال ابن العديم: أخبرني الفقيه أحمد بن يوسف بن محمد الأنصاري الحنفي قال: كان الكاساني عزم العود من حلب إلى بلاده، فإن زوجته حثته على ذلك فاستدعى الملك العادل نور الدين محمود الكاساني وسأله أن يقيم بحلب فعرفه سبب السفر وأنه لا يقدر أن يخالف زوجته ابنة شيخه فأرسل الملك (الى) زوجته خادماً بحيث لا تحتجب منه ويخاطبها عن الملك في ذلك، فلم تأذن الخادم وأرسلت إليّ زوجها يقول له: بعد عهدك بالفقه إلى هذا الحد أما تعلم أنه لا يحل أن ينظر إلى هذا الخادم، وأي فرق بينه وبين الرجال في عدم جواز النظر فعاد الخادم وذكر ذلك لزوجها بحضرة الملك، فأرسلوا إليها امرأة برسالة الملك فخاطبتها وأجابته إلى ذلك وأقامت بحلب إلى أن ماتت ثم مات زوجها الكاساني بعدها ودفن عندها، كذا في الجواهر المضية.

ومنها: (الأحكام) للإمام العلامة أبي بكر الرازي المشهور بين الأصوليين بالجصاص وقد مر ذكره.

ومنها (مختصر الإمام الطحاوي) وهو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة (ابن عبد الملك بن سلمة) بن سليم بن سليمان بن حباب الأزدي الحموي المصري الطحاوي أبو جعفر.

(ولد) سنة سبع وعشرين أو تسع وثلاثين ومائتين، و (مات) سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، صحب المزني وتفقه به، ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب، تفقه على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى، وخرج إلى الشام سنة ثمان وستين ومائتين فلقي بها أبا حازم عبد الحميد بن جعفر فتفقه عليه وسمع منه.

قال ابن يونس: كان فقيهاً عارفاً لم يخلق مثله، قال ابن عبد البر: كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء.

وله:

١ ــ كتاب أحكام القرآن، يزيد على عشرين جزء؛

٢ ــ وكتاب معاني الآثار؛

٣ ــ وبيان مشاكل الآثار؛

٤ ــ والمختصر في الفقه؛

٥ ــ وشرح الجامع الكبير؛

٦ ــ وشرح الجامع الصغير؛

٧ ــ وله كتاب الشروط، صغير، وكبير، واوسط؛

٨ ــ وله المحاضر والسجلات؛

٩ ــ والوصايا؛

١٠ ــ والفرائض؛

١١ ــ وله: التاريخ الكبير؛

١٢ ــ ومناقب أبي حنيفة؛

١٣ ــ وله: تفسير القرآن، ألف ورقة؛

١٤ ــ وله: النوادر الفقهية، عشرة أجزاء؛

١٥ ــ والنوادر والحكايات، تنيف على عشرين جزءاً؛
١٦ ــ وله كتاب الفقهاء؛
١٧ ــ والعقيدة المشهورة؛ وله مصنفات كثيرة من الكتب والرسائل.

ومنها: **(شرح مختصر الطحاوي) للجصاص** وقد مر ذكره، وشرح هذا المختصر للاسبيجاني وهو علي بن محمد بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن محمد ابن إسحق الاسبيجاني شيخ الإسلام السمرقندي.

(ولد) سنة أربع وخمسين وأربعمائة، تفقه عليه صاحب الهداية، ولم يكن بما وراء النهر في زمانه من يحفظ المذهب مثله وظهر له الأصحاب.

(توفي) بسمرقند سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

ومنها: **(الذخيرة) لشيخ الإسلام محمد بن الحسن البخاري المعروف بأبي بكر جواهر زاده.** قال السمعاني: كان إماماً فاضلاً حنفياً، وله طريقة حسنة مفيدة جمع فيها من كل فن، وله:

١ ــ كتاب الذخيرة؛
٢ ــ والمبسوط،
٣ ــ والإيضاح و (توفي) سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.

ومنها: **(آداب القاضي) و (كتاب الوقف) و (شرح الوقعات) كلها كلها للخصاف** وهو أحمد بن عمرو أو عمر أبو بكر الخصاف الشيباني.

حدث عن أبي عاصم النبيل وأبي داود الطيالسي وجماعة، وكان فاضلاً فارضاً حاسباً عارفاً بالفقه مقدماً عند الخليفة المهتدي بالله، فلما قتل المهتدي بالله نهبت داره فذهبت كتبه.

صنف:

١ ــ كتاب الحيل؛
٢ ــ وكتاب الوصايا؛
٣ ــ وكتاب الشروط؛ كبير، وصغير؛

٤ ــ كتاب الرضاع؛
٥ ــ وكتاب المحاضر والسجلات؛
٦ ــ وكتاب النفقات على الأقارب؛
٧ ــ وكتاب أدب القاضي؛
٨ ــ وكتاب أقرار الورثة بعضهم لبعض؛
٩ ــ وكتاب أحكام الوقف؛
١٠ ــ وكتاب الخراج؛ وغير ذلك، من الكتب النافعة المفيدة، وذكر أنه كان يأكل من كسب يده، (مات) ببغداد سنة إحدى وستين ومائتين.

ومنها: (شرح أدب القاضي) للخصاف، تصنيف برهان الأئمة المشهور بالحسام الشهيد وهو عمر بن عبد العزيز أبو محمد المعروف بالحسام الشهيد، تفقه على أبيه، وصنف (الفتاوى الصغرى)، و (الفتاوى الكبرى) و (الجامع الصغير) وهو أستاذ صاحب المحيط، ولد في صفر سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ومن مصنفاته (المبسوط) في الخلافيات.

ومنها: (عيون المسائل) و (الوقعات والنوازل) و (خزانة الأكمل) كلها للفقيه أبي الليث، وهو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي أمام الهدى. له:

١ ــ تفسير القرآن؛
٢ ــ وكتاب النوازل، في الفقه؛
٣ ــ وخزانة الأكمل؛
٤ ــ وتنبيه الغافلين؛
٥ ــ و بستان العارفين؛
٦ ــ وتأسيس النظائر؛
٧ ــ ومقدمة الصلاة المشهورة.

(توفي) ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وتفقه على أبي جعفر الهندواني.

ومنها: (كتاب خلاصة الفتاوى) للشيخ الإمام طاهر بن محمد بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري، وله (كتاب الواقعات) أيضاً.

ومنها: (كتاب تتمة الفتاوى) وهو تصنيف محمود بن أحمد بن عبد العزيز أبي المعالي، له (كتاب تتمة الفتاوى).

قال قاسم بن قطلو بغا هكذا في النسخ التي بأيدينا وذكره عبد القادر في المحمدين، وله (كتاب نصاب الفقهاء) في الفتاوي.

ومنها: (فتاوى قاضي خان) وهو فخر الدين أبو المفاخر أو أبو المحاسن الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني المشهور بقاضي خان، وأوزجند مدينة بنواحي أصبهان بقرب فرغانة.

تفقه على أبي إسحق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي نصر الصفار، وظهير الدين أبي الحسن علي بن عبد العزيز المرغيناني وغيرهما.

وله:

١ ــ الفتاوى، في أربعة أسفار؛
٢ ــ وشرح الجامع الصغير؛
٣ ــ وشرح الزيادات وسماه الملتقط؛
٤ ــ وشرح أدب القاضي، للخصاف.

(توفي) ليلة النصف من رمضان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

ومنها: (الفتاوى الكبرى) للخاصي وهو يوسف بن أحمد أبي بكر الخوارزمي نجم الدين جمال الأئمة الخاصي. تفقه على أبي بكر بن عبد الله، وجمع (الفتاوى الكبرى).

ومنها (فتاوى الإمام ظهير الدين) وهو محمد بن أحمد بن عمر ظهير الدين البخاري، (مات) سنة تسع عشرة وستمائة، وله فوائد على (الجامع الصغير الحسامي) وقيل هو الإمام ظهير الدين علي بن عبد العزيز الميرغيناني وهو أستاذ الإمام قاضيخان، (توفي) يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ست وخمسمائة.

ومنها: (القنية) لنجم الدين مختار بن محمود الزاهدي أبي الرجاء الغزميني، وغزمين بمعجمتين قصبة من قصبات خوارزم.

له:

١ ــ كتاب القنية؛

٢ ــ وشرح القدوري؛

٣ ــ ورسالة الناصرية، صنفها لبركت خان، (توفي) سنة ثمان وخمسين وستمائة، تفقه على سديد الخياطي و برهان الأئمة وغيرهما، وقرأ الكلام على يوسف السكاكي، وقرأ الحروف والروايات على الشيخ رشيد الدين القندي، وأخذ الأدب عن شرف الأفاضل.

وله من المصنفات غير ما ذكر:

٤ ــ كتاب زاد الأئمة؛

٥ ــ وكتاب المجتبى، في الأصول والفرائض وغير ذلك، ولكن كان على مذهب الاعتزال ولهذا لا يعتمد على فتواه.

ومنها: (خزانة الأكمل) لأبي الليث السمرقندي وقد مر ذكره.

ومنها: (منية المفتي) للسجستاني وهو يوسف بن أبي سعيد بن أحمد السجستاني، له تلخيص الواقعات المسمى (بمنية المفتي).

ومنها: (الروضة للناطفي) وهو أبو العباس أحمد بن عمر الناطفي، وهو نسبة إلى عمل الناطف و بيعه، كان أحد الفقهاء الكبار، له:

١ ــ كتاب الأجناس والفروق.

٢ ــ الروضة.

٣ ــ الواقعات في مجلدات.

(توفي) بالري سنة ست وأربعين وأربعمائة.

ومنها: (مختصر القدوري) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين بن أبي بكر القدوري البغدادي صاحب المختصر.

(ولد) سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وتفقه على أبي عبد الله محمد بن يحيى الجرجاني، وروى الحديث، وكان صدوقاً، وانتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق، وعظم عندهم قدره وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة في النظر جرياً بلسانه، مديماً لتلاوة القرآن.

صنف:

١ ــ المختصر؛

٢ ــ وشرح مختصر الكرخي؛

٣ ــ وصنف التجريد في سبعة أسفار، يشتمل على الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، شرع في إملائه سنة خمس وأربعمائة؛

٥ ــ وكتاب التقريب في مسائل الخلاف بين أبي حنيفة وأصحابه مجرداً عن الدلائل؛

٦ ــ ثم صنف التقريب الثاني فذكر المسائل بأدلتها.

(مات) ببغداد في يوم الأحد منتصف رجب أو خامس رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، روى عنه الخطيب وقال: كان صدوقاً، وكان يناظر الشيخ أبا حامد الاسفراييني، ولم يعرف سبب نسبته إلى القدور، وقيل: القدوري نسبة إلى بيع القدور التي هي جمع قدر أو إلى عملها، وقيل: القدور اسم قرية، وفيه نظر. كذا في شرح درر البحار للرهاوي.

واعلم أن هذا المختصر مما تبرك به العلماء، حتى جربوا قراءاته أوقات الشدائد وأيام الطاعون. واعتنى الفقهاء بشرحه. مثل (شرح الزاهدي) صاحب القنية وقد مر ذكره، ومثل (شرح الأقطع) وهو أبو نصر أحمد بن محمد ابن محمد. درس الفقه على أبي الحسن القدوري حتى برع فيه، وقرأ الحساب حتى أتقنه، وشرح (مختصر القدوري)، ومال إلى حدث فظهر على الحدث سرقة فاتهم بأنه شاركه فيها فقطعت يده اليسرى.

وحكى الصفدي في الوفيات: أن يده قطعت في حرب كان بين المسلمين

والتتار، وهذا الإحتمال أقرب وأبعد من التهمة للمسلم بمجرد خبر لا يفيد الظن والله أعلم.

(مات) سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

ومنها: (المختار) وهو لعبد الله بن محمود بن مودود بن محمود حجة الدين، أبي الفضل الموصلي ولد بالموصل سنة تسع وتسعين وخمسمائة وحدث عن أبن طبرزد، وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب، ولي القضاء بالكوفة ثم عزل ورجع إلى بغداد، ودرس في مشهد الإمام أبي حنيفة، وأفتى حتى (مات) سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

وله:

١ ــ كتاب المختار للفتوى؛

٢ ــ كتاب الاختيار لتعليل المختار وغير ذلك.

ومنها: (كتاب كنز الدقائق) لصاحب المنار، و(كتاب الوافي) مع شرحه (الكافي) وهما أيضاً له وقد مر ذكره.

وله (شرح للإمام فخر الدين الزيلعي) وهو عثمان بن علي بن محجر بن موسى، فخر الدين أبو عمر الزيلعي الصوفي البارعي.

قدم القاهرة سنة خمس وسبعمائة فدرس وأفتى وكان مشهوراً بمعرفة الفقه والنحو والفرائض، شرح (كتاب كنز الدقائق) في عدة مجلدات فأجاد وأفاد، وحرر وانتقد، وصحح ما اعتمد، و(توفي) في رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

ومنها: (كتاب مجمع البحرين) لأبن الساعاتي وقد مر ذكره وعليه شروح مفيدة.

ومنها: (دور البحار) نظم مجمع البحرين وزاد عليه زيادات كثيرة في المسائل والرموز الدالة على الخلافيات، نظمه على بحر الشاطبية في القراءات، وعلى رويها وقافيتها، وذلك للشيخ العالم العلامة أبي المحاسن حسام الدين الشهير

بالرهاوي، وشرح هذا الكتاب من تلامذة مصنفه محمد بن محمود بن أحمد العنتبي، ولم أقف من أحوال المصنف والشارح غير أسمهما.

ومنها: (الوقاية) لتاج، الشريعة، وشرحه لسبطه صدر الشريعة، و(مختصر الوقاية) لصدر الشريعة وقد مر ذكرهما.

ومن الكتب المعتبرة: (الشروح السبعة للجامع الصغير) لأبي الليث السمرقندي، ولقاضي خان، وللحسامي، وللبرهاني، وللصدر الشهيد، وللعتابي، وللتمرتاشي، وقد ذكر أكثر هؤلاء.

ومنها: (المنتقى) للحاكم الشهيد و(المنتقى) للحاكم الجليل.

ومنها: (فتاوى الرستفغني)، وهو أبو الحسن على بن سعد من رستفغن إحد قرى سمرقند من أصحاب أبي منصور الماتريدي.

له:

١ ــ كتاب ارشاد المبتدي.

٢ ــ وكتاب الزوائد في أنواع العلوم.

ومنها: (فتاوى أبي جعفر البلخي).

ومنها: (فتاوى بهاء الدين الأسبيجاني). وهو علي بن محمد بن إسماعيل الأسبيجاني شيخ الإسلام السمرقندي، (ولد) يوم الإثنين السابع من جمادي الأولى سنة أربع وخمسين وأربعمائة، تفقه عليه صاحب الهداية، ولم يكن بما وراء النهر في زمانه من يحفظ المذهب مثله، فظهر له الأصحاب وعمر في نشر العلم وسماع الحديث.

(توفي) بسمرقند يوم الإثنين الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وله (شرح مختصر الطحاوي).

ومنها: (فتاوى حسام الدين الرازي) وهو علي بن أحمد بن بكر، قدم دمشق وسكنها، وكان يفتي على مذهب أبي حنيفة و يناظر في مسائل الخلاف، وما أظنه حدث وكان فقيهاً فاضلاً.

له تصانيف منها:

١ ــ خلاصة الدلائل في شرح القدوري.

٢ ــ وسلوة الهموم.

توفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بدمشق.

ومنها: (فتاوى شمس الأئمة الحلوائي) نسبة إلى بيع الحلواء. وهو عبد العزيز بن أحمد بن صالح، أمام الحنفية في وقته ببخارى وقد مر بقية أوصافه.

ومنها: (فتاوى أبي الفضل الكرماني) وهو عبد الله بن محمد بن أميرويه ابن محمد بن ابراهيم، أبو الفضل ركن الدين الكرماني.

ولد بكرمان في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وقدم مرو فتفقه وبرع حتى صار أمام الحنفية بخراسان.

وله:

١ ــ كتاب شرح الجامع الكبير؛

٢ ــ وكتاب التجريد؛

٣ ــ وشرحه بكتاب سماه الإيضاح.

و (مات) بمرو سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

ومنها: (النافع) لقاسم بن يوسف المدني. له:

١ ــ كتاب النافع في الفقه قرأ عليه خلق كثير وشرحوه؛

٢ ــ وكتاب مصابيح السبل في الفقه؛

٣ ــ وكتاب في الوعظ؛

٤ ــ وكتاب في أصول الفقه. ومن شروحه (المستصفى) و (المنافع).

ومنها: (كتاب المنظومة في الخلافيات)، للشيخ الإمام أبي حفص عمر النسفي، وقد مر ذكره في علم اللغة. ومن شروح المنظومة: (المصفى)، وقد

صنفه مصنف المستصفى في شرح النافع، وهو أبو البركات حافظ الدين النسفي صاحب (الوافي) وشرحه (الكافي) في الفقه. وقد مر ذكره في علم الأصول.

ومن شروحه النافعة: (الحقائق)، وله شرح لخطاب بن أبي القاسم القره حصاري، جعله في مجلدين، فرغ منه في صفر سنة سبع عشرة وسبعمائة، وكان ورد دمشق ثم رجع إلى بلاده.

ومنها: (كتاب المقدمة الغزنوية)، للشيخ أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي الحنفي تفقه على أحمد بن يوسف الحسيني، وتفقه به جماعة.

وصنَّف:

١ ــ كتاب روضة اختلاف العلماء؛
٢ ــ ومقدمة في الفقه عرفت بالغزنوية؛
٣ ــ وكتاباً في أصول الفقه؛
٤ ــ وكتاب روضة المتكلمين في أصول الدين؛
٥ ــ وكتاب المنتقى من روضة المتكلمين.

(مات) بحلب سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وكان معيد درس الكاساني صاحب البدائع.

ومن المشايخ الذين تشرف المذاهب بهم:

جلال الدين القونوي، وهو محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم ابن مسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيمي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين المعروف بمولانا جلال الدين القونوي، كان عالماً بالمذهب واسع الفقه عالماً بالخلاف وأنواع العلوم ــ قصده الشيخ قطب الدين الشيرازي الإمام المشهور صاحب (شرح مقدمة ابن الحاجب) و (المفتاح) للسكاكي، فلما دخل عليه وجلس عنده، سكت زماناً والشيخ لا يكلمه، ثم بعد ذلك ذكر حكاية: قال مولانا جلال الدين كان الصدر جهان عالم بخارى يخرج من مدرسته ويتوجه إلى بستان، فيمر بفقير على الطريق في

مسجد، فيسأله، فلم يتفق أنه يعطيه شيئاً، ثم بعد مدة أحتال الفقير، وألقى أصحابه عليه ثوباً، وأظهروا أنه ميت، فدفع له شيئاً من الدراهم، ثم نهض الفقير وألقى الثوب عنه، فقال له الصدر جهان: لو لم تمت ما أعطيتك شيئاً، فلما فرغ مولانا جلال الدين من الحكاية خر الشيخ قطب الدين على وجهه، وذلك أن الشيخ جلال الدين فهم عن الشيخ قطب الدين أنه جاء ممتحناً له.

(مات) في خامس جمادي الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة، ثم ان الشيخ جلال الدين انقطع وتجرد، وهام وترك التصنيف والاشتغال، وسبب ذلك أنه كان يوماً جالساً في بيته وحوله الكتب والطلبة فدخل عليه الشيخ شمس الدين التبريزي الإمام الصالح المشهور، فسلم وجلس، وقال للشيخ: ما هذا؟ وأشار إلى الكتب والحالة التي هو عليها، فقال له مولانا جلال الدين: هذا لا تعرفه فما فرغ الشيخ جلال الدين من هذا اللفظ إلا والنار عمالة في البيت والكتب، فقال مولانا جلال الدين للتبريزي: ما هذا فقال له التبريزي: هذا لا تعرفه ثم قام وخرج من عنده، فخرج الشيخ جلال الدين على قدم التجريد، وترك أولاده وحشمه ومدرسته، وساح في البلاد، وذكر أشعاراً كثيرة، ولم يتفق له اجتماع بالتبريزي وعدم التبريزي ولم يعرف له موضع، فيقال ان حاشية مولانا جلال الدين قصدوه واغتالوه، والله أعلم. كذا في (الجواهر المضية في الطبقات الحنفية).

وقال غيره في نسبه: جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن حسين بن أحمد بن محمود بن مودود بن ثابت بن مسيب بن مطهر بن حماد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم.

يقال: كان لقبه جلال الدين، وكان يقول له أبوه: خداوندكار، ولقب به أيضاً، وخداوندكار، في لغة العجم معنى السلطان في لغة العرب، ولهذا أشتهر بمولانا خداوندكار، واسم أبيه محمد، ولقبه بهاء الدين، و يلقب أيضاً بسلطان العلماء، ولقبه بهذا اللقب النبي صلى الله عليه وسلم هكذا سمعه كثير من الصلحاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام. وأسم جده الحسين، واسم

أبيه أحمد، وتمكن أبوه سلطان العلماء في مدينة بلخ أولاً، وولد مولانا جلال الدين هناك. ثم توطن أبوه بقونية وهو طفل صغير، ولهذا لقب بجلال الدين الرومي.

وكانت (ولادته) في سادس ربيع الأول سنة أربع وستمائة، و(توفي) في خامس جمادي الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وفي هذه السنة توفي نصير الدين الطوسي الحكيم، صاحب (التجريد) في الكلام، وكانت مدة عمره ثمان وستين سنة.

روى أن سلطان بلخ، سلطان محمد خوارزم شاه، أعطى أخته لمولانا حسين جد مولانا جلال الدين محمد، وولدت هي سلطان العلماء محمد. وكانت جدة بهاء الدين محمد، أم أحمد الخطيبي، أخت السلطان ابراهيم بن أدهم، رحمهم الله تعالى.

ومن وصايا جلال الدين لأصحابه: أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية، وبقلة الطعام وقلة الكلام، وهجران المعاصي والآثام، ومواظبة الصيام ودوام القيام، وترك الشهوات على الدوام، واحتمال الجفاء من جميع الأنام، وترك مجالسة السفهاء والعوام، وملازمة مصاحبة الصالحين والكرام، وإن خير الناس من ينفع الناس، وخير الكلام ما قل ودل.

وأما ولده أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم بن مسيب ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فهو مولانا بهاء الدين ابن مولانا جلال الدين و يلقب بهاء الدين هذا بسلطان ولد.

كان إماماً فقيهاً درس بعد أبيه بمدرسة قونية، وتبع والده في التجرد وعمر، و(توفي) سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، ودفن بقونية بتربة والده، وصلى عليه الشيخ مجد الدين الأقصرايني بوصية منه.

حكى لي بعض أصحابنا عنه قال: كانت له سرية فقال لها: اختاري واحداً من أصحابي أزوجك به، لعل الله يرزقك ولداً يعبد الله، فامتنعت من

ذلك، قال صاحبنا: فقال لي الشيخ: أكشف لي عن سبب المنع فقلت لها عن ذلك، فقالت: الكبار يزوروني و يعظموني و يكرموني لنسبتي إلى الشيخ، وإذا تزوجت بغيره يزول عني هذا، قال: فأخبرت الشيخ بما قالت فتبسم وقال: آثرت اللذة الوهمية على اللذة الحسية.

وحكى لي عنه كرامات، كذا في (الجواهر المضية في الطبقات الحنفية).

ومن المتأخرين من له يد طولى في الفقه وهو: الشيخ بدر الدين محمود ابن إسرائيل بن عبد العزيز الشهير بابن قاضي سماونة.

ولد في قلعة سماونة من بلاد الروم حين كان أبوه قاضياً بها، وكان أيضاً أميراً على عسكر المسلمين بها، وكان فتح تلك القلعة على يده أيضاً.

يقال أن أحد أجداده كان وزيراً لآل سلجوق، وكان هو ابن أخي السلطان علاء الدين السلجوقي، وكان فتح القلعة المذكورة وولادة الشيخ بدر الدين في زمن السلطان غازي خداوندكار من سلاطين آل عثمان. ثم أن الشيخ أخذ العلم في صباه عن والده المذكور، وحفظ القرآن العظيم وقرأه على المولى المشتهر بالشاهدي، وتعلم الصرف والنحو من مولانا يوسف، ثم ارتحل إلى الديار المصرية مع ابن عم أبيه، وهو مؤيد بن عبد المؤمن، وقرأ بقونية — من بلاد الروم — بعضاً من العلوم وعلم النجوم، على مولانا فيض الله من تلامذة فضل الله، ومكث عنده أربعة أشهر، ولما توفي مولانا فيض الله ارتحل إلى الديار المصرية، وقرأ هناك مع الشريف الجرجاني على مولانا مبارك شاه المنطقي، المدرس بالقاهرة، ثم حج مع مبارك شاه، وقرأ بمكة على الشيخ الزيلعي، ثم قدم القاهرة، وقرأ مع الشريف الجرجاني على الشيخ أكمل الدين، وحصل عنده جميع العلوم، ثم قرأ على الشيخ بدر الدين المذكور السلطان فرج ابن السلطان برقوق ملك مصر، ثم أدركته الجذبة الآلهية، والتجأ إلى كنف الشيخ سيد حسين الأخلاطي، الساكن بمصر وقتئذ.، وحصل عنده ما حصل، وأرسله الشيخ الأخلاطي إلى بلدة تبريز للارشاد، ولما جاء الأمير تيمور إلى تبريز، وقع عنده منازعة بين العلماء، ولم ينفصل البحث عنده، فذكر الشيخ الجزري الشيخ

بدر الدين المذكور للمحاكمة بين المخاصمين، فدعاه الأمير تيمور، فحكم الشيخ بينهما، ورضي الكل بحكمه، واعترف العلماء بفضله، ونال من الأمير المذكور مالاً جزيلاً وإكراماً بالغاً إلى نهايته، ثم ترك الشيخ الكل ولحق ببدليس، ثم سافر إلى مصر، ووصل إلى الشيخ الأخلاطي المذكور، ثم مات الشيخ الأخلاطي وأجلس الشيخ مكانه، فجلس فيه ستة أشهر ثم جاء إلى حلب، ثم إلى قونية، ثم إلى ثيرة، من بلاد الروم، ثم دعاه رئيس جزيرة فأسلم على يدي الشيخ، ثم جاء الشيخ إلى أدرنة، وصار الرئيس من جملة مريديه، ووجد الشيخ والديه هناك حيين، ثم لما تسلطن موسى جلبي من أولاد عثمان، نصب الشيخ قاضياً بعسكره، ثم أن أخا موسى جلبي قتل موسى جلبي وحبس الشيخ في أزنيق، ثم هرب من الحبس إلى الأمير اسفنديار، وكان قصده الوصول إلى بلاد تاتار، ولم يأذن له اسفنديار خوفاً من ابن عثمان، ثم أرسله إلى زغرة من ولاية روم أيلي، وأجتمع عنده أحباؤه، وأضافوه مراراً متعددة ووشى به بعض المفسدين إلى السلطان أنه يريد السلطنة، فأخذ وقتل مظلوماً رحمه الله.

وله تصانيف كثيرة منها:

١ ــ لطائف الإشارات في الفقه؛

٢ ــ وشرحه التسهيل صنفهما محبوساً في أزنيق؛

٣ ــ ومنها جامع الفصوص؛

٤ ــ ومنها عنقود الجواهر ــ شرح المقصود في الصرف؛

٥ ــ ومنها مسرة القلوب في التصوف؛

٦ ــ والواردات في التصوف أيضاً.

وكان (وفاته) في سنة ثمان عشرة وثمانمائة تقريباً، وروى أن السيد الشريف الجرجاني كان يمدحه بالفضل رحمهما الله تعالى.

وأعلم أن استقصاء أئمة الشرع خيال محال، لأن من جملة اكرام الله تعالى هذا الشرع، أنه تعالى ملأ أقطار الأرض شرقاً وغرباً، بأنوار اجتهاد العلماء الذين هم كأنبياء بني إسرائيل، كلما أردت تعداد طائفة منها، انفتح لك

طوائف يكل الذهن عن تذكار أساميهم، فضلاً عن استيفاء مناقبهم وأحوالهم، فالأولى بنا ألا نطمع في غير مطمع فانه بحر لا ساحل له، **لكن علينا أن نذكر ها هنا نبذاً من مشاهير أئمة الشافعية تبركاً بهم أيضاً، فلنذكر أولاً من تشرف بصحبته والنظر إلى وجهه الكريم.**

منهم: **أحمد بن خالد الخلال، أبو جعفر البغدادي،** روى عن الشافعي وسفيان بن عيينة وغيرهما، حدث عنه الترمذي والنسائي وغيرهما، وقالا: لا بأس به.

قال أبو حاتم الرازي: كان خيراً فاضلاً عدلاً ثقة، صدوقاً رضي، وقال الحاكم: كان من أجلّة الفقهاء والمحدثين، مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائتين.

ومنهم أحمد بن سنان بن أسد بن حيان القطان أبو جعفر الواسطي الحافظ. له مسند (مخرج على الرجال)، روى عن الشافعي وأبي معاوية ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وخلق، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة ويحيى بن صاعد وابن خزيمة وابنه جعفر بن أحمد بن سنان، وغيرهم. (توفي) سنة ست أو تسع وخمسين ومائتين.

ومنهم: أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر الطبري، أحد أركان العلم وجهابذة الحفاظ. كان أبوه جندياً من أجناد طبرستان، (فولد) له أحمد بمصر سنة سبعين ومائة، و(توفي) سنة ثمان وأربعين ومائتين. سمع سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وعنبسة بن سعيد، وعبد الله بن نافع، والشافعي، روى عنه البخاري وربما روى عن رجل عنه.

وروى عنه أيضاً أبو داود والترمذي وجماعة، ودخل بغداد وناظر بها أحمد ابن حنبل.

قال البخاري: هو ثقة؛ وقال يعقوب الفسوي: كتبت عن ألف شيخ، وكسر حجتي فيما بيني وبين الله رجلان: أحمد بن حنبل، وأحمد بن صالح؛

وقال النسائي: أحمد بن صالح ليس بثقة ولا مأمون، قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان آفة أحمد بن صالح الكبر وشراسة الخلق، ونال النسائي منه جفاء في مجلسه فحمله على أن تكلم فيه وإلا فقد قال أبو يعلى الحافظ أن ابن صالح ثقة حافظ.

فائدة دينية: وهي أنك ربما ترى في كتب الأصول أن الجرح مقدم على التعديل ثم ترى جرحاً في حق الأئمة، فلعلك تميل إلى جرحه، فإياك إياك، والحذر كل الحذر من هذا الحساب، إذ لو فتح هذا الباب لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون، أما لأمر دنيوي، أو تعصب مذهبي، بل الصواب أن من ثبت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه، من أمر دنيوي أو غيره، فلا عبرة به، وإنما يقدم الجرح فيمن تساوى عنده سبب الجرح على سبب التعديل، سيما وقد روى عن ابن عباس أنه قال: استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده، انهم أشد تغايراً من التيوس في زوربها.

وعن مالك بن دينار: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض؛ وعن عبد الله بن وهب: أنه لا يجوز شهادة القارىء على القارىء، يعني العلماء، لأنهم أشد الناس تحاسداً وتباغياً، وقاله سفيان الثوري ومالك بن دينار. ألا يرى إلى قول ابن معين في الشافعي، وقول بعض الفقهاء الشافعية في أبي حنيفة، وكلام ابن أبي ذئب وابراهيم بن سعد في مالك، وهم لا يحوم العلم والدين إلا حول حماهم، فينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وألا تنظر في كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك، وإلا فأضرب صفحاً عما جرى بينهم، فإنك لم تخلق لهذا، واشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك.

قيل: لا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف

الماضيين، ويقضي لبعض على بعض، فإياك ثم إياك أن تصغي إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري، أو بين مالك وابن أبي ذئب، أو بين أحمد بن صالح والنسائي، أو بين أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي، وهلم جراً إلى زمان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين بن الصلاح، وهكذا في كل عصر وزمان، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك، فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل وبما لم تفهم بعضها، فليس لنا إلا الترضي عنهم، والسكوت عما جرى بينهم، كما يفعل فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، وما مثل من تكلم فيهم إلا كما قال الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليقتلعها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أو كما قال الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه ... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً ... وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل في هذا الباب:

أن يحسدوني فاني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قدحسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

أنشد محمد بن الحسن في حق حساده:

تحسدوني وشر الناس منزلة ... من عاش في الناس غير محسود

وقد قيل:

ان العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حساداً

وكان إذا ذكر عند أبي حنيفة أحد بسوء أنشد:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه والناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً إنه لدميم

قيل لعبد الله بن طاهر أن الناس يقدحون في أبي حنيفة فقال:

ما يضر البحر أمسى زاخراً ان رمى فيه غلام بحجر

وفيه قال قائل:

أن يحسدوني فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والبأس أو بالجد والجود

ولبعضهم في المعنى:

فازداد لي حسداً من لست أحسده إن الفضيلة لا تخلو عن الحسد

ولعمارة بن عقيل:

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو النقصان
يا بؤس قوم ليس جرمي بينهم إلا تظاهر نعمة الرحمان

ولحاتم الطائي:

يا كعب مالي أرى من بين تكرمة إلا له من بيوت الناس حساداً

وقال الرضى الموسوي:

نظروا بعين عداوة لو أنها عين الهوى لاستحسنوا ما استقبحوا
تولوني شزر العيون لأنني أمسيت في طلب العلو وتصبحوا

والإكثار من هذا الباب، وإيثار الأطناب في الكتاب، ليس إلا من قبيل نفثة المصدور، والعذر عند كرام الناس معذور.

ومنهم: أحمد بن أبي سريج بن الصباح النهشلي، أو أحمد بن عمر بن الصباح، أبو جعفر الرازي البغدادي. سمع شعيب بن حرب، وأبا معاوية الضرير، وابن علية، ووكيعا، والشافعي، وجماعة؛ وروى عنه البخاري والنسائي وأبو داود وأبو حاتم وغيرهم؛ قال: النسائي ثقة؛ وقال أبو حاتم: صدوق.

ومنهم: أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي، أبو عبد الله المصري، روى عن عمه عبد الله بن وهب والشافعي وجماعة.

وحدث عنه مسلم في الصحيح وأبو حاتم الرازي وابن خزيمة وابن جرير، توفي سنة أربع وستين ومائتين.

ومنهم: أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح القرشي الأموي مولاهم أبو الطاهر المصري الفقيه. روى عن سفيان بن عيينة والشافعي وابن وهب وغيرهم. وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم. وكان من جلة العلماء، شرح موطأ مالك، (توفي) لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين.

ومنهم أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور في الآفاق. وقد ذكرناه فيما مر من الأئمة المجتهدين.

ومنهم أحمد بن محمد بن الوليد، ويقال عون بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شمر الأزرقي القواس المكي، أبو الوليد، أو أبو محمد، أو أبو الحسن، وهو جد صاحب تاريخ مكة. روى عن عمرو بن يحيى ابن سعيد الأموي، ومالك، وعبد الجبار بن الورد وابراهيم بن سعد وفضيل بن عياض ومسلم بن خالد الزنجي، وجماعة. روى عنه البخاري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو حاتم وحنبل بن إسحق وأبو جعفر الترمذي. (توفي) سنة اثنتين وعشرين ومائتين على ما حرره شيخنا الذهبي.

ومنهم **أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي**، أبو عبد الرحمن الشافعي المتكلم. حدث عن الشافعي والوليد بن مسلم الثقفي. روى عنه أبو جعفر الحضرمي. كان من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ثم صار من أصحاب ابن أبي داود واتبعه على رأيه حتى أن الشافعي منعه من قراءة كتبه.

ومنهم **أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان المهاجر التجيبي، أبو عبد الله المصري الحافظ النحوي، مولاهم، أحد الأئمة.** روى عن عبد الله ابن وهب وشعيب بن الليث وأصبغ بن الفرج، وجماعة. روى عنه النسائي وقال ثقة، والحسين بن يعقوب المصري وأبو بكر بن أبي داود وآخرون. (ولد) سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان من أعلم أهل زمانه بالأدب والشعر والغريب وأيام الناس، وصحب الشافعي وتفقه له، وكان يعمل الفلاحة فانكسر عليه بعض الخراج (فمات) في السجن سنة إحدى وخمسين أو خمسين ومائتين.

ومنهم **أحمد بن أبي سريج الرازي.** تفقه على الشافعي.

ومنهم **محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث، الامام عبد الله المصري، أخو عبد الرحمن وسعد.** (ولد) سنة اثنتين وثمانين ومائة. روى عن عبد الله بن وهب وابن أبي فديك وأبي ضميرة أنس بن عياض وأشهب بن عبد العزيز والشافعي، وبه تفقه. وروى عنه النسائي وأبو حاتم الرازي وعبد الرحمن بن أبي حاتم وابن خزيمة وأبو العباس الأصم وابن صاعد وأبو بكر بن زياد النيسابوري، وجماعة. ولازم الشافعي مدة. قيل أن الشافعي كان معجباً به لفرط ذكائه وحرصه على الفقه، إلا أنه رجع عن مذهب الشافعي إلى مذهب مالك ثم انتهت حاله إلى أن صنف كتاباً سماه (الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة)، وهو اسم قبيح. قيل ولقد نالته بعد هذا التصنيف محنة عظيمة يطول شرحها. (توفي) سنة ثمان وستين ومائتين. قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة: الحماقة، والطاعون، والهرم. وروى عن عبد الأعلى قال:

قال لي الشافعي: لم أر شيئاً أنفع للوباء من دهن البنفسج، يدهن به و يشرب.
قال ابن السبكي: والوباء غير الطاعون، فلا منافاة بين الأمرين.

ومنهم محمد بن الإمام الشافعي، الشيخ أبو عثمان القاضي، وهو أكبر أولاده. ولما توفي والده كان بالغاً مقيماً بمكة. سمع أباه وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وأحمد بن حنبل. ولي القضاء بالجزيرة وأعمالها وبمدينة حلب، وبقي بها سنين كثيرة. (توفي) بالجزيرة بعد سنة أربعين ومائتين، وقيل كان للشافعي ولد آخر أسمه محمد أيضاً، وكنيته أبو الحسن، وهو من جارية اسمها دنانير. قدم مصر مع أبيه ثم توفي بها سنة احدى وثلاثين ومائتين.

ومنهم ابراهيم بن خالد أبي اليمان، أبو ثور الحلبي البغدادي، الإمام الجليل، أحد أصحابنا البغداديين. قيل كنيته أبو عبد الله، وأبو ثور لقبه. روى عن سفيان بن عيينة وابن علية وعبيدة بن حميدة وأبي معاوية ووكيع ومعاذ بن معاذ وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي و يزيد بن هارون، وجماعة. روى عنه مسلم خارج الصحيح وأبو داود وابن ماجة وأبو القاسم البغوي والقاسم بن زكريا المطرز ومحمد بن إسحق السراج، وجماعة. كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً وخيراً. وهو ممن صنف الكتب وفرع على السنن وذب عنها وقمع مخالفيها. قيل كان أولاً على مذهب أبي حنيفة حتى قدم الشافعي بغداد فاختلف إليه ورجع إلى مذهبه.

ومنهم ابراهيم بن محمد بن العباس بن عثمان الشافعي، ابن عم الإمام الشافعي. روى عن عمه والفضيل بن عياض وجده لأمه محمد بن علي بن شافع والمنكدر بن محمد وحماد بن زيد وابن عيينة وطائفة. وروى عنه ابن ماجة وأحمد بن سيار المروزي وأبو بكر بن أبي عاصم، وغيرهم. قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي والدارقطني: ثقة. (مات) سنة سبع أو ثمان وثلاثين ومائتين.

ومنهم ابراهيم بن محمد بن هرم. روى عن الشافعي وكان يلزمه.

ومنهم ابراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر الحزامي المدني. امام ثقة جليل. حدث عن سفيان بن عيينة وابن وهب ومعن بن عيسى وابن أبي فديك وأبي ضمرة والوليد بن مسلم، وجماعة. روى عنه البخاري في صحيحه، وابن ماجة وبقي بن مخلد وابن أبي الدنيا ومحمد بن ابراهيم البوشنجي ومطين، وخلق. قال الخطيب ابراهيم: ثقة. وقال أبو الفتح الأزدري: هو في عداد أهل الصدق. وعن الدارقطني أنه قال: هو ثقة. (مات) سنة ست أو خمس وثلاثين ومائتين.

ومنهم إسحق بن ابراهيم بن مخلد، أبو يعقوب، المروزي، ابن راهويه، أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين، الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى، نزيل نيسابور وعالمها. (ولد) سنة إحدى أو ست وستين ومائة. سمع قبل الرحلة من ابن المبارك ثم روى عن فضيل بن عياض وسفيان ابن عيينة وحفص بن غياث، وخلق سواهم. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل، وابنه محمد بن اسحق بن راهويه، وخلق. وقال ابنه علي بن إسحق بن راهويه: (ولد) أبي مثقوب الأذنين. قال فضل بن موسى (الجدي): يكون ابنك رأساً، أما في الخير، وأما في الشر. فسئل إسحق: لم قيل لأبيك راهويه. قال: ولد أبي في طريق مكة، فقالت المراوزة راهويه. وقال إسحق: كان أبي يكره هذا وأما أنا فلست أكرهه. وكان إسحق فرداً وفي أمر الدنيا لا رأى له. (توفي) إسحق ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين. قال البخاري: وله سبع وسبعون سنة. فعلى هذا يكون ولادته سنة إحدى وستين.

ومنهم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحق، الإمام الجليل، أبو إبراهيم المزني، ناصر المذهب وبدر سمائه. (ولد) سنة خمس وسبعين ومائة، وحدث عن الشافعي ونعيم بن حماد وغيرهما. روى عنه ابن خزيمة والطحاوي، وغيرهما. وكان جبل علم، مناظراً محجاجاً. قال الشافعي في وصفه: لو ناظره الشيطان لغلبه. وقال: المزني ناصر مذهبي. وكان زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا مجاب الدعوة. وكان إذا فاتته صلاة في جماعة صلاها

خمسا وعشرين مرة. وكان يغسل الموتى تعبداً واحتساباً. وكان يقول: أفعله ليرق قلبي.

وصنَّف كتباً كثيرة منها:

١ ــ المختصر المشهور في الآفاق؛
٢ ــ والجامع الكبير؛
٣ ــ والجامع الصغير؛
٤ ــ والمنثور؛
٥ ــ والمسائل المعتبرة؛
٦ ــ والترغيب في العلم؛
٧ ــ وكتاب الوثائق؛
٨ ــ وكتاب العقارب؛
٩ ــ وكتاب نهاية الإختصار؛

وأخذ منه خلائق من علماء خراسان والعراق والشام. (توفي) سنة أربع وستين ومائتين. ذكروا أنه كان إذا فرغ من مسألة في المختصر صلى ركعتين. قال المزني: سألت يوماً الشافعيَّ مسائل بلسان أهل الكلام فجعل يسمع مني و ينظر إليَّ ثم يجيبني عنها بأحضر جواب، وأحضر أفعل تفضيل من حضر يحضر حضوراً بالضاد المعجمة. كذا نقله ابن السبكي عن والده. قال المزني: فلما اكتفيت، قال لي: يا بني، أدلك على ما هو خير لك من هذا، قلت: نعم، فقال: يا بني، هذا علم ان أنت أصبت فيه لم تؤجر، وإن أخطأت فيه كفرت، فهل لك في علم إن أصبت فيه أجرت وإن أخطأت لم تأثم. قلت: وما هو، قال: الفقه. فلزمته، فتعلمته منه ودرست عليه. قال: وسأله يوماً حفص القرد عن سؤالات كثيرة في الكلام، فجرى بينهما كلام كثير حتى دق ولم أفهمه إذ التفت إلى الشافعي مسرعاً فقال: يا مزني، تدري ما قال حفص، قلت: لا، قال: خير لك ألا تدري. قال المزني: سمعت الشافعي يقول: ما رفعت أحداً فوق منزلته إلا حط مني بمقدار ما رفعت منه. وقال: سمعت

الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. وقال: سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب، رأيت جدة بنت إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلاً فلسه القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القينات يعلمهن الغناء، فإذا أتى الصلاة صلى قاعداً. قال المزني، ونسيت الرابعة. قال: وسمعته يقول: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه. وروى المزني عن الشافعي أنه نظر في النجوم وهو حدث. وقد استشكل هذا كثيرون، وقد مر الحق فيه عند ذكر علم النجوم.

ومنهم بحر بن نصر بن سابق الخولاني، أبو عبد الله المصري، مولى بني سعد بن خولان. مولده سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ومائة. قال الطحاوي: ولد بحر بن نصر والربيع المرادي والمزني ثلاثتهم في سنة أربع وسبعين ومائة. روى عن ابن وهب وأيوب بن سويد الرملي والشافعي، وبه تفقه، وضمرة بن ربيعة وأشهب وبشر بن بكر وطائفة. روى عنه ابن حوصا وأبو جعفر الطحاوي، وجماعة كثيرة. (توفي) بمصر سنة تسع وستين ومائتين.

ومنهم الحارس بن سريج النقال بالنون ابن عمر الخوارزمي ثم البغدادي، وإنما قيل له النقال لأنه نقل رسالة الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدي. روى عن الشافعي وسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة وغيرهم. روى عنه ابن أبي الدنيا وإبراهيم بن هاشم البغوي وأحمد بن الحسن الصوفي، وغيرهم. (مات) سنة ست وثلاثين ومائتين.

ومنهم الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي، أبو عمر المصري، فقيه محدث صالح إمام. أخذ عن الشافعي وغيره. وروى عنه أبو داود والنسائي وأبو يعلى الموصلي وغيرهم. (توفي) سنة خمسين ومائتين، وكان مولده سنة أربع وخمسين ومائة.

ومنهم الحسن بن محمد بن الصباح البغدادي، الإمام أبو علي الزعفراني كان إماماً جليلاً فقيهاً محدثاً فصيحاً بليغاً ثقة ثبتاً منسوب إلى قرية بالسواد يقال له الزعفرانية ونسب إليه درب الزعفراني ببغداد لأنه سكن فيه. سمع عن سفيان بن عيينة والشافعي وعبدة بن حميد وغيرهم. روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فليس في الستة من لم يرو له إلا مسلم، وغيرهم من الأئمة. قيل ولم يكن في عصر الزعفراني أحسن منه صورة ولا أفصح منه لساناً، ولم يتكلم أحد فيه بسوء. قرأ على الشافعي (كتاب الرسالة). (توفي) في رمضان سنة ستين ومائتين.

ومنهم الحسين بن علي بن يزيد، أبو علي الكرابيسي. كان إماماً جليلاً جامعاً بين الفقه والحديث. تفقه أولاً على مذهب أهل الرأي ثم تفقه للشافعي وسمع منه الحديث وعن يزيد بن هارون وإسحق الأزرق و يعقوب بن ابراهيم وغيرهم وروى عنه جماعة. وله مصنفات كثيرة. وقد أجازه الشافعي. كتب الزعفراني: وكان الكرابيسي من متكلمي أهل السنة أستاذاً في علم الكلام كما هو أستاذ في الحديث والفقه. وله كتاب في علم المقالات. (مات) سنة خمس أو ثمان وأربعين ومائتين.

ومنهم الحسين القلاس، بالسين المهملة، الفقيه البغدادي. كان من أجلة أصحاب الحديث وحفاظ مذهب الشافعي.

ومنهم حرملة بن عبد الله التجبي، وتجيب قبيلة، كان إماماً جليلاً رفيع الشأن. (ولد) سنة ست وستين ومائة. روى عن الشافعي وابن وهب وأيوب ابن سويد، وغيرهم. روى عنه مسلم وابن ماجة وغيرهما. وهو ثقة ثبت إن شاء الله. صنف (المبسوط)، و (المختصر). و (مات) سنة ثلاث وأربعين ومائتين. قال: سمعت الشافعي يقول: إذا رأيت كوسجا فأحذره، وما رأيت من أزرق خيراً. وقال: ما تقرب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم. قال: وسمعته يقول في حديث «اشترطي لهم الولاء» أي عليهم، وفي قوله تعالى «أولئك لهم اللعنة»، أي عليهم، وفي قوله صلى الله عليه

وسلم « بيد أنهم » أي من أجل أنهم. وقال: كان الشافعي وهو حدث ينظر في النجوم، ثم كان له صديق وعنده جارية قد حبلت قال إنها تلد ولداً في فخذه الأيسر خال أسود إلى سبعة وعشرين يوماً ويعيش أربعة وعشرين يوماً ثم يموت، فجاء الأمر كما وصف. فحرق تلك الكتب وما عاد إلى النظر في شيء منها أصلاً. وقال: كان الشافعي يخرج لسانه فيبلغ أنفه.

ومنهم الربيع بن سليمان بن داود الجيزي، أبو محمد الأزدي، مولاهم المصري الأعرج. كان رجلاً صالحاً فقيهاً. روى عن الشافعي وعبد الله بن وهب وإسحق بن وهب، وغيرهم. وروى عنه أبو داود والنسائي والطحاوي، وغيرهم. (توفي) سنة ست أو سبع وخمسين ومائتين.

ومنهم الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، مولاهم الشيخ أبو محمد المؤذن. صاحب الشافعي وراوية كتبه والثقة الثبت فيما يرويه حتى رجحوا روايته عند تعارض المزني مع علو قدر المزني علماً وديناً وجلالة وموافقة ما رواه للقواعد. وحدث عن الشافعي وعن عبد الله بن وهب وأيوب ابن سويد ويحيى بن حسان، وجماعة. روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأبو زرعة الرازي والطحاوي والترمذي، وجماعة غيرهم. ولد سنة أربع وسبعين ومائة. وكان الشافعي يحبه، وقال له يوماً: لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك. وكان بطيء الفهم كرر عليه الشافعي مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياء فدعاه الشافعي في خلوة فكررها حتى فهمها. وقيل كانت فيه سلامة صدر وغفلة، إلا أنه باتفاقهم لم ينته به إلى التوقف في قبول روايته بل هو ثقة ثبت. (مات) سنة سبعين ومائتين. قال: سمعت الشافعي يقول: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو لئيم وفي لفظ فهو شيطان، ومن ذكر فلم ينزجر فهو محروم. ومن تعرض لما لا يعنيه فهو الملوم. وقال. سمعته يقول: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً جاداً ولا هازلاً. قلت: وأني ما سمعت من المولى الوالد يميناً قط كما قاله الشافعي مع كثرة صحبتي معه في الليل والنهار. رحمه الله تعالى وحشره مع الأبرار. وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا ضاقت الأشياء اتسعت وإذا اتسعت

ضاقت. قال: وسمعته يقول: من صدق في أخوة أخيه قبل علله وسد خلله وعفا عن زلله. قال: وسمعته يقول: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل.

ومنهم **سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي، أبو أيوب البغدادي** روى عن الشافعي وغيره. وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره. (توفي) سنة تسع عشرة أو عشرين ومائتين.

ومنهم **عبد الله بن الزبير** بن عيسى القرشي الأسدي المكي، محدث مكة وفقيهها.

ومنهم **أبو بكر الحميدي**، منسوب إلى حميد بن زهير بن الحارث بن أسد. روى عن الشافعي وتفقه به وذهب معه إلى مصر، وسفيان بن عيينة، قال الذهبي: وهو أجل أصحابه، والدر اوردي ووكيع وفضيل بن عياض وغيرهم. روى عنه البخاري و يعقوب بن سفيّان ومحمد بن يحيى الذهلي وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وخلق. قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام. (توفي) بمكة سنة تسع عشرة ومائتين.

ومنهم **عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص، الإمام أبو علي الخزاعي** مولاهم المصري الفقيه. أخذ عن الشافعي وعن عبد الله بن وهب. وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما. وهو ابن بنت سعيد بن أيوب. كان فقيهاً زاهداً. (توفي) سنة أربع وثلاثين ومائتين.

ومنهم **عبد العزيز يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي** روى عن سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية الفزاري وعبد الله بن معاذ الصنعاني ومحمد بن ادريس الشافعي وبه تخرج. روى عنه أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد والحسين بن الفضل البجلي وأبو بكر، يعقوب بن إبراهيم التيمي، وغيرهم. وهو قليل الحديث. وكان يلقب بالغول لدمامة منظره. وكان من أهل العلم والفضل. وله مصنفات عدة. وكان ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته، وكان أحد أتباع الشافعي والمقتبسين عنه وقد طالت صحبته له وخرج معه إلى اليمن.

ومنهم علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، أبو الحسن بن المديني، الحافظ، أحد أئمة الحديث ومن انعقد الإجماع على جلالته وإمامته. وله التصانيف الحسان. مولده سنة إحدى وستين ومائة. سمع أباه وحماد بن زيد وهشيماً وأبا عيينة والدراوردي، وغيرهم. روى عنه البخاري وأبو داود وأحمد ابن حنبل وغيرهم. وروى الترمذي والنسائي عن رجل عنه (مات) سنة أربع وثلاثين ومائتين.

ومنهم الفضل بن ربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة. واسم أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنية الفضل أبو العباس حاجب الرشيد ثم وزيره. كان من رجال الدهر رأيا وحزماً ودهاء ورياسة ومكارم وعظمة في الدنيا. ولوالده (الربيع) الجاه الرفيع عند مخدومه أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور. ولما آل الأمر إلى هارون الرشيد واستوزر البرامكة جعل الفضل حاجبه. وكان الفضل يروم التشبه بالبرامكة ومعارضتهم، ولم يكن له إذ ذاك من القدرة ما يدرك اللحاق بهم فمن ثم كانت بينهم أحن وشحناء إلى أن قدر الله زوال نعمة البرامكة على يد الفضل فإنه تمكن بمجالسة الرشيد وأوغر قلبه فيما يذكر عليهم حتى اتفق لهم ما تناقلته الرواة، واستمر الفضل متمكناً عند هارون إلى أن قضى هارون نحبه، فقام بالخلافة ولده محمد الأمين وساق إليه الخزائن بعد موت أبيه وسلم إليه القضيب والخاتم وأتاه بذلك من طوس — وكان الفضل هو صاحب الحل والعقد لاشتغال الأمين باللهو. ولما تداعت دولة الأمين ولاح عليها الأدبار اختفى الفضل مدة طويلة. فلما بويع ابراهيم بن المهدي ظهر الفضل وساس نفسه ولم يدخل معهم في شيء فلذلك عفا عنه المأمون بشفاعة طاهر بن الحسين واستمر بطالاً في دولة المأمون لا حظ له إلا السلام إلى أن مات. وفي استقصاء أخباره طول، وأبواب وفصول، ولكننا نذكر من عجائبها أمراً فيه عظة عظيمة لمن اعتبر وهو أن الفضل دخل يوماً على يحيى بن خالد البرمكي وقد جلس يحيى لقضاء الحوائج وولده جعفر بين يديه يوقع في القصص، فعرض الفضل عليه عشر رقاع للناس فتعلل يحيى في كل منها (بعلة) ولم يوقع في شيء منها البتة، فجمع

الفضل الرقاع وقال: أرجعن خائبات خاسئات فخرج وهو ينشد:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال والزمان عثور
فتقضي لبانات وتشفى حسائف وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه يحيى فقال: عزمت عليك يا أبا العباس إلا رجعت، فرجع، فوقع له في الجميع. ثم لم يمض إلا القليل ونكبت البرامكة على يديه وتولى هو الوزارة بعد أن كان حاجباً. والفضل بن الربيع هو الذي قال فيه أبو النواس:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

من أبيات. (مات) الفضل سنة ثمان ومائتين وهو في عشر السبعين. حدث عن الفضل أبو نصر المخزومي الكوفي أنه قال: دخلت على هارون فإذا بين يديه أنواع من آلات العذاب والقتل، فقال لي: يا فضل، عليّ بهذا الحجازي، يعني الشافعي، فقلت: انا لله وإنا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل. فأتيته وقلت له: أجب أمير المؤمنين، فقال: أصلي ركعتين، فقلت: صلّ، فصلى، ثم ركب بغلته فصرنا معاً إلى دار الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الأول حرك الشافعي شفتيه وكذا في الثاني، فلما دخلنا بحضرة الرشيد قام إليه فأجلسه موضعه وقعد بين يديه يعتذر إليه وخاصة أمير المؤمنين قيام ينظرون الحال فتحدثوا طويلاً ثم أذن له بالإنصراف، فقال لي: أحمل يا فضل بين يديه بدرة فحملت وقلت له: سألتك بالذي صير غضبه عليك رضى إلا ما عرفتني ما قلت حتى رضي فقال يا فضل، فقلت لبيك أيها السيد الفقيه، قال خذ مني واحفظ عني، قلت شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. اللهم أني أعوذ بنور قدسك وببركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الجن والأنس إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. اللهم بك ملاذي قبل أن ألوذ وبك غياثي قبل أن أغوث. يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة. اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري. أشهد أن لا إله إلا أنت أضرب على سرادقات حفظك وقني رعبي بخير منك يا رحمن. قال الفضل: فكتبتها وجعلتها في بركة قبائي. وكان الرشيد كثير

الغضب علي وكان كلما هم أن يغضب أحركها في وجهه فيرضى فهذا مما أدركت من بركة الشافعي.

وأعلم أن هذه الواقعة وهذا الدعاء روى على وجه آخر، رواه المزني عن الشافعي فلا علينا أن نذكرها هنا اتماماً للمرام، وإن أدى إلى الأطناب في الكلام. قال المزني: سمعت الشافعي يقول: بعث إليّ هارون الرشيد ليلة الربيع، فهجم علي من غير اذن، فقال لي: أجب، فقلت له: في مثل هذا الوقت وبغير اذن، قال: بذلك أمرت، فخرجت معه، فلما صرت إلى باب دار الرشيد قال لي: أجلس فلعله قد نام أو سكن غضبه، فدخل فوجده منتصباً. فقال: ما فعل محمد بن ادريس، قال الربيع: قد أحضرته، قال الشافعي: فلما دخلته تأملني ثم قال لي: يا محمد، أرعبناك، فانصرف راشداً. يا ربيع، أحمل معه بدرة. قال: فقلت: لا حاجة لي فيها قال: أقسمت عليك إلا أخذتها، فحملت بين يدي، فلما خرجت قال لي الربيع: بالذي سخر لك هذا الرجل، ما الذي قلت. قلت: فقلت: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت نافعاً يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكفي. وهو: اللهم أني أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وعظم جلالك من كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير. اللهم أنت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة، أجرني من خزيك وعقوبتك فآسني في ليلي ونهاري ونومي وقراري. لا إله إلا أنت تعظيماً لوجهك وتكرماً لسبحاتك، فأصرف عني شر عبادك وأجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعد علي بخير منك يا أرحم الراحمين.

ومنهم القاسم بن سلاَّم بتشديد اللام، الإمام الجليل أبو عبيد الأديب الفقيه المحدث صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر. قرأ القرآن على الكسائي واسماعيل بن جعفر وشجاع بن أبي نصر وسمع الحديث عن إسماعيل بن عياش وإسماعيل بن جعفر وهشيم بن بشير وشريك ابن عبد الله وهو أكبر شيوخه وعبد الله بن المبارك، وخلائق آخرين. روى عنه

وكيع والدارمي وابن أبي الدنيا، وآخرون. وتفقه على الشافعي. ولد بهراة وكأن أبوه، فيما يذكر، عبد البعض أهلها وتنقلت به البلاد وولي قضاء طرسوس ثم حج بالآخرة فتوفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. وكان ينام ثلث الليل ويصلي ثلثه ويطالع ثلثه. قال إسحق بن راهويه: الحق يحبه الله، أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني وهو أوسعنا علماً وأكثرنا أدباً، انا نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا. قال الحاكم: هو الإمام المقبول عند الكل رحمه الله تعالى.

ومنهم قحذم بن عبد الله بن قحذم، أبو حنيفة الأسواني بفتح القاف وسكون الحاء المهملة ثم المعجمة المفتوحة هو آخر من صحب الشافعي موتاً. روى عنه كثيراً من كتبه وكان مفتياً، وأصله من القبط. (توفي) سنة إحدى وسبعين ومائتين.

ومنهم: موسى بن أبي الجارود، أبو الوليد المكي، راوي (كتاب الأمالي) عن الشافعي وأحد الثقات من أصحابه. كان فقيهاً جليلاً، أفتى بمكة على مذهب الشافعي. يرجع إليه عند اختلاف الرواية. روى عن يحيى بن معين والبويطي. وروى عنه الزعفراني والربيع وأبو حاتم الرازي.

ومنهم: يوسف بن يحيى، الإمام الجليل، أبو يعقوب البويطي المصري وبويط من صعيد مصر. هو أكبر أصحاب الشافعي المصريين. كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً فقيهاً عظيماً جبلاً من جبال العلم والدين، غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم، غالب ليله التهجد والتلاوة، سريع الدمعة. تفقه على الشافعي واختص بصحبته، وحدث عنه وعن عبد الله بن وهب وغيرهما. روى عنه الربيع المرادي، وهو رفيقه، وإبراهيم الحربي ومحمد بن إسماعيل الترمذي وأبو حاتم، وآخرون. وله (المختصر) المشهور على نظم أبواب المبسوط، واختصره من كلام الشافعي. وهو في غاية الحسن. وكان الشافعي يعتمد عليه في الفتيا واستخلفه على أصحابه بعد موته فتخرجت على يديه أئمة فتفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق وكان يختم في كل يوم وليلة. فسعى به من يحسده إلى ابن أبي دؤاد بالعراق فكتب إلى والي مصر أن يمتحنه فامتحنه فلم يجب

وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك فقال: أنه يقتدى بي مائة ألف ولا يدرون المعنى. وكان أمر أن يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد. قيل: إن من سعى به ثلاثة: المزني وحرملة وابن الشافعي. قال البويطي: بريء من دمي إلا ثلاثة: المزني وحرملة وآخر. قيل: وإنما أبهم الثالث رعاية لحق والده رضي الله عنهم. ثم حبسوه، وكان يغتسل كل جمعة ويتطيب ويغسل ثيابه، ثم إذا سمع النداء كان يخرج إلى باب السجن فيرده السجان ويقول: أرجع رحمك الله، فيقول البويطي: اللهم أني أجبت داعيك فمنعوني. قال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي: والذي أسألك أن تعرض حالي على اخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم، فاني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة، فضج الناس بالبكاء والدعاء له. قال السبكي: أنظر إلى هذا الحبر لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ولم يبال بالقيد ولا بالسجن فرضي الله عنه وجزاه عن صبره خيراً، لقد قام مقام الصديقين. مات البويطي سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سجن بغداد في القيد والغل.

ومنهم: يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حبان، الإمام الكبير أبو موسى الصدفي، الفقيه المقري. (ولد) في ذي الحجة سنة سبعين ومائة. قرأ القرآن على ورش وغيره وأقرأ الناس وسمع الحديث من سفيان بن عيينة وابن وهب والوليد بن مسلم ومعن بن عيسى وأبي ضمرة، أنس بن عياض والشافعي، وأخذ عنه الفقه، وطائفة أخرى. وروى عنه مسلم والنسائي وابن ماجة وأبو عوانة وأبو بكر بن زياد النيسابوري وأبو الطاهر المديني، وخلق. وانتهت إليه رياسة العلم بديار مصر. قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحداً أعقل من يونس. وقال يحيى بن حسان: يونسكم هذا ركن من أركان الإسلام. (مات) سنة أربع وستين ومائتين.

وأعلم أنا نختم بذكره رواة الشافعية الذين تفقهوا عليه، ثم نذكر بعد هذا مشاهير الأئمة من المتمذهبين بمذهبه، إذ أحاطة الكل ممتنع في هذا الكتاب إذ قد كثر عليها المجلدات الكبار.

منهم محمد بن ادريس، أبو حاتم الرازي، أحد الأئمة الأعلام. (ولد) سنة خمس وتسعين ومائة. خرج من البحرين إلى مصر ماشياً ثم إلى الرملة ماشياً ثم إلى دمشق ثم إلى انطاكية ثم إلى طرسوس. قال أبو حاتم: ثم رجعت إلى حمص ثم إلى الرقة ثم ركبت إلى العراق، كل هذا وأنا ابن عشرين سنة. روى عنه أبو داود والنسائي ولم تثبت رواية البخاري وابن ماجة عنه. وله حكاية طويلة حاصلها أنه ركب البحر ونفد الزاد والراحلة وخرج ثلاثة إلى البر فمشوا حتى سقط واحد، ثم مشيا حتى سقط أبو حاتم، ومشى الآخر حتى رأى سفينة فأخبرهم الحال، فجاءوا فسقوا وأطعموا فحيوا بعدما ماتوا.

ومنهم: محمد بن إسماعيل البخاري صاحب (الجامع الصحيح) وقد مر ذكر مناقبه بما فيه كفاية للطالب.

ومنهم: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، المحدث الزاهد، أبو عبد الله الحكيم الترمذي الصوفي صاحب التصانيف. سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق. وحدث عن أبيه وعن قتيبة ابن سعيد وآخرين. روى عنه يحيى بن منصور القاضي وغيره. لقي الحكيم الترمذي أبا تراب النخشبي وصحب يحيى بن الجلاء. قال أبو عبد الرحمن السلمي: نفوه من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه (كتاب ختم الولاية)، و (كتاب علل الشريعة)، وقال إنه يقول إن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً وأنه يفضل الولاية على النبوة واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام «يغبطهم النبيون والشهداء»، وقال: لو لم يكونوا أفضل منهم لم يغبطوهم، فجاء إلى بلخ فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذاهب. ثم اعتذر السلمي عنه بعذر يبعد عنه فهم الفاهمين. قال ابن السبكي: ولعل الأمر كما زعم السلمي، وإلا فما يظن بمسلم أن يفضل بشراً غير الأنبياء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومن تصانيف الترمذي:

١ ــ كتاب الفروق، وليس في بابه مثله، يفرق فيه بين المداراة والمداهنة

والمحاجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة والإنتصار والإنتقام وهلم جراً من أمور متقاربة المعنى.

٢ ــ وله أيضاً كتاب عرس الموحدين؛
٣ ــ وكتاب غور الأمور؛
٤ ــ وكتاب المناهي؛
٥ ــ وكتاب شرح الصلاة.

ومنهم: محمد بن نصر المروزي، الإمام الجليل، أبو عبد الله، أحد أعلام الأمة وعقلائها وعبادها. (ولد) سنة اثنتين ومائتين ببغداد، ونشأ بنيسابور وسكن سمرقند، وكان أبوه مروزياً. تفقه على أصحاب الشافعي وسمع جماعة، وسمع عنه طائفة. قال الحاكم: هو الفقيه العابد العالم امام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة. استوطن نيسابور، ثم خرج إلى سمرقند فأقام بها وأفتى. قال ابن الأخرم: ما رأيت أحسن صلاة منه، وكان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من خشوعه في الصلاة، كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كأنه خشبة منصوبة. وكان من أحسن الناس وجهاً كأنما فقيء في وجهه حب الرمان، وعلى خديه كالورد ولحيته بيضاء. (توفي) بسمرقند سنة أربع وتسعين ومائتين.

ومنهم: الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الخرار سيد الطائفة، ومقدم الجماعة وامام أهل الخرقة وشيخ طريقة التصوف وعلم الأولياء في زمانه وبهلوان العارفين. تفقه على أبي ثور، وكان يفتي بحلقته وله من العمر عشرون سنة. واختص بصحبة السري السقطي والحارث بن أسد المحاسبي وأبي حمزة البغدادي. قال جعفر الخلدي: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه. قال الجنيد ذات يوم ما أخرج الله إلى الأرض علماً وكان ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة. وكان عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ويصلي كل ليلة أربعمائة ركعة. وقال: ما نزعت ثوبي للفراش منذ أربعين سنة.

وكان يقول: الطريق إلى الله تعالى عز وجل مسدودة على خلقه إلا على المقتفين أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات. ومناقب الجنيد وأحواله بحر لا ساحل له فلنقبض عنان القلم عن ذلك، كما قيل:

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

(توفي) الجنيد قدس الله سره العزيز يوم السبت في شوال سنة ثمان أو سبع وتسعين ومائتين. قال الخلدي: رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؛ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم، إلا ركيعات كنا نركعها في السحر، وفي بعض الرواية في جوف الليل.

ومنهم الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله البغدادي الزاهد، علم العارفين في زمانه وأستاذ السائرين الجامع بين علمي الظاهر والباطن، شيخ الجنيد. وسمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه. صاحب التصانيف والرد على المعتزلة والرافضة وغيرهم. وهو إمام المسلمين في الفقه والحديث والكلام والتصوف. وشهرة أمره بين الفقهاء المتصوفة أغنتنا عن الأطناب في ذكره. قدس الله سره العزيز. (توفي) سنة ثلاث وأربعين ومائتين. قيل إن الحارث كان يتكلم في شيء من مسائل الكلام فهجره أحمد بن حنبل لهذا السبب. ولا يخفى أن تكلم الحارث كان عندما دعت الحاجة إليه فحينئذ يجوز التكلم في الكلام، وأما النكير من قبل أحمد بن حنبل فإنما ذلك لئلا يجر ذلك إلى ما لا ينبغي، ولكل مقصد ونية، والله يرحمهما.

ومنهم: داود بن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي الأصبهاني، امام أهل الظاهر. (ولد) سنة مائتين أو اثنتين ومائتين. وكان أحد أئمة المسلمين وهداتهم، وكان من المتعصبين للشافعي. كان إماماً ورعاً زاهداً ناسكاً وكان في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر. انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد. أصله من أصبهان، ومولده بالكوفة ومنشؤه ببغداد وقبره بها. (توفي) في رمضان سنة سبعين ومائتين.

ومنهم: **سليمان بن الأشعث السجستاني**، صاحب السنن، وقد سلف ذكره.

ومنهم: **عثمان: بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي** محدث هراة وأحد أعلام الثقات. وهو الذي قام على محمد بن كرام رئيس الكرامية وطرده عن هراة. نشأ بسجستان، ثم رحل إلى خراسان، ثم جاور بمكة خمس سنين، ثم ورد نيسابور، وباح بالتجسيم. وكان من إظهار النسك والتأله والتعبد والتقشف على جانب عظيم. فالناس فيه ما بين معتقد ومنتقد. ثم حبسه الأمير محمد بن طاهر، حبسه بنيسابور ثمان سنين، ولم يكن قصد الساعين عليه الا اراقة دمه، وإنما هاب الأمير قتله لما رأى عليه من مخايل العبادة والتقشف، ثم أخرج من السجن. و (توفي) ببيت المقدس سنة خمس وخمسين ومائتين. قيل: كان يغتسل في السجن كل جمعة ويتأهب للخروج إلى الجامع، ثم يقول للسجان: تأذن لي في الخروج، فيقول: لا، فيقول: اللهم اني بذلت مجهودي والمنع من غيري.

ومنهم: **عسكر بن الحصين**، وقيل: عسكر بن محمد الحسين، الشيخ أبو تراب النخشبي. ونخشب بلدة من بلادنا وراء النهر عربت فقيل لها نسف. كان شيخ عصره بلا مدافعة جمعاً بين العلم والدين، زاهداً ورعاً متقشفاً متقللاً متوكلاً متبتلاً، صحب حاتماً الأصم إلى أن مات. وخرج إلى الشام، وكتب الكثير من الحديث، ونظر في كتب الشافعي وتفقه على مذهبه. و (توفي) سنة خمس وأربعين ومائتين بالبادية: وقيل نهشته السباع. ومناقبه ومحاسنه خارجة عن التعداد وله كرامات معروفة عند أهله ومذكورة في كتب التواريخ والتصوف.

ومنهم: **أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن النسائي**، وقد مر ذكر مناقبه.

ومنهم: **أحمد بن عمر بن سريج** القاضي أبو العباس البغدادي، الباز الأشهب، والأسد الضاري على خصوم المذهب، شيخ المذهب، وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه والغيث المغدق برِوائه. انتهت إليه الرحلة، فضربت

الأ بل نحوه آباطها، وعلقت به العزائم بساطها، وأتته أفواج الطلبة لا تعرف إلا نمارق البيض بساطها. ولي القضاء بشيراز وكان أبرع في الكلام، كما أنه أبرع في الفقه. قيل: هو الصدر الكبير والشافعي الصغير. وكان له أربعمائة مصنف توفي سنة ست وثلاثمائة، وهو عالم ذلك القرن، وله سبع وخمسون سنة وستة أشهر، ومناقبه لا تحصى.

ومنهم: أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار، الشيخ أبو علي الروذباري، والأصح في اسمه ما ذكرناه. وكان أحد أئمة الصوفية. كان بغدادي الأصل من أبناء الوزراء والرؤساء، يتصل نسبه بكسرى أنو شروان. صحب في التصوف الشيخ الجنيد، وفي الفقه ابن سريج، وفي النحو ثعلب، وفي الحديث ابراهيم الحربي. وكان فقيهاً محدثاً. قال أبو علي الكاتب:

ما رأيت أحداً أجمع لعلم الشريعة والحقيقة من الروذباري. توفي سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

ومنهم: محمد بن أحمد بن الأزهري بن طلحة الهروي، أبو منصور الأزهري اللغوي، صاحب (تهذيب اللغة) عشرة مجلدات، و(كتاب التقريب) في التفسير و(كتاب علل القراءات)، وغير ذلك. (ولد) سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وكان إماماً في اللغة، بصيراً بالفقه، عارفاً بالمذهب، عالي الإسناد، كثير العبادة والمراقبة، وأسرته القرامطة، فبقي في البادية دهراً طويلاً، واستفاد منهم ألفاظاً جمة. توفي سنة سبعين وثلاثمائة.

ومنهم: محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الفاشاني، بالفاء والشين، أبو زيد المروزي، أحد الأفراد علماً وورعاً وأحد الآحاد أفراداً وجمعاً. (ولد) سنة إحدى وثلاثمائة. وله فضائل كثيرة وعند العلماء شهيرة توفي بمرو سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

ومنهم: محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر الحداد المصري صاحب الفروع، وصاحب ذيل الفضل الذي هو على الرؤوس محمول وعلى العيون موضوع، ذو الفكرة المستقيمة، والفطرة السليمة، فكرة في محتجبات

المعاني سارية، وفي سماء المعاني سامية، وقريحته عجيبة الحال، ما أدراك ماهية، نار حامية، امام لا يدرك محله، وجواد لا يجاريه إلا ظله، سارت مولداته في المغارب والمشارق، وطرق فكره الأسماع وما أدراك ما الطارق، وناطق قال فكان له من القول بسيطه ووجيزه، ومصري صح على نقد الأذهان ابريزه، ووضح حليته، نعوذ بالله من شر الوسواس الخناس، واصطفت الأئمة معه فقال لسان الحق: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. ولد يوم موت المزني. وكان كثير التعبد يختم كل يوم وليلة، و يصوم يوماً و يفطر يوماً، ويختم يوم الجمعة ختمة أخرى في ركعتين في الجامع قبل الصلاة سوى التي يختمها كل يوم، وكان عارفاً بالحديث والأسماء والكنى والنحو واللغة واختلاف الفقهاء وأيام الناس وسير الجاهلية حافظاً لشيء كثير من الشعر، وكان نسيج وحده في حفظ القرآن، إمام عصره في الفقه، بحراً واسعاً في اللغة، وله كلمة نافذة عند الملوك وجاه رفيع.

١ ــ وله كتاب الباهر في الفقه في مائة جزء؛

٢ ــ وأدب القضاء في أربعين جزءاً؛

٣ ــ والمختصر المشهور الذي شرحه عظماء الأصحاب وغير ذلك.

ولي قضاء مصر نيابة ثم أصالة. و (توفي) في طريق الحج سنة خمس أو أربع وأربعين وثلاثمائة. وعاش ثمانين إلا شهراً.

ومنهم: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، أحد أئمة الدنيا علماً وديناً. مولده سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين. طوف الأقاليم في طلب العلم.

وتصانيفه كثيرة منها:

١ ــ تفسيره المشهور؛

٢ ــ والتاريخ؛

٣ ــ كتاب أحكام شرائع الإسلام، وغير ذلك.

كان حافظاً لكتاب الله بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن. قيل إن مصنفاته قسمت على مدة عمره بعد سن البلوغ فصار لكل يوم أربع عشرة

ورقة. وحكي أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة. ولا منافاة بين الروايتين كما لا يخفى على المتأمل. وكان يقول: اضطررت لنفقة والديَّ ففتقت كميَّ قيصي فبعتها. توفي سنة عشر وثلاثمائة ولم يغير شيبة. وكان أسمر إلى الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيحاً رحمه الله.

ومنهم: محمد بن خفيف الشيرازي، الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف، شيخ المشايخ، وذو القدم الراسخ في العلم والدين. كان سيداً جليلاً وإماماً حفيلاً يستمطر الغيث بدعائه و يؤدب المصر بكلامه، من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر وممن اتفقوا على عظيم تمسكه بالكتاب والسنة. وكانت له أسفار وهدايات، وأحوال عاليات ورياضات. لقي من النساك شيوخاً ومن السلاك طوائف رسخ قدمهم في الطريق رسوخاً. وصحب من أرباب الأحوال أحباراً، وشرب من منهل الطريف كاسات كباراً، وسافر مشرقاً ومغرباً، وصابر النفس حتى انقادت له فأصبح مبنى الثناء عليه معرباً، صبر على الطاعة وله جنب لا يدري القرار، ونفس لا تعرف المأوى إلا البيداء ولا المسكن إلا القفار، وكان من أولاد الأمراء فتزهد حتى قال: كنت أذهب وأجمع الخرق من المزابل وأغسلها، وأصلح منها ما ألبسه، بلغ ما لم يبلغه أحد من الخلق في العلم والجاه عند الخاص والعام، وصار أوحد زمانه مقصوداً من الآفاق، مباركاً على من يقصده، رفيقاً بمريديه، و يبلغ كلامه مراده. وصنَّف من الكتب ما لم يصنفه أحد، وعمر حتى عم نفعه. بقي أربعين سنة يفطر كل ليلة بكف باقلاء، وربما كان يصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة، وكان ربما يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة، وإذا أراد أن يخرج إلى صلاة الجمعة يفرق كل ما عنده من ذهب أو فضة، ويخرج في كل سنة جميع ما عنده، وكان يفطر على عشر حبات زبيب، فأشفق بعض أصحابه وجعلها خمس عشرة، فنظر إليه وقال: من أمرك بهذا، وأكل منها عشراً وترك الباقي. قال افتصدت فخرج من عرقي شبيه ماء اللحم وغشي علي فتحير الفصاد وقال: ما رأيت جسداً بلا دم إلا هذا. رضي الله عنه وقدس سره. ولا نهاية لمناقبه. (توفي) ليلة ثالث رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

ومنهم: محمد بن سليمان بن هارون، أبو سهل الصعلوكي. إمام وقته في الفقه والتفسير واللغة والنحو والشعر والعروض والكلام والتصوف وغير ذلك من أصناف العلوم. ولد سنة ست وتسعين ومائتين، ولقي الأئمة والمشايخ. درس بالبصرة سنين و بنيسابور اثنتين وثلاثين سنة. صحب من أئمة التصوف المرتعش والشبلي وأبا علي الثقفي وغيرهم. توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة. ومناقبه لا تنتهي.

ومنهم محمد بن عبد الله، أبو بكر الصيرفي، أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي.

وله تصانيف منها:

١ ــ شرح الرسالة؛
٢ ــ وكتاب في الإجماع؛
(توفي) سنة ثلاثين وثلاثمائة.

ومنهم محمد بن علي القفال الكبير الشاشي. (كان) إماماً في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع واللغة والشعر. كان إماماً في الورع والزهد. أخذ الكلام عن الأشعري، وأن الأشعري كان يأخذ عليه اللغة. (مات) سنة ست أو خمس وثلاثين وثلاثمائة. و (ولد) سنة إحدى وتسعين ومائتين.

ومنهم: علي بن إسماعيل، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين. وقد مر نبذ من مناقبه في ترجمته فيما سبق. ولا تنتهي مناقبه الشريفة وإن أعدناها ألف مرة، وأطلنا فيها مقدار ألف ورقة. جزاه الله تعالى عنا وعن نصرة الشرع المبين.

ومنهم: أحمد بن أحمد الأسفرايني، الشيخ أبو حامد. حافظ المذهب، وإمامه. ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. انتهت إليه رياسة الدين والدنيا ببغداد، وطبق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقهة وقيل سبعمائة

فقيه. وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به. كان عظيم الجاه عند الملوك، مع الدين الوافر والورع والزهد واستيعاب الأوقات بالتدريس والمناظرة ومؤاخذة النفس على دقيق الكلام، ومحاسبتها على هفوات اللسان. وكان أبو الحسين القدوري من الحنفية يعظمه و يفضله على كل أحد. (توفي) في شوال سنة ست وأربعمائة. ومناقبه لا تحصى فلا فائدة في الأطناب فيها.

ومنهم: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، أبو إسحق الشيرازي صاحب:

١ ــ التنبيه؛

٢ ــ والتهذيب في الفقه؛

٣ ــ والنكت في الخلاف؛

٤ ــ واللمع؛

٥ ــ وشرحه؛

٦ ــ والتبصرة في أصول الفقه؛

٧ ــ والملخص؛

٨ ــ والمعونة، في الجدل؛

٩ ــ وطبقات الفقهاء؛

١٠ ــ ونصح أهل العلم، وغير ذلك.

هو الشيخ الإمام شيخ الإسلام، صاحب التصانيف التي سارت مسير الشمس، ودارت الدنيا فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس. وكانت الطلبة ترحل من المشرق والمغرب إليه، والفتاوى تحمل من البر والبحر إلى بين يديه، والفقه تتلاطم أمواجه ولا تستقر إلا لديه، و يتعاظم لابس شعاره إلا عليه، حتى ذكروا أنه كان يجري مجرى ابن سريج في تأصيل الفقه وتفريعه، ويحاكيه في انتشار الطلبة في الرابع العامر جميعه. وأما ورعه فذلك أشهر من أن يذكره الذاكر، ولا يحاط له بأول وآخر، لن ينكر تقلب وجهه في الساجدين ولا قيامه في جوف الدجى وكيف والنجوم من جملة الشاهدين.

وكان يقال أنه مستجاب الدعوة. و يقال: كان يصلي ركعتين عند فراغ كل فصل من (المهذب). يقال: نسي في المسجد ديناراً ثم ذكر فرجع ووجده ففكر، ثم قال لعله وقع من غيره فتركه. هذا هو الزهد هكذا هكذا، وإلا فلالا. ولد بفيروز آباد، ثم دخل بغداد وقرأ على شيوخ كثيرة. كان اشتغاله أول طلبه أمراً عجاباً. وكان يعيد كل درس ألف مرة. قال: وكنت أعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياساً آخر، وعلى هذا. واشتهى ثريداً بماء الباقلاء قال: فما صح لي أكله لاشتغالي بالدرس. وهو أول من درس بمدرسة نظام الملك ببغداد، فقبلها بعد تمنع شديد، وإنما بناها لأجله. له حكاية عجيبة هي أن نظام الملك ذكر خيراته الواصلة إلى الخلائق واجتنابه عن المعاصي واستفتى من العلماء في ذلك، فكتبوا في الجواب هو من أهل الجنة. فلما طالع ذلك قال لا يطمئن قلبي بهذا إلا أن يكتب عليه الشيخ الإمام أبو إسحق فكتب عليه: الحسن خير الظلمة، وكان اسم نظام الملك الحسن. فلما طالعه قال، صدق الشيخ هذا هو (الجواب) الصواب. فلما قتل السلطان نظام الملك ربطوا صورة فتوى الشيخ على حواشي كفنه بوصية منه، فرآه بعض الصالحين في المنام، فسأل عن حاله فقال: قد وهبني الله تعالى ما فعلته من المعاصي، وقال تعالى قد وهبناك لأجل سبق قلم الشيخ لك بالخير، وهذه منقبة عظيمة للشيخ رضي الله عنه. ومن مناقبه أنه رضي الله عنه كان عند خروجه إلى بلاد العجم يخرج أهلها بنسائهم وأولادهم فيمسحون أركانه و يأخذون تراب نعليه يستشفون به، وكان أصحاب الصنائع ينشرون صنائعهم ما بين حلوى وفاكهة وثياب وفراء وهو ينهاهم، حتى الأساكفة نثروا المتاعات وهي تقع على رؤوس الناس والشيخ يتعجب. ولما انتهوا جعل الشيخ يداعب أصحابه، و يقول: رأيتم النثار ما أحسنه، وايش وصل إليكم يا أولادي منه. ولما وصل إلى بسطام، قيل للشيخ: قد أتى فلان الصوفي، قيل يعرف هو بالسهلكي، فنهض الشيخ من مكانه، وعدا إليه، وإذا هو شيخ كبير راكب بهيمة وخلفه الصوفية بمرقعات جميلة، فقيل له: قد أتاك الشيخ أبو اسحق، فرمى نفسه عن البهيمة وقبل الشيخ أبو إسحق رجله. وقال له الصوفي: قتلتني يا سيدي فما يمكنني أن أمشي معك، ولكن تقدم إلى مخيمك. ولما وصل، جلس

الشيخ أبو إسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهم من تعظيم صاحبه ما جاوز الحد، ثم أخرج الصوفي خرقتين في إحداهما حنطة، وقال: هذه نتوارثها عن أبي يزيد البسطامي، وفي الأخرى ملح فأعجب الشيخ أبو إسحق ذلك وودعه وانصرف. قلت: وإلى الله المشتكي من زمان صار علماؤه أعداء للصوفية ومن تزيى بزي الصوفية، مهيناً لعلمائهم، ولعل هذا من غلبة الهوى في العلماء وعدم الإخلاص في المتصوفة، تجاوز الله عنا وعنهم. توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة. ومناقبه خارجة عن حد الاحصاء. وله مناظرات مع إمام الحرمين، مذكورة في طبقات الشافعية.

ومنهم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم، الأستاذ أبو إسحق الأسفرايني أحد أئمة الدين كلاماً وأصولاً وفروعاً، جمع أشتات العلوم، اتفقت الأئمة على تبجيله وتعظيمه واستجماع شرائط الإمامة فيه، وبنى له مدرسة نيسابور التي لم يبن قبلها بنيسابور مثلها، ودرس فيها وحدث، وأخذ شيوخ نيسابور الكلام والأصول عنه، وكان يقول بعدما رجع من اسفراين: أشتهي أن يكون موتي بنيسابور حتى يصلي عليَّ جميع أهل نيسابور، فتوفي بعد هذا الكلام بنحو من خمسة أشهر يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة وأربعمائة. ومناقبه مما عجزت عنه الأقلام.

ومنهم: إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، الفقيه المحدث المفسر الخطيب الواعظ المشهور الأسم، الملقب شيخ الإسلام، فلا يراد بهذا اللقب غيره في بلاد خراسان. ورزق العز والجاه في الدين والدنيا، وكان جمالاً للبلد زيناً للمحافل والمجالس، مقبولاً عند الموافق والمخالف، مجمعاً على أنه عديم النظير وسيف السنة ورافع البدعة. وكان مشتغلاً في جميع الأوقات، بكثرة العبادات ووظائف الطاعات، بالغ في العفاف والسداد، وكان لا يدخل بيت كتبه إلا بالطهارة فضلاً عن رواية الحديث والتدريس. (توفي) سنة تسع وأربعين وأربعمائة. ومناقبه لا تفي بها الدفاتر وإنما الغرض ذكر اسمه، لا استيفاء فضائله.

ومنهم: الحسن بن علي بن محمد، الأستاذ أبو علي الدقاق، شيخ الأستاذ أبي القاسم القشيري. صحب في التصوف أبا القاسم النصرآبادي،

وسمع الحديث وهو لسان وقته وإمام عصره، تفقه على الحضرمي وبرع في الفقه. (توفي) سنة خمس وأربعمائة.

ومنهم **سهل بن محمد، أبو الطيب الصعلوكي، ولد الأستاذ أبي سهل،** هو الفقيه الأديب مفتي نيسابور وابن مفتيها، جمع بين رئاستي الدين والدنيا، واتفق علماء عصره على سيادته وإمامته. جمع بين العلم والعمل وتفقه على أبيه وكان يلقب شمس الإسلام. قال بعض العلماء: من أراد أن يعلم النجيب ابن النجيب فلينظر إلى سهل بن أبي سهل. وتخرج به جماعة من فقهاء نيسابور وسائر مدن خراسان وتصدر للفتوى والقضاء والتدريس. يقال إنه وضع في مجلسه أكثر من خمسمائة محبرة. وكان أبوه يقول: سهل والد وفضائله لا تنتهي (مات) بنيسابور سنة أربع وأربعمائة.

ومنهم **طاهر بن عبد الله القاضي، أبو الطيب الطبري.** كان إماماً جليلاً بحراً غواصاً متسع الدائرة عظيم العلم جليل القدر كبير المحل. تفرد في زمانه وتوحد والزمان مشحون بأخدانه، واشتهر اسمه في الأقطار، وشاع ذكره فكان أكثر من حديث السمار وطاب ثناؤه فكان أحسن من مسك الليل وكافور النهار، وهو فوق وصف الواصف ومدحه، وقدره ربا عن بسط القائل وشرحه، وعنه أخذ العراقيون. ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. ولي قضاء ربع الكرخ. والعراقيون إذا أطلقوا لفظ القاضي يعنون إياه، والخراسانيون يعنون القاضي حسين، والأشعرية في الأصول يعنون القاضي أبا بكر الباقلاني، والمعتزلة يعنون عبد الجبار الاسترآبادي. (توفي) القاضي سنة خمس وأربعمائة. وله مناظرات مع أبي الحسن القدوري من الحنفية مذكورة في كتب الطبقات.

ومنهم **عبد الله بن أحمد بن عبد الله، الامام الزاهد الجليل البحر، أحد أئمة الدنيا، القفال الصغير المروزي.** وهذا أكثر ذكراً في كتب الفقه، والقفال الكبير في كتب الأصول والتفسير وغيرهما. وإذا أطلق القفال يراد الصغير. والأكبر يفيد الشاشي شيخ الخراسانيين. كان إماماً كبيراً وبحراً عميقاً وغواصاً على المعاني الدقيقة نقي القريحة، ثاقب الفهم عظيم المحل كبير الشأن،

دقيق النظر، عديم النظير فارساً لا يشق غباره، ولا تلحق آثاره، بطلاً لا يصطلى له بنار، أسداً ما بين يديه لواقف إلا الفرار. تفقه على أبي زيد المروزي. كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وورعاً وزهداً. رحل إليه من الآفاق، فظهرت بركته على مختلفيه. قيل أنه كان قفالاً وابتدأ التعلم وهو ابن ثلاثين سنة. يقال أنه صنع قفلاً وزنه أربع حبات من حديد وكان مصاباً بإحدى عينيه، وكان يغلب عليه البكاء في أثناء الدرس لغلبة الحال. (مات) في سنة سبع عشرة وأربعمائة، وهو ابن تسعين سنة.

ومنهم عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن، أبو سعد القشيري، أكبر أولاد الأستاذ أبي القاسم. كان إماماً كبيراً جيد القريحة، له النصيب الوافر والحظ الجليل الجزيل من التصوف. كان أصولياً نحوياً. مولده سنة أربع عشرة وأربعمائة، وكان والده يعامله معاملة الأقران ويحترمه لما يرى عليه من الطريقة الصالحة. كان ذا حظ وافر من العربية. كان يذكر دروساً من الأصول والتفسير بعبارة مهذبة، وكانت المسائل على حفظه بأصولها ونكتها، وبرع في علم الأصول بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الأشكال ميال، سباق الى درك المعاني، وقاف على المدارك والمباني. وأما علوم الحقائق فهو فيها يشق الشعر. وصار مجلس وعظه روضة الحقائق والدقائق، وكلماته محرقة الأكباد والقلوب، ومواجيده مقطرة الدماء من الجفون مكان الدموع. وكانت أوقاته ظاهراً مستغرقة في الطهارة والصلاة، وباطناً في مراقبة الحق ومشاهدة أحكام الغيب، لا يخلو وقته عن تنفس الصعداء وتذكر البرحاء والترنم بكلام منظوم أو منثور. (توفي) سنة سبع وسبعين وأربعمائة.

ومنهم عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الشيخ أبو محمد الجويني، والد إمام الحرمين، أوحد زمانه علماً وزهداً وتقشفاً زائداً، وتحرياً في العبادات. كان يلقب ركن الإسلام، له المعرفة التامة بالفقه والأصول والتفسير والنحو والأدب. وكان مهيباً لا يجري بين يديه إلا الجد والكلام أما في علم أو زهد أو تحريض على التحصيل. سمع الحديث من القفال وكان ماهراً في القاء الدروس. درس وأفتى وناظر بنيسابور. وأما زهده

وورعه فإليه المنتهى. روى أنه رأى ابراهيم الخليل في المنام فأومأ لتقبيل رجليه فمنع عن ذلك تكريماً له. قال: فقبلت عقبيه، وأولت ذلك البركة والرفعة تكون في عقبي. قال ابن السبكي: وأي بركة ورفعة مثل إمام الحرمين وولده. توفي الشيخ أبو محمد سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة بنيسابور، ولما لف في الأكفان رأوا أن يده اليمنى إلى الأبط منيرة كلون القمر، وقالوا هذا من بركات فتاويه.

ومن تصانيفه:

١ ــ الفروق؛
٢ ــ والسلسلة؛
٣ ــ والتبصرة؛
٤ ــ والتذكرة؛
٥ ــ ومختصر المختصر؛
٦ ــ وشرح الرسالة، وغير ذلك.

وله تفسير (كبير) يشتمل على عشرة أنواع في كل آية.

ومنهم عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر، أبو نصر بن الصباغ، صاحب (الشامل)، و(الكامل). كان إماماً مقدماً وفارساً لا يدرك البرق وراءه قدماً وحبراً يتعالى قدره على السماء، وبحراً لا ينزف بكثرة الدلاء. تصبب فقهاً فكأنه لم يطعم سواه، ولم يكن له غيره بلغة. وتشخص فقهاً فإذا رآه المحقق قال ابن الصباغ صبغ من الصغر، كذا «ومن أحسن من الله صبغة». وكان ورعاً نزهاً تقياً نقياً صالحاً زاهداً فقيهاً أصولياً محققاً عارفاً بالمتفق والمختلف أي المسائل الإتفاقية والإختلافية، وكان يحاسب نفسه. قال: اعتبرت في نفسي أنها لا تجد مشقة في مجيئها من باب المراتب (وهي مكان ببغداد) إلى المدرسة النظامية، وتجد كلفة في طواف الكعبة سبعاً، وذلك لأن في الأول حظ نفسي، والثاني لسيدي على نفسي. والمدرسة النظامية بناها نظام الملك ببغداد لأجل الشيخ أبي إسحق، إلا أنه لم يلتزم التدريس وامتنع عنه فأذن للشيخ ابن الصباغ فدرس يومات يسيرة ثم رضي

الشيخ أبو إسحق ودرس بها بقية حياته، فلما توفي وليها صاحب التتمة أبو سعد المتولي، ثم عزل وأعيد ابن الصباغ. توفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة. وقد كف بصره قبل وفاته بسنين.

ومنهم عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، الإمام الكبير، الأستاذ أبو منصور البغدادي. إمام عظيم القدر جليل المحل كثير العلم، حبر لا يساجل في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام. اشتهر اسمه وبعد صيته، وحمل عنه العلم، أكثر أهل خراسان، وكان يدرس في سبعة عشر فناً، وله حشمة وافرة ومال جزيل أنفقه على أهل العلم والحديث حتى افتقر. فارق نيسابور بسبب فتنة وقعت بها من التركمان، وصار إلى إسفراين ومات بها. صنف في العلوم، ولو لم يكن له إلا كتاب (التكملة في الحساب) لكفاه. مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وقيل سنة سبع وعشرين، وهو تصحيف.

ومن شعره:

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في تنزيله ... ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

قال ابن السبكي: في استعمال أبي منصور مثل هذا الإقتباس في شعره دليل على جواز الإقتباس. ورد (على) من شدد فيه وجنح إلى تحريمه. فالصواب الجواز سيا وقد فعله كثير من الفقهاء. وما نقل من التشديد عن المالكية يناقضه ما نقله القاضي عياض عن ابن العطار: أنه سئل عن سجود السهو فأفتى بالسجود، فقال السائل: إن أصبغ لم ير علي سجوداً فقال ﴿لا تطعه وأسجد واقترب﴾[1]. حتى عد القاضي عياض هذا من ملحه ونوادره إلا أن الأحسن تركه تأدباً مع الكتاب العزيز فهو اللائق بالورع والتقوى.

ومنهم عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وقد مرت مناقبه.

ومنهم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري، الأستاذ أبو

---

(١) سورة العلق، آية: ١٩.

القاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام. وهو صاحب الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقاً، والبسالة التي أصبح بها نجم سعادته مشرقاً، والأصالة التي تجاوز بها فرق الفرقدين ورقي. أحد أئمة المسلمين علماً وعملاً، وأركان الملة فعلاً ومقولاً، امام الأئمة ومجلي الظلمات الضلالة المدلهمة، شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدّم الطائفة، الجامع بين أشتات العلوم. ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة. كان فقيهاً بارعاً أصولياً محققاً متكلماً سنياً محدثاً حافظاً مفسراً متقناً نحوياً لغوياً أديباً كاتباً شاعراً مليح الخط شجاعاً بطلاً. له في الفروسية واستعمال السلاح الآثار الجميلة. أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه، وقدوة وقته وبركة المسلمين في ذلك العصر. وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة جمع بين علمَيْ الشريعة والحقيقة، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة. أصله من ناحية استواء من العرب الذين وردوا خراسان وسكنوا النواحي فهو قشيري الأب سلمي الأم. توفي أبوه وهو طفل فوقع إلى أبي القاسم الأليماني، فقرأ الأدب والعربية بسبب اتصاله بهم، وقرأ على غيره، وحضر البلد، واتفق حضوره مجلس الأستاذ الشهيد أبي علي الحسن بن علي الدقاق، وكان لسان وقته، واستحسن كلامه وسلك طريق الإرادة فقبله الأستاذ وأشار عليه بتعلم العلم. فخرج إلى درس الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن بكر الطوسي وشرع في الفقه حتى فرغ من التعليق ثم اختلف بإشارته إلى الأستاذ الإمام أبي بكر محمد ابن فورك، وكان المقدم في الأصول حتى حصلها وبرع فيها، وقرأ عليه أصول الفقه وفرغ منه. ثم بعد وفاة الأستاذ أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحق الأسفرايني وقعد يسمع جميع دروسه. ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب. ثم زوجه الأستاذ أبو علي ابنته. وبعد وفاة الأستاذ عاشر أبا عبد الرحمن السلمي إلى أن صار أستاذ خراسان وأخذ في التصنيف، فصنّف (التفسير الكبير). وكان في الفروسية والوعظ في أعلى مرتبة. قال ابن السبكي: بلغنا أنه مرض للأستاذ أبي القاسم ولد مرضاً شديداً بحيث أيس منه، فشق ذلك على الأستاذ فرأى الحق سبحانه في المنام فشكا إليه فقال له الحق تعالى: اجمع آيات الشفاء واقرأ عليه أو أكتبها في إناء واجعل فيه مشروباً واسقه إياه ففعل ذلك فعوفي الولد.

وآيات الشفاء في القرآن ست:

﴿ و يشف صدور قوم مؤمنين﴾[(١)].

﴿شفاء لما في الصدور﴾[(٢)].

ـ ﴿فيه شفاء للناس﴾[(٣)].

ـ ﴿ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[(٤)].

ـ ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين﴾[(٥)].

ـ ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[(٦)].

ورأيت كثيراً من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض و يسقاها في الاناء طلباً للعافية. قلت: وأنا جربت ذلك مراراً كثيرة فعوفي المريض.

ومن تصانيفه:

١ ــ التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير وأوضحها؛

٢ ــ والرسالة، المشهورة المباركة التي قيل ما تكون في بيت و ينكب؛

٣ ــ والتخبير في التذكير؛

٤ ــ وآداب الصوفية؛

٥ ــ ولطائف الإشارات؛

٦ ــ وكتاب الجواهر؛

٧ ــ وعيون الأجوبة في فنون الأسئلة؛

٨ ــ وكتاب المناجاة؛

٩ ــ وكتاب نكب أولى النهى؛

١٠ ــ وكتاب نحو القلوب الكبير؛

١١ ــ وكتاب نحو القلوب الصغير؛

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٤.

(٢) سورة يونس، آية: ٥٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٦٩.

(٤) سورة الاسراء، آية: ٨٢.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٦) سورة فصلت، آية: ٤٤.

١٢ ــ وكتاب أحكام السماع؛
١٣ ــ وكتاب الأربعين.

وخلف ستة أبناء كلهم عبادلة من السيدة الجليلة بنت الأستاذ أبي علي الدقاق. وقيل: ولما مرض لم تفته صلاة ولا ركعة قائماً إلى أن توفي سنة خمس وستين وأربعمائة. قيل: امتنع فرسه من العلف ولم تمكن أحداً من ركوبها إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل.

ومنهم: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله، إمام الحرمين أبو المعالي، ولد الشيخ أبي محمد، هو الإمام شيخ الإسلام البحر الحبر المدقق المحقق النظار الأصولي المتكلم البليغ الفصيح الأديب العلم الفرد، زينة المحققين، إمام الأئمة على الإطلاق عجماً وعرباً وصاحب الشهرة التي سارت السراة والحداة بها شرقاً وغرباً. هو البحر وعلومه درره الفاخرة. هو السماء وفوائده التي أنارت الوجود نجومها الزاهرة. وجماع القول فيه:

وما أرى أحداً في الناس يشبهه ۞ وما أحاش من الأقوام من أحد

(ولد) سنة تسع عشرة وأربعمائة، واعتنى به والده من صغره، لا بل من قبل مولده حيث أطعم والدته من مال اكتسبه ولا شبهة فيه، وكذا أطعمه منه، فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص، واشتغلت والدته يوماً في طعام تطبخه لأبيه فبكى الإمام وأرضعته جارية لجيرانهم مصة أو مصتين، فدخل والده فأنكر ذلك وقال: هذه الجارية ليست ملكاً لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك. قال الإمام: فقلبني وفرغني حتى لم يدع في باطني شيئاً. يحكى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة، ولم يعهد ذلك منه، فسألوا عنه، فقال: هذه من بقايا تلك الرضعة، فحكى ما ذكرناه. فانظر إلى هذا الأمر العجيب، وإلى هذا الرجل الغريب، كيف يحاسب نفسه على يسير جداً في زمن الصبا الذي لا يكلف فيه. ثم تفقه الإمام على والده، ثم قرأ الخلاف والأصولين وغيرهما حتى صار أعلم أهل الأرض بالعلوم المذكورة وأكثرهم تحقيقاً، وسلك طريق البحث والنظر، وسعى في دين الله سعياً يبقى أثره إلى يوم

الدين، وإن الوجود ما أخرج بعده له نظيراً. ثم توفي والده وسن الإمام نحو العشرين، فأقعد مكانه في التدريس حتى طار ذكره في الأقطار، وشاع اسمه فملأ الديار، إلى أن ظهر التعصب بين الفريقين، واضطربت الأحوال فخرج مع المشايخ إلى المعسكر وخرج إلى بغداد ووجد فيه القبول العظيم ثم زمزم له الحادي بذكر زمزم، وناداه على بعد الديار البيت الحرام فلبى وأحرم، فتوجه حاجاً فجاور بمكة أربع سنين فدرس بها وأفتى ونشر العلم واجتهد في العبادة ثم عاد إلى نيسابور بعد ولاية السلطان الب أرسلان، وتزين وجه الملك بطلعة نظام الملك، فاستقرت أمور الفريقين وانقطع التعصب، فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور، فأقعد للتدريس بها فدرس قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، فسلم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة والمناظرة، فظهرت تصانيفه وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل من الأئمة والطلبة، وكان يستفيد من كل أحد وينكر الباطل ولا يحابي فيه أحداً. وكان رقة قلبه بحيث يبكي إذا سمع بيتاً أو تفكر في نفسه ساعة، وإذا شرع في حكاية الأحوال وخاض في علوم الصوفية أبكى الحاضرين ببكائه وزعقاته ونعراته وإشاراته لاحتراقه في نفسه وتحققه بما يجري من دقائق الأسرار. ثم أدركه قضاء الله فرض ومات في ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فقام الصياح في البلد من كل جانب، ولم تفتح الأبواب في البلد، ووضعت المناديل عن الرؤوس عاماً بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه من الرؤوس الكبار، وكسر منبره، وقعد الناس للعزاء عزاء عاماً وأكثر الشعراء المراثي فيه، وكانت الطلبة قريباً من أربعمائة نفر يطوفون في البلد نائحين مكسرين المحابر والأقلام مبالغين في الصياح والجزع. وكان مولده ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة، وتوفي وهو ابن تسع وخمسين سنة. سقى الله روضته بوابل رحمته، ويزيد في ألطافه وكرامته بفضله ومنته، انه ولي كل خير.

ومنهم: علي بن محمد بن حبيب، الإمام أبو الحسن الماوردي، صاحب:

١ ــ الحاوي؛
٢ ــ والإقناع، في الفقه؛
٣ ــ والتفسير؛
٤ ــ وأدب الدنيا والدين؛
٥ ــ ودلائل النبوة؛
٦ ــ والأحكام السلطانية؛
٧ ــ وقانون الوزارة؛
٨ ــ وسياسة الملك، وغير ذلك.

درس بالبصرة و ببغداد سنين كثيرة واستقضى ببلدان كثيرة. قيل إنه لم يظهر تصانيفه في حياته فلما دنت وفاته قال لمن يثق به إذا عاينت الموت أجعل يدك في يدي فإن قبضت يدك وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فالق الكتب في دجلة، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قد قبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية. قال ذلك الرجل: ففعلت كما أمره فلم يقبض يدي فعلمت أنها علامة القبول فأظهرت كتبه بعده. قال ابن السبكي: ولعل هذا غير الحاوي فإنه قد قرىء عليه في حياته. ورأيت بعضاً من نسخ الحاوي عليه خطه. قال ابن الصلاح: هذا الماوردي عفا الله عنه اتهم بالإعتزال. (مات) سنة خمسين وأربعمائة.

ومنهم: علي بن محمد، أبو حيان التوحيدي، وقد مر ذكره في النحاة.

ومنهم: منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر، ابن الإمام أبي منصور بن السمعاني، الرفيع القدر الشهير الذكر، طبق الأرض ذكره، وعبق الكون نشره. (ولد) في ذي الحجة سنة ست وعشرين وأربعمائة. كان حنفياً ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لأمور يطول ذكرها. وجميع تصانيفه على مذهب الشافعي. توفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة بمدينة مرو.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الإمام الجليل حجة الاسلام، أبو حامد الغزالي، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم. كان ضرغاماً إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى، وبدراً تماماً إلا أن هداه يشرق نهاراً، وبشراً من الخلق ولكنه الطود العظيم، وبعض الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم، يناضل عن الدين الحنيفي بجاله ومقاله، ويحمي حوزة الدين لا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله، حتى أصبح الدين وثيق العرى، وانكشفت غياهب الشبهات، وما كانت إلا حديثاً يفترى، هذا مع ورع طوى عليه ضميره وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره، ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الله يعامله في سره وجهره. ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة. وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكان بطوس، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وقال له: ان لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين، فعلِّمهما، ولا عليك أن ينفذ في ذلك جميع ما أخلفه لهما. فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني في ذلك النزر اليسير، فقال لهما: أعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما، وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما. ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتها، وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله.

يحكى أن أباه كان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف، ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويخدمهم ويحسن إليهم في النفقة عليهم ما أمكن، وإذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ابناً فقيهاً ويحضر مجالس الوعظ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله ابناً واعظاً. فاستجاب الله دعوته.

أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه وإمام أهل زمانه وفارس ميدانه، كلمته شهد بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيته المعادي والمؤالف.

وأما أحمد فكان واعظاً تنفلق الصم الصخور عند استماع تحذيره، وترعد

فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره. فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط ابليس في مجلس تذكيره لتاب.

مبدأ طلب حجة الإسلام العلم أن قرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الزادكاذي، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الاسماعيلي، وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس. قال: قطعت علينا الطريق فأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم، وقلت لمقدمهم: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد عليَّ تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به، قال: فما هي، قلت: كتباً في تلك المخلاة، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفتها فضحك وقال: كيف تدعَّي معرفتها وقد أخذناها فتجردت عنها وبقيت بلا علم. ثم أمر فسلم إليَّ المخلاة. فقلت: قد أنطقه الله ليرشدني، فلما وافيت طوس، أقبلت على الإشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع علي الطريق ما تجردت من علمي. ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجدَّ واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد على مبطليهم وإبطال دعاويهم وصنَّف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها وأجاد وصفها وتراصيفها.

وكان شديد الذكاء، شديد النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة، جبل علم، مناظراً محجاجاً. وكان إمام الحرمين يقول: الغزالي بحر مغرق، والكيا أسد مخرق، والخوافي نار محرق. قيل: لم يكن قلب إمام الحرمين مثل ظاهره في حق الغزالي، بل يظهر التهجع به والإعتداد بمكانه، ظاهراً خلاف ما يضمره، وذلك ليقتدي الغزالي على التصنيف مع سرعة جوابه وقوة طبعه وإن كان متخرجاً به، منتسباً إليه، كما لا يخفى من طبع البشر أمثال هذا. ثم ناظر الإمام العلماء في مجلس نظام الملك وقهر الخصوم، فاعترفوا بفضله، فولاه النظام تدريس مدرسته ببغداد فدرس ونشر العلم. وكان يرضي الطلبة و يلقي الدرس على نحو ثلاثمائة نفر من أكابرهم أو يزيدون، فأعجب به أهل العراق أجمعون. وأفتى وصنَّف وصار

عظيم الجاه عالي الرتبة مسموع الكلم مشهور الأسم يضرب به الأمثال، وتشد إليه الرحال. ثم ترك الدنيا ورفض الجاه وراء ظهره، وقصد بيت الله الحرام، فخرج إلى الحج سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، واستناب أخاه في التدريس، فدخل دمشق في سنة تسع ثم جاور بيت المقدس مدة ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمغارة الغربية من الجامع عشر سنين ثم جال في البلاد يزور المشاهد و يطوف على الترب والمساجد، و يأوي القفار، ويجاهد نفسه جهاد الأبرار، و يكلفها مشاق العبادات، و يبلوها بأنواع القرب والطاعات، إلى أن صار قطب الوجود والبركة العامة بكل موجود، والطريق الموصلة إلى رضى الرحمن، والسبيل المنصوب إلى مركز الإيمان. ثم رجع إلى بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب (الأحياء). ثم عاد إلى خراسان ودرّس بالنظامية بنيسابور مدة يسيرة، ثم رجع إلى طوس واتخذ مدرسة للفقهاء وخانقاها للصوفية ووزع أوقاته على وظائف: من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم، وأدائه الصلاة والصيام وسائر العبادات، إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء، أعلى منزلة من نجم السماء، لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق ولا يسومه بسوء إلا حائد عن سواء الطريق. وكانت وفاته بطوس في يوم الإثنين رابع عشر جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة. قال هو قدس سره في بعض مؤلفاته: كنت في بدايتي منكراً لأحوال الصالحين ومقامات العارفين، حتى حظيت بالواردات فرأيت الله تعالى في المنام، فقال لي: يا أبا حامد، قلت: أو الشيطان يكلمني، قال: لا، بل أنا الله المحيط بجهاتك الست. ثم قال: يا أبا حامد، ذر أساطيرك وعليك بصحبة أقوام جعلتهم في أرضى محل نظري، وهم أقوام باعوا الدارين بحبي، فقلت: بعزتك الا أذقتني برد حسن الظن بهم، فقال: قد فعلت ذلك، والقاطع بينك و بينهم تشاغلك بحب الدنيا، فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً، فقد أمضيت عليك نوراً من أنوار قدسي، فقم وقل. قال: فاستيقظت فرحاً مسروراً، وجئت إلى شيخي يوسف النساج، فقصصت عليه المنام، فتبسم وقال: يا أبا حامد، هذا ألواحنا في البداية، فمحوناها. بلى إن صحبتني سأكحل بصر

بصيرتك بأثمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الأبصار، فتصفو من كدر طبيعتك، وترتقي على طور عقلك وتسمع الخطاب من الله تعالى كما كان لموسى عليه السلام أنا الله رب العالمين، انتهى. ثم توجه إلى القدس الشريف، فاجتهد في العبادة، وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة بتلك الأراضي المقدسة، منفرداً عن الناس، مخفياً نفسه عنهم، ما كان يعرفه إلا خادم كان معه، فكان على ذلك مدة، ثم اشتهر أمره فعرفوه واعتقدوه. ثم أنه قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة، ثم عاد إلى الشام وأخذ في تصنيف (إحياء علوم الدين)، والكتب المختصرة، مثل (الأصول الأربعين)، و (جواهر القرآن)، وغير ذلك من الرسائل وهو مكب على مجاهدة النفس والعزلة عن الخلق والتبتل إلى الله تعالى، وترك الإجتماع بالناس إلا في الجمعة والجماعة، ثم عاد إلى وطنه لازماً بيته، مشتغلاً بالتفكر والتأليف، ملازماً للوقت، مثابراً على الذكر والأوراد، إلى أن مضى على ذلك زمان ظهرت فيه تصانيفه وفشت كتبه، حتى انتهت المملكة والوزارة إلى فخر الملك، جمال الشهداء، فزينت خراسان بحشمته ودولته، ونفق سوق الفضل أيام ولايته. وكان قد سمع بفضل الإمام الغزالي ونقاء سيرته، فاستدعاه وجاء به إلى نيسابور، وولاه تدريس المدرسة النظامية بها، فانتفع به، ثم عاد إلى بغداد ثم إلى نيسابور، وألزم بتدريس النظامية بعد معاودات بأسباب يأتي ذكرها في كلامه. ثم ترك ذلك كله وأقام بوطنه، واتخذ خانقاها للصوفية ومدرساً للمشتغلين بالعلوم الشرعية في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الحين: من ختم القرآن، ومجالسة أهل القلوب. هذا وقد سئل هو قدس سره عن السبب الذي صرفه عن نشر العلم ببغداد، مع كثرة الطلبة، وما الذي دعاه إلى معاودته بنيسابور بعد طول المدة، فقال مجيباً عن ذلك بعد تمهيد مقدمات تقدمت له هناك أنه قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفيْ العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي، وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس

عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله عز وجل، وأن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه والمال، وقطع الآمال، والهرب من الشواغل والعلائق، ومن مخالطة الخلائق. قال: ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من كل جانب، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم وإذا أنا مقبل فيها على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة. ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل مشوبة بطلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أني على شفا جرف الهلاك، وأني قد أشفيت على النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال، فلم أزل أتفكر فيه مدة، وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً، وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر عنه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة إلا وتحمل عليها جند الشهوة حملة فتنفرها عشية، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام، ومنادي الإيمان ينادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر إلا القليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العلم رياء وتخييل، فإن لم تستعد الآن إلى الآخرة فمتى تستعد، وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع، فعند ذلك تنبعث الرغبة وينجزم العزم على الهرب والفرار، ثم يعود الشيطان الغرور الغدار، ويقول: هذه حالة عارضة إياك أن تطاوعها، فإنها سريعة الزوال، فإذا أذعنت لها، وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن المنظوم، الخالي عن التكدير والتنغيص، والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، ربما التفت إليك نفسك فلا يتيسر لك المعاودة. فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر آخرها رجب سنة ست وثمانين وأربعمائة، وفي هذا الشهر تجاوز الأمر حد الاختيار إلى الإضطرار إذ قفل الله تعالى على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطييباً لقلوب المختلفة (إليّ) وكانوا نحو ثلاثمائة نفر، فكان لا ينطق لساني بكلمة ولا يستطيعها البتة، حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب بطلت معه

قوة الهضم ومري الطعام والشراب، وكان لا ينساغ لي شربة ولا تنهضم لي لقمة، وتعدى إليّ ضعف القوى، حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج، وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم المهم، ثم أني لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وسهل إلى قلبي الأعراض عن المال والجاه ومفارقة الأولاد والأحباء والأوطان والأصحاب، فأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أدبر نفسي سفر الشام، حذاراً أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضي في المقام بالشام. فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أني لا أعاودها أبداً، فاستهدفوني واستهزأوا بي، كأنه لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الأعراض عما كنت فيه بسبب ديني، إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين، وكان ذلك مبلغهم من العلم. ثم ارتبك الناس في الاستنباطات، فظن من بعد عن العراق أن ذلك لاستشعار من جهة الولاة، وأما من قرب منهم من الولاة بمكان، فكان يشاهد الحاحهم في التعلق بي والانكار عليّ وأعراضي عنهم وعن الالتفات إلى قولهم، فيقولون: هذا أمر سماوي ليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة العلم. ففارقت بغداد وفرّقت ما كان معي من مال ولم أدّخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين، فلم أر في العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه. ثم دخلت الشام وأقمت فيه بمدينة دمشق قريباً من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالاً بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله، كما كنت حصلته من علوم الصوفية، فعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تجلية القلب عن غير الله وتحليته بذكر الله، وكان العلم أيسر عليّ من العمل إذ ذاك، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل (قوت القلوب)، لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد

البسطامي، وغير ذلك من المشايخ قدس سرهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، ظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبديل الصفات، انتهى. قال: فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي، ثم تحركت بي داعية فريضة الحج إلى بيت الله تعالى والاستمداد من بركة مكة والمدينة وزيارة الرسول (عليه الصلاة والسلام) بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء. فسرت إلى الحجاز. قلت: ولعل حجه قد تكرر، لأنه ذكر بعض المؤرخين أنه حج من العراق قبل إقامته بالشام. قال: ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته، بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه وآثرت العزلة به أيضاً حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر. وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير في وجه المراد، وتشوش صفوة الخلوة، وكان لا تصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة، ولكني مع ذلك لا أقطع طمعي عنها، فتدفعني عنه العوايق وأعود إليها. ودمت على ذلك مقدار عشر سنين. وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به، اني علمت يقيناً أن الصوفية (هم) السالكون بطريق الله تعالى خاصة، وان سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلى الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم، و يبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به. و بالجملة، فماذا يقول القائل في طريقة طهارتها تطهر القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، وتحريمتها استغراق القلب بذكر الله تعالى، وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى، وهذا آخرها، بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكشف من أوائلها، وهو على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه، ومن أول الطريقة تبتدىء

المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء و يسمعون منهم أصواتاً و يقتبسون منهم فوائد. ثم ترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق العبارة فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه. وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ، وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب (المقصد الأقصى) بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

فكان ما كان مما لست أذكره　　　فظُن خيراً ولا تسأل عن الخبر

و بالجملة، فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الأسم. وكرامات الأولياء على التحقيق هي بدايات الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه. ثم اعلم أنه قدس سره بعدما حصل ما حصل أشار إليه أرباب القلوب والمشاهدات بتركه العزلة والخلوة والخروج من الزاو ية ناظرين إلى أن ذلك نفع خاص بالشيخ والعود إلى نشر العلم نفعه أعم وأجره أتم وتواطأت على ذلك من منامات من الصالحين، تشهد كلها بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدره الله عز وجل على رأس هذه المائة الخامسة، وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس كل مائة سنة، فغلب حسن ظنه بسبب هذه الشهادات. قال قدس سره: و يسر الله لي الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة وكان الخروج من بغداد سنة ثمان وثمانين. و بلغت مدة العزلة إحدى عشرة سنة. وهذه حركة قدرها الله تعالى، وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب مدة العزلة، كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الأحوال، مما يخطر امكانه أصلاً بالبال، والله تعالى مقلب القلوب والأحوال، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، فأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم فما رجعت فإن الرجوع عود على ما كان، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي يكتسب به الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وأنا الآن أدعو إلى العلم الذي يترك به الجاه و يعرف به سقوط رتبة الجاه. هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي، يعلم الله تعالى ذلك

مني، وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولست أدري أصل إلى مرادي أم أحرم عن غرضي، لكن أؤمن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول لي ولا قوة إلا بالله، وأني لم أتحرك ولكنه حركني، وأني لم أعمل ولكنه استعملني، وأسأله أن يصلحني أولاً ثم يصلح بي، وأن يهديني ثم يهدي بي، وأن يريني الحق حقاً و يرزقني اتّباعه و يريني الباطل باطلاً و يرزقني اجتنابه، آمين. انتهى.

وأما مصنفاته فمنها: (كتاب الأحياء)، هو من أجل الكتب وأحسنها وضعاً، وأتمها افادة وأعمها نفعاً. وأول ما دخل إلى الغرب أنكر فيه بعض المغاربة أشياء، وصنَّف عليه (الإملاء في الرد على الأحياء)، ثم رأى رؤيا ظهرت فيه كرامة الشيخ وصدق نيته، فتاب عن ذلك ورجع إلى الإعتقاد في حقه. وأما الأحاديث التي لم تصح، لا ينكر على ايرادها لجوازه في الترغيب والترهيب. وكان الإمام فخر الدين الرازي يقول: كأن الله تعالى جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها، أو كما قال: وقال الشيخ محيى الدين النووي: لو عدمت كتب الإسلام والعياذ بالله تعالى، وبقي الأحياء، لأغنى عما ذهب، أو كما قال.

ومن مصنفاته: (البسيط)، و (الوسيط)، و (الوجيز)، و (الخلاصة)، وهذه الأربعة في الفقه. قيل:

هـــذب المـــذهـــب حبر أحـــســـن الله خـــلاصـــه
بـــبـــســـيـــط ووســـيـــط ووجيز وخـــــلاصـــــة

ومع هذا الفضل العزيز لم يسلم من قال وقيل حتى خوطب بأنك ما عملت شيئاً، أخذت الفقه من كلام شيخك، يعني إمام الحرمين، في (نهاية المطلب)، والتسمية لكتبك من الواحدي.

ومنها: (المستصفى) في أصول الفقه، و (المتحول في اللباب)، و (هداية الهداية)، و (كيمياء السعادة)، و (كتاب الفتاوى) له مشتمل على مائة وتسعين مسألة، وهيء غير مرتبة. وله (فتاوى) أخرى غير مشهورة أقل من تلك.

وصنّف في الخلاف (المأخذ) ثم (تحصين المأخذ)، و (الجام العوام عن علم الكلام)، و (الرد على الباطنية) و (مقاصد الفلاسفة)، و (تهافت الفلاسفة)، و (الأصول الأربعين)، و (جواهر القرآن) وهما في الحقيقة كتاب واحد ولكنه أذن في أفرادهما. ومنها: (الغاية القصوى) و (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى).

ومنها: (مشكلة الأنوار)، و (المنقذ من الضلال)، و (المنتحل في علم الجدل)، و (معيار العلم)، و (القسطاس المستقيم)، و (غرر الدرر)، و (حقيقة القولين)، و (المعارف العقلية)، و (الحكم الالهية)، و (المضنون به على غير أهله)، و (معراج السالكين)، و (منهاج العارفين). فعليك بهذين الكتابين، فإنها يعجزان الواصف. يقال: إن كتاب المنهاج لب كتاب الأحياء، وآخر مصنفاته، وهي أكثر من أن تحصى و ينسب إليه تصنيفان ليسا له بل وضعا عليه، وهما: (السر المكتوم)، و (المضنون به على غير أهله). قيل إن الإمام الغزالي له نحو خمسمائة مصنف. يروى أنه اجتمع في خزائن كتب الشيخ أبي إسحق الشيرازي نحو أربعمائة مؤلف من مؤلفات الغزالي. و ينسب إليه أيضاً شعر، من ذلك ما نسبه إليه ابن السمعاني في (الذيل)، والعماد الأصبهاني في (الخريدة):

حلت عقارب صدغه في خده ... قمراً فجل به عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها ... فمن العجائب كيف حلّت فيه

وأنشد العماد له أيضاً:

هبني صبرت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر
أني اعتزلت فلا تلوموا أنه ... أضحى يقابلني يوم أشعر

وهذا الشعر كما ترى، من مثل هذا الإمام، في غاية اللطف والانسجام، وما أحسن ما أورد له ابن النجار:

فقهاؤنا كذبالة النبراس ... هي في الحريق وضوءها للناس
حبر ذميم تحت رائق منظر ... كالفضة البيضاء فوق نحاس

ومما أورده هو من نظمه:

فإن كنت في هدى الأئمة راغباً فوطن على أن ترتكبك الوقائع
بنفس وقور عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر قانع
لسانك مخزون ورأسك ملجم وسرك مكتوم لدى الرب ذائع
وذكرك معمور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد وفضلك مدفون وطعنك شائع
وفي كل يوم أنت جارع غصة من الدهر والإخوان والقلب طائع
نهارك شغل الناس من غير منة وليلك شوق غاب عنه الطلائع
فدونك هذا الليل خذه ذريعة ليوم عبوس عز فيه الذرائع

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: قال الإمام الغزالي في بعض مصنفاته: وقد نسبني قوم إلى الغزال، وإنما أن الغزالي بتخفيف الزاي نسبة إلى قرية من قرى طوس يقال لها غزالة. قال الأسنوي في طبقاته: كان والده يغزل الصوف و يبيعه في حانوته، فلما احتضر أوصى بولديه إلى صديق له صوفي فعلمهما الخط وأدبهما، ثم نفذ منه ما خلفه أبوهما وتعذر عليهما القوت فقال لهما: أرى لكما أن تلجآ إلى المدرسة. قال الغزالي: فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت. هذا حاصل كلامه. وعادة أهل خوارزم وجرجان كما قاله الذهبي وابن خلكان: القصاري والخبازي، وغيرهما أي بالياء بمعنى القصار ونحوه، فنسبوا إلى الغزل فقالوا الغزالي أي الغزال. وذكر النووي في دقائق الروضة المسمى (بالإشارات) أن التشديد هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير. روى أن بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو واضع يده على كتف الإمام أبي حامد الغزالي، وهو يقول لموسى وعيسى صلوات الله على نبينا وعليهما: هل ترون في أمتكم حبراً مثل هذا.

وقد ضمن هذه المنام الإمام اليافعي في أبيات. قال:

أبو حامد غزال غزل مدقق من العلم لم يغزل كذاك بمغزل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريم له قال صدقاً خالياً عن تقول

أحبر كهذا في حواريك قال لا | وناهيك من هذا الفخار المقول
له في منامي قلت آأنت حجة | لإسلامنا لي قال ما شئت لي قل
غزلت لهم غزلاً دقيقاً فلم أجد | لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

وقد ذكر له السبكي في (الطبقات الكبرى) ترجمة طويلة في أربعة كراريس، وأنشد قول القائل:

ماذا يقول القائلون بوصفه | وصفاته جلت عن الحصر

قال الأسنوي في (طبقاته): ثم أنه لزم الإنقطاع ووظف أوقاته على وظائف الخير، بحيث لا تمضي لحظة منها إلا في طاعة من التلاوة والتدريس والنظر في الأحاديث خصوصاً البخاري وإدامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى وهو قطب الوجود، والبركة الشاملة لكل موجود. وكانت وفاته بطوس صبيحة يوم الإثنين رابع عشر جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وعمره خمس وخمسون سنة، ودفن بالطابران، مدينته التي ولد بها بطوس. وذكر الشيخ الكبير أبو العباس، أحمد بن أبي الخير الصياد اليمني كلاماً كثيراً في ترجمته، وذكر أنه رأى في بعض الأيام وهو قاعد باليمن، أبواب السماء مفتحة، وإذا بعصبة من الملائكة قد نزلوا إلى الأرض ومعهم خلع خضر ودابة من الدواب، فوقفوا على رأس قبر من القبور، فأخرجوا شخصاً من قبره وألبسوه الخلع وأركبوه الدابة، وصعدوا به إلى السماء ثم لم يزالوا يصعدون به من سماء إلى سماء حتى جاوزوا السموات السبع كلها، وخرقوا بعدها سبعين حجاباً.

قال: فتعجبت من ذلك، وأردت معرفة ذلك الراكب، فقيل لي: هو الغزالي، ولا علم لي أين بلغ. وكأنه كان ذلك يوم توفي رحمه الله تعالى. نقل عن الإمام حجة الإسلام الغزالي أنه قال لبعض أصحابه أئتني بثوب جديد، فإني أريد أن أدخل على الملك، فأتى بثوب وطلع إلى بيته، فأبطأ ولم ينزل إليه، فدخل هو وثلاثة إليه فوجدوه قد قبض، وعند رأسه كتاب فيه هذه الأبيات.

قال رحمه الله:

قل لأخوان رأوني ميتاً ... فبكوني ورثوا لي حزنا
لا تظنوني بأني ميت ... ليس ذاك الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي ... كان بيتي وقميصي ها هنا
أنا كنز وحجابي طلسم ... من يراني لي تجلى للفنا
أنا در وحجابي صدف ... كان سجني فألفت السجنا
أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت عنه وهو يبقى رهنا
أحمد الله الذي خلصني ... وبنى لي في المعالي وطنا
كنت قبل اليوم ميتاً بينكم ... فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجي ملأ ... وأرى الله جهاراً علنا
عاكف في اللوح أقرأ وأرى ... كل ما كان تناءى ودنا
وطعامي وشرابي واحد ... وهو رمز فافهموا ذا الحسنا
ليس خمراً سائغاً أو عسلاً ... لا ولا ماء ولكن لبنا
فافهموا سري ففيه نبأ ... أي معنى تحت لفظي كمنا
هدموا بيتي ورضوا قفصي ... وذروا الطلسم يأبى وثنا
قد ترحلت وخلفكم ... لست أرضى داركم لي وطنا
لا تظنوا الموت موتاً أنه ... لحياة هي غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما ... هو إلا نقلة من ههنا
وخذوا في الزاد جهداً لا تنوا ... ليس بالعاقل منا من ونا
ما أرى نفسي إلا أنتم ... واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفس منا واحد ... وكذا الجسم جميعاً عمنا
فارحموني ترحموا أنفسكم ... واعلموا أنكم في أثرنا
أسأل الله لنفسي رحمة ... رحم الله صديقاً أمنا
وعليكم من سلامي طيب ... سلم الله عليكم وثنى

انتهت الأبيات. ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي بأبيات فائقة منها:

مضى وأعظم مفقود فجعت به ... من لا نظير له في الناس يخلفه

قيل: وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام:

عجبت لصبري بعده وهو ميت ... وكنت امرأ أبكي دماً وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

قال القاضي أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي، تلميذ أبي حامد الغزالي: لقيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز، فقلت له: أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من ذا، فنظر إليَّ شزرا وقال: لما بزغ بدر السعادة في سماء الإرادة، وجنحت شمس الأصول، إلى معارف الوصول.

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت إلى تصحيح أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل

وقال الشيخ الإمام الزاهد شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجلالي النسائي الشافعي: رأيت في بعض تصانيف الإمام مسعود الطرازي أن الإمام أبا حامد الغزالي كان قد أوصى أن يلحده الشيخ أبو بكر النساج الطوسي تلميذ الشيخ الإمام أبي القاسم الكرساني. قال: فلما ألحده وخرج من اللحد خرج متغيراً منتقع اللون فقيل له في ذلك فلم يخبر بشيء فأقسموا عليه بالله إلا ما أخبرتهم، فقال: إني لما وضعته في اللحد شاهدت يداً يمنى قد خرجت من تجاه القبلة، وسمعت هاتفاً يقول: ضع يد محمد الغزالي في يد سيد المرسلين محمد المصطفى العربي صلى الله عليه وسلم، فوضعتها، ثم خرجت كما ترون، أو كما قال، قدس الله روحه العزيز. ومن كلام حساده في حقه ما يشاهدون في كلامه من الخلل من جهة النحو، لكنهم لا يعرفون أنه لا يعير به، إذ لم يكن قصده إلا المعاني وتحقيقها، دون الألفاظ وتلفيقها. على أنه أنصف من نفسه واعترف بأنه لم يمارس ذلك الفن واكتفى بما كان يحتاج إليه في كلامه. على أنه كان يؤلف الخطب بالعبارات التي يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها. وفي كلام المترجمين في شأنه كثرة فلا نطيل به الكلام، ففيما ذكرناه مقنع وبلاغ.

ذكر مصنفاته: له في المذهب: (الوسيط)، و (البسيط)، و (الوجيز)، و (الخلاصة). وفي سائر العلوم: كتاب (احياء علوم الدين)، (كتاب الأربعين)، (كتاب شرح الأسماء الحسنى)، (المستصفى في أصول الفقه)، و (المتحول فيه) أيضاً، ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين، (بداية الهداية)، (المأخذ) في الخلافيات، (تحصين المأخذ)، (كيمياء السعادة) بالفارسية، (المنقذ من الضلال)، (المنتحل في الجدل)، (شفاء العليل في مسالك التعليل)، (الإقتصاد في الإعتقاد)، (معيارالنظر)، (محك النظر)، (تهافت الفلاسفة)، (المقاصد في اعتقاد الأوائل) وهو مقاصد الفلاسفة، (الجام العوام في علم الكلام)، (الغاية القصوى)، (جواهر القرآن)، (كشف علوم الآخرة)، (الرسالة القدسية)، (الفتاوى)، (ميزان العمل)، (حقيقة الروح)، (أسرار معاملات الدين)، (عقيدة المصباح)، (النهج الأعلى)، (أخلاق الأبرار)، (المعراج)، (حجة الحق)، (تنبيه الغافلين)، (المكنون في الأصول)، (رسالة الأقطاب)، (سلم الشياطين)، (القانون الكلي)، (القربة إلى الله)، (معيار العلم)، (مفصل الخلاف) في أصول القياس، (أسرار أتباع السنة)، (تلبيس إبليس)، (المبادي والغايات)، (الأجوبة)، (كتاب عجائب صنع الله)، وكتبه ورسائله خارجة عن حد العد والاحصاء ولم يتيسر لأحد معرفة أسماء مصنفاته كلها، حتى يقال أنه له ألف مصنف إلا واحداً. وهذا وإن كان بعيداً عادة، لكن من عرف شأنه ربما يصدقه. ومما حكى واشتهر عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي قدس سره، وكان سيد عصره وبركة زمانه، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقد باهى عليه الصلاة والسلام موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي وقال: أفي أمتيكما حبر كهذا، قالا: لا. وسئل السيد الكبير الجليل العارف بالله أحد الأولياء، أبو العباس المرسي، تلميذ الشيخ أبي الحسن عن الإمام الغزالي، فقال: أنا أشهد له بالصديقية العظمى.

حكاية عن الإمام أبي الحسن المعروف بابن حرازهم أو حرزهم، وكان مطاعاً في بلاد المغرب أنه لما وقف على الأحياء أمر باحراقه، وقال: هذا بدعة

مخالف للسنة، فأمر باحضار ما في تلك البلاد من نسخ الأحياء، فجمعوا وأجمعوا على احراقها (يوم الجمعة)، وكان اجماعهم يوم الخميس، فلما كان ليلة الجمعة، رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع، ورأى في ركن المسجد نوراً وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر جلوس والإمام الغزالي قائم و بيده الاحياء، وقال: يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فناوله (كتاب الاحياء) وقال: يا رسول الله، أنظر فيه، فإن كان فيه بدعة مخالفة لسنتك، كما زعم، تبت إلى الله تعالى، وإن كان فيه شيء تستحسنه، حصل لي من بركتك، فأنصفني من خصمي. فنظر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة إلى آخره، ثم قال: والله إن هذا شيء حسن، ثم ناوله أبا بكر (رضي الله عنه) فنظر فيه كذلك ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله أنه لحسن، ثم ناوله عمر (رضي الله عنه) فنظر فيه كذلك ثم قال كما قال أبو بكر (رضي الله عنه)، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجريد أبي الحسن وضربه حد المفتري، فجرد وضرب، ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله، إنما فعل ذلك اجتهاداً في سنتك وتعظيماً. فعفا عنه أبو حامد عند ذلك. فلما استيقظ من منامه وأصبح، أعلم أصحابه بما جرى، ومكث قريباً من الشهر متألماً من الضرب، ثم سكن عنه الألم، ومكث إلى أن مات وأثر السياط على ظهره، وصار ينظر (كتاب الاحياء) و يعظمه و ينتحله أصلاً أصيلاً. قال ابن السبكي في طبقاته: وهذه حكاية صحيحة حكاها لنا جماعة من ثقات مشايخنا عن الشيخ العارف ولي الله ياقوت الشاذلي، عن شيخنا السيد الكبير ولي الله أبي العباس المرسي عن شيخه الشيخ الكبير ولي الله أبي الحسن الشاذلي قدس الله تعالى أسرارهم. والمنامات في حق الأحياء، وفي حق الغزالي كثيرة شهيرة جداً.

ومنهم محمد بن الموفق الخيوشاني، الفقيه الصوفي، أحد الأئمة علماً وديناً وورعاً وزهداً، ولد بخيوشان بلدة بناحية نيسابور سنة عشر وخمسمائة، وتفقه بها وقدم مصر ودرس بتربة الشافعي مدة. وكان إماماً جليلاً كبير المحل في الورع،

قل أن ترى العيون مثله زهداً وعلماً وأمراً بالمعروف وتصميماً على الحق.

ومن تصانيفه:

كتاب (تحقيق المحيط) في ستة عشر مجلداً.

ومنهم الحسين بن مسعود الفراء البغوي، محيي السنة. وقد مر ذكره.

ومنهم عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد، أبو المحاسن الرؤياني، صاحب البحر أحد أئمة المذهب. ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة. وتفقه ببلده على أبيه وجده، وكان يلقب فخر الإسلام. وله الجاه العريض والعلم الغزير والدين المتين والمصنفات السائرة في الآفاق. وكان يضرب المثل بحفظه حتى يحكى أنه قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي. قال ابن السبكي: ولا يعني بكتبه منصوصاته فقط، بل يراد عند إطلاق كتب الشافعي منصوصاته ومنصوصات أصحابه. وكان نظام الملك كثير التعظيم له. ولي قضاء طبرستان ثم انتقل إلى آمل فقتلته الملاحدة سنة اثنتين وخمسمائة بعد فراغه من الاملاء. قيل: وكتابه البحر أكثر من الحاوي فروعاً و (إن) كان هو أحسن ترتيباً، وأوضح تهذيباً.

ومن تصانيفه:

١ ــ الفروق؛
٢ ــ والحلية؛
٣ ــ والتجربة؛
٤ ــ ومناصيص الشافعي؛
٥ ــ والكافي، وغير ذلك.

ومنهم علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم بن عساكر. وليس في أجداده من يسمى عساكر وإنما لقب هو به. هو الشيخ الإمام ناصر السنة وحاويها، وهازم جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفاظ، ولا ينكر أحد منهم مكين مكانه. له: (تاريخ

الشام) في ثمانين مجلداً. (ولد) سنة تسع وتسعين وأربعمائة. تفقه في حداثته بدمشق، ثم دخل بغداد، لزم بها التفقه وسماع الدرس بالنظامية، وقرأ الخلاف والنحو، ولازم طول عمره لقراءة القرآن وصلاة الجماعة مكثراً من النوافل والأذكار، والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار. وكان يحاسب نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة، يصدع بالحق ولا يخالف في الله لومة لائم، ويسطو على أعداء الله المبتدعة، ولا يبالي وإن رغم أنف الراغم. لا تأخذه رأفة في دين الله، ولا يقوم لغضبه أحد إذا خاض الباغي في صفات الله. رأى والده في المنام وقد حملت به أمه أنه يولد لك ولد يحيى الله به السنة، ولعمر الله كان كذلك. وكان يسمى شعلة نار من توقده وذكائه. أعرض عن المناصب الدينية كالخطابة والإمامة بعد أن عرضتا عليه. (توفي) الحافظ سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق.

ومنهم **محمد بن إسحق، الشيخ الزاهد، صدر الدين القونوي**، صاحب التصانيف في التصوف. وله:

١ ــ شرح الحديث الأربعين؛

٢ ــ وكتاب مفتاح الغيب؛

٣ ــ وتفسير سورة الفاتحة؛

٤ ــ وله المراسلات في المسائل الغوامض المتعلقة بالالهيات مع خواجه نصير الدين الطوسي الحكيم، وغير ذلك. توفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومنهم **محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الإمام فخر الدين الرازي**، ابن خطيب الري وقد سبق شرائف مناقبه.

ومنهم **عبد العزيز بن عبد السلام**، سلطان العلماء، الشيخ عز الدين، وشهرته تغني عن الأطناب في مدحه. وبالجملة هو إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان. ولد سنة سبع أو ثمان

وسبعين وخمسمائة. تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدي، وغيرهما. ومن تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد وهو الذي لقب عز الدين بسلطان العلماء. أزال كثيراً من البدع من دق الخطباء السيف على المنبر، وغير ذلك. وأبطل صلاتَيَ الرغائب ونصف شعبان ومنع منها. قيل إنه أفقه من الغزالي. قيل إنه لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وأخذ عنه. وذكر أنه كان يقرأ بين يديه رسالة القشيري فحضره مرة الشيخ أبو العباس المرسي لما قدم من الاسكندرية إلى القاهرة. فقال له الشيخ عز الدين: تكلم على هذا الفصل، فأخذ الشيخ يتكلم والشيخ عز الدين يزحف في الحلقة و يقول اسمعوا هذا الكلام الذي هو حديث عهد بربه. وكان للشيخ عز الدين اليد الطولى في التصوف، وتصانيفه قاضية بذلك. وكان رحمه الله يتكلم بالحق و يصدع به ولا تأخذه في الحق لومة لائم. وكان ينادي سلاطين مصر بأسمائهم في مجالسهم العظام، عند تقبيل العلماء أيديهم بل الأراضي بين أيديهم، جزاه الله تعالى عن العلم والإسلام خيراً. وله واقعة مشهورة عند خروج التتار. توفي الشيخ سنة ستين وستمائة أفتى سلطان العلماء بالمنع عن صلاة الرغائب، والشيخ ابن الصلاح كان أفتى بالمنع ثم صمم على خلافه ودار الكلام بينهما، ولهما في هذا الباب رسائل مشهورة عند الفقهاء الشافعية.

ومنهم عبد الكريم بن محمد عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني، الإمام الجليل أبو القاسم الرافعي، صاحب:

١ ــ الشرح الكبير المسمى (بالعزيز في شرح الوجيز)؛

٢ ــ والشرح الصغير؛

٣ ــ والمحرر؛

٤ ــ وشرح مسند الشافعي؛

٥ ــ والتذنيب؛

٦ ــ والأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة، وهو ثلاثون مجلساً أملاها أحاديث بأسانيده عن أشياخه على سورة الفاتحة، وتكلم عليها؛

٧ ــ وكتاب الإيجاز في أخطار الحجاز، ذكر فيه فوائد خطرت له في سفره إلى الحج وهو أوراق يسيرة؛

٨ ــ وكتاب المحمود في الفقه؛ وصل فيه إلى أثناء الصلاة في ثمانية مجلدات.

كان متضلعاً من العلوم الشرعية تفسيراً وحديثاً وأصولاً مترفعاً على أبناء جنسه في زمانه نقلاً وبحثاً وارشاداً وتحصيلاً. وأما الفقه فهو فيه عمدة المحققين وأستاذ المصنفين، كأنما الفقه كان ميتاً فأحياه وأنشره، وأقام عماده بعدما أماته الجهل فأقبره. وكان ورعاً زاهداً تقياً نقياً طاهر الذيل مراقباً لله.

قال ابن الصلاح: أظن أني لم أر في بلاد العجم مثله وقال ابن السبكي: لا شك في ذلك. وقال النووي: الرافعي من الصالحين المتمكنين. كانت له كرامات كثيرة، وكان في بعض الليالي قاعداً فانطفأ سراجه وقت التصنيف فأضاءت له شجرة في بيته. توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

ومنهم: عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري، الشيخ العلامة تقي الدين، أحد أئمة المسلمين علماً وديناً، أبو عمر بن الصلاح. (ولد) سنة سبع وسبعين وخمسمائة. كان إماماً كبيراً فقيهاً محدثاً زاهداً ورعاً مفيداً معلماً. وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وقد مر نبذ من مناقبه.

ومنهم: عمر بن محمد بن عبد الله، من أولاد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وهو أبو عبد الله أو أبو نصر أو أبو القاسم الصوفي، ابن أخي الشيخ النجيب، هو الشيخ شهاب الدين السهروردي، صاحب (عوارف المعارف). ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد، وقدم بغداد، فصحب عمه أبا النجيب عبد القاهر، وأخذ عنه التصوف والوعظ، وصحب غيره. كان فقيهاً فاضلاً صوفياً إماماً ورعاً زاهداً عارفاً، شيخ وقته في علم الحقيقة، وإليه المنتهى في تربية المريدين ودعاء الخلق الى الخالق، وتسليك طريق العبادة والزهد. وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة، فتابوا،

ووصل به خلق إلى الله تعالى، وصار له أصحاب كالنجوم، ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد. ثم أضر في آخر عمره وأقعد، ومع هذا فما أخل بشيء من الأوراد والأذكار وحضور الجمع في محفة، والمضي إلى الحج، إلى أن دخل عشر المائة، (توفي) في مستهل المحرم، يوم الأربعاء سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

ومنهم: موسى بن أبي الفضل، يونس بن محمد بن منعة، الشيخ العلامة، كمال الدين بن يونس، أبو الفتح الموصلي، والد شارح (التنبيه)، الشيخ شرف الدين أحمد بن موسى. (ولد) سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل. تفقه على والده الشيخ رضى الدين يونس، ثم توجه إلى بغداد، وتفقه بالمدرسة النظامية على معيدها الشريف السليماني، ثم أقام بالموصل.

وأعلم أن هذا الرجل مما أطنب المؤرخون في ترجمته، وأطرى المادحون في فضله. ولنقتصر على ما يقبله العقل منها. قال ابن خلكان: كان هو بحراً في كل العلوم، وتفرد بالرياضيات، وكان الفقهاء يقولون إنه يدرس أربعة وعشرين فناً دراية متقنة من ذلك المذهب، حتى أن الحنفية يقرأون عليه مذهبهم ويحل عليهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل، وكان يتقن الأصولين والجدل والخلاف، ولما وصل كتب فخر الدين الرازي الى الموصل، لم يفهم أحد من الفضلاء اصطلاحه سواه، وكان بها إذ ذاك جماعة من الفضلاء، وكذلك (الإرشاد) للعميدي ولقد حله في ليلة واحدة، وكان يدري فن المنطق والحكمة، من الطبيعي والرياضي والالهي والطب، وكان يعرف الرياضي من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب، المفتوح منه، والجبر، والمقابلة، والأرثماطيقي، والخطأين والمساحة، والموسيقى، معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهرها دون دقائقها، وكان كما قال الشاعر:

وكان من العلوم بحيث يقضي   له في كل علم بالجميع

واستخرج في علم الأوفاق طرقاً لم يهتد إليها أحد، وكان في العربية بحراً حتى أنه كان يقرىء (كتاب) سيبويه، و (الإيضاح)، و (التكملة) لأبي

علي الفارسي، و (المفصل) للزمخشري. وكان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يد جيدة. وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والأشعار والمحاضرات شيئاً كثيراً. وكان أهل الذمة يقرأون عليه التوراة والانجيل، وشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحها لهم غيره. وكان في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوة معرفته. قال ابن الأثير: ما دخل بغداد مثله، وقالوا: كيف ذلك، قال: ما دخل بغداد مثل الغزالي، وليس بينه وبين الشيخ نسبة. وكان ابن الأثير على جلالة قدره في العلوم يأخذ الكتاب، ويجلس بين يديه، ويقرأ عليه، والناس يوم ذلك يشتغلون في تصانيف ابن الأثير. وكان الشيخ، سامحه الله، يتهم في اعتقاده، لغلبة العلوم العقلية عليه، وكان يعتريه غفلة لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم.

ومنهم يحيى بن شرف، الإمام النووي، وقد مر ذكره في المحدثين.

ومنهم أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن الرفعة الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، نجم الدين أبو العباس، شافعي الزمان، ومن ألقت الأئمة مقاليد السلم والأمان، قد باشر حسبة مصر ودرس بالمدرسة المعزية، ولم يل شيئاً من مناصب القاهرة.

ومن تصانيفه:

١ ــ المطلب في شرح الوسيط؛
٢ ــ والكفاية في شرح (التنبيه)؛
٣ ــ وكتاب مختصر في هدم الكنائس.

(توفي) بمصر سنة عشر وسبعمائة ولا مطمع في استيعاب مناقبه وغرائبه لأن ذلك بحر زاخر ومهيع لا يعرف له أول من آخر.

ومنهم محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ شمس الدين، أبو عبد الله التركماني الذهبي كان إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، شيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد

واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها، منتهى رغبات من يركب المطي إلى جواره، و يضرب البزل المهاري أكبادها ليصل ساحة داره. ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وفي شيوخه كثرة لا تقبل التعداد، وسمع منه الجمع الكثير، ما زال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه، وضربت باسمه الأمثال، وسار اسمه مسير قبة الشمس إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر ولا يدبر إذا أقبلت الليال. أقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد، وتناديه السؤالات من كل ناد، وهو بين أكنافها كنف لأهلها، وشرف تفتخر و يزدهى به الدنيا وما فيها، طوراً تراها ضاحكة عن تبسم أزهارها وقهقهة غدرانها، وتارة تلبس ثوب الوقار والفخار بما اشتملت عليه من أبياتها المعدود في سكانها، إلا أنه كان شافعي المذهب حنبلي المعتقد ولهذا كان كثير الازراء للأشاعرة في تصانيفه، سيا في: (تاريخه الكبير) وله:

١ ــ تاريخ أوسط سمي (بالعبر)؛
٢ ــ وصغير مسمى (بدول الإسلام)؛
٣ ــ وكتاب النبلاء؛
٤ ــ ومختصر تهذيب الكمال: للمزي؛
٥ ــ والكاشف، مختصر ذلك؛
٦ ــ والميزان في الضعفاء، وهو من أجل الكتب؛
٧ ــ والمغني، في ذلك؛
٨ ــ وكتاب ثالث في ذلك؛
٩ ــ ومختصر سنن البيهقي، وهو حسن؛
١٠ ــ ومختصر الأطراف للمزي؛
١١ ــ وطبقات الحفاظ؛
١٢ ــ وطبقات القراء؛
١٣ ــ وكتاب في الوفيات؛
١٤ ــ ومختصر آخر فيها يسمى (بالإعلام)؛
١٥ ــ والتجريد في أسماء الصحابة؛

١٦ ـــ المجرد في أسماء رجال الكتب الستة؛

١٧ ـــ ومختصر المستدرك، للحاكم؛

١٨ ـــ ومختصر تاريخ نيسابور، للحاكم؛

١٩ ـــ ومختصر ذيل ابن الزيني؛

٢٠ ـــ والمعجم الكبير؛

٢١ ـــ والصغير؛

٢٢ ـــ والمختصر لمحدثي العصر؛

٢٣ ـــ ومختصر المحلي، لأبن حزم، ومختصرات كثيرة. وقرأ القرآن بالروايات وأقرأه. (توفي) سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة، جلال الدين القزويني. قدم من دمشق هو وأخوه قاضي القضاة إمام الدين، وناب في القضاء بدمشق عن أخيه، وأعاد بالمدرسة البادرانية، ثم ولي خطابة دمشق ثم قضاء القضاة بها، ثم انتقل إلى قضاء القضاة بالديار المصرية ثم صرف عنها وأعيد إلى قضاء الشام. كان رجلاً فاضلاً متفنناً له مكارم وسؤدد.

صنَّف:

١ ـــ كتاب التلخيص، في المعاني والبيان؛

٢ ـــ وكتاب الإيضاح فيه.

(توفي) بدمشق سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

ومنهم: محمد بن عبد الرحيم بن محمد، الشيخ صفي الدين الهندي الأرموي المتكلم على مذهب الأشعري. كان من أعلم الناس بمذهب الأشعري وأدراهم بأسراره، متضلعاً بالأصلين. اشتغل على سراج الدين صاحب التلخيص.

صنَّف:

١ ـــ الزبدة في علم الكلام؛

٢ ـــ والنهاية في أصول الفقه؛

٣ ــ والفائق فيه أيضاً.

وكل مصنفاته حسنة جامعة لا سيا:

٤ ــ النهاية.

ولد ببلاد الهند سنة أربع وأربعين وستمائة، ورحل إلى اليمن ثم حج وقدم إلى مصر، ثم سار إلى الروم واجتمع بسراج الدين ثم قدم دمشق وشغل الناس بالعلم. توفي بدمشق سنة خمس عشرة وسبعمائة. وكان خطه في غاية الرداءة. وكان رجلاً ظريفاً ساذجاً. يحكى أنه قال: وجدت كتاباً بخط ظننته أقبح من خطي فغاليت في ثمنه واشتريته لأحتج به على من يدّعي أن خطي أقبح الخطوط، فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القديم. وحبس ابن تيمية لقوله بالجهة ونودي عليه وعلى أصحابه في البلد وعزلوا من وظائفهم.

ومنهم: محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم، قاضي القضاة، كمال الدين ابن الزملكاني الإمام العلامة المناظر. قرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي وقرأ النحو على الشيخ بدر الدين بن مالك. ولد سنة سبع وستين وستمائة. درس بدمشق ثم ولي قضاء حلب.

وصنَّف:

١ ــ الرد على ابن تيمية في عدة مسائل؛

٢ ــ وشرح من منهاج النووي قطعاً متفرقة، ذكره الذهبي، فقال: عالم العصر من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهل زمانه. درس وصنّف وتخرج به الأصحاب. وتوفي في سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

ومنهم: محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، أبو الفتح تقي الدين. (ولد) الشيخ الإمام القدوة مجد الدين ابن دقيق العيد، شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق الجامع بين العلم والدين، والسالك سبيل السادة الأقدمين، بحر العلم الذي لا تكدره الدلاء، ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء، إمام كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، مع وقار عليه سياء الجلال، وهيبة لا يقوم الضرغام عندها للنزال. هذا مع ما

أضيف إليه من أدب أزهى من الأزهار، وألعب من المعقول. لا أدري بين يدي هذا الشيخ ما أقول، أستغفر الله من العثار. ومع أنه كان من العلوم بحيث يقضي له بالجميع، فله بالتجريد تخلق، وبكرامات الصالحين تحقق. قال ابن السبكي: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة المشار إليه في الحديث المصطفوي النبوي صلى الله عليه وسلم. ولد في البحر المالح، وكان والده متوجهاً إلى الحج في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، ثم أخذه والده على يده وطاف به بالكعبة وجعل يدعو الله أن يجعله عالماً عاملاً، ونقل له كرامات كثيرة. منها: أنه أخبر عند دخول التتار البلاد أنهم هلكوا أمس وقت العصر، فكان كما قال. وقال عن بعض الأمراء وقد خرج من القاهرة أنه لا يرجع فلم يرجع. وقال لشخص آذى أخاه أنه يهلك فكان كذلك. وكراماته كثيرة. وأما آدابه في الليل عملاً وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر. وكان يقول: ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلاً إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل. وكان يخاطب عامة الناس: السلطان فمن دونه بقوله يا إنسان، وإن كان فقيهاً كبيراً قال: يا فقيه، وتلك كلمة لا يسمح بها إلا لأبن الرفعة ونحوه. وكان يقول للشيخ علاء الدين الباجي: يا إمام، ويخصه بها. توفي سنة اثنتين وسبعمائة.

صنَّف:

١ ــ كتاب الإمام، وهو جليل حافل؛

٢ ــ وكتاب الالمام؛

٣ ــ و (شرحه)، ولم يكمل شرحه؛

٤ ــ وأملى (شرحاً) على عمدة عبد الغني المقدسي في الحديث، وعلى العنوان في أصول الفقه؛

٥ ــ وله تصنيف في أصول الدين؛

٦ ــ وشرح مختصر ابن الحاجب، ولم يكمله؛

٧ ــ وعلق شرحاً على مختصر التبريزي في فقه الشافعية. ولي قضاء القضاة بعد إباء شديد وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد.

ومنهم: محمد بن علي البارنباري، الملقب طوير الليل، تاج الدين، أحد أذكياء الزمان. برع فقهاً وعلماً ومنطقاً وأصولاً. قرأ المعقولات على الشيخ شمس الدين الأصفهاني. ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي سنة سبع عشرة وسبعمائة.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس، الحافظ الأديب، فتح الدين أبو الفتح. كان أحد الأعيان معرفة واتقاناً وحفظاً وضبطاً للحديث وتفهماً في علله وأسانيده، عالماً بصحيحه وسقيمه، مستحضراً للسيرة، له حظ من العربية، له الشعر الرائق والنثر الفائق. ولد سنة احدى وسبعين وستمائة، وكان من بيت رياسة وعلم، وتوفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

ومنهم: عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، الشيخ علم الدين العراقي الضرير. له في التفسير اليد الباسطة. صنف (الانصاف) في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير. وهو مصري، وقيل له العراقي، لأن أبا إسحق العراقي (شارح المهذب) كان جده لأمه. ولد سنة ثلاث وعشرين وستمائة و(توفي) سنة أربع وسبعمائة بالقاهرة.

ومنهم علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، الشيخ الامام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقري الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب الحكيم المنطقي الجدلي الخلافي النظار، شيخ الإسلام قاضي القضاة، تقي الدين، أبو الحسن، شيخ المسلمين في زمانه، والداعي إلى الله في سره وإعلانه، والمناضل عن الدين الحنيفي بقلمه ولسانه، عباب لا تكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء، وكان من العلم بحيث يقضي له في كل علم بالجميع، وكان من الورع والدين، وسلوك سبيل الأقدمين على سنن و يقين، إن الله مع المتقين، صادع بالحق لا يخاف لومة لائم، صادق في النية لا يخشى بطشه ظالم،

صابر وإن ازدحمت الضراغم، شيخ الوقت حالاً وعلماً، وإمام التحقيق حقيقة ورسماً، وعلم الأعلام فعلاً واسماً:

إذا تغلغل فكر المرء في طرف   من مجده غرقت فيه خواطره

لا يرى الدنيا إلا هباء منثوراً، ولا يدري كيف يجلب الدرهم والدينار سروراً، ولا ينفك يتلو القرآن قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً، وإن كان مريضاً معذوراً. وكانت دعواته تخترق السبع الطباق، وتفترق بركاتها فتملأ الآفاق، وتسترق خبر السماء، وكيف لا وقد رفعت على يد ولي الله يفتح له أبوابها ذوات الأغلاق. وكانت يداه بالكرم مبسوطتين لا يقاس بحاتم ولا ينشد إلا على قدر أهل العزم تأتي العزائم. وأما الأخلاق فقلَّ ان رأيتها في غيره مجموعة، أو وجد في أكياس الناس ديناراً على سكة المطبوعة، فم بسام، ووجه بين الجمال والجلال قسام، وحلق كأنه نقش السحر على الزهر بسام، وكف تخجل الغيوث من ساجمها، ويشهد البرامكة أن نقش حاتم في خاتمها. قال ابن السبكي بعد وصف والده بالأوصاف المذكورة وزيادة عليها: أقسم بالله أنه لفوق ما وصفته، وإني لناطق بهذا وغالب ظني أني ما أنصفته. ثم قال:

وما عليَّ إذا ما قلت معتقدي   دع الحسود يظن السوء عدوانا
هذا الذي تعرف الأملاك سيرته   إذا أدلهم دجى لم يبق مهرانا
هذا الذي يسمع الرحمن صالحة   إذا بكى وأفاض الدمع ألوانا
هذا الذي يسمع الرحمن دعوته   إذا تقارب وقت الفجر أو حانا
هذا الذي تعرف الغبْراء جبهته   من السجود طوال الليل عرفانا
هذا الذي لم يغادر سيل مدمعه   أركان شيبته البيضاء أحيانا
والله والله العظيم ومن   أقامه حجة في العصر برهانا
وحافظاً لنظام الشرع تبصرة   نصرا يلقيه من ذي العرش غفرانا
كل الذي قلت بعض من مناقبه   ما زدت إلا لعلي زدت نقصانا

(ولد) في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة. تفقه في صغره على والده وكان من الإشتغال بحيث يستغرق غالب ليله وجميع نهاره. وحكى لي أنه لم

يأكل لحم الغنم إلا بعد العشرين من عمره لحدة ذهنه وأنه كان إذا شم رائحته حصل له شراً. وإنما كان يخرج من البيت عند صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قرب الظهر فيجد أهل البيت قد عملوا له فروجاً فيأكله ويعود إلى الإشتغال إلى المغرب فيأكل شيئاً حلواً لطيفاً، ثم يشتغل بالليل، وهكذا إلى أن قدم القاهرة، وسمع عن علمائها حتى استقر أمره ووردت عليه الفتاوى من أقطار الأرض وانتهت إليه رياسة المذهب بمصر وألف غالب مؤلفاته، ثم ألزمه السلطان قضاء الشام بعد وفاة جلال الدين القزويني فقبلها بعد ممانعات يطول شرحها. وتولى مع القضاء خطابة الجامع الأموي ثم تولى تدريس المدارس مع ما ذكر من المناصب. والعجب أنه كان مع صحة ذهنه واتقاده عظيم الحافظة لا يكاد يسمع شيئاً إلا حفظه ولا يحفظ شيئاً فينساه، وإن طال بعده عن تذكره، جمعت له الحافظة البالغة والفهم الغريب.

وليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

كان بالآخرة قد أعرض عن كثرة البحث والمناظرة، وأقبل على التلاوة والتأله والمراقبة. قال ولده تاج الدين السبكي في طبقاته: وكان ينهانا عن نوم النصف الثاني من الليل، وقال: يا بني تعودوا السهر ولو أنك تلعب، والويل كل الويل لمن تراه نائماً وقد انتصف الليل. كان دائم التلاوة والذكر وقيام الليل، جميع نومه بالنهار وأكثر ليله التلاوة، وكانت تلاوته أكثر من صلاته ويتهجد بالليل ويقرأ جهراً في النوافل، ولا تراه في النهار جالساً إلا وهو يتلو ولو كان راكباً، ولا يتلو إلا جهراً ولو كان في الحمام وفي المسلخ. وأما الصوم فكان يعسر عليه، وكان لا يصوم إلا رمضان وستا من شوال. وأما إذا أراد دفع نايبة عن نفسه كان يكشف رأسه وربما يصعد السطح ويجعل المنديل في رقبته، ويقوم على رجليه مطرقاً ساكتاً ويصير عليه من المهابة ما يعجز الواصف عن وصفه، وربما يظن من رآه في تلك الحالة أنه لو لسعه زنبور لما أحس به. وأيضاً إذا كانت له حاجة يكتب قصته بخطه إلى الله ويعلقها على خشبة في السطح، وربما أنزلها بعد أيام، وكان ذلك علامة قضاء الشغل. وأما مصنفاته فالبحار الزواجر، وجملتها من الكتب والرسائل مائة ونيف وعشرون. (توفي) رحمه الله

بالقاهرة سنة ست وخمسين وسبعمائة.

ومنهم: علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، الشيخ الإمام علاء الدين الباجي، إمام الأصوليين، وسيف المناظرين، وكان من الأوابين المتقين ذوي التقوى والورع والدين المتين. وكان الشيخ الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد والشيخ الإمام تقي الدين السبكي كثيري التعظيم للباجي. وقد مر أن إبن دقيق العيد كان يخاطب كل أحد يا انسان، ولو كان هو السلطان إلا اثنين: الباجي وابن الرفعة، فيقول للباجي: يا إمام ولأ بن الرفعة: يا فقيه. وكان الباجي أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري في علم الكلام، وكان هو بالقاهرة والهندي بالشام قائمين بنصرة مذهب الأشعري. قيل: ما من علم إلا وللباجي فيه مختصر. مولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة. ولم يجرؤ ابن تيمية بين يديه بلفظة. وكان يقول: وظيفة مثلى الإستفادة منك. توفي سنة أربع عشرة وسبعمائة.

ومنهم هبة الله بن عبد الرحيم الجهني، قاضي القضاة، شرف الدين البازري، قاضي حماة. (ولد) سنة خمس وأربعين وستمائة بحماة، وسمع من أبيه وجده. كان إماماً عارفاً بالمذهب وفنون كثيرة.

له التصانيف الكبيرة منها:

١ ــ شرح الحاوي؛

٢ ــ والتمييز؛

٣ ــ وترتيب جامع الأصول؛

٤ ــ والمغني؛

٥ ــ ومختصر التنبيه؛

٦ ــ والوفا في سرائر المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(توفي) سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ومنهم: يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف الكلبي القضاعي الدمشقي؛ الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزي، حافظ زمانه، حامل راية

السنة والجماعة، القائمَ بأعباء هذه الصناعة والمتدرع جلباب الطاعة، إمام الحفاظ كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها. قال ابن السبكي: بلغني عن الذهبي أنه قال: ما رأيت أحفظ من أربعة: ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزي وترتيبهم حسب ما قدمناه، يعني أن الأول أعرفهم بالعلل وفقه الحديث والثاني بالأنساب والثالث بالمتون والرابع بأسماء الرجال. وقال: وأنا لم أر من هؤلاء الأربعة غير المزي ولكني أقول: ما رأيت أحفظ من ثلاثة: المزي والذهبي والوالد. وغالب ظني أن المزي يفوقهما في أسماء رجال الكتب الستة، والذهبي يفوقهما في أسماء رجال من بعد الستة والتواريخ والوفيات، والوالد يفوقهما في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كل منهم لصاحبه فيما يتميز به المشاركة البالغة. وقال أيضاً: وعاصرت أربعة لا خامس لهم: هؤلاء الثلاثة والبرزالي وكان البرزالي يفوقهم في معرفة الأجزاء ورواتها الأحياء، وكان الثلاثة يعظم المزي ويذعن له ويقرأون عليه ويعترفون بتقدمه.

وبالجملة، فإن شيخنا المزي أعجوبة زمانه يقرأ عليه القارىء نهاراً كاملاً والطرق تضطرب، والأسانيد تختلف، وضبط الأسماء يشكل، وهو لا يسهو ولا يعقل، يبين وجه الإختلاف ويوضح ضبط المشكل، وتعيين المبهم بنقط لئلا يغفل عند الاحتياج إليه. ولقد شاهدته الطلبة ينعس، فإذا أخطأ القارىء رد عليه كأن شخصاً أيقظه، وقال له: قال هذا القارىء: كيت وكيت هل هو صحيح، وهذا من عجائب الأمور. وكان قد انتهت إليه رياسة المحدثين في الدنيا ومن ذكرناه من الثلاثة قد عرفناك أنهم مع علو رتبتهم يعترفون له. وحدث نحو خمسين سنة. سمع منه ابن تيمية والبرزالي والذهبي وابن سيد الناس والشيخ الإمام السبكي وخلق لا يحصون. وصنف: (تهذيب الكمال) المجمع على أنه لم يصنف مثله، و(كتاب الأطراف). (ولد) سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. ولعمري لقد طال هذا الباب من هذا الكتاب، فخرجنا من باب إلى باب وولجنا في أبواب، ولقد جرني إليه شغفي بتتبع أحوال العلماء من ناصري الملة الحنيفية البيضاء، ومع

هذا فقد فاتني ذكر كثير من الأسلاف وليس الري عن التشاف، إلا أن القلم لما هاب الاسهاب لأولى الألباب من الأصحاب، قبض عنانه، وكف لسانه، ودخل فيما خرج عنه من ذكر العلوم متوكلاً على الحي القيوم، وهو المستعان، وعليه التكلان.

الشعبة الثامنة

في فروع العلوم الشرعية وفيها مطالب سبعة

المطلب الأول

في فروع علم القراءة

وهو علم معرفة الشواذ وتفرقتها من المتواتر واعلم أن المتواتر عند الأكثرين سبعة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي. ولكل منهم راو يان: قالون وورش لنافع، والبزي وقنبل لأ بن كثير، والدوري والسوسي لأبي عمرو، وهشام وابن ذكوان لأ بن عامر، وشعبة وحفص لعاصم، وخلف وخلاد لحمزة، وأبو الحارث والدوري للكسائي. وإياك أن تظن حصر رواتهم في الاثنين، وإذا وجدت خارجاً عن ذلك تحكم بشذوذه وهذا خبط، إذ لكل شيخ رواة كثيرة، إلا أن المتأخرين اختاروا الاثنين من رواتهم، ولا يعرف تفصيله إلا من جهابذة النقل وكتب الثقات. ثم إن في انحصار المتواتر في السبعة أيضاً خلافاً، لما قد سمعت فيما سبق أن بعضاً من العلماء ألحق بهم يعقوب الحضرمي. ثم فيما وراء الثمانية الأكثرون على الشذوذ، وتفصيل هذا في كتب القراءات، فارجع اليها.

علم مخارج الحروف

وهذا علم يبحث فيه عن أحوال الألفاظ العربية خارجة وأنها من أي موضع تخرج، و يبحث عن صفاتها من الجهر والهمس والشدة وأمثالها. وقد مر

هذا العلم على وجه التفصيل في فروع علم الألفاظ لأنه يمكن أن يجعل فرعاً لهذين العلمين لكن من جهتين.

علم مخارج الألفاظ

ولا يخفى أن للألفاظ مخارج تخصها مغائر المخارج الحروف يعرفها أهلها، ولا يعرف هذين العلمين إلا من أخذهما من أفواه المشايخ. وهذا العلم أيضاً ربما يجعل من فروع علم الألفاظ.

علم الوقوف

الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لأ بنية الأعراض، و يكون في رؤوس الآى وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً. قيل: معرفة وقوف القرآن واجب، حيث قال تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾[1]. قال علي رضي الله عنه: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. قال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه. قال النكزاوي: لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل. وفي الوقف أقسام، لكن اختلفوا فيها، فقال ابن الأنباري إنها ثلاثة: تام، وحسن، وقبيح. فالتام: ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به كقوله تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾. والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه، دون الإبتداء بما بعده، كقوله تعاله ﴿الحمد لله﴾، لأن الإبتداء برب العالمين لا يحسن. والقبيح: ما ليس بتام ولا حسن، كالوقف على ﴿بسم﴾ من ﴿بسم الله﴾. وقال بعضهم: الوقف أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك. فالتام المختار: ما لا يتعلق بما بعده، فيحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده. والكافي الجائز: منقطع في اللفظ، متعلق في المعنى، فيحسن الوقف عليه، والإبتداء بما بعده أيضاً، نحو: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾[2].

---

(١) سورة المزمل، آية: ٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٣.

والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه، دون الابتداء بما بعده كـ «الحمد لله».

والقبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد كالحمد لله، وأقبح منه الوقف على «لقد كفر الذين قالوا»، و يبتدىء بما بعده. وقال السجاوندي: الوقف على خمس مراتب: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص ضرورة. فاللازم: ما لو وصل طرفاه غير المراد، نحو: ﴿وما هم بمؤمنين﴾[1]، ولا يوصل بقوله تعالى: ﴿يخادعون الله﴾[2]. والمطلق: ما يحسن الإبتداء بما بعده، وقد مر مثاله. والجائز: ما يجوز فيه الفصل والوصل لتجاذب الموجبين من الطرفين، نحو: ﴿وما أنزل من قبلك﴾[3]، فإن واو العطف تقتضي الوصل وتقديم المفعول فيما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾[4]، يقطع النظم. والمجوز لوجه، نحو: ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾[5]، لأن الفاء في قوله تعالى، فلا يخفف للسببية والجزاء، وذلك يوجب الوصل. وكون نظم الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجهاً. والمرخص ضرورة: مما لا يستغني ما بعده غير أنه جملة مفهومة، كقوله تعالى: ﴿والسماء بناء﴾، لأن قوله تعالى: ﴿وأنزل﴾ لا يستغنى عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أن الجملة مفهومة لنا.

وأما ما لا يجوز الوقف عليه، كالشرط دون جزائه، والمبتدأ دون خبره، ونحو ذلك. واعلم أن هذا الذي ذكرناه، مقدمة لهذا الفن، وتمام التفصيل فيه إلى كتب الوقف، وشهرتها عند أهلها أغنتنا عن ذكر أساميها.

علم علل القراءات

وهو علم باحث عن لمية القراءات كما أن علم القراءة باحث عن أنيتها. فالأول دراية، والثاني رواية. ولما كانت الرواية أصلاً في العلوم الشرعية،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٧.
(٢) سورة البقرة، آية: ٩.
(٣) سورة البقرة، آية: ٤.
(٤) سورة البقرة، آية: ٤.
(٥) سورة البقرة، آية: ٨٦.

جعل الأول فرعاً والثاني أصلاً، ولم يعكس الأمر، وإن أمكن ذلك باعتبار آخر. وموضوع هذا العلم وغايته ظاهرة للمتأمل المتيقظ.

علم رسم كتابة القرآن في المصاحف

وهذا وإن كان من فروع علم الخط، لكن البحث هناك لا بخصوصية القرآن، وها هنا يختص البحث بالقرآن، فلذلك جعلناه من فروعه. وموضوعه: رسم خط المصحف، من الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل والوصل، وما فيه قراءتان، فكتب على أحدهما. وغايته: حفظ المصاحف الكريمة عن مخالفة المصحف الإمام. قال أشهب، سئل مالك: هل يكتب على المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء، فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى. قال الإمام أحمد: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف، أو غير ذلك. قال البيهقي في شعب الإيمان: من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر الناس علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم.

وصنَّف في هذا الفن أبو عمرو الداني (المقنع)، وأبو العباس المراكشي (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، و (القصيدة الرائية الموسومة بالعقيلة) للشيخ الشاطبي.

فائدة:

روى عن كعب الأحبار أنه قال: أول من صنع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في الطين ثم طبخه. فلما أصاب الأرض الغرق، أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه، فكان إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أصاب كتاب العرب.

وعن ابن عباس: أول كتاب أنزله الله تعالى من السماء أبو جاد. وقيل إن هذه الحروف داخلة تحت قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء﴾. قال ابن فارس:

ولذلك نقول إنه توقيفي. قال النبي صلى الله عليه وسلم: تعلموا أبا جاد، فقيل ما أبا جاد، قال: الألف: آلاء الله، والباء: بهاء الله، والجيم: جلال الله، والدال: دينه، والهاء: الهاوية، والواو: الويل لمن هوى، والزاي: زاوية فيها، والحاء: حط الخطايا عن المستغفرين بالأسحار، والطاء: طوبى لهم، والياء: يد الله على خلقه، والكاف: كلام الله لا تبديل له، واللام: تلازم أهل الجنة بالتحية، والميم: ملك الله، والنون: ن والقلم، لوح من نور يكتب ما هو كائن. وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: حروف أبجد ما منها حرف إلا وهو مكتوب في صفحات العرش بالنور، وما منها كلمة إلا في آجال قوم وأعمال قوم ومدة قوم. وعنه: أبو جاد: أبي آدم الطاعة، وجد في أكل الشجرة، هواز: ذل فهوى من السماء إلى الأرض، حطى: حطت عنه خطاياه، كلمن: أكل من الشجرة ومن عليه بالتوبة، سعفص: عصى فأخرج من النعيم إلى النكد، قرشات: أقر بالذنب فأمن العقوبة، وهذا من علم الحروف. قلت لا يخفى عليك أن هذه الكلمات من قبيل الاشارات دون الدلالات، فلا ينافيه ما قيل: إن أول من وضع الكتابة العربية قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أدد، واستعربوا ووضعوا هذه الكلمات على عددهم، وهم ملوك مدين، وكلمن رئيسهم، هلك يوم الظلة، فرثته أخته بقولها:

كلمن تيم قلبي ... هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه ... الحتف نار وسط ظلة
جعلت نار عليهم ... دارهم كالمضمحلة

وأنشد:

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة ... سبقت بها عمراً وحي بني عمرو
ملوك بني حطي وهواز عنهم ... وسعفص أهل للمكارم والفخر

وقال حفص بن عتاب: أسماء ملوك الجن الذين سكنوا الأرض قبل آدم، فألقيت إلى العرب، وقال الشعبي: أسماء ملوك الجبابرة، فقال: قرشت ملك، فسخه الله ازدهاقاً دابة لها سبعة رؤوس. قال قطرب الأصل أبو جاد — هواز

حطى ــ كلمن ــ سعفص ــ قرشات ــ قيل: الثلاثة الأول عربية، والأخر أعجمية لا تنصرف.

علم آداب كتابة المصحف

وهو علم يعرف فيه كيفية كتابة المصحف ليكون موافقاً للآداب المعتبرة في الشرع والمستحسنة عند السلف، وفائدته غير خافية على أرباب البصائر.

واعلم أنه يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه فيكره، وكذا كتابته في الشيء الصغير. وعن عمر رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً قد كتب بقلم دقيق، فضرب كاتبه، وقال: عظموا كتاب الله. وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سر به. وعن علي رضي الله عنه أنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغاراً. وعن علي رضي الله عنه، موقوفاً، قال: تنوق رجل في بسم الله الرحمن الرحيم، فغفر له. وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوده غفر الله له. قال الغزالي: يحسن كتابة المصحف بالذهب. وعن ابن عباس وأبي ذر وأبي الدرداء أنهم كرهوا ذلك. وعن ابن مسعود أنه مر عليه مصحف زين بالذهب فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق. قالت الشافعية: وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى السقوف أشد كراهة لأنه يوطأ.

وهل يجوز كتابته بقلم غير العربي. قال الزركشي: لم أر فيه كلاماً لأحد من العلماء. قال: ويحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من لا يقرأ بالعربية، والأقرب المنع. كما تحرم قراءته بغير لسان العرب.

قال البيهقي: من آداب القرآن، أن يفخم فيكتب مفرجاً بأحسن خط ولا يصغر ولا تقرمط حروفه ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني الآيات. وعن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: لا بأس بنقط المصاحف. وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: لا بأس بشكلها. قال النووي: نقط المصحف وشكله مستحب لأنه صيانة له من اللحن والتحريف. وقال ابن مجاهد: ينبغي أن لا يشكل إلا ما

يشكل. وأما ما نقل عن النخعي أنه كره النقط، وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم، وعن إبن مسعود أنها كرها التعشير، فلعلهم قالوا ذلك عند عدم الاحتياج إلى النقط وعند توهم الاشتباه بالمصحف في البواقي لقوله عليه الصلاة والسلام: «جردوا القرآن»، لا أنهم قالوا بكراهة ذلك مطلقاً، وإلا فكيف يمنع عند الحاجة، إذ الغرض إزالة الالتباس على كل حال، فالالتباس تارة يكون في إثبات ما ذكروه، وتارة في عدم اثباته، ولهذا قال مالك رضي الله عنه: لا بأس بالنقط في المصاحف التي يتعلم فيها الغلْمان، أما الأمهات فلا، لأن الإمام مالك رأى الحاجة فيا يتعلم فيه الصبيان دون الكل، وأما اليوم فالحاجة في الكل محققة، فيجوز في الكل ما يحتاج إليه من الأمور على قدر الحاجة سوى كتابة تفسير القرآن بين أسطره، إذ لا عذر فيها بوجه من الوجوه، لأن في كتب التفاسير غنى عن ذلك. وقول ابن مسعود: جردوا القرآن؛ قيل: جردوه في التلاوة، وقيل في الخط، وقيل عن سائر الكتب المنزلة لتحريف اليهود والنصارى إياها.

واعلم أن الشكل في الصدر الأول للفتحة نقطة على أول الحرف، وللضمة نقطة على آخره، وللكسرة تحت أوله، وعليه مشى الداني. والمشهور الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذي أخرجه الخليل، وهو أكثر وأوضح وعليه العمل. فالفتح بشكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضم واو صغرى، والتنوين زيادة مثلها، والسكون دائرة صغيرة جداً.

فائدة:

اختلف السلف في بيع المصحف وشرائه. منهم من كرهها، نقل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وابن سيرين، ومنهم من جوزهما، وقالوا إنما يأخذون أجور أيديهم، وقالوا انما يبيعون الورق، وقالوا إنه بدل من أجرة النسخ، نقل ذلك عن مجاهد وابن المسيب والحسن وعن سعيد بن جبير وابن الحنفية والشعبي، ومنهم من جوز الشراء دون البيع، نقل ذلك عن عطاء عن ابن عباس وعن مجاهد.

فرع آخر: قال عز الدين عبد السلام: القيام للمصحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول. وقال النووي: يستحب القيام لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به.

فرع آخر: يستحب تقبيل المصحف مثل تقبيل الحجر الأسود قياساً، وكان عكرمة بن أبي جهل يفعله، وقاسه بعضهم على تقبيل الولد الصغير لأنه هدية من الله. وعن أحمد ثلاث روايات: الجواز والاستحباب والتوقف. أما الأولان فظاهر مما تقدم، وأما التوقف فلأنه لا مدخل في أمثاله للقياس، كما قال عمر رضي الله عنه في الحجر: لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك.

فرع آخر: يستحب تطييب المصحف وجعله على كرسي ويحرم توسده لأن فيه إذلالاً وامتهاناً. قال الزركشي: وكذا مد الرجلين إليه. وعن سفيان أنه كره أن يعلق المصاحف. وعن الضحاك، قال: لا تتخذوا للحديث كراسي ككراسي المصحف.

فرع آخر: يجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح. عن الوليد بن مسلم، قال مالك: حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا أو نحوه، فأخرج إلينا مصحفاً فأراه لنا. وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل وخص الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه، والأظهر فيه التسوية.

فرع: آخر المصحف إذا بلي لا يوضع في شق لأنه قد يسقط و يوطأ ولا يجوز تمزيقه لما فيه من تقطيع الحروف وأيضاً فيه إزراء به. قال الحليمي: يغسل المصحف البالي بالماء. وقيل: الاحراق أولى، لأن الغسالة قد تقع على الأرض. وأحرق عثمان رضي الله عنه المصاحف. وقيل: الاحراق حرام لمنافاته الاحترام. قال النووي: يكره. وعن الحنفية: لا يحرق بل يدفن في الأرض. وقيل: لا يؤمن من الوطء بالأقدام.

فرع آخر: عن ابن المسيب قال: لا يقولن أحدكم مصيحف ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم، اللهم إلا أن يقصد به التعظيم، لكنه يكره لإيهامه التحقير.

فرع آخر: يحرم مس المصحف للمحدث سواء كان حدثاً أصغر أم أكبر لقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾، وحديث الترمذي وغيره: «لا يمس القرآن إلا طاهر».

خاتمة

عن أنس مرفوعاً: «سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ترك ولداً يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفاً» وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين.

المطلب الثاني

في فروع علم الحديث

علم شرح الحديث

وهو علم باحث عن مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديثه الشريفة بحسب القواعد العربية، والأصول الشرعية بقدر الطاقة. ونفعه وغايته بمكان لا يخفى على انسان.

والكتب المصنفة في هذا الفن لا تحيط به الدفاتر، إلا أن الأشهر شروح البخاري. منها: (شرح الكرماني)، و (شرح البرماوي)، و (شرح ابن الملقن)، و (شرح العيني)، و (شرح ابن حجر)، و (شرح السيوطي)، و (شرح الكوراني)، وغير ذلك. و (شرح مسلم) للنووي والسيوطي.

ومن شروح المصابيح: (شرح المفاتيح للخلخالي)، و (شرح التوربشتي)، و (شرح المظهر)، و (شرح زين العرب)، وغير ذلك. ومن شروح المشارق (المبارق)، و (شرح مجد الدين الشيرازي) صاحب القاموس، و (شرح الشيخ

أكمل الدين)، و(شرح الفاضل ابن الملك)، وغير ذلك. ومصنفو هذه الكتب قد سبقوا كلهم أو جلهم.

علم أسباب ورود الأحاديث وأزمنته وأمكنته

وموضوعه ظاهر من اسمه. ومنفعته عظيمة لا تخفى على أحد. وسمعت كتباً مصنفة في هذا الفن، لكن ما رأيتها.

علم ناسخ الحديث ومنسوخه

وموضوعه ظاهر جداً. وفائدته وغرضه لا يخفى بل (هو) أصل من أصول الشريعة، وعليه تدور أكثر الأحكام. وقد اعتنى بعض العلماء بتدوينه. وسمعت من الثقات كتاباً مدوناً في هذا العلم لكن لم يشتهر في بلادنا.

علم تأويل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا علم معلوم موضوعه، وبيّن نفعه، وظاهر غايته وغرضه. ورأيت رسالة في هذا العلم لمولانا شمس الدين الفناري، وهو من علماء بلادنا روح الله روحه، وقد استخرج للأحاديث تأويلات موافقة للشرع بحيث يقول: من رآها لله دره، وعلم الله أجره. وكانت الرسالة عندي ثم ضاعت عني. وأيضاً للشيخ صدر الدين (شرح بعض الأحاديث) على التأويلات لكن بعضها مخالف لما عرف من ظاهر الشرع مثل قوله: إن الفلك الأطلس المسمى بلسان الشرع العرش وملك الثوابت المسمى عند أهل الشرع الكرسي، قديمان. وأحال ذلك إلى الكشف الصحيح، والعيان الصريح، وادعى أن هذا غير مخالف للشرع، لأن الوارد فيه حدوث السموات السبع والأرضين وما عليهن، إلا أن هذا الشيخ قدس سره قد أبدع في سائر التأويلات بحيث ينشرح له الصدر والبال، والله أعلم بحقيقة الحال.

علم رموز أقوال النبي وإشارته

صلى الله عليه وسلم

وهذا علم ظاهر الموضوع و باهر النفع. ولا يخفى غايته وغرضه. وفي هذا العلم تصنيف لطيف لكن لم أتذكر اسمه الآن.

علم غرائب لغات الحديث

وهذا العلم شريف موضوعه، ولطيف نفعه وغايته. ولقد صنَّف فيه العلامة الزمخشري كتاب (الفائق)، والإمام ابن الأثير الجزري كتاب (النهاية). وقد ذكرنا هذين الكتابين في علم اللغة لأن هذا العلم قد يعد من فروع علم اللغة أيضاً.

علم دفع مطاعن الحديث

وموضوعه ونفعه ظاهر لأولي الألباب من المسلمين الموحدين. وقد طعن طائفة من الملاحدة الملقبين بالقرامطة في أحاديث حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم بأوهام واهية وأكاذيب ساهية، يدل سياقها على كذبها، وتخبر صورتها عن الفرية في باطنها، إلا أن العلماء جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً، قد انتصبوا لدفع هذه الخرافات صوناً لعقائد عوام المسلمين عن التورط في أوهامهم الفاضحة بتقريرات كاملة، وتحريرات واضحة. اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل الكفرة والملحدين أعداء الدين بحرمة نبيك محمد الأمين (صلى الله عليه وسلم) وآله وصحبه الأكرمين (رضي الله عنهم أجمعين).

علم تلفيق الأحاديث

وهو علم يبحث فيه عن التوفيق بين الأحاديث المتنافية ظاهراً، أما بتخصيص العام تارة، أو بتقييد المطلق أخرى، أو بالحمل على تعدد الحادثة أخرى، إلى غير ذلك من وجوه التأويل. وكثيراً ما يورده شراح الحديث أثناء شروحهم، إلا أن بعضاً من العلماء قد اعتنى بذلك، فدونوه على حدة.

والتصانيف الواقعة فيه قلما توجد عند الطلاب، يجدها من يطلبها.

علم أحوال رواة الأحاديث

من وفياتهم وقبائلهم وأوطانهم وجرحهم وتعديلهم وغير ذلك من الأحوال.

وهذا العلم من فروع التواريخ من وجه، ومن فروع الأحاديث من وجه آخر. وقد صنَّف العلماء فيها تصانيف كثيرة، وقد ذكرنا نبذاً منها فيما سبق، فتذكر تفقه.

علم طب النبي صلى الله عليه وسلم

وهو علم باحث عن الأحاديث النبوية الواردة في طب المرضى. وقد اعتنى جماعة أشهرها ما جمعه ابن طرفان، وأفضلها ما جمعه الامام المستغفري، وهما ظاهران عند الطلاب. ولا يخفى نفع هذا العلم وغايته وغرضه على أولي الألباب.

المطلب الثالث

في فروع علم التفسير

واعلم أن علم القرآن بحر لا تنقضي عجائبه، وطود شامخ لا تتناول غرائبه. وله فروع لا تحصى وفنون لا تستقصى. ولنذكر منها ما يفي به قوة التحرير. ويحيط به نطاق التقرير.

علم معرفة المكي والمدني

صنَّف فيه جماعة، منهم مكي والعز الدريني. وفائدته: معرفة المؤخر ليكون ناسخاً أو مخصصاً، وها هنا أقسام ذكرها أبو القاسم، الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، في (كتاب التنبيه)، ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه تزول المكي في المدني، وما

يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما اختلفوا فيه، فقال بعضهم مدني، وبعضهم مكي، فهذه ثلاثة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ولم يميز بينها، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى. ثم اختلفوا في المكي والمدني على ثلاثة اصطلاحات؛ أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة أم بمكة عام الفتح أم عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار. وقد رووا على ذلك أثراً والثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة. وعلى هذا يكون ما نزل بالأسفار واسطة بينهما، إلا أنه يدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها كبدر وأحد وسلع. الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

علم معرفة الحضري والسفري

وموضوعه ونفعه وغايته في غاية الظهور. وأمثلة الحضري كثيرة، وأما أمثلة السفري فقد ضبطوها، وارتقت إلى نيف وأربعين، استقصاها السيوطي في الإتقان.

علم معرفة النهاري والليلي

وموضوعه وغايته ومنفعته ظاهرة على الناظرين. قالوا: نزل أكثر القرآن نهاراً، وأما الليلي فقد تتبعوه فبلغ إلى خمس عشرة آية ذكر في الإتقان.

علم معرفة الصيفي والشتائي

وأمر موضوعه وغايته ومنفعته لا يخفى. قال الواحدي: أنزل الله تعالى في الكلالة آيتين إحداهما، وهي التي في أول النساء في الشتاء، والأخرى وهي

التي في آخرها في الصيف. ومن الصيفي ما نزل في حجة الوداع كأول المائدة، وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[1]، ﴿واتقوا يوماً ترجعون﴾[2]، وآية الدين، وسورة النصر، والآيات التي نزلت في غزوة تبوك ومن الشتائي آية الافك، والآيات التي في غزوة الخندق.

علم معرفة الفراشي والنومي

وأمر الموضوع والنفع كما مر. من أمثلة الفراشي: «والله يعصمك من الناس»، وآية: الثلاثة الذين خلفوا. وأما النومي، فسورة الكوثر، لما روى مسلم عن أنس (رضي الله عنه)، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، إذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلت: ما أضحكك يا رسول الله، فقال: أنزل علي آنفاً سورة، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر.﴾[3] قال الإمام الرافعي في (أماليه): فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الاغفاءة، وقالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم، لأن رؤيا الأنبياء وحي، قال: وهذا صحيح، لكن الأشبه أن يقال أن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة، فقرأها عليهم وفسرها لهم. قال: وورد في بعض الروايات أنه أغمى عليه، وقد يحمل ذلك على الحالة التي تعتري عند نزول الوحي ويقال لها برحاء الوحي، انتهى. قال السيوطي: الذي قاله الرافعي في (غاية الاتجاه)، وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه، والتأويل الأخير أصح من الأول، لأن قوله (صلى الله عليه وسلم): أنزل علي آنفاً يدفع نزولها قبل ذلك. قلت: وكذا يؤيده قول أنس: بين أظهرنا، إذ النوم لا يكون بين جمع كثير عادة سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأيضاً قال: ثم رفع رأسه ولم يقل: ثم استيقظ،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨١.

(٣) سورة الكوثر، الآيات: ١، ٢، ٣.

أو ثم قام من مضجعه، وما أشبه ذلك. وقوله: أنزل علي سورة فقرأ إلى آخرها، يدل على أنها لم تنزل قبل ذلك، ولو كان كذلك لقال سورة الكوثر، ولم يحتج إلى قراءة السورة بتمامها، فاندفع التوجيه الأول.

علم معرفة الأرضي والسماوي

أما الأرضي فظاهر، وأما السماوي فما نزل ليلة المعراج كالآيتين من آخر سورة البقرة. وأخرج مسلم عن ابن مسعود: «لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى إلى سدرة المنتهى».. الحديث. وفيه «فأعطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها ثلاثاً أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من أمته بالله شيئاً المقحمات». وفي الكامل للهزلي: أنزلت ﴿آمن الرسول﴾ الى آخرها بقاب قوسين. قال ابن العربي: إن من القرآن سمائياً وأرضياً وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار. أما الأرضي والسمائي فظاهران، وأما ما نزل بين السماء والأرض فلعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض، كالتي نزلت ليلة المعراج. قال ابن العربي: وأما ما نزل تحت الأرض في الغار فسورة المرسلات كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

علم معرفة أول ما نزل

والأمر في أحواله ظاهر. وفي أول ما نزل أقوال. أحدها، وهو الصحيح: ﴿اقرأ باسم ربك﴾[1]، رواه الشيخان في صحيحهما والحاكم في (المستدرك) والبيهقي في (الدلائل) والطبراني في (الكبير). وثانيها: ﴿يا أيها المدثر﴾[2]، رواه الشيخان. والتوفيق أن أول سورة نزلت المدثر، فلا تنافي في أن يكون صدر سورة القلم أول ما نزل على الإطلاق، والمدثر أول بالنسبة إلى ما بعد فترة الوحي لا مطلقاً. أو يقال: أولية المدثر اجتهاد جابر لا روايته، وأولية اقرأ

---

(١) سورة العلق، آية: ١.

(٢) سورة المدثر، آية: ١.

رواية عائشة، فيقدم عليه. وثالثها: سورة الفاتحة، وإليه ذهب أكثر المفسرين، وقد رواه عمرو بن شرحبيل مرسلاً. وأجيب بأنه يحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه اقرأ والمدثر، إذ حاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم، ناداه جبريل، فقال: قل يا محمد، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين.. حتى بلغ ولا الضالين، إذ يحتمل أن لا يكون هذا النداء أول نداء له، وأول قراءة قرأ عليه. ورابعها: بسم الله الرحمن الرحيم، روى ذلك عن عكرمة والحسن وعن إبن عباس. وأجيب بأن هذا لا يعد قولاً برأسه، فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق.

أما آخر سورة نزلت براءة. وآخر آية نزلت يستفتونك، وقيل آية الربا، وقيل آية الدين. والتوفيق بين الأخيرين أنهما نزلتا دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنهما في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح. والمآل إلى تلقيب الآية بآية الربا تارة وآية الدين أخرى لاشتمالها على كل منهما. وما ذكر من أن آخر ما نزلت يستفتونك مقيداً أي آخر ما نزلت في شأن الفرائض هذه. وقيل آخر آية نزلت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[1] إلى آخر السورة. رواه أبي بن كعب. وقيل آخر آية نزلت: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾[2] الآية. وأول هذه بأنه لم ينزل بعدها آية تنسخها بل هي محكمة. وأول البيهقي هذه الأقوال بأن كل واحد أجاب بما عنده. قلت: ولا ينفع هذا التأويل أصلاً. وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها حديث مرفوع، وكل ما قاله بضرب من اجتهاده، وغلبة ظنه. ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك، وان لم يسمعه هو، ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب.. انتهى من

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(الإتقان). وتنزل آيات فيؤمر برسم آخر ما نزل أولاً وأوله آخراً فيظن الآخر في الترتيب آخر ما نزل، وفي الأقوال كثرة.

علم معرفة سبب النزول

والنزول قسمان: ابتدائي؛ أو عقيب سؤال أو حادثة. صنَّف فيه علي بن المديني شيخ البخاري، وصنَّف فيه الواحدي، واختصره الجعبري، فحذف أسانيده ولم يزد فيه شيئاً. وألف فيه شيخ الإسلام ابن حجر، إلا أنه مات، فبقي في المسودة، وألف فيه السيوطي كتاباً حافلاً سمَّاه: (لباب النقول في أسباب النزول).

وفي هذا العلم فوائد: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم وتخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، وأن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، والوقوف على المعنى، إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية بدون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها. مثلاً: قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[1]، يقتضي عدم وجوب استقبال القبلة، وهو خلاف الإجماع، ولا يعلم ذلك إلا بأن نزولها في نافلة السفر، وفيمن صلى بالتحري. وكذا قوله تعالى: ﴿أن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[2]. الآية، يقتضي عدم وجوب السعي بينهما، ولا يعلم ذلك إلا بما بينت عائشة رضي الله عنها بأن نزولها في أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية.

ومن فوائد معرفة سبب النزول دفع توهم الحصر، ومعرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها. وإذا عرفت هذه الفوائد تعرف بطلان زعم من زعم، أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ.

اعلم أن المحققين من أهل الأصول على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(١) سورة البقرة، آية: ١١٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٨.

السبب، حتى أنه كل من آية نزلت في أسباب، وهم عدوها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظهار في مسلمة بن صخر، وآية اللعان في هلال بن أمية، وحد القذف في رماة عائشة رضي الله عنها. ولا عبرة بمن لا يعتبر عموم اللفظ. والتفصيل فيه في علم الأصول.

واعلم أن صورة السبب للنزول: قطعية الدخول في العام، ثم إذا نزلت آيات على أسباب خاصة، توضع معها ما يناسبها من الآى العامة، رعاية لنظم القرآن وحسن السياقة، فيكون ذلك الخاص قريباً من صورة السبب في كونه قطعي الدخول في العام، كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرد. -

فائدة: قال الواحدي: لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها. وقيل: قول الصحابي، نزلت الآية في كذا، يراد به تارة سبب النزول، و يراد به تارة أن ذلك داخل في الآية. و يشترط في سبب النزول، أن يكون نزولها أيام وقوع الحادثة، وإلا كان ذلك من باب الأخبار عن الوقائع الماضية كقصة الفيل، وقصة قوم نوح وأمثالها. ثم اختلفوا في قول الصحابي: نزلت الآية في كذا، هل هو في حكم المسند بناء على أنه لا طريق لمعرفته غير السماع، أم يكون من باب التفسير من الصحابي. وأيضاً إذا وقع من التابعي فهو مرفوع أيضاً، لكنه مرسل، و يقبل إذا صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك.

فائدة: كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة، وقد تقدم أن قولهم: نزلت في كذا يراد به التفسير، فلا منافاة بين التفسيرين إذا كان اللفظ يتناولها، وإلا فإن كان اسناد أحدهما صحيحاً فهو المعتمد، وإن قال واحد: نزلت في كذا، وصرح الآخر بأن سببه كذا وهما متحالفان. فالمصرح بالسببية هو المعتمد عليه، وما قيل نزلت فهو الاستنباط.

علم معرفة ما نزل على لسان بعض الصحابة

هو في الحقيقة من أسباب النزول. وقد أفرد بالتصنيف جماعة موافقات عمر. قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث؛ قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى، فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[١]؛ وقلت: يا رسول الله، ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب؛ واجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك. وأمثال هذه كثيرة، يعرفها من تتبع كتب الأحاديث.

علم معرفة ما تكرر نزوله

قال الزركشي في البرهان: قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه. والحكمة في هذا أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة يقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها تذكيراً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه والأحرف السبعة للقرآن من قبيل تكرار النزول. وبهذا عرفت بطلان ما قيل: ليس في القرآن ما هو مكرر النزول، إذ لا فائدة فيه لأنه تحصيل الحاصل.

علم معرفة ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

مثال الأول قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد﴾[٢] فالسورة مكية.

وقد ظهر أثر الحل يوم فتح مكة، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «أحلت لي ساعة من نهار». وكذلك نزل بمكة: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾. قال

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٢) سورة البلد، الآيات: ١، ٢.

عمر رضي الله عنه: فأي جمع. فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش، نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف يقول: «سيهزم الجمع و يولون الدبر»، فكانت ليوم بدر.

ومثال الثاني آية الوضوء، فالآية مدنية اجماعاً، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة. قيل: والحكمة فيه أن فرض أولاً ثم نزلت الآية ليكون فرضه متلواً أو كآية الجمعة فأنها مدنية والجمعة فرضت بمكة.

علم معرفة ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً

مثال الأول في: ﴿إقرأ﴾، أول ما نزل إلى قوله تعالى: ﴿ما لم يعلم﴾، والضحى أول ما نزل منها إلى قوله تعالى: ﴿فترضى﴾.

مثال الثاني سورة الفاتحة والإخلاص والكوثر وتبت والمعوذتان نزلتا معاً والنصر، ولم يكن هذا كله في السور القصار وفي الطوال المرسلات وسورة الصف وسورة الأنعام.

علم معرفة ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً

وغالب القرآن نزل به جبريل مفرداً بلا تشييع. وأما المشيع فسورة الأنعام، شيعها سبعون ألف ملك. وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك. وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك. وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك وآية ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ نزلت ومعها عشرون ألف ملك، قيل وسورة الكهف أيضاً شيعها سبعون ألف ملك.

علم معرفة ما نزل على بعض الأنبياء
وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم

ومن الثاني فاتحة الكتاب وآية الكرسي وخاتمة البقرة. روى مسلم عن ابن عباس: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك، فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم

يؤتها نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة. وفي بعض الأحاديث ذكر آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة.

ومن الأول ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾(١). وعن أبي ميسرة أن أول سورة الجمعة مكتوب في التوراة. وعن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: بسم الله الرحمن الرحيم لم ينزل على نبي بعد سليمان غيري. وعن كعب: أول ما أنزل في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام: ﴿قل تعالوا أتل عليكم ما حرم ربكم..﴾(٢) إلى آخرها وعنه أيضاً: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام وخاتمتها خاتمة هود: ﴿فاعبده وتوكل عليه..﴾(٣) إلى آخرها. وعنه: فتحت التوراة بأول الأنعام إلى قوله يعدلون، وختمت بالحمد لله الذي لم يتخذ ولداً.. إلى قوله وكبره تكبيراً. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال إنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونبياً وحرزاً للأميين..» الحديث. وعن أبي إمامة قال: أنزل الله على إبراهيم كما أنزل على محمد: «التائبون العابدون..» إلى قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾؛ و ﴿قد أفلح المؤمنون..﴾ إلى قوله ﴿فيها خالدون﴾ و ﴿إن المسلمين والمسلمات..﴾ الآية، والتي في «سأل سائل»، و ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون..﴾ إلى قوله تعالى ﴿قائمون﴾، فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم.

علم معرفة كيفية انزال القرآن

وفيها ثلاثة أقوال: الأول، وهو الأصح الأشهر: نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في ثلاث أو خمس وعشرين أو عشرين على حسب الإختلاف في مدة اقامته بمكة بعد البعثة.

الثاني: أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدراً أو ثلاث وعشرين أو

(١) سورة الأعلى، آية: ٨٧.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.
(٣) سورة هود، آية: ١٢٣.

خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة، وهذا القول نقله مقاتل، وقال به الحليمي والماوردي، وذكره فخر الدين الرازي بقوله: ويحتمل، ثم توقف: هل هذا أولى أو الأول.

الثالث: أنه ابتدىء انزاله ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات، وها هنا قول رابع غير مشهور، وهو أنه نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة.

واعلم أن العلماء اختلفوا في معنى الانزال. منهم من قال: اظهار القراءة. ومنهم من قال: ألهم كلامه جبريل وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض. ومنهم من قال: يتلقفه الملك من الله تلقفاً روحانياً أو يحفظه من اللوح المحفوظ، فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه. ومنهم من قال: الذين يقولون القرآن معنى قائم بذاته تعالى يقولون انزاله ايجاد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى وإثباته في اللوح، والذين يقولون إنه اللفظ فإنزاله مجرد اثباته في اللوح. ثم في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللفظ والمعنى؛ وثانيها: أن جبريل نزل بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم علمها عبر عنها بلغة العرب، وتمسك بظاهر قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾؛ وثالثها: أن جبريل ألقى عليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماء يقرأونه بالعربية، ثم نزل به كذلك بعد ذلك.

ومنهم من قال: كلام الله المنزل قسمان: قسم قال الله تعالى لجبريل عليه السلام: قل له كذا وكذا، فيجوز تعبيره بعبارة نفسه؛ وقسم قال له: اقرأ عليه كذا وكذا، فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً، فالقرآن هو القسم الثاني؛ والقسم الأول هو السنة كما ورد أن جبريل نزل بالسنة كما ينزل بالقرآن، ولهذا لم يجز تغيير نظم القرآن وجاز تغيير لفظ السنة.

واعلم أن في التنزيل طريقين؛ أحدهما: انخلاع النبي صلى الله عليه وسلم من صورة البشرية إلى صورة الملكية، ثم أخذه من الملك؛ وثانيهما: تمثل الملك بصورة البشرية حتى يأخذه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منه. والأول أصعب الحالين ثم كيفية سماعه على وجوه: تارة يسمعه كصلصلة الجرس، وهذه الحالة أشد الحالات عليه.

وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما من مرة يوحي اليّ إلا ظننت أن نفسي تقبض. قيل: إنما ينزل كذا إذا أنزلت آية وعيد أو تهديد؛ وتارة ينفث في روعه الكلام نفثاً، كما قال: أن روح القدس نفث في روعي؛ وتارة يأتيه الرجل فيكلمه، كما قال: وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، وفي رواية: وهو أهونه علي؛ وتارة يأتيه الملك في النوم؛ وتارة يكلمه الله، إما في اليقظة، كما في ليلة الاسراء، أو في النوم، كما في حديث معاذ: «أتاني ربي فقال فيم يختصم الملأ الأعلى...» الحديث، وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم.

فائدة: عن سفيان الثوري قال: لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه.

علم معرفة أسمائه وأسماء سورة

قال الجاحظ: سمى الله كلامة أسماء مخالفاً كما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل: سمى جملته قرآناً، كما سموا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية.

واعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً: كتاباً مبيناً، وقرآناً، وكريماً، وكلاماً، ونوراً، وهدى، ورحمة، وفرقاناً، وشفاء، وموعظة، وذكراً، ومباركاً، وعلياً، وحكمة، وحكيماً، ومهيمناً، وحبلاً، وصراطاً مستقيماً، وقيماً، وقولاً، وفصلاً، ونبأ عظيماً، وأحسن الحديث، ومثاني، ومتشابهاً، وتنزيلاً، وروحاً، ووحياً، وعربياً، وبصائر، وبياناً، وعلماً، وحقاً، وهادياً، وعجباً، وتذكرة، والعروة الوثقى، وصدقاً، وعدلاً، وأمراً، ومنادياً، وبشرى،

ومجيداً، وزبوراً، وبشيراً، ونذيراً، وعزيزاً، وبلاغاً، وقصصاً، وسماه أربعة أسماء في آية واحدة: صحف، مكرمة، مرفوعة، مطهرة.. انتهى.

ثم أن السورة قد يكون لها اسم واحد، وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر، لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. من ذلك الفاتحة، ولها نيف وعشرون اسماً: فاتحة الكتاب، فاتحة القرآن، أم الكتاب، أم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الوافية، الكنز، الكافية، الأساس، النور، سورة الحمد، وسورة الشكر، سورة الحمد الأولى، وسورة الحمد القصرى، الرقية، والشفاء، الشافعية، سورة الصلاة، والصلاة، وسورة الدعاء، وسورة السؤال، وسورة تعليم المسألة، وسورة المناجاة، وسورة التفويض.

علم معرفة جمعه وترتيبه

قال الحاكم في المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرات؛

الأولى: بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم. قيل: وكانوا يكتبون في العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم، والأكتاف والأضلاع والأقتاب. وكان ذلك جمع الآيات المفرقة في سورها بإشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الخلفاء الراشدون ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة.

والثانية: بحضرة أبي بكر. روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت، قال: أرسل إليّ أبو بكر غداة مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر بقراءة القرآن، وأني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن وأني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: أنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن، فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان

أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن، أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: ﴿لقد جاءكم رسول...﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر.

والثالثة: هو ترتيب السور في زمن عثمان رضي الله عنه. روى البخاري عن أنس عن حذيفة بن اليمان: قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية آذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة، أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارس بن هشام فنسخوها في المصاحف. قيل: وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القراءات في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال: ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها، فالتمسناها، فوجدنا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[1] فألحقناها في سورتها بالمصحف. قال ابن حجر: وكان ذلك في سنة خمس وعشرين، فإن قلت: الآية إذا كانت مع واحد، فكيف تكون متواترة، قلت: الآية متواترة وتفصيلها (وقع عن) واحد، وعند ذكر ذلك الواحد تذكر الكل فتواترت. ثم أن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الآفاق خمسة على المشهور. وروى عن أبي حاتم السجستاني أنها سبعة: أرسل إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وحبس بالمدينة واحداً.

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

واعلم أن الاجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توفيقي لا شبهة في ذلك. وقد نقل الاجماع الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته. وأما النصوص فكثيرة يعرفها من تتبع كتبْ الأحاديث. وأيضاً ترتيب السور أيضاً توقيفي، وترتيبها على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ذكره السيوطي في الا تقان.

علم معرفة عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه .

أما سوره فمائة وأربع عشرة بإجماع من يعتد به. وقيل: مائة وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة. وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين، وفي مصحف أبي ست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفر والخلع وهما هاتان: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم أنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك. بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد. وإليك نسعى ونحفد. نرجو رحمتك. ونخشى عذابك. إن عذابك بالكافرين ملحق. وروى أن مصحف أبي مائة وست عشرة سورة، والصواب أنه خمس عشرة، فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة.

قيل: الحكمة في تسوير القرآن سوراً تحقيق كون السورة بمجردها معجزة، وآية من آيات الله، والإشارة إلى أن كلا منها نمط مستقل، وإنما اختلفت بالطوال والقصار تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الاعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وأنها معجزة أعجاز سورة البقرة. وأيضاً فيه سهولة التعليم وتدريج الأطفال من القصار إلى الطوال تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه. وأيضاً ماله أجناس وأصناف أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً. وأيضاً حفظه شيئاً فشيئاً أنشط للقارىء، وأبعث على التحصيل. وأيضاً الحافظ إذا حدق السورة يعظم عنده ما حفظه.

قيل: ولم تكن الكتب السالفة كذلك لأنها لم تكن معجزات من جهة النظم والترتيب وأنها لم تيسر للحفظ، إلا أن المروي عن قتادة أن الزبور مائة

وخمسون سورة كلها مواعظ، وذكروا أن في الإنجيل سورة تسمى سورة الأشبال.

وأما عدد الآى فعن إبن عباس أنها ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية. وجميع حروفه ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وواحد وسبعون حرفاً. قال الداني: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، واختلفوا فيما زاد على ذلك؛ فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات. وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون، وقيل: وست وعشرون.

فائدة:

الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع مَندرج في سورة. وقيل: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها. والاتفاق على أنها توقيفية لا مجال للقياس فيه؛ ولهذا عد «الم» و«المص» آية، ولم يعد «المر» و«الر» آية. ثم أن القوم ذكروا عدد آيات كل سورة على حدة، وذلك خارج عن طوقنا.

قال الهذلي في كامله: أعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتى قال الزعفراني: العدد ليس بعلم، وإنما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه. قال: وليس كذلك، ففيه من الفوائد: معرفة الوقف، ولأن الاجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية، وقال جمع من العلماء: تجزي بآية، وآخرون بثلاث آيات، والآخرون: لا بد من سبع، والاعجاز لا يقع بدون آية، فللعدد فائدة عظيمة في ذلك.. انتهى.

وأما كلمات القرآن سبعة وسبعون ألف كلمة وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة وقيل: وأربعمائة وسبع وثلاثون، وقيل: ومائتان وسبع وسبعون، وقيل غير ذلك. وسبب الاختلاف أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز.. قال السخاوي: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة لأن ذلك إن أفاد، فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك. ثم أن بعضاً من القراء

جعل للقرآن العظيم اتصافاً باعتبارات؛ فنصفه بالحروف «النون» من نكرا في الكهف، «والكاف» من النصف الثاني؛ ونصفه بالكلمات الدال من قوله تعالى: والجلود، في الحج، وقوله ولهم مقامع من النصف الثاني؛ ونصفه بالآيات يأفكون من سورة الشعراء، وقوله: فألقى السحرة، من النصف الثاني؛ ونصفه على عدد السور آخر الحديد والمجادلة من النصف الثاني وهو عشرة بالأحزاب، وقيل: إن النصف بالحروف «الكاف» من نكرا، وقيل «الفاء» من قوله وليتلطف.

علم معرفة حفاظه ورواته

واعلم أنك قد عرفت أئمة القراء فيما سبق بحيث لا تحتاج إلى المزيد عليه فارجع إليه.

علم معرفة العالي والنازل من أسانيده

اعلم أن طلب الاسناد سنة، فإنه قرب إلى الله تعالى؛ وهذا خمسة أقسام.. أفضلها وأعلاها القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلاه في هذا الزمان (ستة) عشر رجلاً من قراءة ابن عامر من رواية ذكوان، ثم سبعة عشر من قراءة عاصم من رواية حفص وقراءة يعقوب من رواية ورش ثم القرب إلى إمام من أئمة القراءة. وأعلاه في هذا الزمان إلى نافع أربعة عشر وإلى ابن عامر أربعة عشر؛ ثم العلو بالنسبة إلى الكتب المشهورة كالتيسير والشاطبية، وهذا بمنزلة علو المحدثين بالنسبة إلى رواية الكتب الستة. ويقع في هذا النوع الموافقات والابدال والمساواة والمصافحات. وهذه الأقسام كما تعتبر في القراءة تعتبر في الحديث أيضاً من غير فرق. فالموافقة: أن يجتمع طريقه مع أحد أصحاب الكتب في شيخه؛ وقد يكون مع علو على ما رواه من طريقه، وقد لا يكون. والبدل: أن يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعداً، وقد يكون أيضاً بعلو وقد لا يكون. والمساواة: أن يكون بين الراوي والنبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابي أو من دونه إلى شيخ أحد أصحاب الكتب كما بين أصحاب الكتب والنبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابي أو من دونه على ما ذكر من العدد.

والمصافحة: أن يكون أكثر عدداً منه بواحدة فكأنه لقي صاحب ذلك الكتاب وصافحه. ومن أقسام العلو تقدم وفاة الشيخ عن قرينه الذي أخذ عن شيخ ذلك الشيخ. ومن أقسامه أيضاً، العلو بموت الشيخ، لا مع التفات إلى أمر آخر أو شيخ آخر متى يكون. قال بعضهم: يوصف الاسناد بالعلو، إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة، وقال ابن منده ثلاثون سنة.

واعلم أن هذه الأقسام الخمسة للعلو مما اعتبره المحدثون في السند أولاً، لكن يمكن اعتباره في سند القراء أيضاً من غير فرق. وإذا عرفت العلو بأقسامه عرفت النزول فإنه ضده، وحيث ذم النزول، فهو ما لم ينجبر بكون رجاله أعلم أو أحفظ أو أتقن أو أجل أو أشهر أو أورع، أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول.

علم معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج

قال القاضي جلال الدين البلقيني: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ. فالمتواتر: السبعة المشهورة. والآحاد: الثلاثة التي هي تمام العشرة ويلحق بها قراءات الصحابة. والشاذ: قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب، وابن جبير، ونحوهم. واعلم أن هذا كلام ظاهري، والتحقيق فيه ما ذكره أبو الخير ابن الجزري في (كتاب النشر): كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت إحدى المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف. صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة.

قال أبو شامة في (المرشد الوجيز): لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت في ذلك

الضابط، بل أن نقل عن غيرهم، فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم. ثم قال ابن الجزري: فقولنا في الضابط ولو بوجه يزيد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالاسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم، والركن الأقوم، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر انكارهم كاسكان: بارئكم و يأمركم، وخفض: والأرحام، ونصب: ليجزي قوماً، والفصل بين المضافين في: قتل أولادهم شركائهم، وغير ذلك. قال الداني: وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشاء في اللغة وإلا قيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية، لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة بلزم قبولها والمصير إليها. ثم قال ابن الجزري: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر: «قالوا اتخذ الله» في البقرة بغير واو، و بالزبر و بالكتاب باثبات الباء فيهما فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير: «تجري من تحتها الأنهار» في آخر براءة بزيادة من، فإنه ثابت في المصحف المكي، ونحو ذلك. فإن لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه. وقولنا ولو احتمالاً نعني به ما وافقه ولو تقديراً كملك يوم الدين، فإنه كتب في الجميع بلا ألف، فقراءة الحذف توافقه تحقيقاً، وقراءة الألف توافقه تقديراً لحذفها في الخط اختصاراً. ومن هذا القبيل: الصراط، أصله بالسين فالصاد توافقه تحقيقاً والسين تقديراً، حتى لو كتب بالسين لم يجز قراءة الصاد لعدم توافقه حينئذ أصلاً. ثم قال: وقولنا وصح سندها نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، وهكذا حتى تنتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم. قال: وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر. قال: وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت

لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره إذا ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجب قبوله، وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم لا.

إذا عرفت هذا فقد تحرر لك منه أنواع القراءات

الأول؛ المتواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب من مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

الثاني؛ المشهور: وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء.

الثالث الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به.

الرابع الشاذ: وهو ما لم يصح سنده، من ذلك قراءة ﴿مالك يوم الدين﴾[1] بصيغة الماضي، ونصب يوم.

الخامس الموضوع: كقراءات الخزاعي.

السادس المدرج: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص: «له أخت» أو أخت من أم، وقراءة ابن عباس ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾[2] في مواسم الحج، وقراءة ابن الزبير: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[3] ويستعينون بالله على ما أصابهم، وجزم ابن الأنباري بأنه تفسير.

قال ابن الجزري في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة أيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً، فهم

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه، وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب، انتهى.

علم معرفة بيان الموصول لفظاً المفصول معنى

وهذا العلم أصل كبير عظيم النفع جداً وبه يحصل حل كثير من الإشكالات. من ذلك؛ قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ إلى قوله ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾[1]، فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهم من السياق، لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الاشراك إليهما، مع أن الاجماع منعقد على أن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها، فظهر منه أن آخر الآية مفصول عن قصة آدم وحواء. وعن السدي: هذه مفصولة من آية آدم خاصة في آلهة العرب وعن السدي عن أبي مالك، قال: هذه مفصولة؛ أطاعاه في الولد، ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ هذه لقوم محمد، فظهر منه أن الآية من الموصول المفصول، ويوضح ذلك تغيير الضمير بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال «عما يشركان»، وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون﴾[2] الآية، فإنه على تقدير الوصل يكون الراسخون يعلمون تأويله، مع أن الآية دلت على ذم متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ، فظهر أن ذلك مفصول.

علم معرفة الامالة والفتح وما بينها وكذا
علم معرفة الأدغام والإظهار والاخفاء والأقلاب

كل هذه مفصلة في علم القراءة فليعلم من كتبها.

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٨٩، ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧.

علم معرفة المد والقصر

علم معرفة تحقيق الهمزة

وقد أفرد جماعة بالتصنيف في هذه العلوم الثلاثة.

علم معرفة كيفية تحمل القرآن

اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة لئلا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف. وتعليمه أيضاً فرض كفاية وهو من أفضل القرب؛ ففي الصحيح: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأوجه التحمل عند أهل الحديث السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والاجازة والمكاتبة والوصية والأعلام والوجادة. وأما عند القراءة فلا يتأتى غير الأولين.

أما القراءة على الشيخ، فهي المستعملة سلفاً وخلفاً. وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به ها هنا، لأن الصحابة انما أخذوا القرآن من فيِّ النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم يأخذ به أحد من القراء لأحتياجهم على التمرن في الأداء، وعدم احتياج الصحابة إلى ذلك لنزول القرآن بلغتهم وقدرتهم على الأداء لفصاحتهم.

وأما الحديث، فلما كان المقصود منه المعنى أو اللفظ لا الهيئات اكتفوا فيها بالسماع سلفاً وخلفاً، ومما يدل على فضيلة القراءة على الشيخ عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في رمضان كل عام.

يحكى أن الشيخ شمس الدين الجزري لما قدم القاهرة وازدحم عليه الخلق، لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة، فلم يكتف بقراءته. ويجوز القراءة على الشيخ عند قراءة غيره عليه، إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم، كما كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة، وهو يرد على كل منهم. وكذا لو كان الشيخ مشتغلاً بشغل آخر كنسخ ومطالعة. وأما القراءة من

الحفظ، فالظاهر أنها ليست بشرط، بل يكفي ولو من المصحف. ثم أن قدر ما يقرأ حال الأخذ، عشر آيات لكائن من كان، وعليه الصدر الأول، وأما من بعدهم فبقدر قوة الآخذ، وعند ابن الجزري الأخذ في الأفراد بجزء من أجزاء مائة وعشرين، وفي الجمع من أجزاء مائتين وأربعين، ولم يحد له آخرون حداً وهو اختيار السخاوي.

قيل: لا يجوز رواية الحديث بدون الإجازة. وأما القرآن، ففيه وجهان: في وجه لا يجوز لأن الاحتياط فيه أكثر؛ وفي وجه يجوز، وهو الظاهر، إذ القرآن محفوظ متلقى متداول ميسر ولا كذلك الحديث. وأما اقراء العلوم وافادتها، وكذا الافتاء، فلا يشترط الإجازة بل الأهلية لها فقط، وعلى ذلك السلف الصالح والصدر الأول، وإنما اصطلح الناس على الإجازة ليعرف المبتدي أهلية الشيخ، فجعلت الاجازة كالشهادة من الشيخ المجاز بالأهلية. ومما وجب معرفته هاهنا، أن أخذ المال في مقابلة الاجازة لا يجوز، وأما أخذه من المال حرام، بل أن علم أهليته، تجب الاجازة، وأن علم خلافها تحرم، وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز؛ وفي البخاري: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله». وقيل إن تعين عليه لم يجز، وقيل لا يجوز مطلقاً، وهو مذهب أبي حنيفة، إلا أن المتأخرين من أصحابه قالوا: لا بأس في أخذ الأجرة على تعليم القرآن وللتدريس، لظهور التواني والتكاسل في هذا الزمان، ولو منع ذلك لأنسد هذا الباب.

علم معرفة آداب تلاوته وتاليه

أفرده بالتصنيف جماعة، منهم النووي في (التبيان)، وتلك نيف وثلاثون أدباً.

منها: أنه يستحب الاكثار من القراءة والتلاوة والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى.

ومنها: أن نسيان القرآن بعد حفظه كبيرة، وقد ورد في ذلك حديث، وهو:

«عرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها».

ومنها: يستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار فيحرم على الجنب والحائض ويكره على متنجس الفم، وقيل يحرم. نعم يجوز للجنب والحائض النظر في المصحف وامراره على القلب.

ومنها: أنه تسن القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد، وكرهه قوم في الحمام والطريق، وقال النووي لا يكره فيهما.

ومنها: أن يستحب أن يجلس مستقبلاً القبلة متخشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه.

ومنها: ويسن أن يستاك تعظيماً وتطهيراً.

ومنها: أن يسن التعوذ قبل القراءة؛ قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[(١)] أي إذا أردت قراءته، وصفتها المختارة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ومنها: أن لا يترك البسملة في أول كل سورة سوى براءة لأن الأكثر على أنها آية.

ومنها: أنه لا يحتاج إلى النية كسائر الأذكار إلا إذا نذرها خارج الصلاة، فلا بد من نية النذر أو الفرض.

ومنها: أنه يسن الترتيل في قراءته؛ قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾[(٢)]، وفرق بينه وبين التحقيق، وهو أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين وهو اعطاء كل حرف حقه من اشباع المد واتمام الحركات، وغير ذلك. والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط وكل تحقيق ترتيل من غير عكس كلي.

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٨.

(٢) سورة المزمل، آية: ٤.

ومنها: أنه تسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، و به تنشرح الصدور وتستنير القلوب.

ومنها: لا بأس بتكرير الآية وترديدها.

ومنها: أنه يستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع.

ومنها: أنه يسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها.

ومنها: أنه يستحب قراءته بالتفخيم أي يقرأه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء.

ومنها: أنه قد يجهر وقد يسر لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكل فيستريح بالأسرار، إذ قد وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت وأحاديث تقتضي الأسرار وخفض الصوت. قلت: ولعل التوفيق بينهما أن نهى الجهر لمن أفرط حتى كاد يكل منه، ونهى الأسرار لمن أفرط حتى لم ينشط للقراءة، فالمسنون حينئذ، رعاية النشاط، ودفع الكلال.

ويختلف قدره باختلاف الطبائع، ولهذا لم ينه الجهر أو الاسرار على الاطلاق. وهذا التوفيق لم أسبق إليه ولله الحمد والمنة.

ومنها: أن القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه، لأن النظر فيه عبادة مطلوبة.

قيل: لو روعي حال الخشوع سواء كان في القراءة من الحفظ أو من المصحف لكان قولاً حسناً لاختلاف الحال هناك، وهذا مختار النووي. وحكى النووي قولاً آخر؛ وهو ترجيح القراءة من الحفظ مطلقاً، ونسبه إلى ابن عبد السلام، وعلله بأن فيه من التدبر ما لا يحصل في المصحف. قلت: وهذا يختلف باختلاف الطبائع و باختلاف الأحوال لا مطلقاً.

ومنها: إذا ارتج على القارىء، وأراد أن يسأل غيره، ينبغي أن يقرأ ما قبل الآية و يسكت، ولا يقول كيف كذا وكذا، إذ ربما يلبس عليه، وهكذا. ورد

الأثر عن ابن مسعود والنخعي و بشير بن أبي مسعود، قال ابن مجاهد: إذا شك في التذكير والتأنيث، كما في الياء والتاء فليقرأ على التذكير، وإذا شك أن الكلمة مهموزة أم لا فليترك الهمزة، وإن شك أن الحرف موصول أو مفصول فليقرأ بالوصل، وان شك في المد والقصر فليقرأ بالقصر، وان شك في فتح حرف وكسره فليقرأ بالفتح لأن الأول غير لحن في موضع والثاني لحن في بعض المواضع.

ومنها: أنه يكره قطع القراءة لمكالمة أحد، لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره، و يكره أيضاً الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي.

ومنها: أنه لا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً، سواء أحسن العربية أم لا، في الصلاة أم خارجها، لأن ذلك يذهب اعجازه. وما روى عن أبي حنيفة من تجو يزه فقد حكى عنه الرجوع عن ذلك.

ومنها: أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وقد جوز في غير الصلاة، وقد نقل الاجماع على عدم الجواز.

ومنها: أن الأولى القراءة على ترتيب المصحف لأنه يفوت ما في ترتيبه من الحكمة المرعية. قال ابن مسعود فيمن يقرأ القرآن منكوساً أنه منكوس القلب. وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه. وأما من ينتقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن؛ قال أبو عبيد: فإنما يفعله من لا علم له، لأن الله لو شاء لأنـزله على ذلك. وقد نقل القاضي أبو بكر الاجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة، لأن هذا التأليف مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذه عن جبريل، فالأولى بالقارىء أن يقرأ على التأليف المنقول.

وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم. قلت: وقد ظهر لك بهذا كراهة ما شاع بين طلبة زماننا، من أخذ بعض آيات من سورة الانعام و يزعمون أن الخواص الموجودة في السورة في هذه الآيات بخصوصها، وأنت تعرف أن هذا المسكين كيف اجترأ على هذا الافتئات، وخص الخواص ببعض

الآيات، وأخلى بعضها عنها. نعوذ بالله من ترك الأدب سيا مع الرب تعالى.

ومنها: أنه تسن القراءة على حرف واحد، ولا يخلط حرفاً آخر في مجلس واحد، وقيل ما دام الكلام مرتبطاً. وقد يمنع مطلقاً. والصواب أن الجمع ان لم يجز في العربية حرم، كمن يقرأ «فتلق آدم من ربه كلمات» برفع آدم على قراءة غير ابن كثير، ورفع كلمات على روايته. وما لم يكن كذلك، فإن كان رواية حرم أيضاً لأنه خلط الرواية، وأنه كذب وإن كان على سبيل التلاوة جاز.

ومنها: أنه يسن الاستماع وترك اللغط والحديث بحضور القراءة.

ومنها: أنه يسن السجود عند قراءة آية السجدة.

ومنها: أنه يختار الأوقات المحمودة والأيام الشريفة، وأفضل الأوقات ما كان في الصلاة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير، وما بين المغرب والعشاء محبوبة. وأفضل أوقات النهار بعد الصبح. ولا تكره في شيء من الأوقات لمعنى فيه، وما يقال من كراهة القراءة بعد العصر لأنها دراسة اليهود فلا أصل له. ويختار من الأيام يوم عرفة، ثم الجمعة، ثم الاثنين والخميس. ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان، والأول من ذي الحجة. ومن الشهور شهر رمضان. ويختار لابتدائه ليلة الجمعة، ويختمه ليلة الخميس.

والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل. وعن ابن المبارك: يستحب في الشتاء أول الليل وفي الصيف أول النهار.

ومنها: أنه يسن صوم يوم الختم.

ومنها: أنه يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن.

ومنها: أنه يسن الدعاء عقيب الختم.

ومنها: أنه يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختم.

ومنها: أنه روى عن الإمام أحمد المنع من تكرير سورة الاخلاص عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه. والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن

فيحصل بذلك ختمة. فإن قيل: فكان ينبغي أن يقرأ أربعاً ليصل ختمتين، قلت: المقصود اليقين بوقوع ختمة واحدة، وحاصله جبر ما وقع من الخلل في القراءة، وليحصل ثواب مضاعف.

ومنها: أنه يكره اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها.

ومنها: يكره أن يقول: نسيت آية كذا، بل يقول: أنسيتها.

ومنها: الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميت، والشافعي يخالفهم، لقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[1].

علم معرفة جواز الاقتباس وما جرى مجراه

إعلم أن الاقتباس: تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه، والقيد الأخير لاخراج أن يقال فيه قال الله تعالى أو نحوه، لأنه ليس باقتباس.

وقد اشتهر عن المالكية تحريمه، وتشديد النكير على فاعله. إلا أن استعمال القاضي عياض الإقتباس في مواضع من خطبة الشفاء يدل على جوازه، وقد يخص انكارهم بالنظم دون النثر، صرح بذلك القاضي أبو بكر من المالكية. وأما قدماء الشافعية فلم يتعرضوا له، وكذا أكثر متأخريهم، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم، واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً، إلا أن جماعة من متأخريهم تعرضوا له، فسئل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه واستدل بما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من قوله في الصلاة وغيرها: «وجهت وجهي..» إلى آخره، وقوله: «اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر». وفي سياق كلام لأبي بكر: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[2].. وفي آخر حديث لأ بن عمر: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[3]. انتهى. إلا أن هذا يدل على

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

(١) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

جوازه في النثر دون الشعر، وفي مقام المواعظ والثناء والدعاء دون غيرها. قال شرف الدين بن المقري في: (شرح البديعية): فما كان في الخطب والمواعظ، ومدحه صلى الله عليه وسلم، وبالجملة كلام يرجى له المثوبة عند الله تعالى، فمقبول ولو في النظم وغيره مردود. وفي: (شرح البديعية) لأبن حجة: الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود. فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود؛ والثاني: ما كان في الغزل والرسائل في القصص؛ والثالث على ضربين؛ أحدهما: ما نسبه الله إلى نفسه، وينقله القائل إلى نفسه، فنعوذ بالله منه، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله: إن الينا ايابهم ثم إن علينا حسابهم. والآخر: تضمين آية كلاماً فيه معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك؛ كقول الشاعر:

أوحى إلى عشاقه طرفه ... هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه ... لمثل هذا فليعمل العاملون

قال جلال الدين السيوطي: وهذا التقسيم حسن جداً، وبه أقول. وذكر الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته، في ترجمة الامام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، من كبار الشافعية وأجلائهم، أن من شعره قوله:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم انتهى ثم أرعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال: هذا الأستاذ من أئمة الدين، واستعماله مثل هذا الاقتباس في شعره دليل على جوازه، ولا عبرة بنهي الناس عنه. قال السيوطي: ما ذكره الأستاذ تضمين لا اقتباس لتصريحه بقول الله، وأما أخوه الشيخ بهاء الدين السبكي، فقد قال في: (عروس الأفراح): الورع اجتناب ذلك كله، وان تنزه عن مثله كلام الله ورسوله. قال السيوطي: رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء منهم أبو القاسم الرافعي، فقال، وأنشده في (أماليه)، ورواه عنه أئمة كبار:

الملك لله الذي عنت الوجو ... ه له وذلت عنده الأرباب
متفرد بالملك والسلطان قد ... خسر الذين تجاذبوه وخابوا

دعهم وزعم الملك يوم غرورهم فسيعلمون غداً من الكذاب

وروى البيهقي في: (شعب الإيمان)، عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، قال:

أنشدنا محمد بن محمد بن يزيد لنفسه:

سل الله من فضله واتقه فإن التقى خير ما يكتسب
ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب

ويقرب من الاقتباس شيئان؛ أحدهما: أن يقرأ القرآن ويراد به الكلام. قال النووي: فيه خلاف. روى عن النخعي الكراهة. ويفهم الجواز مما روى عن حكيم بن سعد، أن رجلاً من المحكمة، أتى علياً وهو في صلاة الصبح، فقال: «لئن أشركت ليحبطن عملك»، فأجابه في الصلاة: «فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون» انتهى. وقال غيره: يكره ضرب الأمثال من القرآن، صرح به من أصحابنا العماد التيمي تلميذ البغوي، كما نقله ابن الصلاح في فوائد رحلته.

وثانيهما: التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره، وهو جائز بلا شك. وروينا عن الشريف تقي الدين الحسيني أنه لما نظم:

مجاز حقيقتها فاعبروا ولا تعمروا هونوها تهن
وما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن

خشي أن يكون قد ارتكب حراماً لاستعماله هذه الألفاظ القرآنية في الشعر، فجاء إلى شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد يسأله عن ذلك فأنشده إياهما، فقال له: قل وما حسن كهف، فقال: يا سيدي، أفدتني وأفتيتني.

علم معرفة غريب القرآن

إعلم أن معرفة هذا الفن للمفسر ضروري، ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالاً وحروفاً. فالحروف لقلتها، تكلم النحاة في

معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم. وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب اللغة؛ وأكبرها: (كتاب ابن السيدة)، ومنها: (التهذيب) للأزهري.

و (المحكم) لأبن سيدة؛
و (الجامع) للفراء؛
و (الصحاح) للجوهري؛
و (البارع) للفارابي؛
و (مجمع البحرين) للصاغاني.

ومن الموضوعات في الأفعال: (كتاب ابن القوفية)، وابن الظريف، وللسرقسطي؛

ومن أجمعها (كتاب ابن القطاع). قال السيوطي: وأولى ما يرجع إليه في ذلك، ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه في تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة، وقد ذكر ما نقل عنه جلال الدين السيوطي في كتاب (الاتقان).

وممن أفرد هذا العلم بالتصنيف: أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد والعزيزي، وهذا أشهرها. قيل: قد أقام العزيزي في تأليف غريب القرآن خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري. ومن أحسنها: (مفردات الراغب). ولأبي حيان في ذلك (مختصر) مقدار كراستين.

قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري وكتاب (بصائر النظائر) واف في هذا العلم.

علم معرفة ما وقع فيه بغير لغة الحجاز

وقد أفردوه بالتصنيف. ذكره السيوطي في (الاتقان). قال أبو بكر الواسطي في كتابه (الارشاد) في القراءات العشر: في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش، وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، وأشعر، ونمير،

وقيس عيلان، وجرهم، واليمن، وأزد شنوءة، وكندة، وتميم، وحمير، ومدين، ولخم، وسعد العشيرة، وحضرموت، وسدوس، والعمالقة، وأنمار، وغسان، ومذحج، وخزاعة، وغطفان، وسبأ، وعمان، وبني حنيفة، وتغلب، وطيء، وعامر بن صعصعة، وأوس، ومزينة، وثقيف، وجذام، وبلي، وعذرة، وهوازن، والنمر، واليمامة. ومن غير العربية: الفرس، والروم، والقبط، والحبشة، والبربر، والسريانية، والعبرانية.

قيل: ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش إلا ثلاثة، لأن كلام قريش سهل لين واضح والغريب خلافه، وهي فسينغضون؛ وهو تحريك الرأس، مقيتاً مقتدراً، فشردبهم، سمع.

علم معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب

أفرده بالتصنيف السيوطي، وسماه (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب). واعلم أن الشافعي وابن جرير وأبا عبيدة والقاضي أبا بكر وابن فارس قالوا بعدم وقوعه في القرآن مستدلين بقوله تعالى ﴿قرآنا عربياً﴾، ونظائره. وشدد الشافعي النكير على القائل بذلك. قال أبو عبيدة: من زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول.

وقال ابن فارس: لو كان كذلك لربما توهم متوهم أن العرب إنما عجزت عنه لمكان لغات لا يعرفونها. وقال ابن جرير: ما وقع عن إبن عباس من تفسير ألفاظ غير عربية إنما هو من توافق اللغات، بل العرب العاربة قد اختلطت بسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظاً حتى جرت مجرى الفصيح، واستعملوها في أشعارهم ومحاوراتهم، ولهذا نزل بها القرآن.

وقال آخرون: كل هذه عربية صرفة، ولغة العرب متسعة جدالا يبعد أن لا يخفى على الأكابر الجلة، حتى نقل عن الشافعي أنه قال: لا يحيط باللغة إلا نبي، وذهب آخرون إلى وقوعه فيه، وقالوا: الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تنافي كونه قرآناً عربياً، واستدل بمنع صرف ابراهيم للعجمة والعلمية، ورد بأن الكلام في غير الأعلام. والحكمة في وقوعه، أن القرآن حوى علوم الأولين

والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، إلا أنه أختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب. قيل: لما وجب ذكر ثياب الجنة مثلاً، وكان ذكر المفرد أحسن، ذكر الاستبرق، إذ ثياب الحرير ليس في العرب، فليس له اسم مفرد في العرب، وعلى هذا القياس غيره.

وقد نظم القاضي تاج الدين السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في أبيات، وذيل الحافظ ابن حجر عليه، وذيل الحافظ جلال الدين السيوطي عليهما بالباقي، وهو بضع وستون فتمت أكثر من مائة لفظة، فقال السبكي:

السلسبيل وطه كورت بيع ... روم وطوبى وسجيل وكافور
والزنجبيل ومشكاة سرادق مع ... استبرق صلوات سندس طور
كذا قراطيس ربانيهم وغارق ... ثم دينار القسطاس مشهور
كذاك قسورة واليم ناشئة ... و يؤت كفلين مذكور ومسطور
له مقاليد فردوس يعد كذا ... فيما حكى ابن دريد منه تنور

وقال ابن حجر:

وزدت حزم ومهل والسجل كذا ... السري والأب ثم الجبت مذكور
وقطنا وأناه ثم متكئاً ... وأرست يصهر منه فهو مهصور
وهيت والسكر الأواه مع حصب ... وأدبي معه والطاغوت مسطور
صرهن أصرى وغيض الماء مع وزر ... ثم الرقيم مناص والسنا النور

وقال السيوطي:

وزدت ياسين والرحمن مع ملكو ... ت ثم سينين شطر البيت مشهور
ثم الصراط ودرى بحور ومر ... جان اليم مع القنطار مذكور
وراعنا طفقاً هدنا ابلعي ووراء ... والأرائك والأكواب مأثور
هود وقسط وكفر رمزه سقر ... هون يصدون والمنساة مسطور
شهر مجوس وأتقال يهود حوا ... ريون كنز وسجين وتبتير
بعير آزر حوب وردة عرم ... آل ومن تحتها عبدت والصور

وليـنـة فـومـهـا رهـو وأخـلد مز | جـاة وسـيـدهـا الـقـيـوم مـوفـور
وقـل ثم أسـفـار عني كـتـبـاً | وسـجـداً ثم ربـيـون تـكـثير
وحطة وطوى والرس نون كذا | عـدن ومـنـفـطر الأسباط مذكور
مسك أباريق ياقوت رووا فهنا | ما فات من عدد الألفاظ محصور
وبعضهم عد الأولى مع بطائنها | والآخرة لمعاني الضد مقصور

علم معرفة الوجوه والنظائر

صنّف فيه مقاتل بن سليمان من المتقدمين، ومن المتأخرين ابن الجوزي وابن الدامغاني وأبو الحسين، محمد بن عبد الصمد المصري وابن فارس وآخرون.

فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان؛ كلفظ الأمر، وكتاب (معترك الأقران في مشترك القرآن) للسيوطي كاف في هذا الفن.

والنظائر: كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر والوجوه في المعاني، وضعف هو بأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الكتب في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً للأقسام والنظائر نوعاً آخر.

وقد جعل بعضهم ذلك من دلائل الاعجاز حيث ترتقي كلمة واحدة إلى عشرين وجهاً أو أقل أو أكثر، ولا يوجد مثل ذلك في كلام البشر، وقد فسر بأن يحمل اللفظ الواحد على معاني متعددة غير متضادة، ولا تقتصر به على معنى واحد، وقد يفسر باستعمال الاشارات الباطنة وعدم القصر على التفسير الظاهر. وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء، قال: «انك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً». قال حماد؛ فقلت لأيوب: أهو أن يرى له وجوهاً فيهاب الأقدام عليه، قال: نعم، هو هذا.

مثال الوجوه: «الهدى»؛ يأتي على سبعة عشر وجهاً:

بمعنى الثبات: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[1]؛
والبيان: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾[2]؛
والدين: ﴿إن الهدى هدى الله﴾[3]؛
والإيمان: و﴿يزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾[4]؛
والدعاء: : ﴿ولكل قوم هاد﴾[5]؛
وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فاما يأتينكم مني هدى﴾[6]؛
والمعرفة: و﴿بالنجم هم يهتدون﴾[7]؛
وبمعنى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾[8]؛

وبمعنى القرآن: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[9]؛
والتوراة: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾[10]؛
والاسترجاع: ﴿وأولئك هم المهتدون﴾[11]؛
والحجة: ﴿لا يهدي القوم الظالمين﴾[12]، بعد قوله:

﴿ألم تر الى الذي حاج ابراهيم﴾[13] أي لا يهديهم حجة؛
والتوحيد: ﴿أن نتبع الهدى معك﴾[14]؛
والسنة: ﴿فبهداهم اقتده﴾[15] و﴿أنا على آثارهم مهتدون﴾[16]؛
والاصلاح: ﴿إن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾[17]؛
والالهام: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[18] أي ألهم المعاش؛

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٦.
(٢) سورة البقرة، آية: ٥.
(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٣.
(٤) سورة مريم، آية: ٧٦.
(٥) سورة الرعد، آية: ٧.
(٦) سورة البقرة، آية: ٣٨.
(٧) سورة النحل، آية: ١٦.
(٨) سورة البقرة، آية: ١٥٩.
(٩) سورة النجم، آية: ٢٣.
(١٠) سورة غافر، آية: ٥٣.
(١١) سورة البقرة، آية: ١٥٧.
(١٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.
(١٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.
(١٤) سورة القصص، آية: ٥٧.
(١٥) سورة الأنعام، آية: ٩٠.
(١٦) سورة الزخرف، آية: ٢٣.
(١٧) سورة يوسف، آية: ٥٢.
(١٨) سورة طه، آية: ٥٠.

والتوبة: ﴿إنا هدنا اليك﴾؛

والارشاد: ﴿أن يهدي سواء السبيل﴾.

ومثال النظائر: كل ما فيه من البروج فهو الكواكب إلا ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[1]، فهي القصور الطوال الحصينة؛ وكل صلاة فيه عبادة ورحمة إلا «وصلوات ومساجد»، فهي الأماكن؛ وكل قنوت فيه طاعة إلا «كل له قانتون»، فمعناه مقرون؛ وكل كنز فيه مال إلا «في الكهف»، فهو صحيفة علم؛ وكل مصباح فيه كوكب إلا الذي في النور فالسراج؛ وكل نكاح فيه تزوج إلا ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾، فهو الحلم. وليكن هذا الأنموذج عندك والاستقصاء فيه خارج عن طوقنا.

علم معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر

المراد بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف.

اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها، كما في قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾[2]؛ فاستعملت علي في جانب الحق، لأن صاحب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف يشاء؛ وفي جانبَ الضلال لأن صاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه. وقوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء...﴾[3] الآية، عدل في الأربعة الأخيرة عن اللام إلى في ايذاناً إلى أنهم أكثر استحقاقاً للمتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام، لأن في للوعاء، فنبه بها على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم، كما يوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه. وقال الفارسي: وإنما لم يقل وللرقاب، ليدل على أن العبد لا يملك. وعن ابن عباس، قال: الحمد لله الذي قال: ﴿عن صلاتهم ساهون﴾، ولم يقل في صلاتهم، إذ ما من أحد لا يسهو في

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

صلاته، والوعيد لمن يسهو عن صلاته، وهو إما بتركه وهو كبيرة، أو بعدم قصد العبادة فهو كفر. وتفصيل هذا الفن خارج عن طوق هذه الرسالة، وقد صنّف فيه جماعة بالإطالة، كالهروي في: (الأزهية، وابن أم قاسم في: (الجنى الداني)، وأدرجه السيوطي في (الإتقان).

علم معرفة أعرابه

أفرده بالتصنيف خلائق، منهم: مكي، وكتابه في المشكل خاصة؛ والحوفي، وهو أوضحها؛ وأبو البقاء العكبري، وهو أشهرها؛ والسمين، وهو أجلها، على ما فيه من حشو وتطويل؛ ولخصه السفاقسي فجوده؛ وتفسير أبي حيان مشحون بذلك. قلت: وكذا تفسير ابن عادل يشتمل على المهمات.

ومن فوائد هذا الفن معرفة المعنى لأن الأعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

واعلم أنه يجب على الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو في مبادىء الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك.

ويجب على المعرب مراعاة أمور:

أحدها؛ وهو أول واجب: عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الأعراب فأنه فرع المعنى؛ ولهذا لا يجوز اعراب فواتح السور، إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

والثاني: أن يراعي ما تقتضيه الصناعة فيخطىء؛ مثل: أن يجعل الباء في قوله تعالى: ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ متعلقة بناظرة، وهو باطل لأن الاستفهام له الصدر بل هو يتعلق بما بعده.

والثالث: أن يكون ملماً بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت؛ كقول أبي عبيدة: الكاف في «كما أخرجك ربك» قسم، وهذا باطل لأن الكاف بمعنى واو القسم لم يثبت في العربية.

الرابع: أن يتجنب الأمور البعيدة، والأوجه الضعيفة، واللغات الشاذة، ويخرج على القريب والقوي والفصيح، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عذر، وإن ذكر الجميع لقصد الأغراب والتفكير لضعف شديد أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن. أما التنزيل، فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يغلب على الظن ارادته، فإن لم يغلب شيء، فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف؛ ومن ثم خطىء من قال في وقيله بالجر أو النصب أنه عطف على لفظ الساعة ومحلها، لما بينهما من التباعد. والصواب أنه قسم أو مصدر قال مقدراً؛ ومن قال في وأرجلكم أنه مجرور على الجوار، لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يرو فيه إلا أحرف يسيرة، والصواب أنه معطوف على برؤوسكم، على أن المراد به مسح الخف، ونظائر هذا كثيرة.

الخامس: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة؛ فنقول: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾(١) يجوز كون الأعلى صفة للرب وصفة للأسم في نحو «هدى للمتقين الذين» كون الذين تابعاً ومقطوعاً إلى النصب باضمار أعنى أو أمدح وإلى الرفع بإضمار هو.

السادس: أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، ومتى لم يتأملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط؛ ومن ثم خطىء الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ملك الناس اله الناس﴾(٢) أنهما عطفا بيان والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان، وله نظائر. وهذا الأمر السادس عده ابن هشام في (المغنى)، ويحتمل دخوله في الأمر الثاني.

السابع: أن يراعي في كل تركيب ما يشاكله، فربما خرج كلاماً على شيء ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضوع بخلافه؛ ومن ثم خطىء من قال: إن الوقف على لا ريب وفيه خبر هدى، ويدل على خلاف ذلك قوله

---

(١) سورة الأعلى، آية: ١.

(٢) سورة الناس، آية: ٢.

تعالى في سورة السجدة: ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾[1] واعتبر نظائره.

الثامن: أن يراعي الرسم ومن ثم خطىء من قال في ذلك سلسبيلا أنها جملة أمرية، أي سل طريقاً موصلة إليها، لأنها لو كانت كذلك كتبت مفصولة. ومن قال في «إن هذان لساحران» معناه أنها ذان وها ضمير القصة، وذان مبتدأ خبره لساحران؛ أي أن القصة ذان لساحران، والجملة خبر أنَّ وهو باطل برسم أن منفصلة وهذان متصلة؛ ومن قال «ولا الذين يموتون» اللام للابتداء وما بعده مبتدأ وخبر وهو باطل، إذ الرسم ولا؛ ومن قال في «أيهم أشد» أي مقطوعة عن الإضافة، وهم أشد مبتدأ وخبره، وهو باطل إذ الرسم أيهم متصلة.

التاسع: أن يتأمل عند ورد المشتبهات؛ ومن ثم خطىء من قال احصني أفعل تفضيل، وأمداً تمييز، وهو باطل لأن الأمد ليس محصياً بل يحصى، وشرط التمييز بعد أفعل كونه فاعلاً في المعنى، فالصواب أنه فعل وأمداً مفعول؛ مثل وأحصى كل شيء عدداً.

العاشر: أن لا يخرج على خلاف الأصل أو خلاف الظاهر لغير مقتض.

الحادي عشر: أن يبحث عن الأصلي والزائد؛ نحو: ﴿إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾، إذ الظاهر أن تكون الواو في يعفون ضمير الجمع، فيشكل اثبات النون، بل هي لام الكلمة والنون ضمير النسوة، والفعل معها مبني ووزنه يفعلن، بخلاف ﴿وان تعفوا أقرب﴾، فإن الواو فيه ضمير الجمع.

الثاني عشر: أن يجتنب اطلاق لفظ الزائد في كتاب الله، فإن معنى الزائد ما لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك، ولهذا فر بعضهم إلى التعبير عنه بالتأكيد والصلة والمقحم. ثم اختلف في جواز اطلاقه في القرآن،

---

(٣) سورة السجدة، آية: ٢.

فالأكثرون على جوازه، نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، ولأنها بازاء الحذف لأن الحذف للأختصار والتخفيف والزيادة للتوكيد والتوطئة. ومنهم من أبى اطلاقه لأن تلك الألفاظ لها فوائد ومعان تخصها، فلا يقضى عليها بالزيادة. قال ابن الخشاب: والتحقيق أنه ان أريد بالزيادة اثبات معنى لا حاجة إليه فباطل، لآنه عبث، فتعين أن الينا به حاجة، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد، فليست الحاجة إلى عد هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه. انتهى. وقال جلال الدين السيوطي: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه، سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة، وأنه لو ترك كان الكلام دونه مع افادته أصل المعنى المقصود أبتر خالياً عن الرونق البليغي، لا شبهة في ذلك. ومثل هذا يستشهد عليه بالاسناد البياني الذي خالط كلام الفصحاء وعرف مواقع استعمالهم، وذاق حلاوة ألفاظهم. وأما النحوي الجافي فعن ذلك بمنقطع الثرى انتهى. ومما ينبه عليه أنه يتجاذب المعنى والأعراب والمتمسك به صحة المعنى، و يؤول لصحة الأعراب؛ مثلاً يقتضي المعنى تعلق: «يوم تبلى السرائر» بالمصدر، وهو رجع، والاعراب يمنع عنه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله، فيجعل العامل في يوم فعلاً مقدراً دل عليه المصدر. وأيضاً يقع في كلامهم الفرق بين تفسير المعنى وتفسير الأعراب بأن الثاني بملاحظة الصناعة النحوية، ولا يضر في الأول مخالفة ذلك.

فائدة مهمة حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن، عن قوله تعالى ﴿ان هذان لساحران﴾(١) وعن قوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾(٢)؛ وعن قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين﴾(٣)، فقالت: يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب (أخطأوا في الكتاب)، هذا إسناد صحيح على

---

(١) سورة طه، آية: ٦٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٦٢.

شرط الشيخين؛ وقال: حدثنا حجاج عن هارون بن موسى، أخبرني زبير بن الخريت عن عكرمة، قال: لما كتبت المصاحف، عرضت على عثمان رضي الله عنه فوجد فيها حروفاً من اللحن، فقال: لا تغيروها، فإن العرب ستغيرها، أو قال ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل، لم توجد فيه هذه الحروف. ثم أخرج ابن الأنباري نحوه من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، أنه كان يقرأ ﴿والمقيمين الصلاة﴾، ويقول: هو لحن من الكاتب.

قال السيوطي: وهذه الآثار مشكلة جداً. وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن وهم الفصحاء اللد؛ وكيف يظن بهم ذلك ثانياً في القرآن الذي تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه؛ ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته؛ ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه؛ ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ وهو مروي بالتواتر خلفاً عن سلف، وهذه الأمور مستحيلة عقلاً وشرعاً وعادة، وقد أجابوا عنه بوجوه ثلاثة؛ أحدها: ادعاء ضعف اسناده عن عثمان ولأن عثمان جعل للناس إماماً يقتدون به فكيف يترك فيه لحناً لتقيمه العرب بألسنتها، فإذا لم يقيموا ذلك، وهم تولوا جمعه وكتابته فكيف يقيمه غيرهم. وأيضاً هو كتب مصاحف متعددة فلم لم يقم في بعض منها، فإن ادَّعى وقوع اللحن في الكل فذلك بعيد، وان ادَّعى أنه أقام البعض فلم لم ينقل ذلك إلينا. وثانيها: أن ما ذكره عثمان محمول على الرمز والإشارة ومواضع الحذف نحو الكتب بلا ألف، والصبرين في الصابرين بلا ألف، وما أشبه ذلك. وثالثها: أنه محمول على مخالفة رسم الخط لأن خط المصحف خالف رسم الخط في كثير من المواضع.

وأجيب عنه بوجه أقوى وهو الأثر المروي عن عثمان بأنه لما عرض المصحف عليه نظر فيه، فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً سنقيمه بألسنتنا؛ إذ يفهم منه أنه رأى فيه شيئاً كتب على غير لسان قريش كالتابوه والتابوت فوعد أن سيقيمه على لسان قريش، ثم وفى بذلك عند العرض

والتقويم، ولم يترك فيه شيئاً، ولعل راوي الآثار المتقدمة حرَّفها، ولم يتقن الذي صدر منه فلزم ما لزم من الأشكال.

وأما حديث عائشة، فلا يصح عنه هذه الأجوبة، إذ ليس في إسناده ضعف، لأن إسناده صحيح؛ وأيضاً سألها عروة عن الأحرف، فلا يحتمل الحمل على الرمز والإشارة، بل الجواب: أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه.

وأما قول سعيد بن جبير: لحن من الكاتب؛ أراد باللحن القراءة واللغة، أي أنها لغة الذي كتبها، وقراءته فيها، وفيها قراءة أخرى.

فائدة أخرى

ألف أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني كتاباً سماه (تحفة الأقران فيما قرىء بالتثليث من حروف القرآن): «الحمد لله» قرىء بالرفع على الإبتداء، وبالنصب على المصدر، وبالكسر على اتباع الدال اللام في حركتها؛ «رب العالمين» بالجر على أنه نعت وبالرفع على القطع باضمار مبتدأ، وبالنصب عليه باضمار فعل أو على النداء. ونظائر هذا كثيرة شائعة في القرآن. والغرض التنبيه على هذا الباب لا استقصاء الأمثلة إذ لا سعة في المقام بأكثر من هذا.

علم معرفة قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر

منها الضمائر: ألف ابن الأنباري في الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين. وأصل وضعها الإختصار؛ ولهذا قام قوله تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[1] مقام خمسٍ وعشرين كلمة لو أظهرها. وكذا قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾[2]. قال مكي: ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، فإن فيها خمسة وعشرين ضميراً، ومن ثم لا

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.
(٢) سورة النور، آية: ٣١.

يعدل إلى المنفصل إلا بعد تعذر المتصل، نحو ﴿إياك نعبد﴾[1]، أو بعد إلا، نحو ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾[2].

ومنها: مرجع الضمير. لا بد للضمير من مرجع يعود إليه، ويكون ملفوظاً سابقاً مطابقاً، نحو ﴿ونادى نوح ابنه﴾[3]، ﴿وعصى آدم ربه﴾[4]؛ أو متضمناً له، نحو ﴿أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[5]، فإنه راجع إلى ما تضمنه: اعدلوا من العدل؛ أو دالاً عليه بالالتزام، نحو «إنا أنزلناه»، أي القرآن، أو متأخراً لفظاً لا رتبة، مطابقاً، نحو «فأوجس في نفسه خيفة موسى؛ أو رتبة أيضاً، كباب نعم وبئس وضمير الشأن والقصة؛ أو متأخراً دالاً بالإلتزام، نحو ﴿حتى توارت بالحجاب﴾[6]، أي الشمس لدلالة الحجاب عليها. وقد يدل عليه السياق فيضمر ثقة بفهم السامع، نحو ﴿كل من عليها فان﴾[7]، أي الأرض أو الدنيا، ولأبويه أي الميت، ولم يتقدم له ذكر. وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه، ومثله شائع. وقد يعود على المعنى كما يعود الضمير جمعاً على من حملاً على المعنى. وقد يذكر مثلين، ويعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كون المرجع إليه ثانيهما، نحو: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة﴾، أي الصلاة وقد يثنّى الضمير ويعود على أحد المذكورين، نحو: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[8] وإنما يخرج من أحدهما.

وقد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره، نحو ﴿لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾[9] يعني آدم، ﴿ثم جعلناه نطفة﴾[10]، فهذا لولده لأن آدم لم يخلق من نطفة، قيل هذا هو باب الاستخدام.

وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له، نحو ﴿إلا عشية أو ضحاها﴾[11]

---

(1) سورة الفاتحة، آية: ٥.
(2) سورة الاسراء، آية: ٢٣.
(3) سورة نوح، آية: ٤٢.
(4) سورة طه، آية: ١٢١.
(5) سورة المائدة، آية: ٨.
(6) سورة ص، آية: ٣٢.
(7) سورة الرحمن، آية: ٢٦.
(8) سورة الرحمن، آية: ٢٢.
(9) سورة المؤمنون، آية: ١٣.
(10) سورة المؤمنون، آية: ٤٦.
(11) سورة النازعات، آية: ٤٧.

أي ضحى يومها. وقد يعود على غير مشاهد محسوس، والأصل خلافه، نحو ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[1]، فضمير له عائد على الأمر، وهو إذا ذاك غير موجود، لأنه لما كان سابقاً في علم الله كونه، كان بمنزلة الشاهد الموجود.

واعلم أن الأصل عود الضمير على أقرب مذكور، إلا أن يكون مضافاً ومضافاً إليه، فالأصل عوده إلى المضاف لأنه المحدث عنه؛ نحو: ﴿أن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[2]؛ وقد يعود على المضاف إليه، نحو ﴿إلى آله موسى وأني لأظنه﴾؛ وقد يمكن ارجاعه إلى كل منهما، نحو «أو لحم خنزير» فأنه رجس.

ثم الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشتت، ولهذا قال الزمخشري: ارجاع «أن أقذفيه في التابوت» إلى موسى، و ﴿فاقذفيه في اليم﴾[3] إلى التابوت، هجنة.

واعلم أن ضمير الفصل ضمير لصيغة المرفوع مطابق لما قبله تكلماً وخطاباً وغيبة وافراداً، وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ؛ وقيل: خبر كذلك اسماً، نحو: ﴿أولئك هم المفلحون﴾؛ وانا لنحن الصافون﴾[4] ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾[5]؛ ﴿تجدوه عند الله هو خيراً﴾[6]؛ ﴿ان ترني أنا أقل منك مالا﴾[7]؛ ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾[8].

وجوز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها، وخرج عليه قراءة «هن أطهر» بالنصب. وجوز الجرجاني وقوعه قبل مضارع، وجعل منه «أنه هو يبدىء و يعيد». ولا محل لضمير الفصل من الأعراب.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٤.
(٢) سورة ابراهيم، آية: ٣٩.
(٣) سورة طه، آية: ٣٩.
(٤) سورة الصافات، آية: ١٦٥.
(٥) سورة المائدة، آية: ١١٧.
(٦) سورة المزمل، آية: ٢٠.
(٧) سورة الكهف، آية: ٣٩.
(٨) سورة هود، آية: ٧٨.

وله ثلاث فوائد:

الاعلام بأن ما بعده خبر لا تابع؛ والتأكيد، ولهذا سماه الكوفيون دعامة لأنه يدعم به الكلام أي يتقوى و يؤكد، ولهذا لا يجمع بينه و بين التأكيد، فلا يقال: زيد نفسه هو الفاضل؛ والاختصاص، وقال الزمخشري في ﴿وأولئك هم المفلحون﴾: فائدته الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة، والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

واعلم أن ضمير الشأن والقصة و يسمى ضمير المجهول. قال: في المغني خالف القياس من خمسة أوجه:

أحدها: عوده على ما بعده لزوماً، إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم عليه ولا شيء منها.

والثاني: أن مفسره لا يكون إلا جملة.

والثالث: أنه لا يتبع بتابع، فلا يؤكد، ولا يعطف عليه، ولا يبدل منه.

والرابع: أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو ناسخه.

والخامس: أنه ملازم للأفراد؛ ومن أمثلته: ﴿قل هو الله أحد﴾[1]، ﴿فإذا هي شاخصة﴾[2]، ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾[3].

وفائدته: الدلالة على تعظيم المخبر عنه، وتفخيمه بأن يذكر أولاً مبهماً ثم يفسر.

فائدة:

متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن، لا ينبغي أن يحمل عليه، وخطأ ابن هشام الزمخشري في جعل اسم إن ضمير الشأن في قوله تعالى ﴿إنه

---

(١) سورة الإخلاص، آية: ١.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٧.
(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.

يراكم﴾، بل هو ضمير الشيطان، يؤيده قراءة «وقبيله» بالنصب، وضمير الشأن لا يعطف عليه.

ومن القواعد: إذا اجتمع في الضمير مراعاة اللفظ والمعنى، بدىء باللفظ ثم المعنى، ليكون الرجوع من الأضعف إلى الأقوى، ولا يعكس، لئلا يرجع من الأقوى إلى الأضعف، لأن الحمل على المعنى أقوى، وعلى اللفظ أضعف.

ومن القواعد: لا بد للمفسر من معرفة مقام التعريف والتنكير، وقد فصل في علم المعاني.

ومن القواعد: إذا ذكر الأسم مرتين، فله أربعة أحوال؛ لأنه: أما أن يكون معرفتين، أو نكرتين؛ أو الأول معرفة، والثاني نكرة؛ أو بالعكس. فإن كانا معرفتين فالثاني هو الأول غالباً لدلالته على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة؛ نحو قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً﴾[1]، اللهم إلا أن يراد الجنس وهو قليل. وإن كانا نكرتين، فالثاني غير الأول غالباً، وإلا لكان المناسب هو التعريف. وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة، فالثاني هو الأول، حملا على العهد، نحو، ﴿أرسلنا إلى فرعون رسولاً. فعصى فرعون الرسول﴾[2]. وإن كان الأول معرفة، والثاني نكرة، فالأمر على القرائن، فتارة تقوم قرينة التغاير، وتارة تقوم قرينة الاتحاد. ونقض هذه القاعدة بآيات كثيرة:

أما الأول: فبقوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[3]، والثاني غير الأول، إذ الأول العمل، والثاني الثواب؛ وقوله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس﴾[4] أي القاتلة بالمقتولة.

وأما الثاني: فبقوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء آله وفي الأرض آله﴾[5]، وكلاهما واحد، ونحو ذلك.

---

(١) سورة الشرح، الآيات: ٥، ٦.
(٢) سورة المزمل، الآيات: ١٥، ١٦.
(٣) سورة الرحمن، آية: ٦٠.
(٤) سورة المائدة، آية: ٤٥.
(٥) سورة الزخرف، آية: ٨٤.

وأما الثالث: فبقوله تعالى ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾[1]، فإن الثاني فيها غير الأول. قال السيوطي: لا انتقاض بشيء من ذلك، فإن اللام في الإحسان للجنس، فيكون في المعنى كالنكرة، وكذا آية النفس، كاللام في آية العسر، فإن اللام فيها للعهد أو للاستغراق، وأما قوله تعالى: ﴿في السماء آله وفي الأرض آله﴾ من باب التكرير والأطناب، والله أعلم.

ومن القواعد: الأفراد والجمع؛

منها: السماء والأرض، ولم يذكر في القرآن الأرضون لثقلها، بل ان احتيج إليها، يقال: ومن الأرض مثلهن، وأما السماء فتجمع عند ارادة العدد، وإلا فتفرد، نحو: ﴿سبح لله ما في السموات﴾، أي سكانها جميعاً؛ ونحو «تسبح له السموات»، أي كل واحدة على اختلاف عددها. وعند ارادة الجهة، يؤتى مفرداً، نحو: ﴿وفي السماء رزقكم﴾[2].

ومنها: الريح، يجمع في سياق الرحمة، ويفرد في ضده. وعن أبي بن كعب: كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب. وفي الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». وحكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئات والمنافع، وإذا هاجت ريح، نشر لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة؛ وأما في العذاب فتأتي من جهة واحدة بلا معارض ولا دافع. وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾[3]، وتوجيهه أنه ورد في مقابلة ريح عاصف، ورب شيء يجوز في المقابلة دون الاستقلال، وأيضاً الرحمة في السفينة بوحدة الريح من وجه واحد، إذ الإختلاف يهلكها، ولهذا أكدها بقوله طيبة.

ومنها: أفراد النور وجمع الظلمات؛ وأفراد سبيل الحق، وجمع سبل

---

(١) سورة هود، آية: ٣.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٢٢.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٢.

الباطل في قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1]، لأن طريق الحق واحد، وطرق الباطل متشعبة متعددة، والظلمات بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هاهما. ولهذا وحد ولي المؤمنين، وجمع أولياء الكفار لتعددهم في قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾[2].

ومن ذلك: أفراد النار وجمع الجنة، وأفرادها لأن النار مادة واحدة، والجنان مختلفة الأنواع، فحسن جمعها؛ ولأن الجنة رحمة، والنار عذاب، على حد الرياح والريح.

ومن ذلك: أفراد السمع وجمع البصر، لأن السمع غلب عليه المصدرية فأفرد، والبصر اشتهر في الجارحة؛ ولأن متعلق السمع الأصوات، وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان، وهي حقائق متخالفة.

ومن ذلك: أفراد الصديق لقلته، وجمع الشافعين لكثرتهم، قال تعالى: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾[3].

ومن ذلك: الألباب لم يقع إلا مجموعاً لثقل مفرده لفظاً.

ومن ذلك: مجيء المشرق والمغرب، لأنهما قد أفردا باعتبار الجهة، وثنّياً اعتباراً بمشرق الصيف والشتاء، وجمعا اعتباراً بتعدد المطالع؛ ثم أنهما ثنيا في سورة الرحمن، لكون سياقها على المزدوجين من الشمس والقمر والنجم والشجر، وأمثال ذلك؛ وجمعا في قوله تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾[4]، للدلالة على سعة القدرة والعظمة.

ومن ذلك: البار في صفة الآدميين يجمع على أبرار، وفي صفة الملائكة، قيل بررة. ذكره الراغب، ووجهه بأن الثاني أبلغ. والأخ مجموعاً

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٧.
(٣) سورة الشعراء، آية: ١٠١.
(٤) سورة المعارج، آية: ٤٠.

يرد في النسب أخوة، وفي الصداقة أخوان، قاله ابن فارس، أورد عليه ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾[1] في الصداقة؛ ﴿أو أخوانهن أو بني أخواتهن﴾[2] ﴿أو بيوت أخواتكم﴾[3] في النسب. في النسب.

ومن القواعد: مقابلة الجمع بالجمع، يقتضي مقابلة الأفراد تارة، و يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد تارة. مثال الأول: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾[5]، ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾[4]، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾[6]؛ ومثال الثاني: ﴿فأجلدوهم ثمانين جلدة﴾[7].

وجعل منه الشيخ عز الدين: ﴿و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات﴾[8]. ويحتمل الأمرين تارة، فيحتاج إلى دليل يعين أحدهما.

ومن القواعد: في ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه.

ومن ذلك: الخوف والخشية، ولا يكاد اللغوي يفرق بينهما، إلا أن الخشية أعلى من الخوف، ولذلك خصت الخشية بالله تعالى في قوله تعالى: ﴿يخشون ربهم من فوقهم ويخافون سوء الحساب﴾[9]، وقد يفرق بينهما بأن الخشية من عظم المختشّ وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف، وان كان المخوف أمراً يسيراً.

ومن ذلك: الشح والبخل، والشح أشد البخل. قال الراغب: الشح بخل مع حرص، و يفرق بين البخل والضن بأن البخل في الهبات والضن بالعواري؛ يقال ضنين بعلمه، ولا يقال بخيل بعلمه، لأن العلم لا يوهب، وإنما يشبه بالإعارة.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.
(٢) سورة النور، آية: ٣١.
(٣) سورة النور، آية: ٦١.
(٤) سورة النساء، آية: ٢٣.
(٥) سورة النساء: آية: ١١.
(٦) سورة نوح، آية: ٧.
(٧) سورة النور، آية: ٤.
(٨) سورة البقرة، آية: ٢٥.
(٩) سورة الرعد، آية: ٢١.

ومن ذلك: السبيل والطريق. والأول في الخير غالباً، والثاني أن استعمل في الخير، يوصف بما يخصه به، كقوله تعالى: ﴿يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾[1]. وقد شرط الراغب في الثاني السهولة، فهو أخص.

ومن ذلك: جاء وأتى. والأول في الجواهر والأعيان، والثاني في المعاني والأزمان. قال تعالى: «ولمن جاء به حمل بعير﴾[2]، ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾[3]، ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾[4] ﴿وأتى أمر الله﴾[5] ﴿أتاها أمرنا﴾[6]. وأما «وجاء ربك» أي أمره، أراد به أهوال القيامة المشاهدة، وكذا ﴿إذا جاء أجلهم﴾، لأنه كالمشاهد. قال الراغب: الإتيان مجيء بسهولة فهو أخص.

ومن ذلك: مد وأمد. والإمداد في المحبوب غالباً، نحو: ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾[7]، والمد في المكروه، نحو: ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾[8].

ومن ذلك: سقى وأسقى. فالأول: لما لا كلفة فيه، ولهذا ذكر في شراب الجنة، نحو: ﴿فسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾[9]. والثاني: لما فيه كلفة، ولهذا ذكر في ماء الدنيا، نحو: ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾[10]. قال الراغب: الإسقاء أبلغ لأنه ماء يستقى منه، والسقي أن يعطيه ماء يشرب.

ومن ذلك: عمل فعل. فالأول: ما كان مع امتداد، نحو: «عملوا الصالحات» اشارة إلى مثابرتهم على الصالحات. والثاني: ما يكون في طرفة عين، نحو: ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾[11]، أي أهلكهم في ساعة.

ومن ذلك: القعود والجلوس. فالأول لما فيه لبث. والثاني بخلافه.

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٣٠.
(٢) سورة يوسف، آية: ٧٢.
(٣) سورة يوسف، آية: ١٨.
(٤) سورة الفجر، آية: ٢٣.
(٥) سورة النحل، آية: ١.
(٦) سورة يونس، آية: ٢٤.
(٧) سورة الطور، آية: ٢٢.
(٨) سورة مريم، آية: ٧٩.
(٩) سورة الإنسان، آية: ٢١.
(١٠) سورة الجن، آية: ١٦.
(١١) سورة الفيل، آية: ١.

يقال: قواعد البيت، لمن يلزمها، ولا يقال: جوالس البيت؛ ويقال: جليس الملك لا قعيده، إذ يطلب في جلوسه التخفيف.

ومن ذلك: الإتمام والاكمال؛ فإن الأول في الأجزاء، والثاني في الأوصاف والهيئات. مثلاً: إتمام الصلاة، إتيان أركانها. والإكمال: تعديل أركانها، والقافية: تمام البيت وكماله بصنائعه.

ومن ذلك: الاعطاء والايتاء. فإن الأعطاء يستعمل فيما ينتقل منه، نحو: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾[1]، لأنه مورد ينتقل منه إلى منازل العز في الجنة، والإيتاء يستعمل فيما له ثبات، نحو: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾[2] ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾[3]. ويقال: الإيتاء فيما يحتاج إلى القبول، ولهذا يستعمل في الزكاة والصدقات.

ومن ذلك: السنة والعام، فإن السنة فيما فيه شدة وجدب، والعام فيما فيه رخاء وخصب، كما قال تعالى: ﴿ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾[4]، حيث عبر عن المستثنى بالعام والمستثنى منه بالسنة.

ومن القواعد: أمر السؤال والجواب. الأصل التطابق بينهما، وقد يعدل عنه، تنبيهاً على أنه أليق بحال السائل. وسماه السكاكي: الأسلوب الحكيم؛ وذلك يكون تارة بالزيادة في الجواب، وتارة بالنقصان فيه. ومن هذا القبيل: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾[5] تنبيهاً على أن الأليق بحالهم السؤال عن حكمه لا عن سببه. كذا قال السكاكي ومتابعوه. واسترسل التفتازاني في الكلام، حتى قال: لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة. قال السيوطي: وما ذكروه وإن كان محتملاً، إلا أن الأصل في الجواب المطابقة، فيتعين سؤالهم عن الحكمة، لأن السؤال محتمل له أيضاً، فلا يتعين ما ذكروه. ويؤيد ما قلناه ما أخرج ابن جرير، عن أبي العالية، قال:

---

(١) سورة الكوثر، آية: ١.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.
(٣) سورة الحجر، آية: ٨٧.
(٤) سورة العنكبوت، آية: ١٤.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لم خلقت الأهلة، فأنزل الله: ﴿يسألونك عن الاهلة﴾، فهذا صريح في أن سؤالهم عن حكمة ذلك، لا عن كيفيته من جهة الهيئة، ولا يظن ذو دين بالصحابة، الذين هم أدق فهماً وأغزر علماً، أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة، وانما اطلع عليها آحاد العجم، الذين أطبق الناس على أنهم أقل أذهاناً من العرب بكثير.

قال السيوطي: وقد صنفت كتاباً في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي صعد إلى السماء، ورآها عياناً، وعلم ما حوته من عجائب الملكوت بالمشاهدة، وأتاه الوحي من خالقها، وعلم جميع الملكوتيات. نعم المثال الصحيح لهذا القسم: جواب موسى: «رب السموات والأرض»، عن سؤال فرعون: «وما رب العالمين»، لأن ما سؤال عن الجنس، وحيث لا جنس للباري تعالى، أجاب بالوصف، تنبيهاً على أن اللائق السؤال عن الوصف. ومثال الزيادة في الجواب قول موسى: «هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها»، في جواب: «وما تلك بيمينك»، زاد في الجواب استلذاذاً بخطاب الله تعالى. ومثال النقص منه، قوله تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله﴾، في جواب: «أئت بقرآن غير هذا أو بدله»، حيث أجاب عن التبديل دون الإختراع، لأن التبديل في امكان البشر دون الإختراع، فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال. وقال غيره التبديل أسهل، وقد نفى امكانه، فالإختراع أولى.

واعلم أنه قد يعدل عن الجواب أصلاً إذا كان قصد السائل التعنت، نحو، ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾(1). قال صاحب (الافصاح): الروح تقال بالاشتراك على روح الإنسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة. قصد اليهود التعجيز فبأي شيء أجابهم. أرادوا أن يقولوا ليس هو، فجاءهم الجواب مجملاً كيداً ليرد به كيدهم.

---

(1) سورة الاسراء، آية: ٨٥.

ومن القواعد: أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال ليكون وفقه، نحو: ﴿أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف﴾[1]، فأنا في جوابه هو أنت في سؤالهم وكذا ﴿أأقررتم وأخذتم على ذلك أصرى قالوا أقررنا﴾[2] ثم أنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصاراً وتركاً للتكرار.

وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقديره، نحو: ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾[3]، ولما لم يستقم كون السؤال والجواب من واحد، تعين أن يكون: «قل الله» جواب سؤال، كأنهم سألوا لما سمعوا ذلك: من يبدأ الخلق ثم يعيده.

ومن القواعد: الأصل في الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال في الأسمية والفعلية، وكذا في السؤال المقدر، الا أن ابن مالك قدر الجواب فعلاً، في جواب من قال: من قرأ آية، ثم قال: وإنما لم نقدره اسماً مع احتماله، جرياً على عادتهم في الأجوبة، إذا قصدوا اتمامها، كما قال تعالى: ﴿قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾[4]، ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾[5]، فلما أتى بالفعلية مع فوات مشاكلة السؤال، علم أن تقدير الفعل أولاً أولى.

وقال ابن الزملكاني في البرهان: أطلق النحويون القول بأن زيداً في جواب من قام فاعل على تقدير قام زيد، والذي توجبه صناعة البيان أنه مبتدأ؛ لوجهين:

أحدهما: أنه يطابق الجملة المسؤول بها في الأسمية، كما وقع التطابق في قوله تعالى: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾[6] في الفعلية، وإنما لم يقع التطابق

---

(١) سورة يوسف، آية: ٩٠.
(٢) سورة آل عمران، آية: ٨١.
(٣) سورة يونس، آية: ٣٤.
(٤) سورة يونس، آية: ٣٤.
(٥) سورة يس، آية: ٧٨.
(٦) سورة الزخرف، آية: ٩.

في قولهم: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾[1]، لأنهم لو طابقوا، لكانوا مقرين بالإنزال، وهم من الإذعان به على مفاوز.

الثاني: أن اللبس عند السائل من فعل الفاعل، فوجب أن يقدم الفاعل في المعنى، لأنه متعلق غرض السائل، وأما الفعل فعلوم عنده، ولا حاجة به إلى السؤال عنه، فحري أن يقع في الأواخر التي هي محل التكملات والفضلات، وأشكل على هذا: ﴿بل فعله كبيرهم﴾[2]، في جواب: ﴿أأنت فعلت هذا﴾[3]، فإن السؤال عن الفاعل، وصدر الجواب بالفعل. وأجيب: بأن الجواب مقدر دل عليه السياق، إذ كلمه بل لا يصح أن يصدر بها الكلام، والتقدير ما فعلته بل فعله.

قال الشيخ عبد القاهر: وحيث كان السؤال ملفوظاً به، فالأكثر ترك الفعل في الجواب، والإقتصار على الأسم وحده، وحيث كان مضمراً فالأكثر التصريح به، لضعفه عن الدلالة عليه. ومن غير الأكثر: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾[4]، في قراءة البناء للمفعول.

ومن القواعد: الخطاب بالأسم والخطاب بالفعل، مختلفان. إذ الأسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر، ولهذا قال تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾[5]، إذ المقام لبيان ثبوت هذه الصفة للكلب، لا مزاولته لها شيئاً فشيئاً. وقال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم﴾[6]، إذ المقام بيان أن الرزق يتجدد شيئاً فشيئاً.

وقد يورد الحال في صورة المضارع، مع أن العامل الذي يفيده ماض، نحو: ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾[7]، إذا المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت

---

(1) سورة النحل، آية: ٣٠.
(2) سورة النحل، آية: ٢٤.
(3) سورة الأنبياء، آية: ٦٣.
(4) سورة النور، آية: ٣٦.
(5) سورة الكهف، آية: ١٨.
(6) سورة فاطر، آية: ٣.
(7) سورة يوسف، آية: ١٦.

المجيء، وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد شيء، وهو المسمى حكاية الحال الماضية. ولما كان للإيمان حقيقة تقوم بالقلب، يدوم مقتضاها، عبر عنه: بالمؤمنون، وكذا الحال في: المتقون، بخلاف النفقة، فأنها لتجددها وكونها أمراً فعلياً شأنه الإنقطاع عبر: بالذين ينفقون، وكذا الحال في نظائرها. وبهذا يشكل، نحو علم الله وسائر صفاته القديمة، فانها لا تتجدد، مع أنه يستعمل فعلاً. و يدفع هذا بأن معنى نحو علم وقوع علمه في الماضي، أعم من أن يستمر قبل ذلك أم بعده أم لا. ولهذا قال تعالى حكاية عن ابراهيم: ﴿الذي خلقني﴾ بالماضي لأنه أمر مفروغ منه، ثم ذكر: فهو يهدين»، و﴿يسقين﴾، و «يشفين» بالمضارع لأنها متكررة متجددة تقع مرة بعد أخرى.

وأيضاً مضمر الفعل فيما ذكر كمظهره. قال أبو المطرف بن عميرة: دلالة الأسم على الثبوت، والفعل على التجدد والحدوث، أمر مشهور لا مستند له، فإن الأسم إنما يدل على معناه فقط، وأما أنه يثبت المعنى للشيء فلا. قال ابن المنير: طريقة العرب تلوين الكلام، ومجيء الفعلية تارة، والأسمية أخرى، من غير تكلف لما ذكروه.

ومن القواعد: المصدر المنصوب يفيد الوجوب، والمرفوع يفيد الندب، لأن الجملة الأسمية أثبت وآكد. قوله تعالى: ﴿قالوا سلاماً﴾، يدل على الوجوب، قال سلام على الندب. ونظائر هذا كثيرة في القرآن.

ومن القواعد: العطف: أما على اللفظ وهو الأصل، وشرطه إمكان توجه العامل على المعطوف، وأما على المحل، وله شروط:

أحدها: إمكان ظهور ذلك المحل في الفصيح، فلا يجوز: مررت بزيد وعمرو لأنه لا يجوز: مررت زيداً.

وثانيها: أن يكون الوضع بحق الإصالة، فلا يجوز: هذا الضارب زيداً وأخيه، لأن الوصف المستوفى شروط العمل الأصل أعماله لا اضافته.

وثالثها: وجود المجوز أي الطالب لذلك المحل، فلا يجوز: أن زيداً وعمرو

قاعدان، لأن الطالب رفع عمرو وهو الإبتداء، وقد زال بدخول إن؛ وعطف على التوهم نحو: ليس زيد قائماً ولا قاعد، بالخفض، على توهم دخول الباء في الخبر، وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك. وقد وقع هذا العطف في المجرور في قول زهير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

وأعلم أن ابن مالك ظن أن المراد بالتوهم الغلط، وليس كذلك، كما نبه عليه أبو حيان وابن هشام، بل هو مقصد صواب. والمراد أنه عطف على المعنى؛ أي جوز المعرب في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه، فعطف ملاحظاً له، لا أنه غلط في ذلك. ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن أنه عطف على المعنى.

واعلم أن القوم اختلفوا في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه، فمنعه البيانيون وابن مالك وابن عصفور، ونقله عن الأكثرين، وأجازه الصفار وجماعة مستدلين بقوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ في سورة البقرة، ﴿وبشر المؤمنين﴾ في سورة الصف. وقال الزمخشري في الأولى: أنه عطف جملة: ثواب المؤمنين، على جملة: عقاب الكافرين؛ وفي الثانية: أن العطف على: تؤمنون، لأنه بمعنى آمنوا، ورد بأن الخطاب به للمؤمنين، ويبشر النبي صلى الله عليه وسلم، وبأن الظاهر في: تؤمنون، أنه تفسير للتجارة لا طلب. وقال السكاكي: الأمران معطوفان على: قل، مقدرة قبل بائها. وحذف القول كثير.

وأيضاً اختلفوا في عطف الأسمية على الفعلية وعكسه، فالجمهور على الجواز، وبعضهم على المنع. وقد لهج به الرازي في تفسيره كثيراً، ورد به على الحنفية القائلين بتحريم أكل متروك التسمية، آخذاً من قوله تعالى، ﴿ولا تأكلوا..﴾ الآتية، وقال: حجة للجواز لا للتحريم، وذلك لأن الواو الواقعة في قوله تعالى ﴿وأنه لفسق﴾، ليست للعطف لتخالف الجملتين في الأسمية والفعلية؛ ولا للإستئناف، لأن الواو تقتضي الربط، فهي للحال، فتكون مفيدة للنهي، أي: لا تأكلوا حال كونه فسقاً، والفسق فسره الله تعالى بقوله: ﴿أو

فسقاً أهل بهِ لغير الله به﴾، فالمعنى: لا تأكلوا إذا سمي عليه غير الله، ومفهومه: كلوا منه، إذا لم يسم عليه غير الله. انتهى.

واختلف في جواز العطف على معمولَيْ عاملين. واختلف أيضاً في جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار. وتفصيل هاتين المسألتين في علم النحو، فارجع إليه.

واعلم أننا قد أطنبنا في هذا الباب من الكتاب، لاشتماله على لطائف قد لا توجد في كتاب، فليعذر في من رآه من الطلاب. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

علم معرفة المحكم والمتشابه

قيل: المحكم ما لا يتوقف على البيان؛ والمتشابه ما لا يرجى بيانه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة من أوائل السور. وقيل: المحكم ما وضح معناه؛ والمتشابه نقيضه. وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً؛ والمتشابه ما احتمل أوجهاً. وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى؛ والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات، واختصاص القيام برمضان دون شعبان. وقيل: المحكم ما استقل بنفسه؛ والمتشابه ما لم يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. وقيل: المحكم ما تأويله تنزيله؛ والمتشابه ما لا يدرك إلا بالتأويل. وقيل: المحكم ما لم يتكرر ألفاظه، ومقابلة المتشابه. وقيل، المحكم الفرائض والوعد والوعيد؛ والمتشابه القصص والأمثال.

اختلف: هل المتشابه مما يمكن الإطلاع على علمه، أو مما لا يعلمه إلا الله. وعلى الأول طائفة يسيرة، منهم مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس. وروى أنه قال في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[1]: أنا ممن يعلم تأويله. قال النووي في شرح مسلم، إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته. وقال ابن الحاجب إنه

(١) سورة آل عمران، آية: ٧.

الظاهر. وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم، خصوصاً أهل السنة، فذهبوا إلى الثاني، وهو أصح الروايات عن ابن عباس.

قال ابن السمعاني: لم يذهب إلى الأول إلا شرذمة، واختاره القتبي. قال: وكان يعتقد مذهب أهل السنة، لكنه سها في هذه المسألة. قال: ولا غرو، فإن لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة.

وقد ورد على القول الثاني آثار وأحاديث. قال بعضهم: العقل مبتلى باعتقاد حقية المتشابه، كابتلاء البدن بأداء العبادة، كالحكيم إذا صنَّف كتاباً، أجمل فيه أحياناً، ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره. وقيل: لو لم يبتلِ العقل، الذي هو أشرف البدن، لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد، فبذلك يستأنس إلى التذلل بعجز العبودية. والمتشابه هو موضع خضوع العقول استسلاماً لباريها، واعترافاً بقصورها. وفي ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾، تعريض بالزائغين ومدح للراسخين؛ يعني من لم يتذكر و يتعظ ويخالف هواه، فليس من أولي العقول. ومن ثم قال الراسخون: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ إلى آخر الآية، فخضعوا لباريهم، لاستنزال العلم اللدني، بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني.

قال الراغب في (مفردات القرآن): الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الاطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه ومتشابه من وجه.

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومن جهتها. فالأول ضربان: يرجع إلى الألفاظ المفردة، أو إلى الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام، نحو: ﴿وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم﴾[1]؛ وضرب لبسطه،

(١) سورة النساء، آية: ٣.

نحو: ﴿ليس كمثله شيء﴾[١]، لأنه لو قيل: ليس مثله، لكان أظهر للسامع؛ وضرب لنظم الكلام، نحو: ﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً﴾[٢]، تقديره أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً.

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف القيامة. والمتشابه من جهتها خمسة أضرب: الأول من جهة الكمية، كالعموم والخصوص، نحو: ﴿أقتلوا المشركين﴾[٣]؛ والثاني: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب، نحو: ﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾؛ والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، نحو: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[٤]؛ الرابع: من جهة المكان، والأمور التي نزلت فيها، نحو: ﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها﴾[٥]، و﴿انما النسيء زيادة في الكفر﴾[٦]، فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية، يتعذر عليه تفسير هذه الآية؛ الخامس: من جهة الشروط التي يصح بها الفعل ويفسد، كشرط الصلاة والنكاح.

قال: وهذه الجملة إذا تصورت علم أن ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج من هذه التقاسيم. ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج الدابة، ونحو ذلك؛ وضرب للانسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة، والأحكام المغلقة؛ وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم لأبن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وبقية مباحث المتشابه في علم التفسير.

علم معرفة مقدم القرآن ومؤخره

وهو قسمان؛ الأول: ما أشكل معناه ظاهراً واتضح بالتقديم والتأخير، نحو

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.
(٢) سورة الكهف، آية: ١.
(٣) سورة التوبة، آية: ٥.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٩.
(٦) سورة التوبة، آية: ٣٧.

قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه﴾[1]، والأصل: هواه الهه، لأن من اتخذ الهه هواه غير مذموم، فقدم المفعول الثاني للعناية به؛ وقوله: ﴿غرابيب سود﴾[2]، والأصل: سود غرابيب، لأن الغربيب الشديد السواد؛ وقوله: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾[3] والأصل: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

والثاني: ما ليس كذلك. وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ: (كتاب المقدمة في سر الألفاظ المقدمة)، والحكمة فيه الاهتمام، كما قال سيبويه في كتابه: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعني، وهذه الحكمة اجمالية.

وأما تفاصيل أسباب التقديم والتأخير وأسراره في الكتاب العزيز عشرة أنواع:

الأول: التبرك؛ نحو تقديم اسم الله في الأمور ذوات النسك.

الثاني: التعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾.

الثالث: التشريف؛ نحو: ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾، و﴿الحر بالحر والعبد بالعبد﴾[4]؛ و﴿يخرج الحي من الميت...﴾[5] الآية، ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾[6]، و﴿على سمعهم وعلى أبصارهم﴾[7]، وأمثال ذلك.

الرابع: المناسبة، أما لسياق الكلام، نحو: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾[8]، فإن الجمال عند الرواح أكثر، لأنها فيه بطان، وفي السراح خماص؛ وأما اللفظ كقوله: «الأول والآخر».

---

(1) سورة الجاثية، آية: ٢٣.
(2) سورة فاطر، آية: ٢٧.
(3) سورة يوسف، آية: ٢٤.
(4) سورة البقرة، آية: ١٧٨.
(5) سورة الأنعام، آية: ٩٥.
(6) سورة النحل، آية: ٨.
(7) سورة البقرة، آية: ٧.
(8) سورة النحل، آية: ٦.

الخامس: الحث عليه؛ كتقديم الوصية على الدين في قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾[1]، مع أن الدين مقدم عليها شرعاً.

السادس: السبق؛ أما زماناً كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور، أو انزالاً كتقديم التوراة على الإنجيل، أو تكليفاً، نحو: ﴿اركعوا وأسجدوا﴾[2].

السابع: السببية كـ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[3]، لأن العبادة سبب حصول الإعانة.

الثامن: الكثرة ﴿فنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[4]، والكافر أكثر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿والسارق والسارقة﴾[5] و﴿والزانية والزاني﴾[6]، لأن السرقة في الذكور أكثر، والزنا في النساء أكثر. ومنه: تقديم الرحمة على العذاب أينما وقع في القرآن غالباً، لما ورد أن: رحمتي غلبت غضبي؛ وقوله تعالى: ﴿أن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾[7]، وذلك لأن العداوة فيهن أكثر منهم.

التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقوله: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها...﴾[8] الآية؛ بدأ بالأدنى للترقي من الأدنى وهو الرجل إلى الأشرف وهو اليد ثم العين ثم السمع.

العاشر: التدلي من الأعلى إلى الأدنى، وعليه: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[9]، و﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾[10]. هذه الوجوه ما ذكر ابن الصائغ، وزيد عليها أسباب أخر؛

منها: كونها أدل على القدرة وأعجب، وكقوله تعالى: ﴿فنهم من يمشي على بطنه﴾ الآية، لأن المشي على البطن أدل على القدرة وأعجب وكقوله تعالى:

---

(١) سورة النساء، آية: ١١.
(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.
(٣) سورة الفاتحة، آية: ٥.
(٤) سورة التغابن، آية: ٢.
(٥) سورة المائدة، آية: ٣٨.
(٦) سورة النور آية: ٢.
(٧) سورة التغابن، آية: ١٤.
(٨) سورة الأعراف، آية: ١٩٥.
(٩) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(١٠) سورة الكهف، آية: ٤٩.

﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾[1]، ولا يخفى أن تسخير الجبال وتسبيحها له أعجب، وأدل على القدرة، وأدخل في الأعجاز.

ومنها: رعاية الفواصل. ومثالها كثير.

ومنها: إفادة الحصر للاختصاص وسيأتي تفصيلها.

علم معرفة عام القرآن وخاصه ومجمله ومبنيه

ومباحث هذا العلم في علم الأصول، ومن أتقنها سهل عليه معرفتها في الآيات الفرقانية.

علم معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه

أفرده بالتصنيف خلائق، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني، وأبو جعفر النحاس، وابن الأنباري، ومكي، وابن العربي، وآخرون.

قالت الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ؛ وقد قال علي لقاص: أتعرف الناسخ من المنسوخ، قال: لا، قال: هلكت وأهلكت.

وفيه مسائل:

الأولى: يرد النسخ بمعنى الإزالة، ومنه: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾[2]؛ وبمعنى التبديل، ومنه: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾[3]؛ وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد؛ وبمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٥٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١٠١.

حاكياً للفظه وخطه، وقيل: ومنه نسخ الكتاب من أم الكتاب إلى المصاحف، وأنكر بعضهم ذلك في القرآن بناء على أن المنسوخ يأتي بلفظ آخر.

الثانية: النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكمة، وأجازه المسلمون، وأنكره اليهود ظناً منهم أنه بداء، وهو باطل، لأنه بيان مدة الحكم كالطبيب يأمر المريض بمعالجات مختلفة بحسب أوقات مزاجه، وذلك لا يكون بداء.

ثم اختلف العلماء في وقوعه في القرآن، فقيل: لا ينسخ إلا بقرآن، كقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾[1]. قالوا: ولا يكون مثل القرآن أو خيراً منه إلا قرآن. وقيل: بل ينسخ بالسنة، لأنها أيضاً من عند الله. قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾[2]. وقيل: ينسخ إذا كانت السنة من طريق الوحي، وأما عن اجتهاد فلا. حكاه ابن حبيب النيسابوري.

الثالثة: لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر؛ أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب، فلا يدخله النسخ. وكذا الوعد والوعيد، فمن أدخل في كتب النسخ كثيراً من الأخبار والوعد والوعيد فقد خبط.

الرابعة: النسخ أقسام:

أحدها: نسخ المأمور به قبل امتثاله، وهو النسخ على الحقيقة، كآية النجوى.

الثاني: ما نسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا، كآية شرع القصاص والديه ــ أو كان أمر به أمراً اجمالياً، كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة، وصوم عاشوراء برمضان، وإنما يسمى هذا نسخاً تجوزاً.

الثالث: ما أمر به لسبب، ثم يزول السبب، كالصبر على القتال، والصفح، إلى أن يقوى المسلمون. وهذا في الحقيقة ليس نسخاً، بل هو من قسم

---

(١) سورة البقرة: آية: ١٠٦.

(٢) سورة النجم، آية: ٣.

المنسأ، كما قال تعالى: ﴿أو ننسأها﴾. وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن آيات ترك القتال منسوخة بآية السيف. وقال مكي: المؤجل بأجل ليس بمنسوخ.

الخامسة: قال بعضهم: سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام: قسم ليس فيه شيء منها وهو ثلاث وأربعون سورة، وقسم فيه كلاهما وهو خمس وعشرون، وقسم فيه الناسخ فقط وهو ست؛ وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون. وتفاصيل هذه السور في الكتب المصنفة في هذا العلم.

السادسة: النسخ أقسام: فرض نسخ فرضاً، ولا يجوز العمل بالأول، كنسخ الحبس للزاني بالحد، وفرض نسخ فرضاً، ويجوز العمل بالأول، كآية المصابرة؛ وفرض نسخ ندباً، كالقتال كان ندباً ثم صار فرضاً؛ وندب نسخ فرضاً، كقيام الليل، نسخ بالقراءة في قوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾.

السابعة: النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب: ما نسخ تلاوته وحكمه معاً؛ وما نسخ حكمه دون تلاوته وهذا كثير في القرآن؛ وما نسخ تلاوته دون حكمه، وأمثلته كثيرة. وأمثلة هذه الأقسام، وتفاصيل الآيات في كتب الناسخ والمنسوخ، وإنما غرضنا الإشارة الإجمالية الى مباحثة ليكون باعثاً على الرغبة في طلبه.

علم معرفة مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض

وصنف في هذا العلم قطرب.

واعلم أن كلام الله تعالى منزه عن الاختلاف والتناقض، لكن ربما يمكن لبعض الأذهان القاصرة توهم ذلك، ولذا أشار العلماء إلى دفعه، ولهذا قلنا: وموهم الاختلاف منها: قوله تعالى: ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين... إلى قوله طائعين﴾[1].

(١) سورة فصلت، آية: ٩.

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أم السماء بناها﴾[1]، ثم قال تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾[2].

قال ابن عباس: خلق الأرض في يومين، فإن الأرض خلقت قبل السماء، وكانت السماء دخاناً، فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض. وأما قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يقول: جعل فيها جبلاً، وجعل فيها نهراً، وجعل فيها شجراً، وجعل فيها بحوراً. وأمثال هذا في القرآن كثير يعرفها من تتبعها.

علم معرفة مطلق القرآن ومقيده

المطلق: ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد بخلافه، ونسبته إلى المقيد نسبة العام إلى الخاص. قالوا: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، بل يبقى كل منهما على حاله، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب وضابطتهم على ذلك. والتفصيل فيه موكول إلى علم الأصول.

علم معرفة منطوق القرآن ومفهومه

المنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص، أو مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً فالظاهر، فإن حمل على المرجوح لدليل، فهو تأويل، ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولاً، ثم أن توقفت صحة دلالة اللفظ على اضمار، سميت دلالة اقتضاء، نحو: ﴿وأسأل القرية﴾، أي أهلها. وان لم يتوقف، ودل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة اشارة، كدلالة قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾[3]، على صحة صوم من أصبح جنباً، لأن اباحة الجماع إلى طلوع الفجر، يستلزم كونه

---

(١) سورة النازعات، آية: ٢٧.

(٢) سورة النازعات، آية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

جنباً في جزء من النهار.. وقد حكي هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظي.

ثم المفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة.

فالأول: ما يوافق حكمه المنطوق، فإن كان أولى، سمي فحوى الخطاب، كدلالة ﴿فلا تقل لهما أف﴾[1]، على تحريم الضرب لأنه أشد؛ وإن كان مساوياً سمي لحن الخطاب أي معنا، كدلالة ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾[2] على تحريم الاحراق لأنه مساو للأكل.

والثاني: ما يخالف حكمه المنطوق أنواع مفهوم، صفة نعتاً كان أو حالاً، أو ظرفاً، أو عدداً، ومفهوم شرط، ومفهوم حصر. والاختلاف في حجية هذه المفاهيم في علم الأصول.

قال بعضهم: اللفظ أما أن يدل بمنطوقه، ويسمى دلالة المنطوق؛ أو بفحواه ومفهومه، ويسمى دلالة المفهوم؛ أو باقتضائه وضرورته، ويسمى دلالة الاقتضاء؛ أو بمعقوله المستنبط منه، ويسمى دلالة الإشارة.

علم معرفة وجوه مخاطباته

واعلم أن الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً، وقيل: أكثر من ثلاثين. والقول الأول لأبن الجوزي:

الأول: خطاب العام أي العموم، كقوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم﴾.

الثاني: خطاب الخاص أي الخصوص، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾[3].

---

(٢) سورة الاسراء، آية: ٢٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠.

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الثالث: خطاب العام والمراد الخصوص، نحو: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾، لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

الرابع: عكس الثالث، نحو: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتكم النساء﴾[1].

الخامس: خطاب الجنس، نحو: ﴿يا أيها الناس﴾.

السادس: خطاب النوع، نحو: ﴿يا بني إسرائيل﴾.

السابع: خطاب العين، نحو: ﴿يا آدم اسكن﴾. قيل: ولم يقع في القرآن الخطاب بيا محمد، بل «يا أيها النبي»، و«يا أيها الرسول»، تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عمن سواه، وتعليماً للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

الثامن: خطاب المدح، نحو: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾. ولهذا وقع خطاباً لأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا.

التاسع: خطاب الذم، نحو: ﴿يا أيها الذين كفروا﴾.

العاشر: خطاب الكرامة، نحو: ﴿يا أيها النبي»، «يا أيها الرسول﴾.

الحادي عشر: خطاب الاهانة، نحو: «فإنك رجيم»، ونحو: «اخسئوا فيها».

الثاني عشر: خطاب التهكم، نحو: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾.

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الجمع، نحو: ﴿يا أيها الرسل﴾.

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع، نحو قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا..﴾[2]، الآية، خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده، بدليل قوله تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله..﴾[3] الآية.

---

(١) سورة الطلاق، آية: ١.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٦.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٧.

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين، نحو: «ألقيا في جهنم»، والخطاب لمالك خازن النار.

السادس عشر: خطاب الاثنين بلفظ الواحد، نحو: نحو: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾[1]، أي ويا هارون.

السابع عشر: خطاب الاثنين بلفظ الجمع، نحو: ﴿أن تبوءاً لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة﴾[2].

الثامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الاثنين، نحو: «ألقيا»، كما تقدم.

التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد، نحو: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم﴾[3].

العشرون: عكسه، نحو: ﴿وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾[4].

الحادي والعشرون: خطاب الاثنين بعد الواحد، نحو: ﴿أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكم الكبرياء..﴾ الآية[5].

الثاني والعشرون: عكسه، نحو: «من ربكما يا موسى».

الثالث والعشرون: خطاب العين، والمراد به الغير، نحو: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين﴾[6]، خاطب به صلى الله عليه وسلم، والمراد به أمته لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقياً ولا يمكن زواله عنه، وحاشاه من طاعة الكفار.

الرابع والعشرون: خطاب الغير، والمراد العين، أ نحو: ﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم﴾[7].

---

(1) سورة طه، آية: ٤٩.
(2) سورة يونس، آية: ٨٧.
(3) سورة الطلاق، آية: ١.
(4) سورة يونس، آية: ٨٧.
(5) سورة يونس، آية: ٧٨.
(6) سورة الأحزاب، آية: ١.
(7) سورة الأنبياء، آية: ١٠.

الخامس والعشرون: الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين، نحو: ﴿ولو ترى اذ وقفوا على النار﴾[1].

السادس والعشرون: خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره، نحو: ﴿إنا أرسلناك شاهداً..﴾[2]، إلى قوله «لتؤمنوا».

السابع والعشرون: خطاب التلوين وهو الالتفات.

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات خطاب من يعقل، نحو: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾[3].

التاسع والعشرون: خطاب التهييج، نحو: ﴿وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾[4].

الثلاثون: خطاب التحنن والاستعطاف، نحو ﴿يا عبادي الذين أسرفوا..﴾[5] الآية.

الحادي والثلاثون: خطاب التحبب، نحو: ﴿يا أبت لم تعبد﴾[6]، ﴿يا بني انها ان تك﴾[7]، ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي﴾[8].

الثاني والثلاثون: خطاب التعجيز، نحو: ﴿فأتوا بسورة﴾[9].

الثالث والثلاثون: خطاب التشريف، وهو خطاب العباد بلا واسطة.

الرابع والثلاثون: خطاب المعدوم، ويصح ذلك تبعاً لموجود، نحو: «يا بني آدم»، خطاب لأهل ذلك الزمان، ولكل ما بعدهم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٢٧.
(٢) سورة الفتح، آية: ٨.
(٣) سورة فصلت، آية: ٥٣.
(٤) سورة المائدة، آية: ٢٣.
(٥) سورة الزمر، آية: ٥٣.
(٦) سورة مريم، آية: ٤٢.
(٧) سورة لقمان، آية: ١٦.
(٨) سورة طه، آية: ٩٤.
(٩) سورة البقرة، آية: ٢٣.

علم معرفة حقيقة ألفاظ القرآن ومجازها

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، وكذا المجاز عند الجمهور. وأنكر وقوع المجاز جماعة: منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية، وبعض من المالكية. وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب، وأن العدول إليه من ضيق الحقيقة.

والأول: القرآن منزه عنه.

والثاني: محال على الله تعالى. وهذه شبهة باطلة نشأت من عدم التفرقة بين المجاز والكذب، ومن عدم الوقوف على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ومن كون ايراد المجاز مع تيسر الحقيقة.

وصنف فيه عز الدين بن عبد السلام، ولخصه جلال الدين السيوطي في: (كتاب مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن)، مع زيادات كثيرة. وأنواع المجاز وتفصيل علاقاتها في علم البيان.

علم معرفة تشبيه القرآن واستعاراته

والتشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها. قال المبرد في (الكامل): لو قال قائل هو أكثر كلام العرب، لم يبعد. وهو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. وقيل: هو الحاق شيء بذي وصف في وصفه، وقيل: هو أن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به.

والغرض منه: تأنيس النفس باخراجها من خفي إلى جلي، وادناء البعيد من القريب بياناً.

وأدواته: حروف: نحو الكاف وكان؛ وأسماء: نحو مثل وشبه ونحوهما؛ وأفعال: نحو حسب وخيل، نحو: ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾[1]، و﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[2]. إلا أن الأصح أن الأفعال ليس من أدواته، بل هي

(١) سورة النور، آية: ٣٩.

(٢) سورة طه، آية: ٦٦.

من اماراته، فبقدر الأداة.

ثم أن لفظ المثل لا يستعمل إلا في حال أو صفة لها شأن، وفيها غرابة، نحو: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر...﴾ [١] الآية.

ثم أن الاستعارة مجاز علاقته المشابهة، و يعرف بلفظ مستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، والأصح أنها مجاز لغوي لا عقلي. وأقسام التشبيهات والاستعارات مذكورة في علم البيان.

واعلم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة كما تقدم. وأيضاً الاستعارة أبلغ منه لأنها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فالاستعارة أبلغ مراتب الفصاحة. وكذا الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، لأن الاستعارة مجاز وفي الكناية خلاف.

وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية، و يليها المكنية؛ والترشيحية أبلغ من المجردة؛ والمطلقة والتخييلية أبلغ من التحقيقية. والمراد بالأبلغية افادة زيادة التأكيد، والمبالغة في كمال التشبيه، لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك.

وقد صنف أبو القاسم بن الهنداء البغدادي في تشبيهات القرآن كتاباً سماه: (الجمان). ولما كان أكثر قواعد هذا الفن مبيناً في علم البيان، آثرنا الاختصار.

علم معرفة كنايات القرآن وتعريضاته

وهما عند أهل البيان من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة. وقد تقرر أن الكناية أبلغ من التصريح، وعرفها أهل البيان بأنها: لفظ أريد به لازم معناه.

قال الطيبي: ترك التصريح بالشيء إلى ما يساو يه في اللزوم، فينتقل منه إلى الملزوم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٧.

وأنكر وقوعها في القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على أنها مجاز، وقد تقدم الخلاف في ذلك. وللكناية أسباب:

أحدها: عظم القدرة، نحو: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾[1]. كني بها عن آدم.

وثانيها: ترك اللفظ إلى ما هو أجمل، نحو: ﴿له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾[2]، كني بها عن المرأة؛ ترك التصريح بذكر النساء أجمل.

وثالثها: يقبح ذكر الصريح، نحو الملامسة، التي هي كناية عن الجماع.

ورابعها: قصد البلاغة والمبالغة، نحو قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان)[٣٣٣]، كناية عن سعة جوده وكرمه جداً.

وخامسها: قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل، نحو: ﴿فإن لم تفعلوا﴾[4]، أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله.

وسادسها: التنبيه على مصيره، نحو: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾[5]، أي جهنمي مصيره إلى اللهب.

واعلم أن الأرداف من أنواع البديع؛ وهو أن يترك لفظ المعنى الموضوع هو له إلى ما يرادفه، يشبه الكناية، والفرق بينهما أن الكناية انتقال من لازم الى ملزوم، والأرداف من مذكور إلى متروك؛ مثال الأرداف، قوله تعالى: ﴿واستوت على الجودى﴾[6]، والأصل جلست وعدل إلى استوت، لأنه جلوس متمكن، لا زيغ فيه ولا ميل. وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس، وله نظائر كثيرة جداً.

ثم اعلم أن التعريض أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره. وقيل:

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.
(٢) سورة ص، آية: ٢٣.
(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤.
(٥) سورة المسد، آية: ١.
(٦) سورة هود، آية: ٤٤.

الكناية، اللفظ الدال على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما. والتعريض: اللفظ الدال على معنى، لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي، كقول من يتوقع صلة: والله اني محتاج، فانه تعريض بالطلب، مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، وانما فهم من عرض اللفظ، أي جانبه. هكذا ذكره ابن الأثير.

ومثال التعريض: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[١]، نسب الفعل إلى كبيرهم، كأنه غضب أن تعبد الصغار معه، تلويحاً لعابديها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة، لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل، والاله لا يكون عاجزاً، فهو حقيقة أبداً.

قال السبكي: التعريض قسمان: قسم يراد به معناه الحقيقي، ويشار به الى المعنى الآخر المقصود؛ وقسم لا يراد به، بل يضرب مثلاً للمعنى الذي هو مقصود التعريض كقول ابراهيم: «بل فعله كبيرهم هذا».

علم معرفة الحصر والاختصاص

أما الحصر، ويقال له القصر أيضاً، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص؛ ويقال أيضاً: اثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف. وكل منهما أما حقيقي أو مجازي.

وقصر الموصوف على الصفة حقيقياً لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بجميع الأوصاف واثبات بعض منها، ونفي ما عداه بالكلية.

وينقسم الحصر أيضاً إلى أقسام أخر باعتبار آخر؛ وهو: قصر الأفراد، وقصر التعيين، وقصر القلب. وتفصيل هذه القواعد في علم البيان.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٦٣.

ثم أن من اتقنها يسهل عليه معرفتها من القرآن. ثم أن طرق الحصر كثيرة:

أحدها: النفي والاستثناء، سواء كان النفي بلا أوما أو غيرهما، وسواء كان الاستثناء بلا أو غير.

وثانيها: انما المكسورة، قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم.

وثالثها: انما بالفتح عند الزمخشري والبيضاوي في قوله تعالى: ﴿قل انما يوحى إليَّ أنما الهكم اله واحد﴾[1]. وصرح التنوخي في (أقصى القرب في صناعة الأدب)، بأنه فرع انما المكسورة، وما يثبت للأصل يثبت للفرع، ما لم يثبت مانع منه، والأصل عدمه. ورد أبو حيان على الزمخشري بأنه يلزمه انحصار الوحي في الوحدانية. وأجيب بأنه حصر مجازي باعتبار المقام.

الرابع: العطف بلا و بل؛ اتفق عليه أهل البيان، إلا أنه نازع فيه الشيخ بهاء الدين (السبكي) في: (عروس الأفراح)، فقال: أي قصر في العطف بلا إنما فيه نفي وإثبات، فقولك: زيد شاعر ولا كاتب، لا: تعرض فيه لنفي صفة ثالثة، والقصر إنما يكون بنفي الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازاً، وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب. وأما العطف ببل فأبعد منه، لأنه لا يستمر فيها النفي والإثبات.

الخامس: تقديم المعمول، نحو: ﴿اياك نعبد﴾[2]، وخالف فيه قوم وستذكره.

السادس: ضمير الفصل، نحو: ﴿فالله هو الولي﴾[3].

السابع: تقديم المسند إليه، على ما قال الشيخ عبد القاهر: قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي. والحاصل على رأيه أن له أحوالاً:

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٨.

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٢) سورة الشورى، آية: ٩.

أحدها: أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً فيأتي للتخصيص نحو: أنا قمت، وأنا سعيت في حاجتك.

والثاني: أن يكون المسند منفياً، نحو: أنت لا تكذب.

وثالثها: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً، نحو: رجل جاءني، أي لا امرأة أو رجلان.

ورابعها: أن يلي المسند إليه حرف النهي، و يقيده، نحو: ما أنا قلت هذا، أي لم أقله، مع أن غيري قاله. هذا حاصل رأي الشيخ عبد القاهر، ووافقه السكاكي، وزاد شروطاً وتفاصيل بسطوا فيها القول في موضعه.

الثامن: تقديم المسند، ذكره ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما. ورده صاحب (الفلك الدائر) بأنه لم يقل به أحد، وهو ممنوع، إذ قد صرح به السكاكي وغيره بأن تقديم ما حقه التأخير، يفيد التخصيص، ومثلوه بنحو: تميمي أنا.

التاسع: ذكر المسند إليه، ذكره السكاكي والزمخشري في ﴿الله يبسط الرزق﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿والله يقول الحق﴾.

العاشر: تعريف الخبر. ذكر الإمام فخر الدين الرازي (في نهاية الإيجاز) أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة، نحو: المنطلق زيد. ومثله الزملكاني «بالحمد لله»، قال إنه يفيد الحصر، أي الحمد لله لا لغيره.

الحادي عشر: نحو: جاء زيد نفسه، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر.

الثاني عشر: نحو ان زيد القائم نقله المذكور آنفاً.

الثالث عشر: نحو قائم في جواب: زيد أما قائم أو قاعد. ذكره الطيبي في (شرح التبيان).

الرابع عشر: قلب بعض حروف الكلمة، فانه يفيد الحصر على ما نقل في

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٦.

الكشاف، في قوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾[١].

واعلم أن أهل البيان أطبقوا على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً، ومثلوا بـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[٢]، وخالفهم ابن الحاجب في خطبة (المفصل) في قوله: الله أحمد، وقال التقديم للاهتمام والاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس وهم. واعترض أيضاً أبو حيان بنحو: ﴿أفغير الله تأمروني﴾[٣].

وأجيب: بأنه لما كان من أشرك بالله غيره، كأنه لم يعبد الله، كان أمرهم بالشرك، كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة. ورد أيضاً صاحب (الفلك الدائر) بقوله تعالى: ﴿كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل﴾[٤]، وهو أقوى ما رد به. وأجيب: بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة، وقد يخرج الشيء عن الغالب.

قال الشيخ بهاء الدين: وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في قوله تعالى: ﴿أغير الله تدعون ان كنتم صادقين﴾[٥]، «بل اياه تدعون، فإن التقديم الأول ليس للاختصاص والثاني للاختصاص. هذا وقال والده الشيخ تقي الدين السبكي في كتاب (الاقتناص) ما حاصله وتلخيصه أن البيانيين على افادة تقديم المعمول الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك، ويقول انما يفيد الاهتمام فقط. إلا أن الاختصاص غير الحصر، والفضلاء لم يقولوا أنه يفيد الحصر، بل قالوا يفيد الاختصاص. والفرق بينهما أن الحصر اثبات المذكور ونفي غير المذكور؛ والاختصاص فصل الخاص من جهة خصوصه، إذ الخصوص مركب من معنى عام مشترك بين الشيئين أو أشياء، ومن معنى ينضم إليه

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٧.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٤.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٤.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٤٠.

يفصله عن غيره، فقد يقصد افادة جهة عمومه، كقولك: ضربت زيداً؛ وقد يقصد افادة جهة خصوصه، كقولك: زيداً ضربت. وهذا هو الاختصاص، وأنه هو الأهم عند المتكلم، وهو الذي قصد افادته للسامع من غير تعرض، ولا قصد لغيره، باثبات ولا نفي، وفي الحصر معنى زائد عليه، وهو نفي ما عدا المذكور، وإنما جاء هذا في ﴿إياك نعبد﴾ للعلم بأن قائليه لا يعبدون غير الله، ولذا لم يطرد في بقية الآيات.

فالحصر على ثلاث مراتب:

احداها: ما وإلا، وهو أقوى طرقه لأنه بالمنطوق.

الثانية: الحصر بانما، وهو قريب من الأول، ودونه، لعدم ذكر النفي منطوقاً.

الثالثة: الحصر الذي قد يفيده التقديم، وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين، بل هو في قوة جملتين:

أحداهما: ما صدر به الحكم نفياً كان أو اثباتاً وهو المنطوق.

والأخرى: ما فهم من التقديم، والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط دون ما دل عليه المفهوم، لأن المفهوم لا مفهوم له، فإذا قلت: أنا لا أكرم إلا إياك، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره، ولا يلزم أنك لا تكرمه. ثم طول السبكي في الكلام وقال آخر:

وهذا كله على تقدير تسليم الحصر، ونحن نمنع ذلك، ونقول إنه اختصاص، وأن بينهما فرقاً. قلت: ما ذكره من الفرق بين الحصر والاختصاص، مما استخرجه، فكري أيضاً، لكن افادة التقديم المذكور، الحصر قد شيد أركانه في بعض تعليقاتنا في علم المعاني.

علم معرفة الإيجاز والأطناب

أعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة، حتى نقل صاحب (سر الفصاحة) عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والأطناب. قال صاحب الكشاف: كما يجب للبليغ في مظان الاجمال أن يجمل و يوجز، فكذلك الواجب في موارد التفصيل، أن يفصل و يشيع. أنشد الجاحظ:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

واختلف: هل بين الايجاز والأطناب مساواة أم لا. فالسكاكي ومتابعوه أثبتوها، لكنهم جعلوها غير محمودة ولا مذمومة. وتفصيل هذا المقام في شروح المفتاح.

وأعلم أن الإيجاز والاختصاص واحد، وما قيل أن الاختصار خاص بحذف الجمل فقط، فقد رده الفضلاء. وأما الإسهاب والحشو والتطويل غير الأطناب، ولهذا قالوا: الأطناب زيادة لفائدة دون غيره.

ثم الإيجاز أما ايجاز قصر أو ايجاز حذف:

فالأول: هو الوجيز بلفظه. قال الشيخ بهاء الدين: الكلام القليل، ان كان بعضاً من كلام أطول منه فهو ايجاز حذف، وان كان كلاماً يعطي معنى أطول منه فهو ايجاز قصر. وقيل: ايجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ. وقال آخر: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة. وقال الطيبي في (التبيان):

الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام:

أحدها: ايجاز القصر؛ وهو أن يقصر اللفظ على معناه، كقوله تعالى: ﴿إنه من سليمان﴾ إلى قوله ﴿وائتوني مسلمين﴾[1]. جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة.

---

(١) سورة النمل، آية: ٣١.

الثاني: ايجاز التقدير؛ وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق. و يسمى بالتضييق أيضاً، وبه سماه بدر الدين بن مالك في (المصباح).

الثالث: الإيجاز الجامع؛ وهو أن يحتوي على معان متعددة، نحو: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان﴾[١] الآية. فان العدل: هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الأفراط والتفريط، أما في الاعتقاد أو الأخلاق أو الأعمال. والاحسان: هو الاخلاص في واجبات العبودية، كما فسره في الحديث بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»، أي تعبده مخلصاً في نيتك، وواقفاً في الخضوع، آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى. وايتاء ذي القربى: زيادة على الواجب. هذا في الأوامر. وفي النواهي؛ الفحشاء: اشارة إلى القوة الشهوانية، والمنكر: أشارة إلى افراط القوة الغضبية. والبغي: إلى الاستعلاء الفائض عن القوة الوهمية. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية.

ومن بديع الايجاز: ﴿قل هو الله أحد...﴾[٢] إلى آخر السورة، فانها نهاية التنزيه، وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة. وقد أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد.

ومن أنواع الايجاز نوع مسمى بالتضمين؛ وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه. قال القاضي أبو بكر: وهو نوعان:

أحدهما: ما يفهم من البنية، نحو معلوم، فانه يوجب أنه لا بد له من عالم.

والثاني: من معنى العبارة نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فانه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه.

ومن ايجاز القصر: باب الحصر، سواء كان بالا أو بإنما أو بغيرهما من أدواته لأن الجملة فيها نائب مناب جملتين: وباب العطف، لأن حروفه وضعت

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.
(٢) سورة الإخلاص، آية: ١.

للاغناء عن العامل، وباب النائب عن الفاعل، لأنه دل على الفاعل باعطائه حكمه، وعلى المفعول بوضعه؛ وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصاراً، ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع امكان المتصل؛ وباب علمت أنك قائم، لأنه محتمل لأسم واحد سدمسد المفعولين من غير حذف؛ وباب التنازع إذا لم تقدر على رأي الفراء.

ومنها: طرح المفعول اقتصاراً على جعل المتعدي كاللازم.

ومنها: أدوات الاستفهام والشرط، فإن كم مالك يغني عن قول: أهو عشرون أم ثلاثون وهكذا.

ومنها: الالفاظ الملازمة للعموم كأحد.

ومنها: لفظ التثنية والجمع، فإنه يغني عن تكرير المفرد، وأقيم الحرف فيها مقامه اختصاراً.

ومما يصلح أن يعد من أنواعه: الاتساع، من أنواع البديع، وهو أن يؤتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني، كفواتح السور. ذكره ابن أبي الأصبغ.

القسم الثاني من قسمي الايجاز: ايجاز الحذف. وفيه فوائد ذكر أسبابه: منها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره.

ومنها: التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الاتيان (بالمحذوف)، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم. وهذه هي فائدة باب التحذير والاغراء.

ومنها: التفخيم والاعظام لما فيه من الابهام. قال حازم في (منهاج البلغاء): انما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه؛ أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف، ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها. قال: وهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس.

ومنها: التخفيف، لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف حرف النداء، نحو: ﴿يوسف أعرض﴾،[1] ، ونون «لم يك»، و ياء ﴿والليل إذا يسر﴾[2]. وسأل المؤرخ السدوسي الأخفش عن هذه الآية، فقال: عادة العرب أنها إذا عدلت عن بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسرى، وانما يسرى فيه، نقص منه حرف، كما قال تعالى: ﴿ما كانت أمك بغياً﴾[3]، الأصل بغية، فلما حول عن فاعل، نقص منه حرف.

ومنها: كونه لا يصلح إلا له: نحو: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾[4].

ومنها: شهرته حتى يستوي ذكره وتركه. قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال.

ومنها: صيانته عن ذكره تشريفاً.

ومنها: صيانة اللسان عنه تحقيراً له.

ومنها: قصد العموم، نحو: ﴿اياك نستعين﴾[5]، أي على العبادة وعلى كل أمورنا.

ومنها: رعاية الفاصلة، نحو: «وماقلى»، أي وما قلاك.

ومنها: قصد البيان بعد الابهام، نحو: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[6]، وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشية والارادة لا يذكر إلا إذا كان غريباً.

وأعلم أنهم فرقوا بين الحذف اقتصاراً واختصاراً. والأول: حذف بغير دليل؛ والثاني: الحذف بدليل. ثم الدليل أما حالي، نحو: ﴿قالوا سلاماً﴾، أي سلمنا سلاماً؛ أو مقالي، نحو: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢٩.
(٢) سورة الفجر، آية: ٤.
(٣) سورة مريم، آية: ٢٨.
(٤) سورة الأنعام، آية: ٧٣.
(٥) سورة الفاتحة، آية: ٥.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

خيراً﴾٣٣٢، أي أنزل خيراً؛ أو دليل عقلي حيث يدل على أن الكلام لا يصح إلا بتقدير محذوف، فتارة يدل على أصل الحذف والتعيين من دليل آخر، نحو: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[٢]، والعقل يعلم أن الحرمة من صفات الأفعال، والميتة من الأعيان، فيعرف أن هناك حذفاً، وكون المحذوف تناولها مستفاد من الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «انما حرم أكلها».

وتارة يدل على تعيين المحذوف، نحو: ﴿وجاء ربك﴾، أي أمره، لأن العقل دل على استحالة مجيء الباري، لأنه من سمات الحادث، وعلى أن الجائي أمره.

وقد تدل عليه العادة تارة، نحو: «فذلكن الذي لمتنني فيه»، ولا يكون يوسف عليه السلام ظرفاً للوم عقلاً، فالعادة تعينه وهو المراودة، إذ الحب المفرط لا يلام عليه عادة، والمحتمل هما لا غير بدليل السياق. وتارة يدل عليه التصريح في موضع آخر، وهو أقوى الدلائل، نحو: «رسول من الله»، أي من عند الله، بدليل: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾[٣].

ومن الأدلة على أصل الفعل العادة بأن لا يمنع العقل عن اجرائه على ظاهره من غير حذف، نحو: ﴿لو نعلم قتالاً لا تبعناكم﴾، والعقل وان جوز عدم علمهم بالقتال لكن العادة تمنعه، لأنهم كانوا أخبر الناس به، حتى كانوا يعيرون بعدم علمهم به، فلهذا قدر مجاهد: لو نعلم مكان قتال، و يدل عليه أنهم أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من المدينة.

قاعدة:

اعتبر الأخفش في الحذف التدريج حيث أمكن. ولهذا قال في: ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً﴾[٤]، أن الأصل لا تجزى فيه، فحذف حرف الجر، فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزى. وهذه ملاطفة في

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٠.
(٢) سورة المائدة، آية: ٣.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٠١.
(٤) سورة البقرة، آية: ٤٨.

الصناعة. ومذهب سيبويه أنهما حذفا معاً. قال ابن جني: وقول الأخفش أوفق في النفس، وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

قاعدة:

ينبغي تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل، ومن ثمة ضعف قول الفارسي في: ﴿ واللائي لم يحضن ﴾، أن التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر، والأولى أن يقدر كذلك.

قال الشيخ عز الدين: ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به، نحو: جعل الله الكعبة البيت الحرام، قدر أبو علي نصب الكعبة، وقدر غيره حرمة الكعبة، والثاني أفصح. ومهما تردد المحذوف بين الأحسن والحسن، وجب تقدير الأحسن، لأنه تعالى وصف كتابه بأحسن الحديث، فليكن محذوفاته أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظ. ومتى تردد بين أن يكون مجملاً، أو مبيناً، فتقدير المبين أحسن.

قاعدة:

إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً، وبين كونه مبتدأ والباقي خبراً، فالثاني أولى، لأن المبتدأ عين الخبر، فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفاً كلا حذف.

فأما الفعل فأنه غير الفاعل، اللهم الا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع أو موضع آخر يشبهه.

وأيضاً إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً، فكونه ثانياً أولى. ومن ثم رجح أن المحذوف في نحو: «أتحاجوني» نون الوقاية، لا نون الرفع؛ وفي «ناراً تلظى» التاء الثانية لا تاء المضارعة. وقد يجب كونه من الأول، نحو: ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي﴾[١]، في قراءة وملائكته بالرفع،

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

لاختصاص الخبر بالثاني، لوروده بصيغة الجمع. وقد يجب كونه من الثاني، نحو: ﴿ان الله بريء من المشركين ورسوله﴾[1]، أي بريء أيضاً لتقدم الخبر على الثاني.

واعلم أن الحذف على أنواع:

أحدها: ما يسمى بالاقتطاع. وهو حذف بعض حروف الكلمة، وأنكر ابن الأثير وروده في القرآن، ورد بأن من جعل كل حرف من فواتح السور اسماً من أسمائه تعالى مثله بها. وادعى بعضهم أن الباء في: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾[2] أول كلمة بعض، ثم حذف الباقي. ومنه قراءة بعضهم ونادوا يامال، بالترخيم، ولما سمعها بعض السلف، قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم. وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما بهم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة، و يدخل في هذا النوع حذف أنا من قوله: ﴿لكنا هو الله ربي﴾[3]، إذ الأصل لكن أنا، حذفت همزة أنا تخفيفاً، ثم أدغمت النون في النون.

وثانيها: ما يسمى بالاكتفاء. وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالباً بالارتباط العطفي، كقوله تعالى: ﴿وسرابيل تقيكم الحر﴾[4]، أي والبرد، وخصص الحر بالذكر، لأن الخطاب للعرب، والوقاية من الحر أهم في بلادهم لشدة الحر من البرد عندهم، وقيل: لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله تعالى: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾[6]، وفي قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء﴾[7]. ومن أمثلة هذا النوع: ﴿بيدك الخير﴾[8]، أي والشر، وانما خص الخير بالذكر

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩.
(٢) سورة المائدة، آية: ٦.
(٣) سورة الكهف، آية: ٣٨.
(٤) سورة النحل، آية: ٨١.
(٥) سورة النحل، آية: ٨٠.
(٦) سورة النحل، آية: ٨١.
(٧) سورة النحل، آية: ٥.
(٨) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن اضافة الشر إلى الله تعالى، ليس من باب الأدب، كما قال صلى الله عليه وسلم: والشر ليس اليك».

ومنها: ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾[1]، أي وما تحرك، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون.

ومنها: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[2]، أي والشهادة، لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم للإيمان بالشهادة من غير عكس.

ومنها: ﴿ورب المشارق﴾، أي والمغارب.

ومنها: ﴿هدى للمتقين﴾، أي وللكافرين. قال ابن الأنباري: و يؤيده: قوله تعالى: ﴿هدى للناس﴾.

ومنها: ﴿ان امرؤ هلك ليس له ولد﴾[3]، أي ولا والد، بدليل أنه أوجب للأخت النصف، وانما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها.

وثالثها: ما يسمى بالاحتباك. وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة، ولم أره إلا في (شرح بديعية الأعمى) لرفيقه الأندلسي، وذكره الزركشي في (البرهان)، ولم يسمه هذا الأسم، بل سماه الحذف المقابلي.

وأفرده بالتصنيف العلامة برهان الدين البقاعي.

قال الأندلسي في (شرح البديعية):

من أنواع البديع: الاحتباك؛ وهو نوع عزيز؛ وهو أن يحذف من الأول ما

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، آية: ٣.
(٣) سورة النساء، آية: ١٧٦.

أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق﴾ الآية. التقدير: ومثل الأنبياء والكفار، كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول: الأنبياء، لدلالة الذي ينعق عليه، ومن الثاني: الذي ينعق به، لدلالة الذين كفروا عليه. وقوله تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء﴾[1]، فحذف من الأول تدخل غير بيضاء، ومن الثاني وأخرجها.

قال الزركشي: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه. ومن أمثلته: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً»، أي عملاً صالحاً بسيء، وآخر سيئاً بصالح. ومن لطيفه قوله تعالى: ﴿فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة﴾[2]، أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت. وله في القرآن نظائر. وهو أبلغ ما يكون من الكلام. ومأخذ هذه التسمية من الحبك، الذي معناه الشد والأحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب؛ فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج، وشده وأحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق. وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام، شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حائكاً له، مانعاً من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق.

النوع الرابع: ما يسمى بالاختزال؛ وهو ما ليس واحداً مما سبق. وهو أقسام؛ لأن المحذوف أما كلمة اسم، أو فعل، أو حرف، أو أكثر.

أمثلة حذف الاسم:

حذف المضاف: وهو كثير في القرآن جداً، حتى قال ابن جني: في القرآن منه زهاء ألف موضع.

---

(١) سورة النمل، آية: ١٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٩.

حذف المبتدأ: يكثر في جواب الاستفهام، نحو: ﴿وما أدراك ماهية نار﴾[1]، أي هي نار؛ وبعد فاء الجواب، نحو: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ أي فعمله لنفسه، ﴿ومن أساء فعليها﴾[2]، أي اساءته عليها؛ وبعد القول، نحو: ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾[3]؛ وبعدما الخبر صفة له في المعنى، نحو: ﴿صم بكم عمى﴾[4].

وحذف الخبر: نحو: ﴿أكلها دائم وظلها﴾[5]، أي دائم؛ ويحتمل الأمرين، نحو: «فصبر جميل»، أي أجمل، أو فأمري صبر جميل.

حذف الصفة، نحو: ﴿يأخذ كل سفينة﴾[6]، أي صالحة، بدليل أنه قرىء كذلك.

حذف المعطوف عليه، نحو: ﴿أن أضرب بعصاك الحجر فانفلق﴾[7]، أي فضرب فانفلق.

وحذف المعطوف مع العاطف، نحو: ﴿بيدك الخير﴾[8] أي والشر.

حذف المبدل منه، نحو ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾[9]، أي لما تصفه، والكذب بدل من الهاء.

حذف الفاعل: لا يجوز إلا في فاعل المصدر، نحو: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾[10]، أي من دعائه. وجوزه الكسائي مطلقاً لدليل، وخرج عليه: ﴿إذا بلغت التراقي﴾[11]، أي الروح؛ ﴿حتى توارت بالحجاب﴾[12]، أي الشمس.

---

(١) سورة القارعة، آية: ١١.
(٢) سورة فصلت، آية: ٤٦.
(٣) سورة الفرقان، آية: ٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٨.
(٥) سورة الرعد، آية: ٣٥.
(٦) سورة الكهف، آية: ٧٩.
(٧) سورة الأعراف، آية: ١٦٠.
(٨) سورة آل عمران، آية: ٢٦.
(٩) سورة النحل، آية: ١١٦.
(١٠) سورة فصلت، آية: ٤٩.
(١١) سورة القيامة، آية: ٢٦.
(١٢) سورة ص، آية: ٣٢.

حذف المفعول: تقدم أنه كثير في مفعول المشية والإرادة، ويرد في غيرهما، نحو: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾[1]، أي إلـهاً؛ ﴿كلا سوف تعلمون﴾، أي عاقبة أمركم.

حذف الحال: يكثر اذا كان قولاً، نحو: ﴿الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام﴾[2]، أي قائلين.

حذف المنادى: ألا يا اسجدوا؛ أي يا هؤلاء. يا ليت: أي يا قوم.

حذف العائد: يقع في أربعة أبواب: الصلة، نحو: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾[3]، أي بعثه الله؛ والصفة، نحو: ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس﴾[4]، أي فيه؛ والخبر، نحو: ﴿وكلا وعد الله﴾[5] أي وعده؛ والحال.

حذف مخصوص نعم: ﴿انا وجدناه صابراً نعم العبد﴾[6]، أي أيوب.

حذف الموصول: ﴿آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم﴾[7]، أي والذي أنزل اليكم، لأن الذي أنزل الينا غير الذي أنزل اليكم، فيقدر.

حذف الفعل:

يطرد إذا كان مفسراً، نحو: ﴿وان أحد من المشركين استجارك﴾[8].

حذف الحرف

قيل: حذف الحرف ليس بقياس، لأن الحروف للأختصار، فلو كنت تحذفها، لكنت تختصرها، واختصار المختصر إجحاف به.

حذف همزة الاستفهام، نحو: ﴿وتلك نعمة تمنها عليّ﴾[9]، أي: أو تلك.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٢.
(٢) سورة الرعد، آية: ٢٣.
(٣) سورة الفرقان، آية: ٤١.
(٤) سورة البقرة، آية: ٤٨، وآية: ١٢٣.
(٥) سورة الحديد، آية: ١٠.
(٦) سورة ص، آية: ٤٤.
(٧) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.
(٨) سورة التوبة، آية: ٦.
(٩) سورة الشعراء، آية: ٢٢.

حذف الموصول الحرفي

قال ابن مالك: لا يجوز إلا في أن، نحو: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾[1].

حذف الجار

يطرد مع أن وإن، نحو: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾[2]، أي بأن، ونحو: ﴿يعدكم أنكم﴾، أي بأنكم؛ وجاء مع غيرهما، نحو: ﴿قدرناه منازل﴾، أي قدرنا له، ﴿واختار موسى قومه﴾، أي من قومه.

حذف العاطف

نحو: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾[3]، أي ووجوه، عطفاً على: ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾[4].

حذف فاء الجواب

نحو: ﴿ان ترك خيراً الوصية للوالدين﴾[5].

حذف حرف النداء

كثير، نحو: ﴿يوسف أعرض﴾[6]. وفي العجائب للكرماني: كثر حذف ياء في القرآن من الرب تنزيهاً وتعظيماً، لأن في النداء طرفاً من الأمر، نحو: ﴿رب إني وهن العظم﴾[7].

حذف قد: في الماضي، إذا وقع حالاً، نحو: ﴿أو جاؤكم حصرت صدورهم﴾[8]؛ أي قد حصرت.

---

(١) سورة الروم، آية: ٢٤.
(٢) سورة الحجرات، آية: ١٧.
(٣) سورة الغاشية، آية: ٨.
(٤) سورة الغاشية، آية: ٢.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٠.
(٦) سورة يوسف، آية: ٢٩.
(٧) سورة مريم، آية: ٤.
(٨) سورة النساء، آية: ٩٠.

حذف لا النافية

يطرد في جواب القسم، إذا كان المنفي مضارعاً، نحو: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾[١]، أي لا يطيقونه».

حذف لام المتوطئة

نحو: ﴿وان أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[٢].

حذف لام الأمر

نحو: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا﴾[٣].

حذف لام لقد

يحسن مع طول الكلام، نحو: ﴿قد أفلح من زكاها﴾[٤].

حذف نون التوكيد

نحو قراءة ألم نشرح بالنصب.

حذف نون الجمع

عليه قراءة: ﴿وما هم بضارين به من أحد﴾[٥].

حذف التنوين

عليه قراءة: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾[٦] بالنصب.

حذف حركة الأعراب والبناء

وعليه قراءة: بارئكم، و يأمركم بسكونها.

أمثلة حذف اكثر من كلمة

حذف مضافين

نحو: ﴿من أثر الرسول﴾[٧]، أي من أثر حافر فرس الرسول.

حذف ثلاثة مضافات

نحو: ﴿فكان قاب قوسين﴾[٨] أي كان مقدار مسافة قربة مثل قاب

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٤.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢١.
(٣) سورة ابراهيم، آية: ٣١.
(٤) سورة الشمس، آية: ٩.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٠٢.
(٦) سورة يس، آية: ٤٠.
(٧) سورة طه، آية: ٩٦.
(٨) سورة النجم، آية: ٩.

قوسين، فحذف ثلاثة من اسم كان، وواحد من خبرها.

حذف مفعولي باب ظن

﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾[1]، أي تزعمونهم شركاء.

حذف الجار مع المجرور

﴿خلطوا عملاً صالحاً﴾ أي بسيء، ﴿وآخر سيئاً﴾، أي بصالح[2].

حذف العاطف مع المعطوف

تقدم

حذف الشرط وفعله

يطرد بعد الطلب، نحو: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾[3]، أي أن اتبعتموني.

حذف جواب الشرط

نحو: ﴿ولو جئنا بمثله مدداً﴾[4]، أي لنفد البحر.

حذف جملة القسم

نحو: ﴿لأعذبنه عذاباً﴾[5]، أي والله.

حذف جوابه

﴿والنازعات غرقاً﴾[6] الآيات، أي لتبعثن؛ ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾[7]، أي لمعجز.

حذف جملة مسببة عن المذكور

نحو: ﴿ليحق الحق و يبطل الباطل﴾[8]، أي فعل ما فعل.

حذف جمل كثيرة

نحو: ﴿فأرسلون يوسف أيها الصديق﴾[9] أي فأرسلون إلى يوسف، لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه، فقال له: يا يوسف.

---

(١) سورة القصص، آية: ٦٢، وآية: ٧٤.
(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٢.
(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.
(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٩.
(٥) سورة النمل، آية: ٢١.
(٦) سورة النازعات، آية: ١.
(٧) سورة ص، آية: ١.
(٨) سورة الأنفال، آية: ٨.
(٩) سورة يوسف، آية: ٤٥، ٤٦.

واعلم أنه تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم، وتارة يقام ما يدل عليه، نحو: ﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم﴾[1]، فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم، وانما التقدير: فإن تولوا فلا لوم عليَّ، أو فلا عذر لكم، لأني أبلغتكم.

إذا عرفت حال الايجاز، وأنه ينقسم إلى ايجاز قصر وايجاز حذف.

فاعلم أن الأطناب ينقسم إلى بسط وزيادة.

فالأول: يكون بتكثير الجمل، كقوله تعالى: ﴿ان في خلق السموات والأرض..﴾[2] الآية في سورة البقرة، أطنب فيها أبلغ أطناب لكون الخطاب مع الثقلين، وفي كل عصر وحين، للعالم منهم والجاهل، والموافق والمنافق.

الثاني: يكون بالمفردات، وذلك أنواع:

أحدها: دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات وهي: إن، وأن، ولام الابتداء، والقسم، والا الاستفتاحية، وايا، وها للتنبيه، وكأن في تأكيد التشبيه، ولكن في تأكيد الاستدراك، وليت في تأكيد التمني، ولعل في تأكيد الترجي، وضمير الشأن، وضمير الفصل، وأما في تأكيد الشرط، وقد، والسين، وسوف، والنونان في تأكيد الفعلية، ولا التبرئة، ولن، ولما في تأكيد النفي. وانما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكراً أو متردداً. و يتفاوت التأكيد بحسب قوة الانكار وضعفه. وقد تقرر تفصيله في علم المعاني.

الثاني: دخول الأحرف الزائدة. قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة أخرى. وقال الزمخشري في كشافه: تقديم الباء في خبر ما وليس لتأكيد النفي، كما أن اللام لتأكيد الايجاب.

الثالث: التأكيد الصناعي، وهو أربعة أقسام:

---

(١) سورة هود، آية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

أحدها: التوكيد المعنوي بكل وأجمع وكلا وكلتا، وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول.

وثانيها: التأكيد اللفظي، وهو تكرار اللفظ، أما بمرادفه، نحو: «ضيقاً حرجاً»، وأما بلفظه، ففي الأسم، نحو: ﴿دكا دكا﴾، وفي الفُعل، نحو: ﴿فهل الكافرين أمهلهم﴾، واسم الفعل، نحو: ﴿هيهات هيهات»، والحرف، نحو: ﴿ففي الجنة خالدين فيها﴾، والجملة، نحو: ﴿فإن مع العسر يسراً. ان مع العسر يسراً﴾[1]. والأحسن اقتران الثانية بثم، نحو: ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾[2].

ومن هذا النوع: تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، نحو: ﴿أسكن أنت وزوجك﴾[3]، ﴿وأما أن نكون نحن الملقين﴾[4]؛ ومن تأكيد المنفصل بمثله، نحو: ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾.

وثالثها: تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل بخلاف التوكيد السابق، فإنه لرفع توهم المجاز في المسند إليه. مثاله: ﴿وسلموا تسليماً﴾[5].

والأصل أن ينعت بالوصف المراد، نحو: ﴿أذكروا الله ذكراً كثيراً﴾[6]، ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾[7]. وقد يضاف وصفه اليه، نحو: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[8]. وقد يؤكد بمصدر فعل آخر، واسم عين نيابة عن المصدر، نحو: ﴿وتبتل اليه تبتيلاً﴾[9]، والمصدر تبتلاً؛ ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾[10]، أي إنباتاً، والنبات اسم عين.

---

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.
(٢) سورة التكاثر، الآيتان ٣، ٤.
(٣) سورة البقرة، آية: ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، آية: ١١٥.
(٥) سورة البقرة، آية: ٥٦.
(٦) سورة الأحزاب، آية: ٤١.
(٧) سورة الأحزاب، آية: ٤٩.
(٨) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.
(٩) سورة المزمل، آية: ٨.
(١٠) سورة نوح، آية: ١٧.

ورابعها: الحال بالمؤكدة نحو: ﴿يوم أبعث حياً﴾[1]، و﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾[2].

الرابع: التكرير، وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، خلافاً لبعض من غلط. وله فوائد:

منها: التقرير. وقد قيل: الكلام اذا تكرر، تقرر. قال تعالى: ﴿وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون﴾[3]، ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾. وهذا هو السبب في تكرير الأقاصيص والانذار في القرآن.

ومنها: التأكيد.

ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول. ومنه: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد. يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع﴾[4] فإنه كرر فيه النداء لذلك.

ومنها: إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانياً، تطرئة له وتجديداً لعهده، نحو: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم﴾[5].

ومنها: التعظيم والتهويل، نحو: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾[6]، و ﴿القارعة ما القارعة﴾[7]، ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾[8].

واعلم أنه قد يورد في صورة التكرار وليس منه، كالقصص المتكررة. مثلاً: ذكر الله موسى في كتابه في مائة وعشرين موضعاً، وقصة نوح في خمس وعشرين آية، وذكر قصة موسى في سبعين آية.

وألف البدر بن جماعة كتاباً سماه: (المقتص في فوائد تكرار القصص). وذكر فوائد:

---

(٩) سورة مريم، آية: ٣٣.
(١٠) سورة النساء، آية: ٧٩.
(١١) سورة طه، آية: ١١٣.
(١) سورة غافر، الآيتان: ٣٨، ٣٩.
(٢) سورة يوسف، آية: ٤.
(٣) سورة الحاقة، الآيتان: ١، ٢.
(٤) سورة القارعة، الآيتان: ١، ٢.
(٥) سورة الواقعة، آية: ٢٧.

منها: أن في كل منها زيادة ليست في الأخرى، أو ابدال كلمة بالأخرى، وهذه عادة البلغاء.

ومنها: أن الرجال من الطوائف يترددون، فكرر لئلا يفوت عن كل طائفة كل هذه القصص.

ومنها: أن في ابراز الكلام في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة، ما لا يخفى من الفصاحة.

ومنها أن الدواعي تتوفر على نقل الأحكام دون القصص، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

ومنها: أن فيه اظهار عجز القوم، لأنهم عجزوا عنه بأي نظم جاءوا، وبأي عبارة عبروا.

ومنها: أنه لما تحداهم، وقال: ﴿فائتوا بسورة من مثله﴾[1]، لربما توهم أنكم تعجزون كعجزنا، فكرر دفعاً لهذا الوهم.

ومنها: أن النفوس مجبولة على حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها.

وأيضاً مع هذا التكرير، لم يحصل فيه الجنة، ولا ملل لسامعه، فباين كلام المخلوقين.

وأما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف عليه السلام، فوجوه:

أحدها: الاغضاء عن عشق النسوة وسترها أولى.

وثانيها: أن فيها حصول الفرج بعد الشدة، فتتوفر الدواعي على نقلها من غير تكرير.

وثالثها: لم تكرر اشارة كررها، اشارة الى عجز العرب، كأنه صلى الله عليه وسلم قال لهم: إن كان القرآن من البشر، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص. وهذا ما ذكره الأستاذ أبو إسحق الاسفرايني.

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣.

ورابعها: أنها نزلت بسبب طلب الصحابة، فنزلت مبسوطة تامة. قلت: وهذا الوجه جواب لبسطها، لا لعدم تكريرها، والكلام في التكرير.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه: أن سائر القصص أنزلت لافادة إهلاك من كذبوا الرسل، والتنبيه على المشركين بذلك، والحاجة إلى هذا متكررة بخلاف قصة يوسف. وبهذا يعلم وجه عدم تكرير قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة موسى مع الخضر، وقصة الذبيح.

فإن قلت: قد تكررت قصة ولادة يحيى، وولادة عيسى مرتين، وليست من قبيل ما ذكرت. قلت:

الأولى: في سورة كهيعص وهي مكية، أنزلت خطاباً لأهل مكة.

والثانية: في سورة آل عمران وهي مدنية، أنزلت خطاباً لليهود ونصارى نجران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة.

النوع الخامس: الصفة؛ وترد لأسباب:

أحدها: التخصيص في النكرة، نحو: «فتحرير رقبة مؤمنة﴾[(1)].

الثاني: التوضيح في المعرفة؛ أي لزيادة البيان، نحو: ﴿ورسوله النبي الأمي﴾[(2)].

الثالث: المدح والثناء، نحو صفات الله تعالى.

الرابع: الذم، نحو: «الرجيم».

الخامس: التأكيد لرفع الابهام، نحو: ﴿لا تتخذوا الهين اثنين﴾[(3)]، فهي الاتخاذ لكونهما اثنين، لا لمعنى آخر، من كونهما عاجزين أو غير ذلك. فكما أن الوحدة للنوعية، ولنفي العدد، كذلك نفي التثنية قد يكون لنفي الوحدة النوعية، وقد يكون لنفي الاثنينية.

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) سورة النحل، آية: ٥١.

فائدة:

الصفة العامة لا تأتي بعد الصفات الخاصة، فلا يقال: فصيح متكلم، بل يعكس. و يشكل في اسماعيل: ﴿وكان رسولاً نبياً﴾[١]. ويجاب: بأنه حال، أي مرسلاً لا صفة. واذا وقعت الصفة بين متضائفين أولهما عدد، جاز اجراؤها على المضاف، نحو: ﴿سبع سموات طباقاً﴾[٢]؛ وعلى المضاف اليه، نحو: ﴿سبع بقرات سمان﴾[٣]. وإذا تكررت النعوت لواحد، فإن تباعد معانيها، فالأحسن العطف، نحو: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾[٤]، وإلا تركه، نحو: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم...﴾[٥] الآية.

فائدة:

قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها، لأن المقام يقتضي الأطناب، والمعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً. مثاله في المدح: ﴿والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة﴾[٦] إلى قوله تعالى ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين﴾[٧]؛ ومثاله في الذم ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾[٨].

النوع السادس: البدل؛ والقصد به الإيضاح بعد الابهام؛ وفائدته البيان والتأكيد. أما البيان فواضح؛ وأما التأكيد فلأنه على نية تكرير العامل، فكأنه من جملتين، ولأنه دل على ما دل عليه الأول: أما بالمطابقة في بدل الكل وأما بالتضمن في بدل البعض، أو بالالتزام في بدل الاشتمال.

النوع السابع: عطف البيان. وهو في الإيضاح كالصفة، لكن يفارقها في أنه وضع ليدل على الايضاح باسم مختص به، بخلاف الصفة، فإنها وضعت

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.
(٢) سورة الملك، آية: ٣.
(٣) سورة يوسف، آية: ٤٣.
(٤) سورة الحديد، آية: ٣.
(٥) سورة القلم، الآيتان: ١٠، ١١.
(٦) سورة النساء، آية: ١٦٢.
(٧) سورة البقرة، آية: ١٧٧.
(٨) سورة المسد، آية: ٤.

لتدل على معنى حاصل في متبوعها، ويفارق البدل بأن البدل هو المقصود، كأنك قررته في موضع المبدل منه، وعطف البيان؛ وما عطف عليه، كل منهما مقصود.

النوع الثامن: عطف أحد المترادفين على الآخر؛ والقصد منه التأكيد أيضاً، نحو: ﴿انما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾[1]. وأنكر المبرد وجود هذا في القرآن، وأول ما وجد منه باختلاف المعنيين. وقال من جوز وجوده، أن في مجموع المترادفين معنى لا يوجد عند انفرادهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد معنى زائداً، ففي كثرة الألفاظ أولى.

النوع التاسع: عطف الخاص على العام، للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات.

وحكى أبو حيان عن شيخه، أنه سماه بالتجريد، كأنه جرد من الجملة، وأفرده بالذكر تفضيلاً، نحو: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾[2] ومما ينبغي أن ينبه عليه أن المراد بالعام ما كان شاملاً، وبالخاص ما كان مشمولاً، لا مصطلح الأصوليين.

النوع العاشر: عطف العام على الخاص. وأنكر بعضهم وجوده، فأخطأ، لوضوح فائدته، وهي التعميم. والاهتمام بالأول لأفراده بالذكر، نحو: ﴿ان صلاتي ونسكي﴾[3]؛ ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾[4]. ونظائره كثيرة في القرآن.

النوع الحادي عشر: الإيضاح بعد الابهام. وفائدته: رؤية المعنى في صورتين مختلفتين من الابهام والايضاح، أو لتمكن المعنى تمكناً قوياً، إذ المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب؛ أو لتكمل لذة العلم به، فإن الشيء إذا

---

(1) سورة يوسف، آية: ٨٦.
(2) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.
(3) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.
(4) سورة الحجر، آية: ٨٧.

علم من وجه، ما تشوقت النفس للعلم بباقي وجوهه وتأملت، فإذا عرفتها، كانت لذته أشد من لذة ما عرف من جميع الوجوه دفعة واحدة. ومنه: ﴿رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري﴾[1].

النوع الثاني عشر: التفسير. قال أهل البيان: وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء، فيؤتى بما يزيله و يفسره، نحو: ﴿ان الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً﴾[2].

النوع الثالث عشر: وضع الظاهر موضع المضمر. وألف فيه ابن الصائغ تأليفاً مفرداً. وله فوائد:

منها: زيادة التقرير والتمكين، نحو: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد﴾[3]، مكان هو الصمد؛ ونحو: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾[4]، مكان و به نزل. وله نظائر كثيرة في القرآن.

ومنها: قصد التعظيم، نحو ﴿واتقوا الله و يعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾[5].

ومنها: قصد الاهانة والتحقير، نحو: ﴿أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان﴾[6]، مكان ألا أن حزبه.

ومنها: ازالة اللبس، حيث يوهم الضمير أنه عين الأول، نحو: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك﴾[7]، إذ لو قال: تؤتيه، لأوهم أنه الأول: ونحو: ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء﴾[8]، ولو قال: دائرته، لأوهم أن الضمير عائد إلى الله.

ومنها: قصد تربية المهابة، وادخال الروع على ضمير السامع، بذكر الأهم المقتضى لذلك، كما يقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمرك بكذا.

---

(١) سورة طه، آية: ٢٥.
(٢) سورة المعارج، آية: ١٩.
(٣) سورة الإخلاص، الآيتان: ١، ٢.
(٤) سورة الإسراء، آية: ١٠٥.
(٥) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.
(٦) سورة المجادلة، آية: ١٩.
(٧) سورة آل عمران، آية: ٢٦.
(٨) سورة الفتح، آية: ٦.

ومنها: قصد تقوية داعي المأمور، نحو: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾[1].

ومنها: تعظيم الأمر، نحو: ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾[2].

ومنها: الاستلذاذ بذكره، نحو: ﴿وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة﴾[3]، ولم يقل منها..

ومنها: التوصل بالظاهر إلى الوصف، نحو: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾[4].

ومنها: التنبيه على علة الحكم، نحو: ﴿فبدل الذين ظلموا﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾[5]، حيث لم يقل: عدو لهم، إعلاماً بأن من عادى لهم فهو كافر، وأن الله انما عاداه الكفرة.

ومنها: قصد العموم، نحو: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة﴾[6] لم يقل: إنها، لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه.

ومنها: قصد الخصوص، نحو: ﴿إن وهبت نفسها للنبي﴾[7]، لم يقل لك تصريحاً بأنه خاص به.

ومنها: الاشارة إلى عدم دخول الجملة الثانية في حكم الأولى، نحو: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل﴾[8]، فإن يمحو الله استئناف لا داخل في حكم الشرط.

ومنها: مراعاة الجناس، نحو: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾[9] إلى آخر السورة.

ومنها: مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب، نحو قوله تعالى: ﴿أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى﴾[10].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.
(٢) سورة العنكبوت، آية: ١٩.
(٣) سورة الزمر، آية: ٧٤.
(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.
(٥) سورة البقرة، الآيات: ٥٩-٩٨.
(٦) سورة يوسف، آية: ٥٣.
(٧) سورة الأحزاب، آية: ٥٠.
(٨) سورة الشورى، آية: ٢٤.
(٩) سورة الناس، آية: ١.
(١٠) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

النوع الرابع عشر: الايغال. وهو الامعان، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها. وتوهم أنه خاص بالشعر، مردود بأنه وقع في القرآن، نحو: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين. اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾(١)، فقوله: وهم مهتدون، يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسول، والترغيب فيه، وله غير هذا نظير في القرآن.

النوع الخامس عشر: التذييل. وهو أن يؤتى بجملة عقيب جملة، والثانية تشتمل على معنى الأولى، لتأكيد منطوقه أو مفهومه، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه، نحو: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾(٢).

النوع السادس عشر: الطرد والعكس. هو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس، نحو: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(٣). وهذا نظير الاحتباك في الايجاز.

النوع السابع عشر: التكميل، ويسمى بالاحتراس. وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، نحو: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾(٤)، فإنه لو اقتصر على: أذلة، لتوهم أنه لضعفهم؛ ومثله: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾(٥)، ولو اقتصر على: أشداء، لتوهم أنه لغلظهم.

النوع الثامن عشر: التتميم. وهو أن يؤتى في كلام، لا يوهم غير المراد، بفضلة تفيد نكتة، كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾(٦)، أي مع حب الطعام، أي اشتهائه، فإن الاطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجراً؛ ومثله: ﴿وآتى المال على حبه﴾(٧).

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٨١.
(٣) سورة التحريم، آية: ٦.
(٤) سورة المائدة، آية: ٥٤.
(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(٦) سورة الإنسان، آية: ٨.
(٧) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

النوع التاسع عشر: الاستقصاء. وهو أن يتناول المتكلم معنى، فيستقصيه، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه، بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً، كقوله تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة...﴾ الآية[1]، إذ لو اقتصر على قوله: جنة، لكان كافياً، إلا أنه وصفها بالنخيل والأعناب، فإن مصاب صاحبها بها أعظم؛ ثم تمم هذا الوصف بقوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾؛ ثم كمل وصفها بعد التتميمين، فقال: ﴿له فيها من كل الثمرات﴾، فأتى بكل ما يكون، ليكون أسف من أفسدها أشد؛ ثم وصف صاحبها بقوله: ﴿وأصابه الكبر﴾، ثم استقصى المعنى بما يوجب تعظيم المصاب، بقوله تعالى ﴿وله ذرية﴾؛ ثم وصفها بالضعاف؛ ثم ذكر استئصال الجنة بالهلاك في أسرع وقت، فقال: ﴿فأصابها﴾ ثم زاد قوله: ﴿فيه نار﴾؛ ثم رد احتمال ضعف النار، فأخبرنا باحتراقها دفعاً لما يتوهم من احتمال ضعف النار، أو منع الأنهار، ورطوبة الأشجار، تأثيرها، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله: ﴿فاحترقت﴾. فهذا أحسن استقصاء في كلام وأتمه وأكمله.

قال ابن أبي الأصبع: والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل، أن التتميم يرد على المعنى الناقص، والتكميل على التام، والاستقصاء على التام الكامل.

النوع العشرون: الاعتراض؛ ويسمى التفاتاً. وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الأعراب في أثناء كلام أو كلامين، اتصلا معنى، لنكتة غير دفع الأبهام، نحو: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾[2]، فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك. وقد يكون الاعتراض بجملتين أو أكثر، حتى أن في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، إلى قوله ﴿متكئين على فرش﴾[3]، اعتراض بسبع جمل، ومن وقوع اعتراض في اعتراض، قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٦.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٣) سورة الرحمن، الآيات: ٤٦-٥٤.

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[1] فإن قوله تعالى: ﴿وأنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ اعتراض، وقوله: ﴿لو تعلمون﴾ اعتراض في ذلك الاعتراض.

قال الطيبي في (التبيان): ووجه حسن الاعتراض حسن الافادة، مع أن مجيئه مجيء ما لا يرقب، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب.

النوع الحادي والعشرون: التعليل. وفائدته: تقرير جواب اقتضته الجملة الأولى والأبلغية، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعلَّلة من غيرها. وحروف التعليل واللام وإن وأن وإذ والباء وكي ومن ولعل.

ولعمري لقد آثرنا الأطناب في مباحث الايجاز والأطناب لأنها مما تمس إليه حاجة الطلاب ومن الله التوفيق للصواب.

علم معرفة الخبر والانشاء

واعلم أن أهل البيان قاطبة، والحذاق من النحاة على انحصار الكلام فيها، ولا عبرة بمن قال إنه عشرة أقسام، نداء، ومسألة، وأمر وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام.. وقيل تسعة بإدخال الأستفهام في المسألة، وقيل ثمانية بإدخال الشفع فيها أيضاً، وقيل سبعة بإدخال الشك في الخبر.

.. وقال الأخفش: ستة، خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ونداء، وتمنٍ.

وقيل خمسة: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء، وقيل أربعة خبر، واستخبار، وطلب، ونداء.

.. وقال كثيرون ثلاثة: خبر، وطلب، وإنشاء، لأن الكلام أما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا، الأول الخبر، والثاني أن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وان تأخر عنه فهو الطلب.

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦.

.. والمحققون قالوا: طلب الضرب مقترن بلفظ اضرب، وأما الضرب يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه.

واختلفوا في حد الخبر، قيل لا يحد لعسره، وقيل لأنه ضروري اذ كل أحد يفرق بين الخبر والانشاء ضرورة، ورجحه الامام في (المحصول) والأكثر على حده.

فقال القاضي أبو بكر والمعتزلة: الخبر، الكلام الذي يدخله الصدق والكذب، وقد عرفوه بحدود مزيفة ذكرها السكاكي في (المفتاح)، ثم يظهر منه حد الإنشاء لأنه يقابله.

.. والتعجب، قيل: تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

وقال الرماني: التعجب انما هو المعنى الخفي سببه، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً، وكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن، ولهذا لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه جهل وهو تعالى منزه عن ذلك، ولهذا لا يقولون إذا صدرت صيغته عنه أنه تعجب من الله تعالى لأنه يصرف إلى المخاطبين.

واعلم أن من أقسام الخبر، النفي، بل هو شطر الكلام كله، والنفي أعم من الجحد إذ الجحد يختص بالكذب، وأدوات النفي؛ لا، ولات، وليس، وما، وان، ولم، ولما.

واعلم أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع امكانه، وان نفي الذات الموصوفة قد يكون نفياً للصفة دون الذات، وقد يكون نفياً للذات والصفة معاً، وقد ينفي الشيء رأساً لعدم كمال وصفه، أو انتفاء ثمرته لا لنفيه في نفسه حقيقة نحو «لا يموت فيها ولا يحيى» لأنه ليس بموت صريح ولا حياة طيبة، ونفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والإمكان.

وقد يراد به نفي الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة، ونفي العام يدل

على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام، ونفيه لا يدل على نفيه.

ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ يوجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص، واثبات الخاص أحسن من اثبات العام، ونفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل، وقد أشكل على هذا آيتان وهما ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[1] ﴿وما كان ربك نسياً﴾[2].

وأجيب عن الأولى بأجوبة، أحدها: أن صيغة: ظلام في مقابلة العبيد الذي هو الجمع، فكثرة الظلم المنفي لكثرة العبيد لا لكثرته في نفسه.

وثانيها: أن من ترك النفع الكثير بالظلم الكثير فلأن يترك القليل أولى.

وثالثها: أن معناه النسب أي ذو ظلم.

ورابعها: أنه مجرد عن معنى الكثرة بل بمعنى فاعل.

وخامسها: أن القليل منه تعالى كثير، كما يقال: زلة العالم كبيرة.

وسادسها: أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم، تأكيداً للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام.

وسابعها: أنه ورد جواباً لمن قال: ظلام، والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص لم يكن له مفهوم.

وثامنها: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله، سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك.

وتاسعها: أنه قصد التعريض بأن ظلاماً للعبيد من ولاة الجور، ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة، وبعاشر: وهو مناسبة رؤوس الآى.

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٦.

(٢) سورة مريم، آية ٦٤.

ومن أقسام الإنشاء:

الاستفهام

وهو طلب الفهم بمعنى الاستخبار، وقيل الاستخبار ما وقع أولاً. والاستفهام ما وقع ثانياً، وقد يستعمل في غيره مجازاً.

منها **الانكار**، ومعناه النفي، وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا.

ومنها **التوبيخ**، وما تقدم انكار نفي وهذا انكار توبيخ.

ومنها: **التقرير**، وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر استقر عنده.

ومنها **التعجب أو التعجيب**، نحو ﴿مالي لا أرى الهدهد﴾[١].

ومنها **العتاب**، نحو ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾[٢].

ومنها: **التذكير**، وفيه نوع اختصار نحو، ﴿ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان﴾[٣].

ومنها: **الافتخار**، نحو ﴿أليس لي ملك مصر﴾[٤].

ومنها: **التفجع**، نحو، ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[٥].

ومنها: **التهويل والتخويف**، نحو ﴿الحاقة ما الحاقة﴾[٦].

ومنها: **عكسه، وهو التسهيل والتخفيف**، نحو ﴿وماذا عليهم لو آمنوا﴾[٧].

ومنها: **التهديد والوعيد**، نحو ﴿ألم نهلك الأولين﴾[٨].

ومنها: **التكثير**، نحو ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾[٩].

ومنها: **التسوية**، نحو ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾[١٠].

---

(١) سورة النمل، آية: ٢٠.
(٢) سورة الحديد، آية: ١٦.
(٣) سورة يس، آية: ٦٠.
(٤) سورة الزخرف، آية: ٥١.
(٥) سورة الكهف، آية: ٤٩.
(٦) سورة الحاقة، الآيتان: ١ و ٢.
(٧) سورة النساء، آية: ٣٩.
(٨) سورة المرسلات، آية: ١٦.
(٩) سورة الأعراف، آية: ٤.
(١٠) سورة يس، آية: ١٠.

ومنها: **الأمر**، نحو ﴿أأسلمتم﴾ أي أسلموا.

ومنها: **التنبيه**، نحو ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾[1].

ومنها: **الترغيب**، نحو ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾[2].

ومنها: **النهي**، نحو ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه﴾[3].

ومنها: **الدعاء**، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، نحو ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء﴾[4] أي لا تهلكنا.

ومنها: **الاسترشاد**، نحو ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[5].

ومنها: **التمني**، نحو ﴿فهل لنا من شفعاء﴾[6].

ومنها: **الاستبطاء**، نحو ﴿متى نصر الله﴾[7].

ومنها: **العرض**، نحو ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[8].

ومنها: **التخصيص**، نحو ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا﴾[9].

ومنها: **التجاهل**، نحو ﴿أأنزل عليه الذكر﴾[10].

ومنها: **التعظيم**، نحو ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾[11].

ومنها: **التحقير**، نحو ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾[12].

ومنها: **الاكتفاء**، نحو ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾[13].

ومنها: **الاستبعاد**، نحو ﴿أنى لهم الذكرى﴾[14].

ومنها: **الايناس**، نحو ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾[15].

ومنها: **التهكم والاستهزاء**، نحو ﴿أصلاتك تأمرك﴾[16].

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٥.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٤٥.
(٣) سورة التوبة، آية: ١٣.
(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٥.
(٥) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٦) سورة الأعراف، آية: ٥٣.
(٧) سورة البقرة، آية: ٢١٤.
(٨) سورة النور، آية: ٢٢.
(٩) سورة التوبة، آية: ١٣.
(١٠) سورة ص، آية: ٨.
(١١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(١٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٦.
(١٣) سورة الزمر، آية: ٧٠.
(١٤) سورة الدخان، آية: ١٣.
(١٥) سورة طه، آية: ١٧.
(١٦) سورة هود، آية: ٨٧.

ومنها: التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله، نحو﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾[1].

ومنها: الأخبار، نحو﴿أفي قلوبهم مرض﴾[2].

هذه اثنان وثلاثون معنى للاستفهام، يعني يوجد فيها معنى الاستفهام مع انضمام معان أخر وهو الأصح، لا ما يقال أنها تجردت عن معنى الاستفهام كما توهم.

ومن أقسام الانشاء:

الأمر

.. وهو طلب فعل غير كف، وصيغته افعل وليفعل، وهو حقيقة في الايجاب، نحو﴿أقيموا الصلاة﴾، ﴿فليصلوا معك﴾، و يرد مجازاً لمعان أخر: الندب، نحو، ﴿فاستمعوا له وأنصتوا﴾[3]؛

والأباحة، نحو﴿وكاتبوهم﴾؛

والدعاء، نحو﴿رب اغفر لي﴾؛

والتهديد، نحو﴿اعملوا ما شئتم﴾؛

والاهانة، نحو﴿ذق انك أنت العزيز الكريم﴾؛[3]

والتسخير، نحو﴿كونوا قردة﴾[4] فهو أخص من الاهانة؛

والتعجيز، نحو، ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾[5]؛

والامتنان، نحو﴿كلوا من ثمره﴾؛

والعجب، نحو﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾[6]؛

والتسوية، نحو﴿فاصبروا أو لا تصبروا﴾[7]؛

والارشاد، نحو﴿واشهدوا إذا تبايعتم﴾[8].

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٩.
(٢) سورة النور، آية: ٥٠.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.
(٤) سورة الدخان، آية: ٤٩.
(٥) سورة البقرة، آية: ٦٥.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٣.
(٧) سورة الاسراء، آية: ٤٨.
(٨) سورة الطور، آية: ١٦.
(٩) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

والاحتقار، نحو ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾[١].

والانذار، نحو ﴿قل تمتعوا﴾[٢].

والاكرام، نحو ﴿ادخلوها بسلام﴾[٣] وهو أعم من التسخير نحو ﴿كن فيكون﴾[٤] اذ التسخير، النقل من حال إلى حال.

والانعام، أي تذكر النعمة نحو ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾[٥].

والتكذيب، نحو، ﴿قل فأتوا بالتوراة فأتلوها﴾[٦].

والمشورة، نحو ﴿فأنظر ماذا ترى﴾[٧].

والاعتبار، نحو ﴿انظروا إلى ثمره اذا أثمر﴾[٨].

والتعجب، نحو ﴿أسمع بهم وأبصر﴾[٩]، وهذه خمسة عشر معنى للأمر.

ومن أقسامه:

النهى

وهو طلب الكف عن فعل، وصيغته، لا تفعل، وهي حقيقة في التحريم، وترد مجازاً، لمعانٍ.

منها: الكرامة، نحو ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾[١٠].

والدعاء ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾[١١]،

والارشاد، نحو ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾[١٢]،

والتسوية، نحو ﴿فاصبروا أو لا تصبروا﴾[١٣]،

والاحتقار والتقليل، نحو ﴿ولا تمدن عينيك﴾الآية[١٤] أي فهو حقير قليل.

---

(١) سورة يونس، آية: ٨٠.
(٢) سورة ابراهيم، آية: ٣٠.
(٣) سورة الحجر، آية: ٤٦.
(٤) سورة البقرة، آية: ١١٧.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٤٢.
(٦) سورة آل عمران، آية: ٩٣.
(٧) سورة الصافات، آية: ١٠٢.
(٨) سورة الأنعام، آية: ٩٩.
(٩) سورة مريم، آية: ٣٨.
(١٠) سورة الاسراء، آية: ٣٧.
(١١) سورة آل عمران، آية: ٨.
(١٢) سورة المائدة، آية: ١٠١.
(١٣) سورة الطور، آية: ١٦.
(١٤) سورة طه، آية: ١٣١.

وبيان العاقبة، نحو ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾(١)،

واليأس، نحو ﴿لا تعتذروا﴾،

والاهانة، نحو ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾(٢).

ومن أقسامه:

التمني

وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، ولا يشترط إمكان المتمني بخلاف المترجي.

ومن أقسامه:

الترجي

وفرق بينه وبين التمني، بأنه في الممكن، والتمني فيه وفي المستحيل وبأن الترجي في القريب والتمني في البعيد، وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره، وبأن التمني في المعشوق للنفس والترجي في غيره، وحروف الترجي، لعل، وعسى، وقد يرد مجازاً لتوقع محذور ويسمى الاشفاق، نحو ﴿لعل الساعة قريب﴾(٣).

ومن أقسامه:

النداء

وهو طلب أقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو، وتصحب في الأكثر الأمر، والنهي، والغالب تقدمه، نحو ﴿يا أيها الناس اعبدوا﴾، وقد يتأخر، نحو ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون﴾(٤) تصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر، نحو ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾(٥)، وقد لا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١٠٨.

(٣) سورة الشورى، آية: ١٧.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٣.

تعقبها، نحو ﴿يا عباد لا خوف عليكم﴾ [1] وقد تصحب الاستفهامية، نحو ﴿يا أبت لم تعبد﴾ [2].

وقد ترد صورة النداء مجازاً:

كالاغراء والتحذير، وقد اجتمعا في قوله تعالى ﴿ناقة الله وسقياها﴾ [3]؛
والاختصاص، كقوله ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ [4].
والتنبيه، كقوله «ألا يا سجدوا»؛
والتعجب، نحو ﴿يا حسرة على العباد﴾ [5]؛
والتحسر، نحو ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ [6].

ومن أقسامه:

القسم

أجمعوا على أنه انشاء نقله القرافي، وفائدته، تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع.

علم معرفة بدائع القرآن

أورد فيها أبو الأصبغ، نحو مائة نوع، وصنف فيه مستقلاً فارجع إليه، وذكره أهل البيان في أواخر علم البيان، إلا أن المتأخرين زادوا عليها شيئاً كثيراً سيما (القصائد البديعية) للحلي، ولإبن حجة و (شرح البديعيات) لابن حجة، ومن أراد الاستقصاء في أنواع البديع فليرجع إليه، إلا أن ابن أبي الأصبغ أجرى تلك الأنواع في الآيات القرآنية.

منها أربعة وعشرون نوعاً تقدم فيما سبق، وهي: المجاز والاستعارة، والكناية، والأرداف، والتمثيل، والتشبيه، والايجاز، والاتساع، والاشارة،

---

(1) سورة الزخرف، آية: ٦٨.
(2) سورة مريم، آية: ٤٢.
(3) سورة الشمس، آية: ١٣.
(4) سورة هود، آية: ٧٣.
(5) سورة يس، آية: ٣٠.
(6) سورة النبأ، آية: ٤٠.

والمساواة، والبسط، والايغال، والتشجيع، والتشريع، والتتميم، والتكميل، والإحتراس، والاستقصاء، والتذليل، والترديد، والتكرار، والتفسير، والإيضاح، ونفي الشيء بايجابه.

وأما المذهب الكلامي، والقول بالموجب، والمناقضة، والانتقال، والاسجال، والتسليم، فسيأتي في علم الجدل.

وأما التمكين، والتوشيح، والتسهيم، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، ولزم ما لا يلزم، والتخيير، والايهام، وهو التورية والاستخدام فسيأتي في نوع الفواصل.

وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتي في نوع المناسبات، وأما حسن الابتداء، وحسن الختام، فسيأتيان في الفواتح والخواتم.

وها أنا أذكر الباقي مع مثال واحد من القرآن لكل منها، إذ المراد يتم بمثال واحد ولا حاجة إلى تكثير الأمثلة، فالمذكورات ثلاثة وأربعون.

.. فالباقي من المائة، سبعة وخمسون:

الايهام، ويسمى، التورية، أن يذكر لفظ له معنيان، أما بالاشتراك، أو التواطيء، أو الحقيقة، والمجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد، ويوري عنه بالقريب، فيتوهمه السامع من أول وهلة.

قال الزمخشري: لا ترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله وكلام رسوله.

ومن أمثلته ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1]، فإن للاستواء معنيين، الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لتنزهه تعالى عنه.

والآخر، الاستيلاء والملك، وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور، انتهى.

---

(١) سورة طه، آية: ٥.

وهذه التورية تسمى مجردة إذ لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به والمورى عنه.

ومنها ما تسمى، مرشحة، وهي التي فيها من لوازم هذا أو هذا كقوله تعالى ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ [1] فأنه يحتمل الجارحة وهو المورى به، ورشح هو بالبنيان، ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود، وله نظائر في القرآن.

والاستخدام هو والتورية أشرف أنواع البديع، وهما سيان، وفضله بعضهم عليها، ولهم في تفسيره عبارتان، أحدهما، (مختار السكاكي) وأتباعه، أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر، مراداً به أحد معانيه، ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر، والأخرى، أن يؤتى بلفظ مشترك، ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر الآخر، وهذه طريقة بدر الدين بن مالك في (المصباح) ومشى عليها ابن أبي الأصبغ، ومثل له بقوله ﴿لكل أجل كتاب﴾[2] والكتاب يحتمل الأمد المحتوم، والكتاب المكتوب، وأجل يخدم الأول، ويمحو يخدم الثاني.

والالتفات: أن ينتقل في الكلام، من كل من التكلم، والخطاب، والغيبة. إلى الآخر لنكتة يقتضيها مقامها، وأمثلته مشهورة.

ومن الالتفات، نوع غريب في القرآن لم يوجد في الأشعار، وهو أن يؤتى بكلامين مرتين ثم يخبر عن الأول منها، ثم ينصرف إلى الأخبار عن الثاني، ثم إلى الأخبار عن الأول، مثاله ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ [3] ذكر الانسان وربه، فأخبر عن الانسان، ثم انصرف إلى الاخبار عن الرب بقوله ﴿وأنه على ذلك لشهيد﴾[4]، ثم انصرف عنه إلى الأخبار عن الانسان بقوله ﴿وأنه لحب الخير لشديد﴾[5].

قيل، وهذا يحسن أن يسمى التفات الضمائر، و يقرب من الالتفات نقل

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٤٧.
(٢) سورة الرعد، آية: ٣٨.
(٣) سورة العاديات، آية: ٦.
(٤) سورة العاديات، آية: ٧.
(٥) سورة العاديات، آية: ٨.

الكلام من خطاب الواحد إلى الاثنين، وبالعكس، ومنها إلى الجمع وبالعكس.

ويقرب منه أيضاً: الانتقال من خطاب الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخره.

والاطراد، أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على ترتيبها في الولادة، ومنه ﴿نعبد الهك واله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق﴾[1].

والانسجام، أن يكون الكلام لخلوه عن العقادة، متحدراً كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك.

قال أهل البديع: وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً فمن بحر الطويل ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2]، ومن المديد ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾[3]، ومن البسيط ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾[4]، ومن الوافر ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾[5]، ومن الكامل ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[6].

ومن الهزج، ﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾[7] ومن الرجز ﴿دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾[8].

ومن الرمل ﴿وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾[9] ومن السريع ﴿أو كالذي مر على قرية﴾[10].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٣.
(٢) سورة الكهف، آيه: ٢٩.
(٣) سورة هود، آية: ٣٧.
(٤) سورة الأحقاف، آية: ٢٥.
(٥) سورة التوبة، آية: ١٤.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٣.
(٧) سورة يوسف، آية: ٩٣.
(٨) سورة الإنسان، آية: ١٤.
(٩) سورة سبأ، آية: ١٣.
(١٠) سورة البقرة، آية: ٢٥٩.

ومن المنسرح ﴿أنا خلقنا الانسان من نطفة ﴾ (١) ومن الخفيف ﴿ لا يكاد يفقهون حديثاً ﴾ (٢) ، ومن المضارع ﴿يوم التناد. يوم تولون مدبرين ﴾ (٣) . ومن المقتضب ﴿في قلوبهم مرض ﴾ (٤) ، ومن المجتث ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ (٥) ومن المتقارب ﴿وأملي لهم أن كيدي متين ﴾ (٦) .

والادماج: أن يدمج المتكلم غرضاً في غرض، أو بديعاً في بديع بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين، أو أحد البديعين نحو ﴿له الحمد في الأولى وفي الآخرة ﴾(٧) حيث أدمج البعث والجزاء في وصفه تعالى بالحمد.

والافتنان: الاتيان في كلام بفنين مختلفين، كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾(٨) .

الاقتدار: أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في صورة الاستعارة، وتارة في صورة الأرداف، وحيناً في مخرج الايجاز، ومرة في قالب الحقيقة.

ائتلاف اللفظ وائتلافه مع المعنى

الأول: أن تكون الألفاظ تلازم بعضها بعضاً بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله، رعاية لحسن الجودة والمناسبة.

والثاني: أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد؛ فإن كان فخماً، كانت ألفاظه مفخمة، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فتداولة، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك.

مثال الأول: ﴿تا لله تفتوء تذكر يوسف حتى تكون حرضاً ﴾(٩)، اختار

---

(١) سورة الإنسان، آية: ٢.
(٢) سورة النساء، آية: ٧٨.
(٣) سورة غافر، الآيتان: ٣٢، ٣٣.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٠.
(٥) سورة الحجر، آية: ٤٩.
(٦) سورة الأعراف، آية: ١٨٣.
(٧) سورة القصص، آية: ٧٠.
(٨) سورة الرحمن، آية: ٢٧.
(٩) سورة يوسف، آية: ٨٥.

من الألفاظ أغربها؛ فإن التاء أغرب حروف القسم لقلة استعمالها؛ وأتى بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار. وهو تفتؤ، فان: تزال، أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالاً منه؛ وبأغرب ألفاظ الهلاك، وهو الحرض، فاقتضى حسن الائتلاف في اللفظ جمع هذه الألفاظ.

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[1]، لما كان الركون أي الميل إلى الظالم، دون مشاركته في الظلم، أتى بالمس الذي هو دون الاحراق والاصطدام.

والاستدراك والاستثناء، شرط كونهما من البديع، أن يتضمنا ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوي. مثال الاستدراك: ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾[2]، إذ لو اقتصر على: لم تؤمنوا، لكان منفراً لهم، فذكر الاستدراك اشارة إلى أن الإيمان موافقة اللسان والقلب، واللسان المجرد يسمى اسلاماً.

ومثال الاستثناء: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾[3]، فيه تمهيد عذر نوح في دعائه بهلاك قومه، حيث دعاهم مدة طويلة، ولم يجيبوه، وقال ألف تهويلاً لأسماعهم بحيث لا يلتفت بعده إلى الاستثناء ولو قال تسعمائة وخمسين، لم تحصل هذه الفائدة.

الاقتصاص: أن يكون الكلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى، أو في تلك السورة، نحو: ﴿لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾[4] مقتص من قوله تعالى: ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾[5].

الإبدال: إقامة بعض الحروف مقام بعض، نحو: «فانفلق»، أي انفرق، بدليل: ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾[6]. ومنه: ﴿أني أحببت حب الخير﴾[7]، أي الخيل.

---

(١) سورة هود، آية: ١١٣.
(٢) سورة الحجرات، آية: ١٤.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ١٤.
(٤) سورة الصافات، آية: ٥٧.
(٥) سورة الروم، آية: ١٦.
(٦) سورة الشعراء، آية: ٦٣.
(٧) سورة ص، الآية: ٣٢.

تأكيد المدح بما يشبه الذم: قال ابن أبي الأصبغ: ولم أدر منه في القرآن إلا واحدة، نحو: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾(١).

التفويت: هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف وغيرهما من الفنون، كل فن في جملة منفصلة عن أختها، مع تساوي الجمل في الرقة. ويكون في الجمل الطويلة والقصيرة والمتوسطة.

فمن الطويلة: ﴿الذي خلقني فهو يهدين. والذي يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين﴾(٢).

ومن المتوسطة: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾(٣) و﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾(٤). قيل: ولم يأت المركب من القصيرة في القرآن. قاله ابن أبي الأصبغ.

التقسيم: هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة، لا الممكنة عقلاً، نحو: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾(٥)، إذ لا ثالث لهما في رؤية البرق. وقوله تعالى: ﴿والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾(٦)، استوفى جميع هيئات الذاكر. وله نظائر في القرآن.

التدبيج: أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد التورية بها والكناية، نحو: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾(٧)، لما كان الطرف الأعلى في الظهور هو البياض ويقابله السواد في الخفاء، وبينهما الأحمر، وكذلك ألوان الجبال، أما جادة بيضاء، وأما خفية سوداء، أو حمراء بينهما، لاجرم قسم كل علم نصب للهداية إليها.

التكنيت: أن يقصد المتكلم إلى ذكر شيء دون غيره مما يسد مسده،

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٠.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨-٨١.
(٣) سورة الحج، آية: ٦١.
(٤) سورة الروم، آية: ١٩.
(٥) سورة الرعد، آية: ١٢.
(٦) سورة آل عمران، آية: ١٩١.
(٧) سورة فاطر، آية: ٢٧.

لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه، كقوله تعالى: ﴿ وأنه هو رب الشعرى﴾[1]، مع أنه رب كل نجم ورب كل شيء، لأنه ظهر في العرب (رجل) يعرف بابن أبي كبشة. عبد الشعرى، ودعا الناس إلى عبادتها.

التجريد: أن ينزع من شيء ذي صفة، آخر مثله، مبالغة في كمالها فيه، نحو: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾[2]، جرد من الجنة دار الخلد، والا فالجنة نفسها دار الخلد لا أن دار الخلد فيها، بأن يكون فيها غير دار الخلد.

التعديد: هو ايقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد، وأكثر ما يوجد في الصفات، نحو: ﴿هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس..﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿المتكبر﴾.

الترتيب: هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية، ولا يدخل فيها وصفاً زائداً، نحو: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة﴾[4] الآية.

التضمين: يقع على أشياء:

أحدها: ايقاع لفظ موقع غيره، لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز تقدم فيه.

الثاني: حصول معنى فيه من (غير) ذكر له باسم هو عبارة عنه. وهذا نوع من الايجاز.

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها. وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: ادراج كلام الغير في أثناء الكلام، لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم. وهذا هو النوع البديعي، نحو: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...﴾[5] الآية؛ تضمن شيئاً من التوراة والانجيل. ومن هذا القبيل،

---

(١) سورة النجم، آية: ٤٩.
(٢) سورة فصلت، آية: ٢٨.
(٣) سورة الحشر، آية: ٢٣.
(٤) سورة فاطر، آية: ١.
(٥) سورة المائدة، آية: ٤٥.

ايداع حكايات المخلوقين في القرآن، كقول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [1]، وأمثال ذلك.

الجناس: تشابه اللفظين في اللفظ. وفائدته أن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً واصغاء اليها، وهو أنواع:

منها: **التام؛** بأن يتفقا في أنواع الحروف واعدادها وهيئاتها، نحو: ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار...﴾ [2] إلى قوله: ﴿أن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾.

ومنها: **المصحف؛** ويسمى جناس الخط، بأن يختلف الحروف في النقط، نحو: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [3].

ومنها: **المحرف؛** بأن يقع الاختلاف في الحركات، نحو: «يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [4]، وفيه التحريف أيضاً.

ومنها: **الناقص؛** بأن يختلفا في عدد الحروف، والزائد أما في الأول أو في الوسط أو في الآخر، نحو: ﴿والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾ [5].

ومنها: **المذيل؛** بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأوائل، ويسمى الثاني بالمتوج، نحو: «أن ربهم بهم»؛ «ومذبذبين بين ذلك».

ومنها: **المضارع.** وهو أن يختلفا بحرف مع مقارب في المخرج، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر، نحو ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ [6].

ومنها: **اللاحق.** وهو أن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك، نحو: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [7]؛ ﴿وأنه على ذلك لشهيد..﴾ [8] إلى قوله: ﴿لشديد﴾، ونحو أمر من الأمن.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٢) سورة النور، آية: ٤٣.
(٣) سورة الشعراء، آية: ٨٠.
(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٤.
(٥) سورة القيامة، آية: ٢٩.
(٦) سورة الأنعام، آية: ٢٦.
(٧) سورة الهمزة، آية: ١.
(٨) سورة العاديات، آية: ٧.

ومنها: المرفو. وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى، نحو: ﴿جرف هار فانهار به﴾[1].

ومنها: اللفظي؛ بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية، نحو: ناصرة، وناظرة.

ومنها: تجنيس القلب؛ بأن يختلفا في ترتيب الحروف، نحو: «بين بني اسرائيل».

ومنها: تجنيس الاشتقاق؛ (بأن يجتمعا في أصل الاشتقاق)، ويسمى المقتضب، نحو: ﴿فروح وريحان﴾[2]؛ ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾[3].

ومنها: تجنيس الاطلاق؛ بأن يجتمعا في المشابهة فقط، نحو: ﴿وجني الجنتين دان﴾[4]. ولكون الجناس من المحاسن اللفظية، ترك عند قوة المعنى، نحو: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾[5]، حيث لم يقل: وما أنت بمصدق، ليكون من الجناس، اذ في مؤمن وراء التصديق اعطاء الأمن. وقد زل بعض الأدباء، بل ضل، وقال في قوله تعالى: ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾[6]، لو قال: وتدعون، لكان فيه مراعاة الجناس، كأنه غفل عما ذكره الإمام الرازي بأن فصاحة القرآن ليست لأجل هذه التكلفات، بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ.

الجمع: هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم، نحو: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[7].

الجمع والتفريق: هو أن يدخل شيئين في معنى، ويفرق بين جهتي الادخال، نحو: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾[8] الآية.

---

(1) سورة التوبة، آية: ١٠٩.
(2) سورة الواقعة، آية: ٨٩.
(3) سورة الروم، آية: ٤٣.
(4) سورة الرحمن، آية: ٥٤.
(5) سورة يوسف، آية: ١٧.
(6) سورة الصافات، آية: ١٢٥.
(7) سورة الكهف، آية: ٤٦.
(8) سورة الزمر، آية: ٤٢.

الجمع والتقسيم: وهو جمع متعدد تحت حكم، ثم تقسيمه، نحو: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾[1] الآية.

الجمع مع التفريق والتقسيم: نحو ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾[2] الآية.

جمع المؤتلف والمختلف: أن يريد التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر، بزيادة فصل لا ينقص الآخر، فيأتي لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية، نحو: ﴿وداود وسليمان اذ يحكمان..﴾[3] الآية، سوى في الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم.

جمع المختلف والمؤتلف: أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً، بحيث إذا أفردت كل جملة منها، قامت بنفسها، واستقل معناها بلفظها، نحو: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾[4] الآية.

عتاب المرء نفسه: نحو: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت...﴾[5] الآيات.

العكس: أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر، ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم، نحو: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾[6]؛ و﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾[7].

ومن العكس: القلب المستوى؛ نحو: ﴿كل في فلك﴾[8]؛ ﴿وربك فكبر﴾[9]، ولا ثالث لهما في القرآن.

العنوان: أن يأخذ المتكلم في غرض، فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة وقصص سابقة. ومنه نوع عظيم جداً، وهو

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٢.
(٢) سورة هود، آية: ١٠٥.
(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧٨.
(٤) سورة هود، آية: ٤٤.
(٥) سورة الفرقان، آية: ٢٧.
(٦) سورة فاطر، آية: ١٣.
(٧) سورة الروم، آية: ١٩.
(٨) سورة الأنبياء: آية: ٣٣.
(٩) سورة المدثر، آية: ٣.

عنوان العلوم؛ بأن يذكر في الكلام ألفاظاً تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها..﴾[1] الآية، فانه عنوان قصة بلعام.

ومن الثاني: قوله تعالى، ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب..﴾[2] الآية، فيها عنوان علم الهندسة، فإن الشكل المثلث أول الأشكال، واذا نصب في الشمس على أي ضلع من أضلاعه، لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم؛ وقوله تعالى: ﴿وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض﴾[3]، فيها عنوان علم الكلام، وعلم الجدل، وعلم الهيئة.

الفرائد: مختص بالفصاحة دون البلاغة، وهي الاتيان بلفظة تنزل منزلة الفريدة من العقد، وهي المؤخرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحة الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء. ومنه لفظ حصحص في قوله تعالى:﴿الآن حصحص الحق﴾[4]؛ و «خائنة» في قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾[5].

القسم: أن يريد المتكلم الحلف على شيء، فيحلف بما فيه فخر له، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه بقدره، أو ذم لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والتزلف، أو خارجاً مخرج الوعظ والزهد، نحو: ﴿فورب السماء والأرض﴾[6]، أقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر، لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة، ونحو: «لعمرك» أقسم سبحانه بحياة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيماً لشأنه وتنويهاً بقدره.

اللف والنشر: أن يذكر شيئان أو أشياء، أما تفصيلاً بالنص على كل واحد، أو اجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٥.
(٢) سورة المرسلات، آية: ٣٠.
(٣) سورة الأنعام، آية: ٧٥.
(٤) سورة يوسف، آية: ٥١.
(٥) سورة غافر، آية: ١٩.
(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

ذلك، كل واحد يرجع إلى كل واحد من المتقدم، و يغوص إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به.

فالاجمالي نحو: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾[1]، فقوله: وقالوا، اجمال، واليهود والنصارى يفصله. ثم التفصيل أما على ترتيب. اللف، نحو: ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾[2]، فالسكون لليل، والابتغاء للنهار، وأما على عكس ترتيبه، نحو: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم..﴾[3] الآية، بدأ في النثر بالسواد وهو الثاني في اللف.

المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

فالأول: نحو: ﴿ومكروا ومكر الله﴾[4]، فإن اطلاق المكر في جانب الباريء لمشاكلة ما معه. والثاني: نحو: «صبغة الله»، عبر بها عن الإيمان لتطهيره النفوس، كما أن النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، و يقولون أنه تطهير لهم، فعبر لهذا عن الايمان بالصبغة.

المزاوجة: أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، أو ما جرى مجراهما، نحو: ﴿آتيناه آياتنا فانسلخ منها..﴾[5] الآية.

المبالغة: أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده. وهي أما مبالغة في الوصف، بأن يخرج إلى حد الاستحالة عادة. ومنه: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾[6]؛ و﴿لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾[7]. وأما مبالغة بالصيغة، وصيغ المبالغة معروفة.

المطابقة ويسمى الطباق: الجمع بين متضادين في الجملة. وهو أما

---

(١) سورة البقرة، آية: ١١١.
(٢) سورة القصص، آية: ٧٣.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٦.
(٤) سورة آل عمران، آية: ٥٤.
(٥) سورة الأعراف، آية: ١٧٥.
(٦) سورة النور، آية: ٣٥.
(٧) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

حقيقي، نحو: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾[١]؛ وأما مجازي، نحو: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾[٢] أي ضالاً فهديَناه؛ وأما ايجاب نحو ما مر؛ وأما سلب، نحو: ﴿فلا تخشو الناس واخشون﴾[٣]؛ وأما لفظي منها نحو ما مر؛ وأما معنوي كذلك، نحو: ﴿جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء﴾[٤].

ومنه: نوع يسمى الطباق الخفي، نحو: ﴿اغرقوا فادخلوا ناراً﴾[٥]، وذكر الغرق ذكر الماء معنى.

ومنه: نوع يسمى ترصيع الكلام، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك، ﴿نحو لا تظمؤا فيها ولا تضحى﴾[٦]، وهما اجتمعا في الاحتراق، لأن الظمأ احتراق الباطن من العطش، والضحى احتراق الظاهر من الشمس.

ومنه: نوع يسمى المقابلة، وهي أن يذكر لفظان فأكثر، ثم اضدادها على الترتيب. والفرق بين الطباق والمقابلة، أن الأول بين الضدين فقط، والثاني بما زاد من الأربعة إلى العشرة. وأيضاً الأول في الأضداد خاصة، والثاني فيها وفي غيرها.

المواربة: بالراء المهملة وباء موحدة، أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما ينكر عليه، فإذا حصل الإنكار، استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه يتخلص به، أما بتحريف كلمة أو تصحيفها، أو زيادة، أو نقص، نحو. ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا أن ابنك سرق﴾[٧] أ فأنه قرىء: ابنك سرق ولم يسرق، فأتى الكلام على الصحة بابدال ضمه من فتحة، وتشديد في الراء وكسرها.

المراجعة: أن يحكى المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور له، بأوجز عبارة، وأعدل سبك، وأعذب لفظ، نحو: ﴿قال أني جاعلك للناس إماماً..﴾[٨] إلى قوله ﴿الظالمين﴾، جمع فيه ثلاث مراجعات، فيها معاني

---

(١) سورة النجم، آية: ٤٣.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.
(٣) سورة المائدة، آية: ٤٤.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢.
(٥) سورة نوح، آية: ٢٥.
(٦) سورة طه، آية: ١١٩.
(٧) سورة يوسف، آية: ٨١.
(٨) سورة البقرة، آية: ١٢٤.

الكلام، من الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد بالمنطوق والمفهوم. قال السيوطي: أحسن من هذا، أن يقال: الخبر والطلب، والاثبات، والنفي، والتأكيد، والحذف، والبشارة، والنذارة، والوعد والوعيد.

النزاهة: خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش، حتى يكون كما قال أبو عمرو ابن العلاء، وقد سئل عن أحسن الهجاء: هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم.. ﴾ (١) الآية. وألفاظ هذا الهجاء أتت منزهة عما يقع في الهجاء من الفحش، وسائر هجاء القرآن كذلك.

الابداع: بالباء الموحدة؛ أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع. قال ابن أبي الأصبغ: ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى: « وقيل يا أرض أبلعي ماءك.. ﴾ (٢) الآية، فان فيها عشرين ضرباً من البديع، وهي سبع عشرة لفظة: وذلك بالمناسبة التامة في: ابلعي وأقلعي، والاستعارة فيهما؛ والطباق بين الأرض والسماء؛ والمجاز في قوله: ﴿ يا سماء ﴾ اذ الحقيقة: يا مطر السماء؛ والاشارة في: ﴿ وغيض الماء ﴾، فإنه عبر به عن معان كثيرة من قلع مطر السماء وبلع الأرض العيون، فينقص ما على الأرض من الماء؛ والأرداف في: ﴿ استوت ﴾؛ والتمثيل في: ﴿ وقضى الأمر ﴾؛ والتعليل، فإن الغيظ علة الاستواء، وصحة التقسيم، حيث استوعب أقسام نقص الماء: من احتباس ماء السماء، والنابع من الأرض، وغيض ما على ظهرها؛ والاحتراس في الدعاء، لئلا يتوهم أن عموم الماء شمل من لا يستحق الهلاك، فان عدله تعالى، يمنع أن يدعو على غير مستحق؛ وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع المعنى؛ والايجاز، لأنه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة؛ والتسهيم، لأن أول الآية يدل على آخرها؛ والتهذيب، لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن: كل لفظة سهلة؛

---

(١) سورة النور، آية: ٤٨.

(٢) سورة هود، آية: ٤٤.

مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب؛ وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه؛ والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في محلها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة؛ والانسجام. قال السيوطي: وفيها أيضاً الاعتراض.

علم معرفة فواصل الآى

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وفرق بين الفواصل ورؤوس الآى، اذ الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وقد يكون غيره، ورؤوس الآى قد يكون منفصلاً وقد لا يكون.

قال الرماني في (أعجاز القرآن): ذهبت الأشعرية إلى امتناع أن يقال في القرآن سجع، وفرقوا بأن السجع ما يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه؛ والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، ولذلك كانت الفواصل بلاغة، والسجع عيباً. وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، ونقله عن نص أبي الحسن الأشعري.

وذهب بعض من غير الأشاعرة إلى اثبات السجع في القرآن، وزعموا أنه يبين به فضل القرآن، ويقع به التفاضل في البيان، واستدلوا بأن موسى مع فضله على هارون، لمكان السجع، قدم عليه هارون. ورده القاضي بأنه غير صحيح، لورود قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «اسجع كسجع الكهان»، فجعله مذموماً، وما توهموا أنه سجع من عدم التفرقة بين السجع والفاصلة، وقد عرفت الفرق بينهما. وأما ما ذكروه من تقديم هارون، فليس للسجع، بل لاعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً. وذلك من الأمر الصعب الذي يبين فيه الاعجاز، فيكون تقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها عنه لاظهار الاعجاز دون السجع، وكيف لا، ولو كان سجعاً لكان المشركون ذموا القرآن من جهة أن السجع عند البلغاء، لا بد أن يكون معتدل الأجزاء والقرآن ليس كذلك. هذا كلام القاضي وتلخيصه.

وذهب القاضي في (الانتصار) إلى جواز تسمية الفواصل سجعاً. وقال الخفاجي في (سر الفصاحة): قول الرماني أن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط، لأنه أراد أن السجع ما يتبع اللفظ المعنى، فذلك حسن في السجع أيضاً. وان أراد ما يتبع المعنى اللفظ، فذلك عيب في الفاصلة أيضاً. وانما لم يسموا القرآن سجعاً تنزيهاً عن الوصف اللاحق بكلام الكهنة. فان قيل: إذا كان السجع محموداً، فلم لم يرد القرآن كله مسجوعاً، قلنا: المحمود عند الفصحاء أن لا يكون الكلام سيما إذا كان مع الطول مسجوعاً كله لما يكون حينئذ متكلفاً مستكرهاً، بل الفصيح عندهم الكلام الغير المسجوع غالباً، ولم يخل عن السجع أيضاً في مواضع يحسن هو فيها، ولا يلزم من حسن شيء إذا قل حسنه، مع الكثرة كالخال في الوجه الصبيح، فيقبل منه ما أجتلبه الخاطر عفواً بلا تكلف، و يتنفر منه ما يكون مستمراً على نمط واحد، ويمل منه الطبع، ولأن الافتنان من ضروب الفصاحة.

وأعلم أن الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي ألف كتاباً سماه: (أحكام الرأي في أحكام الآى)، وقال فيه: وأعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب بها أمور من مخالفة الأصول. قال: وتتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآى مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيف وأربعين حكماً:

أحدها: تقديم المعمول، أما على العامل، نحو: ﴿وإياك نستعين﴾(١)، أو على الفاعل، نحو: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾(٢)، أو تقديم خبر كان على أسمها، نحو: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾(٣).

والثاني: تقديم ما هو مؤخر في الزمان، نحو: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾(٤).

والثالث: تقديم الفاضل على الأفضل، نحو: ﴿برب هارون وموسى﴾(٥)

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥.
(٢) سورة القمر، آية: ٤١.
(٣) سورة الاخلاص، آية: ٤.
(٤) سورة النجم، آية: ٢٥.
(١) سورة طه، آية: ٧٠.

والرابع: تقديم الضمير على ما يفسره، نحو: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾[1].

والخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد، نحو: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾[2].

والسادس: حذف ياء المنقوص المعرَّف، نحو: ﴿الكبير المتعال﴾[3].

والسابع: حذف ياء الفعل غير المجزوم، نحو ﴿والليل إذا يسر﴾[4].

الثامن: حذف ياء الاضافة، نحو: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾[5].

التاسع: زيادة حرف المد، نحو: «الظنونا»، و«الرسولا».

العاشر: صرف ما لا ينصرف، نحو: «قواريرا».

الحادي عشر: إيثار تذكير اسم الجنس، نحو: ﴿أعجاز نخل منقعر﴾[6].

الثاني عشر: إيثار تأنيثه نحو ﴿اعجاز نخل خاوية﴾[7].

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرىء بهما في السبع في غير ذلك، نحو: ﴿فأولئك تحروا رشداً﴾[8]، ولم يجيء رشداً في السبع.

الرابع عشر: إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الأسمية والفعلية، نحو: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله..﴾ الآية[9]. وقولهم جملة فعلية، وردها بجملة إسمية، أي وما هم بمؤمنين.

الخامس عشر: إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك، نحو: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[10]، لم يقل الذين كذبوا.

السادس عشر: إيراد أحد جزئي الجملتين على الوجه الذي أورد نظيرها

---

(١) سورة طه، آية: ٦٧.
(٢) سورة الاسراء، آية: ١٣.
(٣) سورة الرعد، آية: ٩.
(٤) سورة الفجر، آية: ٤.
(٥) سورة القمر، آية: ١٦.
(٦) سورة القمر، آية: ٢٠.
(٧) سورة الحاقة، آية: ٧.
(٨) سورة الجن، آية: ١٤.
(٩) سورة البقرة، آية: ٨.
(١٠) سورة العنكبوت، آية: ٣.

من الجملة الأخرى، نحو: ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [١].

السابع عشر: إيثار أغرب اللفظين، نحو: ﴿قسمة ضيزى﴾ [٢] ولم يقل جائرة.

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع، نحو: ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ [٣]. وفي سورة طه: ﴿أن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ [٤].

التاسع عشر: حذف المفعول، نحو: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ [٥]

العشرون: الاستغناء بالأفراد عن التثنية، نحو: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [٦].

الحادي والعشرون: الاستغناء به عن الجمع، نحو ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [٧]، ولم يقل أئمة.

الثاني والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الأفراد، نحو: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [٨].

قال الفراء: أراد جنة. وأنكره ابن قتيبة، وأغلظ فيه، وقال: معاذ الله أن يعد جنتين فيجعلها جنة واحدة لرؤوس الآى، وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين، قال: ﴿ذواتاً أفنان﴾ [٩]. ونقل ابن الصائغ عن الفراء أنه أراد جنات فأطلق الاثنين في الجمع لأصل الفاصلة. وهذا **هو: الثالث والعشرون.**

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الأفراد، نحو: ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾(١٠)، أي ولا خلة، كما في الآية الأخرى.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.
(٢) سورة النجم، آية: ٢٢.
(٣) سورة ابراهيم، آية: ٥٢.
(٤) سورة طه، آية: ٥٤.
(٥) سورة الضحى، آية: ٣.
(٦) سورة طه، آية: ١١٧.
(٧) سورة الفرقان، آية: ٧٤.
(٨) سورة الرحمن، آية: ٤٦.
(٩) سورة الرحمن، آية: ٤٨.
(١٠) سورة ابراهيم، آية: ٣١.

الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل، نحو ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾[1].

السادس والعشرون: امالة ما لا يمال، كما في: «طه»، و «النجم».

السابع والعشرون: الاتيان بصيغة المبالغة، نحو ﴿وما كان ربك نسيا﴾[2].

الثامن والعشرون: إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض، نحو: ﴿أن هذا لشيء عجاب﴾[3] أوثر على عجيب.

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوفين، نحو: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى﴾[4].

الثلاثون: إيقاع الظاهر موقع المضمر، نحو: ﴿إنّا لا نضيع أجر المصلحين﴾[5]، ولم يقل أجرهم.

الحادي والثلاثون: وقوع مفعول موقع فاعل، نحو: ﴿حجاباً مستوراً﴾[6]، أي ساتراً.

الثاني والثلاثون: وقوع فاعل موقع مفعول، نحو: ﴿عيشة راضية﴾[7]، أي مرضية.

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة، نحو: ﴿أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾[8]، ان أعراب أحوى صفة المرعى.

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره، نحو: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾[9] مكان اليها.

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ، ومن ذلك:

---

(١) سورة يوسف، آية: ٤.
(٢) سورة مريم، آية: ٦٤.
(٣) سورة ص، آية: ٥.
(٤) سورة طه، آية: ١٢٩.
(٥) سورة الأعراف، آية: ١٧٠.
(٦) سورة الاسراء، آية: ٤٥.
(٧) سورة الحاقة، آية: ٢١.
(٨) سورة الأعلى، آية: ٥.
(٩) سورة الزلزلة، آية: ٥.

﴿الرحمن الرحيم﴾؛ ﴿رؤوف رحيم﴾، لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابة المفعول، نحو: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾[١].

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت، نحو: «ماليه»؛ سلطانيه؛ «ماهيه».

الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات، نحو: ﴿ثم لا تجدوا لكم به علينا به تبيعاً﴾[٢]، فإن الأحسن الفصل بينها، إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا.

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال، نحو: ﴿فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾[٣]، والأصل قتلتم.

الأربعون: تغير بنية الكلمة، نحو: ﴿وطور سنين﴾[٤]، والأصل سيناء.

قال ابن الصائغ: لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه.

قال ابن أبي الأصبع: لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء:

أحدها: التمكين. ويسمى ائتلاف القافية؛ أن يمهد الناثر للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت، لاختل المعنى واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه. وأكثر فواصل القرآن من هذا القبيل، نحو قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[٥]، فإن اللطف

(١) سورة الليل، آية: ١٩.
(٢) سورة الاسراء، آية: ٦٩.
(٣) سورة البقرة، آية: ٨٧.
(٤) سورة التين آية: ٢.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبير يناسب ما يدرك. وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

حكى أن أعرابياً لم يقرأ القرآن سمع قارئاً يقرأ: «فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فأعلموا أن الله «غفور رحيم» * . فقال: ان كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه اغراء عليه.

وثانيها: التصدير. وهو أن يكون لفظ الفاصلة بعينها، تقدمت في أول الآية، ويسمى أيضاً رد العجز على الصدر. فهذا أما أن يوافق آخر كلمة في الصدر، نحو: ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾ (١). أو يوافق أول كلمة منه، نحو: ﴿وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب﴾ (٢). أو يوافق بعض كلماته، نحو: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ (٣).

وثالثها: التوشيح. وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية.

والفرق بينه وبين التصدير، أن هذا دلالة معنوية، وذاك لفظية، نحو: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار..﴾ (٤) الآية. فان من نظر إلى سلخ النهار من الليل، يجزم بأن الآية الفاصلة «مظلمون».

ورابعها: الايغال. وقد تقدم تفسيره وتمثيله في الأطناب.

وأعلم أن أرباب البديع قسموا السجع ونظيره الفواصل إلى أقسام:

أحدها: المعطوف. وهو أن يختلف الفاصلتان في الوزن ويتفقا في حروف السجع، نحو: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ (٥).

وثانيها: المتوازي. وهو أن يتفقا وزناً وتقفية، نحو: ﴿فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة﴾ (٦).

(*) صحة الآية هو: «...فأعلموا أن الله عزيز حكيم» وهي الآية ٢٠٩ من سورة البقرة.

(١) سورة النساء، آية: ١٦٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٠.

(٤) سورة يس، آية: ٣٧.

(٥) سورة نوح، آية: ١٣.

(٦) سورة الغاشية، آية: ١٣.

وثالثها: المتوازن. وهو أن يتفقا في الوزن دون التقفية، نحو: ﴿ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾[(١)].

ورابعها: المرصع. وهو أن يتفقا وزناً وتقفية، ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية كذلك، نحو: ﴿ان الينا ايابهم ثم أن علينا حسابهم﴾[(٢)]؛ ونحو: ﴿أن الأبرار لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم﴾[(٣)].

وخامسها: المتماثل. وهو أن يتساويا في الوزن دون التقفية، ويكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية، فهو بالنسبة الى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي، نحو: ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم﴾[(٤)]. فالكتاب والصراط متوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير.

وسادسها: التشريع، ويقال التوأم. وأصله أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض، فإذا سقط منها جزء أو جزءان، صار الباقي بيتاً من وزن آخر. وزعم قوم اختصاصه بالشعر، وقال آخرون: بل يكون في النثر بأن يبنى على سجعتين، لو اقتصر الأمر على الأولى منها، كان الكلام تاماً مفيداً، وان ألحقت به السجعة الثانية، كان فيه التمام والافادة على حاله، مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ. ومثلوه من القرآن بما في سورة الرحمن، من قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾. لكن قيل أنه غير مطابق.

والمثال المطابق مثل قوله تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾[(٥)]، وغير ذلك من الآيات التي في أثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة.

وسابعها لزوم ما لا يلزم، ويسمى الالتزام. وهو أن يلتزم في الشعر أو

---

(١) سورة الغاشية، آية: ١٥.
(٢) سورة الغاشية، آية: ٢٥.
(٣) سورة الإنفطار، آية: ١٣.
(٤) سورة الصافات، آية: ١١٧.
(٥) سورة الطلاق، آية: ١٢.

النثر حرف أو حرفان فصاعدا قبل الروي، بشرط عدم الكلفة. مثال التزام حرفين: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾[1]؛ ﴿إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق﴾[2]. ومثال التزام ثلاثة أحرف: ﴿فإذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾[3].

تنبيهات

الأول: أحسن السجع ونحوه، ما تساوت قرائنه، نحو: ﴿في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود﴾[4]. و يليه ما طالت قرينته الثانية، نحو: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾[5]؛ أو الثالثة، نحو: ﴿خذوه فغلوه..﴾[6] الآية.

قال ابن الأثير: الأحسن في الثانية المساواة، وإلا فأطول قليلاً، وفي الثالثة أن يكون أطول. وقال الخفاجي: لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى.

الثاني: أحسن السجع ما كان قصير الدلالة على قوة المنشيء، وأقله كلمتان، نحو: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر...﴾[7] الآيات. والطويل ما زاد على العشر، كغالب الآيات. والمتوسط ما بينهما، كآيات سورة القمر.

الثالث: مبنى الفواصل على الوقف. ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، كقوله تعالى: ﴿أنا خلقناهم من طين لازب﴾[8]، مع قوله: عذاب واصب وشهاب ثاقب.

الرابع كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين، والحاق النون. وحكمته وجود التمكن من التطريب، ليسهل مد الصوت. وجاء القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع.

---

(١) سورة الطور، آية: ١.
(٢) سورة القيامة، آية: ٢٨.
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠١، ٢٠٢.
(٤) سورة الواقعة، آية: ٢٨.
(٥) سورة النجم، آية: ١.
(٦) سورة الحاقة، آية: ٣٠.
(٧) سورة المدثر، آية: ١.
(٨) سورة الصافات، آية: ١١.

الخامس: حروف الفواصل أما متماثلة، نحو: ﴿والطور وكتاب مسطور..﴾[1] الآيات، أو متقاربة، نحو: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾[2].

السادس: كثر في الفواصل التضمين، وهو أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها، نحو: ﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾[3]؛ والايطاء، وهو تكرر الفاصلة بلفظها؛ كقوله تعالى في سورة الاسراء: ﴿هل كنت الا بشراً رسولاً﴾[4].

واعلم أن التضمين والايطاء وان كانا عيبين في النظم، لكنها ليسا بعيبين في النثر، يدل على ذلك وروده في القرآن.

علم معرفة فواتح السور

صنف فيه ابن أبي الأصبغ كتاباً سماه: (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح».

واعلم أن فواتح السور لا تخرج عن عشرة أنواع:

أحدها: الثناء عليه تعالى، وهو أما اثبات الصفات الكمالية كالتحميد في خمس سور، وتبارك في سورتين؛ أو التنزيه من صفات النقص، وهو التسبيح في سبع سور.

وثانيها: حروف التهجي في سبع وعشرين سورة، وقد تقرر أنها من المتشابهات.

الثالث: النداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول، وخمس بنداء الأمة.

الرابع: الجمل الخبرية في ثلاث وعشرين سورة.

الخامس: القسم في خمس عشرة سورة.

السادس: الشروط في سبع سور.

---

(١) سورة الطور، آية: ١.
(٢) سورة الفاتحة، الآيتان: ٣، ٤.
(٣) سورة الصافات، آية: ١٣٧.
(٤) سورة الاسراء، آية: ٩٣.

السابع: الأمر في ست سور.

الثامن: الاستفهام في ست سور.

التاسع: الدعاء في ثلاث سور.

العاشر: التعليل في: «لايلاف قريش».

قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يكون أعذب وأجزل وأرق وأسلس وأحسن نظماً وسبكاً، وأصح وأوضح معنى، وأجلى من التعقيد والتقديم والتأخير واللبس، وما لا يناسب البلاغة.

قالوا: وقد أتت فواتح السور كلها على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء، وغير ذلك، سيا براعة الاستهلال: وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، و يشير إلى ما سيق الكلام لأجله. والعلم الأسنى في ذلك: سورة الفاتحة، التي هي مطلع القرآن، فانها مشتملة على جميع مقاصده.

قيل: العلوم التي احتوى عليها القرآن، وقامت بها الأديان أربعة:

الأصول: ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾[1]؛ ومعرفة النبوات، واليه الاشارة بقوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾[2]؛ ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة ﴿بملك يوم الدين﴾[3].

وعلم العبادات: وإليه الإشارة ﴿باياك نعبد﴾[4].

وعلم السلوك: واليه الاشارة ﴿بإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم﴾[5].

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٢.
(٢) سورة الفاتحة، آية: ٧.
(٣) سورة الفاتحة، آية: ٤.
(٤) سورة الفاتحة، آية: ٥.
(٥) سورة الفاتحة، آية: ٦.

وعلم القصص: وإليه الاشارة ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[1].

فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن مع حسن الألفاظ والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة. ولله در الفاتحة، ما أعجب أسلوبها وما أغزر علومها، بحيث لو جمع كما قاله عليٌّ كرم الله وجهه، لكان أوقاراً من الكتب. هذا قدر ما وصل إليه فهم البشر وإلا فحقيقة لطائفها لا تفي بها قوة البشر، ولا يطلع عليها الا علام الغيوب.

علم معرفة خواتم السور

هي أيضاً مثل الفواتح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع ايذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشرف إلى ما يذكر بعدها، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك. يظهر ذلك لمن تأمل ببصيرة تامة نافذة ناقدة.

علم معرفة مناسبة الآيات والسور

صنف فيه أبو جعفر بن الزبير، شيخ أبي حيان كتاباً سماه: (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن). وصنف فيه أيضاً الشيخ برهان الدين البقاعي كتاباً سماه: (نظم الدرر في تناسب الآى والسور) وصنف فيه أيضاً الشيخ جلال الدين السيوطي كتاباً سماه: (تناسق الدرر في تناسب السور). وذكر مناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من وجوه الأعجاز، وأساليب البلاغة، في كتاب (أسرار التنزيل).

واعلم أن علم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته. قال الامام الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط. قال ابن

(١) سورة الفاتحة، آية: ٧.

العربي في (سراج المريدين): ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، رأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه.

وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة، الشيخ أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرىء عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة. وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: علم المناسبة علم حسن، لكي يشترط في حسن الارتباط أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فان وقع على أسباب مختلفة، لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربطه ببعض.

وقال الشيخ ولي الدين الماوي: قد وهم من قال: لا يطلب للآى الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب وأنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً. فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها. ففي ذلك علم جم.

وهكذا في السور، يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له. انتهى.

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة، أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه،، فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا أنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور

المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متنبهين لهذه الأسرار. وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

انتهى.

قلت: ومن هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها. وقد صنف فيه السيوطي جزءاً لطيفاً سماه: (مراصد الطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

علم معرفة الآيات المشتبهات

صنف فيه جماعة أولهم الكسائي، ونظمه السخاوي، وألف في توجيهه الكرماني كتاب: (البرهان في توجيه متشابه القرآن). وأحسن منه (درة التنزيل وغرة التأويل) لأبي عبد الله الرازي. وأحسن من هذا (ملاك التأويل) لأبي جعفر بن الزبير. وللقاضي بدر الدين بن جماعة كتاب لطيف سماه: (كشف المعاني عن متشابه المثاني). وفي كتاب (أسرار التنزيل) المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) من ذلك الجم الغفير.

والقصد به امرار القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بأن يأتي في موضع مقدماً، وفي آخر مؤخراً؛ أو في موضع بزيادة، وفي موضع بدونها؛ أو في موضع معرفاً، وفي آخر منكراً؛ أو في موضع مفرداً، وفي آخر جمعاً؛ أو في موضع بحرف، وفي آخر بحرف آخر؛ أو في موضع مدغماً، وفي آخر مفكوكاً، إلى غير ذلك من الاختلافات.

علم معرفة أعجاز القرآن

صنف فيه خلائق، منهم: الخطابي والرماني والزملكاني والامام الرازي وابن سراقة والقاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن العربي: ولم يصنف مثل كتابه.

أعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.

وهي أما حسية، كأكثر معجزات بني اسرائيل، وذلك لبلادتهم وقلة بصيرتهم؛ أو عقلية، كأكثر معجزات هذه الأمة، وذلك لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر.

ثم أعلم أن الله تعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة. فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته. فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة، جنحوا إلى الحمية والجهل، حتى خاطر وأمهجهم بالسيوف، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحاً ومساء إلى أن يعارضوه، فتحداهم أولاً على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طوال السنين. ثم تحداهم بعشر سور منه، فلما عجزوا عنه، تحداهم بسورة، فلما عجزوا عن ذلك أيضاً نادى عليهم باظهار العجز وأعجاز القرآن، فتكشف من نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، فدل ذلك العاقل على عجز القوم، مع كثرة كلامهم، واستحالة لغتهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، مع أن العرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور. ثم تحدى به أقصاهم بعد أن عجز أدناهم. فمحال ــ أكرمك الله ــ أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البين، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد علمهم، وقد احتاجوا اليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر.

ولما ثبت كون القرآن معجزة، وجب معرفة وجه الأعجاز. فزعم قوم أن التحدي وقع بالقرآن القديم، وهو مردود، لأن من لا يوقف عليه، لا يتصور التحدي به. وزعم النظام بالصرفة: أي صرف الله العرب عن معارضته،

وسلب عقولهم، مع قدرتهم عليه في نفسه، لكن عاقهم عنه أمر خارجي كسائر المعجزات. وهذا فاسد، بدليل قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت...﴾[1] الآية، فلو لم يكن فيهم قدرة، لم يبق لاجتماعهم فائدة. مع أن الاجماع أن القرآن معجز، ولو كان كما ذكروه، لكان المعجز هو الله تعالى، دون القرآن، ولم يكن للكلام فضيلة على غيره.

وزعم آخرون أن وجه أعجازه ما فيه من الأخبار عن الغيوب المستقبلة، وقيل الأخبار عن قصص الأولين، أو الأخبار عن الضمائر. وقال القاضي أبو بكر: ما فيه من النظم والتأليف والترتيب والترصيف. وقال الإمام الرازي: الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب. وقال الزملكاني: وجه الاعجاز راجع الى التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف، بأن وقع كل من في المرتبة العليا في اللفظ والمعنى.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق، أنه بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، ثم كذلك من أوله إلى آخره، فلم يكن ذلك في قدرة البشر، ولو نزعت منه لفظة، لم يقدر طائفة البشر أن يأتوا لفظة أحسن منها، بل مثلها.

وقال حازم في (منهاج البلغاء): وجه الاعجاز، استمرار الفصاحة والبلاغة في القرآن من جميع أنحائها في جميعه، استمراراً لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر.

وقال المراكشي في شرح (المصباح): وجه أعجازه ليس مفرداته ولا أعرابه ولا مجرد أسلوبه، بل جميع هذه الأمور كلها.

قال الخطابي: وجه الأعجاز البلاغة، لكن صعب عليهم تفصيلها. والأمر فيه إلى الذوق. وقال: والتحقيق أن أجناس الكلام في درجات البيان متفاوتة: البليغ الرصين الجزل، والفصيح القريب السهل، والجائز الطلق

---

(١) سورة الاسراء، آية: ٨٨.

الرسل. فالأول: أعلاها؛ والثاني: أوسطها؛ والثالث: أدناها. فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتها كالمتضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة يعالجان نوعاً من الوعورة. فكان اجتماع كل من الأمرين في نظمه، مع نبو كل واحد منهما عن الآخر، فضيلة خص بها القرآن، ليكون آية بينة لنبيه صلى الله عليه وسلم. وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله، لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية، وجميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا جميع وجوه النظوم، التي بها يكون ائتلافها. والقرآن في هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة، وكذا معانيه، متقدم في أبوابه، ومترق إلى أعلى درجاته.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، لكن مجموعة في نوع واحد، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير. فخرج من هذا أن أعجاز القرآن لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، متضمناً أصح المعاني: من توحيد الله وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وارشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه، مودعاً أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم، منبئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الآتية، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول له، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه. ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله.

ثم صار المعاندون له يقولون مرة أنه شعر لما رأوه منظوماً، ومرة أنه سحر لما رأوه معجوزاً عنه، غير مقدور عليه. وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلوب، ونزعاً في النفوس يريبهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف،

ولذلك قال الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم: والله ان لقوله الذي يقول حلاوة، وان عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم ما تحته.

وكانوا مرة بجهلهم يقولون: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، مع علمهم بأن صاحبهم أمي، وليس بحضرته من يملي أو يكتب، في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز.

ثم قال: وقد قلت في (أعجاز القرآن) وجهاً ذهب عنه الناس، وهو صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع غيره، وقد خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن المهابة والروعة في حال آخر، ما يخلص منه واليه.

وتلخيص الكلام أن وجه الأعجاز: أما الايجاز مع البلاغة؛ أو البيان والفصاحة؛ أو الرصف والنظم؛ أو كونه خارجاً عن جنس كلامهم، مع كون مفرداته منه؛ أو كون قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل، وان تكررت عليه تلاوته؛ أو ما فيه من الأخبار عن الأمور الماضية أو المستقبلة؛ أو جامعاً لعلوم يطول شرحها و يشق حصرها؛ أو جميع ما سبق من الأقوال؛ أو كونه غضاً طرياً في الأسماع والألسنة؛ أو جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة مع تضادهما وعدم جمعها في كلام البشر؛ أو جعله آخر الكتب، غنياً عن غيره، واحتياج ما تقدم إليه؛ أو ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي.

ثم أنهم اختلفوا في القدر المعجز منه. ذهب بعض المعتزلة إلى أنه يتعلق بجميعه، وهذا مردود بنظم القرآن، وهو التحدي بأقصر سورة منه، وقال القاضي بسورة طو يلة كانت أم قصيرة. وقال (في موضع آخر): يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام. وقال قوم: لا يكون الاعجاز إلا بآيات كثيرة. وقال آخرون: يتعلق بقليله وكثيره. وهو الأصح.

ثم اختلفوا، قال القاضي: كل كلمة فيه في الذروة العليا من البلاغة. واختار أبو نصر القشيري وعز الدين بن عبد السلام التفاوت، بل فيه الفصيح والأفصح.

ثم الحكمة في تنزيهه عن الشعر؛ أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق، والشعر مبناه على تخييل الباطل في صورة الحق، حتى قال بعض الحكماء: لم ير متدين صادق اللهجة، مغلقاً في شعره، وما وقع فيه منظوماً فليس على وجه القصد. وشرط الشعر أن يقع قصداً، وقيل: البيت الواحد ليس بشعر، وأقله بيتان. وأما الرجز، فليس بشعر أصلاً. وقيل: أقله أربعة أبيات، وليس ذلك في القرآن بحال.

وقيل: التحدي بالأنس دون الجن، لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربي، وقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن﴾ لتهويل أمر الأعجاز، اذ في اجتماعهم قوة لا تخفى. قال الكرماني: لم يذكر الملائكة معهم، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلى الملائكة.

علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن

قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[2] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها، قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم». وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين (والآخرين) قال البيهقي: يعني أصول العلم. وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه، الا وجدت مصداقه في كتاب الله. وقال ابن مسعود: اذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله. وقال الشافعي مرة بمكة: سلوني عما شئتم، أخبركم عنه من كتاب الله، فقيل له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبور، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[3] وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٨.
(٢) سورة النحل، آية: ٨٩.
(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر». وحدثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور.

وحكى ابن سراقة في كتاب (الأعجاز) عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوماً: ما (من) شيء في العالم إلا في كتاب الله، فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه، فقال: في قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾(١) فهي الخانات. وأن بعضاً قد استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين من قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾(٢)، فأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن، ليظهر التغابن بفقده.

قال ابن مرجان: ما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيء، فهو في القرآن، أو فيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه، وكذا كل ما حكم أو قضى به. وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه، ومقدار فهمه.

وقال ابن أبي الفضل المرسي: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خلا ما استأثر به سبحانه. ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهم)، حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير، لوجدته في كتاب الله. ثم ورث عنهم التابعون بإحسان. ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، حتى قيل:

جمع العلم في القرآن لكن ... تقاصر عنه أفهام الرجال

---

(١) سورة النور، آية: ٢٩.

(٢) سورة المنافقون، آية: ١١.

ثم أن بعضهم نوعوا علومه، وقامت كل طائفة لفن من فنونه.

منهم من اعتنى بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه، وعدد سجداته، والتعليم عند كل عشر آيات، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المقابلة، من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه، فسموا القراء.

ومنهم من اعتنى بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة، وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي، ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به، حتى أن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعرب به كلمة كلمة، وهم **النحاة.**

ومنهم من اعتنى بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد، ولفظاً يدل على معنيين، ولفظاً يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره، وهم **المفسرون.**

ومنهم من اعتنى بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده، وبقائه وقدمه، وقدرته وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، **وهم الأصوليون العالمون بأصول الدين.**

ومنهم من تأمل في معاني خطابه، فرأى منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك من أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز والصريح والكناية، وتكلم في التخصيص والاخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، **وهم علماء أصول الفقه.**

ومنهم من أحكم صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً، وسموا ذلك بعلم الفروع وبعلم الفقه أيضاً.

ومنهم طائفة تلمحت ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء، وسموا ذلك **بالتاريخ والقصص.**

ومنهم آخرون تنبهوا لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولاً من المواعظ، وأصولاً من الزواجر، **فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.**

ومنهم قوم استنبطوا مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة، وسموه تعبير الرؤيا، واستنبطوا كل رؤيا من الكتاب، فإن عسر عليهم اخراجها منه، فمن السنة التي هي شارحة للكتاب، فإن عسر، فمن الحكم والأمثال. ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم، وعرف عاداتهم، الذي أشار إليه القرآن بقوله: « وأمر بالعرف ».

ومنهم قوم أخذوا مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها، وغير ذلك، علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العدل، واستخرجوا منه **أحكام الوصايا:**

ومنهم قوم نظروا إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج، وغير ذلك، **فاستخرجوا منه علم المواقيت.**

ومنهم من نظر من الكتاب والشعراء، الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم، وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والايجاز والأطناب، وغير ذلك من هذا الباب، **فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.**

ومنهم من نظر فيه من أرباب الاشارات وأصحاب الحقيقة، فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق، جعلوا لها أعلاماً، اصطلحوا عليها، مثل الفناء والبقاء

والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط، وما أشبه ذلك.

هذه هي الفنون التي أخذتها الملة الاسلامية، أيد الله ذكرهم، وأيد فكرهم.

وقد احتوى القرآن أيضاً على علوم الأوائل: من الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك.

أما الطب، فمداره على حفظ الصحة واستحكام القوة واعتدالها، أورد الصحة بعد اختلالها، وحدوث الشفاء بعد اعتلالها. وأشار إلى الأول بقوله تعالى: ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[2]، وإلى الثاني بقوله: ﴿شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾[3].

وأما الهيئة ففي آيات ذكر فيها ملكوت السموات والأرض، وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات، وأحوال الشمس والقمر، مثل قوله تعالى: ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾[4]، وقوله تعالى ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿برب المشارق والمغارب﴾[6]، إلى غير ذلك، بحيث لو أحصى لوجد جميع أصول الهيئة وزيادة عليها.

وأما الهندسة، ففي قوله تعالى: ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾[7]، الآية.

وأما الجدل، فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك، شيئاً كثيراً. ومناظرة ابراهيم نمرود، ومحاجة قومه، أصل في ذلك.

وأما الجبر والمقابلة، فقد قيل أن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة وأن فيها بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة الدنيا، وما مضى وما

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.
(٣) سورة النحل، آية: ٦٩.
(٤) سورة الاسراء، آية: ١٢.
(٥) سورة يس، آية: ٤٠.
(٦) سورة المغارب، آية: ٤٠.
(٧) سورة المرسلات، آية: ٣٠.

بقي، مضروب بعضها في بعض.

وأما النجامة، في قوله تعالى: ﴿أو اثارة من علم﴾[1]، فقد فسره بذلك ابن عباس. وفيه أيضاً أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورية اليها، كالخياطة في قوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان﴾[2].

والحدادة: ﴿آتوني زبر الحديد﴾[3]، ﴿وألنا له الحديد..﴾ الآية.

والبناء: في عدة آيات.

والنجارة: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾[4].

والغزل: ﴿نقضت غزلها﴾[5].

والنسيج: ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾[6].

والفلاحة: ﴿أفرأيتم ما تحرثون..﴾[7]. الآية.

والصيد: في عدة آيات.

والغوص: ﴿كل بناء وغواص﴾[8]. ﴿وتستخرجوا منه حلية﴾[9].

والصياغة: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً﴾[10].

والزجاجة: ﴿صرح ممرد من قوارير﴾[11]، ﴿المصباح في زجاجة﴾[12].

والفخارة: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾[13].

والملاحة: ﴿أما السفينة..﴾[14] الآية.

والكتابة: ﴿علم بالقلم﴾[15].

والخبز: ﴿أحمل فوق رأسي خبزا﴾[16].

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٤.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٢.
(٣) سورة الكهف، آية: ٩٦.
(٤) سورة هود، آية: ٧٣.
(٥) سورة النحل، آية: ٩٢.
(٦) سورة العنكبوت، آية: ٤١.
(٧) سورة الواقعة، آية: ٦٣.
(٨) سورة ص، آية: ٣٧.
(٩) سورة النحل، آية: ١٤.
(١٠) سورة الأعراف، آية: ١٤٨.
(١١) سورة النمل، آية: ٤٤.
(١٢) سورة النور، آية: ٣٥.
(١٣) سورة القصص، آية: ٣٨.
(١٤) سورة الكهف، آية: ٧٩.
(١٥) سورة العلق، آية: ٤.
(١٦) سورة يوسف، آية: ٣٦.

والطبخ: ﴿بعجل حنيذ﴾[1].

والغسل والقصارة: ﴿وثيابك فطهر﴾[2].

قال الحواريون وهم القصارون.

والجزارة: ﴿الا ما ذكيتم﴾[3]

والبيع والشراء: في آيات.

والصبغ: ﴿صبغة الله﴾[4]، ﴿جدد بيض وحمر﴾[5].

والحجارة: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾[6].

والكيالة والوزن في آيات.

والرمي: ﴿وما رميت اذ رميت﴾[7]، ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[8].

وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع أو يقع في الكائنات، ما يحقق معنى قوله: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[9].

قال القاضي أبو بكر بن العربي في (قانون التأويل): علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع. وهذا مطلق دون اعتبار تركيبه، وما بينها من الروابط. وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله.

قال: وأم علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وتذكير، وأحكام.

فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن.

---

(١) سورة هود، آية: ٦٩.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨.

(٥) سورة فاطر، آية: ٢٧.

(٦) سورة الشعراء، آية: ١٤٩.

(٧) سورة الأنفال، آية: ١٧.

(٨) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٩) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب. ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن، لاشتمالها على هذه الأقسام الثلاثة، وسورة الاخلاص ثلثه، لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد.

وقال ابن جرير: القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد والأخبار والديانات، ولهذا كانت سورة الاخلاص ثلثه لأنها تشتمل التوحيد كله.

وقال علي بن عيسى: القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً، وعدها. إلا أن الأشياء الثلاثة التي ذكرها ابن جرير تشتمل على ما ذكره كلها، بل أضعافها، فلذلك اكتفينا بما ذكره ابن جرير، ولم نذكر ما ذكره ابن عيسى.

والقرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه. وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمنه القرآن من الأحكام، كالقاضي اسماعيل وبكر بن العلاء وأبي بكر الرازي والكيا الهراسي وأبي بكر بن العربي وعبد المنعم بن الفارسي وابن حويز منداد. وأفرد آخرون كتباً فيما فيه من علوم الباطن. وأفرد ابن برجان كتاباً فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث. وألف جلال الدين السيوطي كتاباً سماه: (الاكليل في استنباط التنزيل)، ذكر فيه كل ما استنبطه منه من مسألة فقهية، أو أصلية أو اعتقادية، وبعضاً مما سوى ذلك، كثير الفائدة جم العائدة، يجري مجرى الشرح لما أجمل من الأنواع المذكورة، فليراجعه من أراد الوقوف عليه.

علم معرفة أمثال القرآن

صنف فيه الامام أبو الحسن الماوردي من كبار أصحاب الشافعية. قال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[2].

قال الماوردي: من أعظم علم القرآن، علم أمثاله، والناس في غفلة عنه،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

لاشتغالهم بالأمثال واغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام. وقيل: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس. فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر وابطاله. قال تعالى: ﴿ وضربنا لكم الأمثال ﴾ (١)، فامتن علينا بذلك، لما تضمنته من الفوائد.

قال الزركشي: في (البرهان): ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، وقال الأصبهاني: لضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثال والنظائر، شأن ليس بالخفي في ابراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لصولة الجامح الآبق، فأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه. ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه، وفي سائر كتبه الأمثال، ومن سور الانجيل سورة تسمى سورة الأمثال. وفشت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء.

وأعلم أن جعفر بن شمس الخلافة عقد في كتاب (الآداب)، باباً في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل، ويسميه أرباب البديع ارسال المثل. وأورد من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ (٢)، ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (٣)، ﴿الآن حصحص الحق﴾ (٤)، ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ (٥)، ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ (٦)، ﴿قضي

---

(١) سورة ابراهيم، آية: ٤٥.
(٢) سورة النجم، آية: ٥٨.
(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٢.
(٤) سورة يوسف، آية: ٥١.
(٥) سورة يس، آية: ٥٨.
(٦) سورة الحج، آية: ١٠.

الأمر الذي فيه تستفتيان﴾[1]، ﴿أليس الصبح بقريب﴾[2]، ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾[3]، ﴿لكل نبأ مستقر﴾[4]، ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾[5]، ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾[6]، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾[7]، ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[8]، ﴿وما على الرسول الا البلاغ﴾[9]، ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾[10]، ﴿هل جزاء الاحسان إلا الاحسان﴾[11]، ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾[12]، ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾[13]. ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾[14]، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[15]، ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾[16]، ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾[17]. ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[18]، ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ (19)، ﴿لا يستوى الخبيث والطيب﴾ (20)، ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾[21]. ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾[22]، ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[23]. ﴿وقليل ما هم﴾[24]، ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾[25]، في ألفاظ أخر.

واعلم أن أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرح به، نحو قوله تعالى: «كمثل الذي استوقد ناراً..﴾[26] الآية، ونظائر ذلك؛ وكامن لا ذكر للمثل

---

(١) سورة يوسف، آية: ٤١.
(٢) سورة هود، آية: ٨١.
(٣) سورة سبأ، آية: ٥٤.
(٤) سورة الأنعام، آية: ٦٧.
(٥) سورة فاطر، آية: ٤٣.
(٦) سورة الاسراء، آية: ٨٤.
(٧) سورة البقرة، آية: ٢١٦.
(٨) سورة المدثر، آية: ٣٨.
(٩) سورة النور، آية: ٥٤.
(١٠) سورة التوبة، آية: ٩١.
(١١) سورة الرحمن، آية: ٦٠.
(١٢) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.
(١٣) سورة يونس، آية: ٩١.
(١٤) سورة الحشر، آية: ١٤.
(١٥) سورة فاطر، آية: ١٤.
(١٦) سورة الروم، آية: ٣٢.
(١٧) سورة الأنفال، آية: ٢٣.
(١٨) سورة سبأ، آية: ١٣.
(١٩) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.
(٢٠) سورة المائدة، آية: ١٠٠.
(٢١) سورة الروم، آية: ٤١.
(٢٢) سورة الحج، آية: ٧٣.
(٢٣) سورة الصافات، آية: ٦١.
(٢٤) سورة ص، آية: ٢٤.
(٢٥) سورة الحشر، آية: ٢.
(٢٦) سورة البقرة، آية: ١٧.

فيه، وهذا كما سئل الحسين بن المفضل: انك تخرج أمثال العرب والعجم من كتاب الله تعالى، فهل تجد فيه خير الأمور أوساطها، قال: نعم، في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا..﴾ (٢) الآية، وقوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة..﴾ (٣) الآية، وقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها..﴾ (٤) الآية. وقيل: فهل تجد في كتاب الله: ليس الخبر كالعيان، قال: في قوله تعالى: ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (٥). قيل: فهل تجد: كما تدين تدان، قال: في قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ (٦). قيل: فهل تجد: لا تلد الحية إلا الحية، قال: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ (٧). وأمثال هذا كثيرة، ويكفيك هذا القدر في الاعتبار.

علم معرفة أقسام القرآن

صنف فيه ابن القيم مجلداً سماه: (التبيان). واعلم أن القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا مثل: «والله يشهد أن المنافقين لكاذبون» قسما. وقيل: القسم منه تعالى ان كان لتصديق المؤمن، فهو يصدقه بمجرد الأخبار، وان كان لأجل الكافر فلا يفيد. وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم اذا أرادوا تأكيد أمر.

وأجاب أبو القاسم القشيري أن الله تعالى ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل باثنين: اما بالشهادة، وأما بالقسم، فذكر تعالى في كتابه النوعين، حتى لا يبقى لهم حجة. فقال: ﴿شهد الله أنه لا آله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ (٨) وقال تعالى: ﴿قل أي وربي أنه لحق﴾ (٩).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٨.
(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٧.
(٣) سورة الاسراء، آية: ٢٩.
(٤) سورة الاسراء، آية: ١١٠.
(٥) سورة البقرة، آية: ٢٦٠.
(٦) سورة النساء، آية: ١٢٣.
(٧) سورة نوح، آية: ٢٧.
(٨) سورة آل عمران، آية: ١٨.
(٩) سورة يونس، آية: ٥٣.

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿فورب السماء والأرض أنه لحق﴾ [١]، صاح وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين.

واعلم أن القسم لا يكون الا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع، والباقي كله قسم بمخلوقاته. فإن قيل: ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى، أجيب عنه بوجوه:

أحدها: أنه على حذف مضاف، أي: ورب التين، ورب الشمس وأمثالها.

وثانيها: تزل القرآن على ما يعرفه العرب من القسم مما يعظمونه من المخلوقات.

وثالثها: أن القسم يكون على ما فوق شخص، والله تعالى ليس فوقه أحد، فتارة يقسم بنفسه، وتارة بمصنوعاته، لأنها تدل على بارىء وصانع.

علم معرفة جدل القرآن

صنف فيه نجم الدين الطوفي. قال العلماء: اشتمل القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبيء عن كليات المعلومات العقلية والسمعية، إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قال: ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [٢].

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة، هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزاً. فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم،

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٢) سورة ابراهيم، آية: ٤.

وتلزمهم الحجة، ويفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء.

قال ابن أبي الأصبغ: زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن، وهو مشحون به. وتعريفه أنه احتاج المتكلم على مايريد اثباته بحجة يقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام. ومنه نوع منطقي يستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإن الاسلاميين من أهل هذا العلم، ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله تعالى: ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ (١) خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات:

منها: قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ (٢)، وبرهانه أن الله تعالى أخبر بزلزلة الساعة، معظماً لها، وذلك مقطوع بصحته، لأنه خبر من ثبت صدقه عمن ثبت قدرته تواتراً، فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق.

ومنها: أنه أخبر أنه يحيى الموتى، لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر. وفائدته موقوفة على إحياء الموتى، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى، فهو محيى الموتى.

ومنها: أنه أخبر أنه على كل شيء قدير، برهانه أن يتبع الشياطين، ومن يجادل الله بغير علم، نذقه من عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ (٣)، برهانه أنه أخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها، بالخبر الصدق، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور، (لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة فهي آتية لا ريب فيها، وأنه يبعث من في القبور) وقيل استدل سبحانه على المعاد الجسماني بضروب:

---

(١) سورة الحج، آية: ٧.
(٢) سورة الحج، آية: ٦.
(٣) سورة الحج، آية: ٧.

أحدها: قياس الاعادة على الابتداء. قال تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾[1]، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾[2]، «أفعيينا بالخلق الأول»[3].

وثانيها: قياس الاعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى، قال: ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر..﴾ الآية[4].

وثالثها: قياس الاعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

ورابعها: قياس الاعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

وخامسها: في: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت...﴾[5] الآيتين.

وتقريرها أن الحق في نفسه واحد، والاختلاف لا يفيد الا تعدد الطرق. ولما كان ها هنا حقيقة موجودة، ولم يمكن لنا الوقوف عليها في هذه الحياة الدنيا، لارتكاز الاختلاف في نظرنا في هذه الجبلة، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله الا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى صورة غيرها، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه، يرتفع فيها الخلاف والعناد. وهذه هي التي وعد الله بالمصير إليها، فقد صار الخلاف الموجود أوضح دليل على تحقق البعث الذي ينكره المنكرون. كذا قرره ابن السيد.

ومن ذلك: الاستدلال على وحدة الصانع بدلالة التمانع. وهذه مشهورة في الكتب الكلامية.

ومن أنواع الجدل السبر والتقسيم.

ومن أمثلته في القرآن، قوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين..﴾[6] الآية.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.
(٢) سورة ق، آية: ١٥.
(٣) سورة ق، آية: ١٥.
(٤) سورة يس، آية: ٨١.
(٥) سورة النحل، آية: ٣٨.
(٦) سورة الأنعام، آية: ١٤٣.

فإن الكفار حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى. رد الله تعالى عليهم بالسبر والتقسيم. وطريقه أن علة الحرمة أما الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم عليها، أو التعبد عن الله، وذلك أما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه بلا واسطة. فهذه وجوه التحريم لا غير.

فالأول يستلزم حرمة جميع الذكور؛ والثاني حرمة جميع الإناث؛ والثالث تحريم الصنفين معاً، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل، ولم يدعوه، وكذلك بواسطة رسول، لأنه لم يأت اليهم قبل النبي صلى الله عليه وسلم. واذا بطل الجميع ثبت المدعي، وهو أن ما قالوه افتراء وضلال.

ومنها: القول بالموجب. قال ابن أبي الأصبغ: وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه، وقيل هو قسمان:

أحدهما: أن يقع صفة في كلام الغير، كناية عن شيء أثبت له حكم، فيثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾[1] الآية. أرادوا بالأعز أنفسهم وبالأذل المؤمنين، فرد الله تعالى كلامهم بأنه نعم أن الأعز يخرج الأول لكن الأعز الله ورسوله والمؤمنون، وهم المخرجون؛ والأذل: المنافقون، وهم المخرجون.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقة. مثاله: قوله تعالى: ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل إذن خير لكم﴾(٢).

ومنها: التسليم. وهو أن يفرض المحال منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع، ليكون المذكور ممتنع الوقوع، لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، كقوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾[3]. المعنى: ليس مع الله من اله، ولو سلم أن معه سبحانه الهاً، لزم

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ٦١.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٩١.

من ذلك التسليم ذهاب كل اله من الأثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض الهين فصاعداً محال، لما يلزم منه (من) المحال.

ومنها: الأسجال وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به، نحو ﴿ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ [١] فان في ذلك اسجالاً بالايتاء والادخال، حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

ومنها: الانتقال. وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، كما جاء في مناظرة الخليل نمرود، لما قال له: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ [٢]، فقال اللعين: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ [٣]، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه فقتله، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة، أو علم وغالط بهذا الفعل. فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد اللعين إليه سبيلاً يتخلص به منه، فقال: «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ [٤]، فانقطع الظالم وبهت، ولم يمكنه ادعاؤه، لأن من هو أسن منه يكذبه.

ومنها: المناقضة. وهو تعليق أمر على مستحيل، اشارة إلى استحالة وقوعه، كقوله تعالى: «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [٥].

ومنها: مجاراة الخصم. ليعثر، بأن يسلم بعض مقدماته، حيث يراد تبكيته والزامه (لقوله تعالى): «﴿قالوا أن أنتم الا بشر مثلنا..﴾ [٦] الآية. فقولهم أن نحن إلا بشر مثلكم، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مراداً، بل هو من مجاراة الخصم

---

(١) سورة غافر، آية: ٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.
(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.
(٥) سورة الأعراف، آية: ٤٠.
(٦) سورة ابراهيم، آية: ١٠.

ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة.

علم معرفة ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

أعلم أنه تعالى ذكر من أسماء الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرين وهم مشاهيرهم، فلنذكر أسماءهم تبركاً بذكرهم ورجاء بركتهم.

أولهم آدم أبو البشر. سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض. وقيل: (اسم) سرياني، أصله آدام بوزن خاتام، ثم عرب بحذف الألف الثانية. وقال الشعبي: التراب بالعبرانية: آدام، فسمي به. عاش تسعمائة سنة وستين سنة، وقيل ألف سنة.

ومنهم نوح. قال الجواليقي: أعجمي معرب. زاد الكرماني: ومعناه بالسريانية: الساكن. قال الحاكم في (المستدرك): سمي نوحاً لكثرة بكائه على نفسه، واسمه عبد الغفار. قال: وأكثر الصحابة على أنه قبل ادريس. وهو نوح بن لمك، بفتح اللام وسكون الميم والكاف بعدها، ابن متوشلخ، بفتح الميم، وتشديد المثناة المضمومة، بعدها واو، وفتح الشين المعجمة، واللام بعدها معجمة، ابن أخنوخ، بفتح المعجمة، وضم النون الخفيفة، بعدها واو ساكنة، ثم معجمة، وهو ادريس فيما يقال. وقيل بين آدم ونوح عشرة قرون. بعثه الله لأربعين سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم. وعاش بعد الطوفان ستين سنة، حتى كثر الناس وفشوا. وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاماً. وفي التهذيب للنووي أنه أطول الأنبياء عمراً.

ومنهم ادريس. قيل أنه قبل نوح. وقيل: كان أول نبي أعطى النبوة. وهو أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم. قال وهب: ادريس جد نوح الذي يقال له: خنوخ، وهو اسم سرياني، وقيل عربي، مشتق من الدراسة، لكثرة دراسته الصحف.

ومنهم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم. ألقى يوسف في الجب

وهو ابن ثنتي عشرة سنة، ولقي أباه بعد الثمانين، وتوفي وله مائة وعشرون سنة. وفي الصحيح أنه (أعطى) شطر الحسن. والصواب أنه أعجمي لا اشتقاق له. وفي يوسف ست لغات، تثليث السين مع الياء.

ومنهم لوط. قال ابن اسحق: هو لوط بن هاران بن آزر. وعن ابن عباس: لوط ابن أخي ابراهيم عليه السلام.

ومنهم هود. اسمه عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح. وقيل: هود بن عبد الله بن رباح بن حادذ بن عاد بن عوص بن آزر بن سام بن نوح (عليه السلام). قال كعب: كان أشبه الناس بآدم (عليه السلام). قال قال ابن مسعود (رضي الله عنه): كان رجلاً جلداً.

ومنهم صالح. وهو ابن عبد الله بن رباح بن ثمود بن جابر بن سام بن نوح (عليه السلام). بعث إلى قومه حين راهق الحلم. وكان رجلاً أحمر إلى البياض، سبط الشعر، فلبث فيهم أربعين عاماً. وكان من العرب، بعث إلى ثمود بعد هلاك عاد، كان غلاماً شاباً. دعاهم إلى الله حتى شمط وكبر، ولم يكن بين نوح وابراهيم نبي إلا هود وصالح، فأقام فيهم عشرين سنة. ومات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين عاماً.

ومنهم شعيب. وهو ابن ميكائيل، وقيل ابن ملكاين، وقيل ابن ميكيل ابن يشجن بن لاوى بن يعقوب. وقيل: ميكيل بن يسجن بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام. كان يقال له خطيب الأنبياء، وبعث رسولاً إلى أمتين: مدين، وأصحاب الأيكة. وكان كثير الصلاة، وعمى في آخر عمره. واختلف في أن مدين وأصحاب الأيكة واحد، وقيل اثنان. واحتج الأول بأن كلا منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان؛ والثاني بما روى عن السدى وعكرمة أنهما قالا: ما بعث الله نبياً مرتين إلا شعيباً؛ مرة إلى مدين، فأخذهم الله بالصيحة؛ ومرة إلى أصحاب الأيكة، فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة. وقيل: بعث إلى ثلاث أمم، الثالثة أصحاب الرس.

ومنهم موسى. هو ابن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب

عليه السلام، لا خلاف في نسبه، وهو اسم سرياني. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الماء بالقبطية: مو، والشجر: سا، وانما سمي موسى لأنه ألق بين شجر وماء. وفي الصحيح أنه «آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة». قال الثعلبي: عاش مائة وعشرين سنة.

ومنهم هارون، أخوه شقيقه، وقيل لأمه فقط، وقيل لأبيه فقط. كان أطول منه فصيحاً جداً. مات قبل موسى، وكان ولد قبله بسنة. وفي وصفه في حديث الاسراء في بعض الروايات: «نصف لحيته بيضاء ونصفها أسود، تكاد لحيته تضرب سرته من طولها، فقلت: يا جبريل، من هذا، قال: المحبب في قومه هارون بن عمران». ذكر ابن مسكويه أن معنى هارون بالعبرانية: المحبب.

ومنهم داود بن ايشا، بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة، هو ابن عوبد بوزن جعفر، بمهملة وموحدة، ابن باعر، بموحدة ومهملة مفتوحة، ابن سلمون بن يحشون بن عمي بن ياب، بتحتية وآخره موحدة ابن رام بن حضروت، بمهملة ثم معجمة، ابن فارص، بفاء واحدة وصاد مهملة، ابن يهوذا ابن يعقوب. في الترمذي أنه كان أعبد البشر. قيل: وكان أحمر الوجه، سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية فيها جعودة، حسن الصوت والخلق، وجمع له النبوة والملك. عاش مائة سنة، مدة ملكه منها أربعون سنة. وكان له اثنا عشر ابناً.

ومنهم سليمان ولده. قال كعب: كان أبيض جسيماً وسيماً وضيئاً جميلاً خاشعاً متواضعاً. وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره، مع صغر سنه، لوفور عقله وعلمه.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ملك الأرض مؤمنان: سليمان وذو القرنين؛ وكافران: نمرود وبختنصر. ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ ببناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين. ومات وله ثلاث وخمسون سنة.

ومنهم أيوب. الصحيح أنه من بني اسرائيل، ولم يصح في نسبه شيء، إلا أن اسم أبيه أبيض. قال ابن جرير: هو أيوب بن موص بن روح بن عيص بن اسحق. وحكي ابن عساكر أن أمه بنت لوط، وأن أباه ممن آمن بإبراهيم، وعلى هذا يكون قبل موسى. قال ابن جرير: كان بعد شعيب. وقال ابن أبي خيثمة: كان بعد سليمان. ابتلى وهو ابن سبعين، وكانت مدة بلائه سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة، وقيل ثلاث سنين. روى الطبراني أن عمره كان ثلاثاً وتسعين سنة.

ومنهم ذو الكفل. قيل: هو ابن أيوب. قيل: بعث بعد أيوب ابنه بشر نبياً، وسماه الله ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده. وأقام بالشام عمره، حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة. قيل: هو الياس. وقيل: يوشع بن نون. وقيل: نبي اسمه ذو الكفل. وقيل: كان رجلاً صالحاً، تكفل بأمور فوفى بها. وقيل: هو زكريا، لقوله تعالى: ﴿وكفلها زكريا﴾. وقال ابن عساكر: نبي تكفل الله له في عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء. وقيل: لم يكن نبياً، وأن اليسع استخلفه، فتكفل له أن يصوم النهار و يقوم الليل، وقيل: أن يصلي كل يوم مائة ركعة. وقيل: هو اليسع، وان له اسمين.

ومنهم يونس. هو ابن متى، بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور. وفي تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه. قال ابن حجر: وهو مردود. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن نسبته إلى أبيه، كانت في زمن ملوك الطوائف من الفرس، ولبث في بطن الحوت أربعين يوماً، وعن جعفر الصادق سبعة أيام، وعن الشعبي قال: التقمه ضحى ولفظه عشية. وفي يونس ست لغات: تثليث النون مع الياء والهمزة، والقراءة المشهورة بضم النون مع الياء. قال أبو حيان: قرأ طلحة بن مصرف بكسر يونس و يوسف، مشتقين من أنس وأسف على جعلهما عربيين وهو شاذ.

ومنهم الياس. هو ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون أخي موسى بن عمران. حكى القتبي أنه من سبط يوشع. قال وهب أنه عمر كما عمر الخضر، وأنه يبقى إلى آخر الدنيا. وقيل: روى عن ابن مسعود أنه هو

ادريس، وهو بهمزة قطع عبراني، وزيد في آخره ياء ونون في قوله تعالى: ﴿سلام على الياسين﴾[(١)]، كما قالوا في ادريس ادريسين، ومن قرأ آل ياسين فقيل: المراد آل محمد صلى الله عليه وسلم.

منهم اليسع. قال ابن جرير: هو ابن أخطوب بن العجوز. قال: والعامة يقرأونه بلام واحدة مخففة، وقرىء: الليسع بلامين، وبالتشديد، فعلى هذا فهو أعجمي، وكذا على الأول. وقيل: عربي منقول من الفعل من وسع يسع.

ومنهم زكريا. من ذرية سليمان بن داود، وقتل بعد قتل ولده، وكان له يوم بشر بولده اثنتان وتسعون سنة أو تسع وتسعون أو مائة وعشرون. وهو اسم أعجمي، وفيه خمس لغات: أشهرها المد، والثانية القصر، وقرىء بهما في السبع وزكرى بتشديد الياء وتخفيفها، وزكر كقلم.

ومنهم يحيى ولده. أول من سمي بيحيى بنص القرآن. ولد قبل عيسى بستة أشهر، ونبىء صغيراً، وقتل ظلماً، وسلط الله على قاتليه بختنصر وجيوشه. وهو اسم أعجمي، وقيل: عربي، وعلى القولين لا ينصرف. وعلى كونه عربياً أنه سمي به لأنه أحياه الله بالايمان، أو لأنه حيي به رحم أمه، أو لأنه استشهد، والشهداء أحياء. وقيل: معناه يموت، كالمفازة للمهلكة، والسليم للديغ.

ومنهم عيسى بن مريم بنت عمران. خلقه الله بلا أب، وكانت مدة حمله ساعة أو ثلاث ساعات أو ستة أشهر أو ثمانية أو تسعة أشهر، ولها عشر سنين أو خمس عشرة. ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة. وفي الحديث: أنه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ويولد له، ويحج ويمكث في الأرض سبع سنين، ويدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيح: أنه ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس، أي حمام. وعيسى اسم عبراني أو سرياني لا عربي. قيل: لم يكن في الأنبياء من له اسمان إلا عيسى ومحمد.

---

(١) سورة الصافات، آية: ١٣٠.

ومنهم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، صلى الله تعالى عليه وسلم. سمي في القرآن بأسماء كثيرة، منها: محمد وأحمد. قيل: خمسة سموا قبل أن يكونوا؛ محمد: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[1]؛ و﴿ يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾[2]؛ وعيسى مصدقاً بكلمة من الله؛ واسحق و يعقوب: ﴿ فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب﴾[3].

وفيه من أسماء الملائكة: جبرائيل وميكائيل، وفيهما لغات: جبريل بفتح الجيم أو كسرها بلا همز، وجبرائيل بالهمزة بعد الألف، وجبراييل بيائين بلا همز، وجبرئيل بهمز و ياء بلا ألف، وجبرئيل مشددة اللام، وقرىء بها. قال ابن جني: أصله كوريال، فغير بالتعريب وطول الاستعمال الى ما ترى.

وقرىء ميكايل بلا همز وميكييل وميكال. وقيل: ايل بالعبرانية الله وجبرئيل عبد الله، وكذا ميكائيل. وكل اسم فيه ايل فهو معبد الله. وقيل: جبرئيل خادم الله وقيل: ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾[4] بتشديد النون. قال ابن مهران أنه اسم جبرئيل. حكاه الكرماني في عجائبه.

ومنهم هاروت وماروت. عن علي كرم الله وجهه: هما ملكان من ملائكة الله. وقد أفرد السيوطي في قصتها جزءاً.

ومنهم الرعد. عن ابن عباس مرفوعاً أنه ملك من الملائكة موكل بالسحاب. وعن عكرمة: الرعد ملك يسبح. عن محمد بن مسلم، قال: بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه: وجه انسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، فإذا مصع بذنبه فذلك البرق.

ومنهم مالك خازن النار.

ومنهم السجل. عن أبي جعفر الباقر، قال: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه. وعن السدي أنه ملك موكل بالصحف.

ومنهم قعيد. عن مجاهد أنه اسم كاتب السيئات.

---

(١) سورة الصف، آية: ٦.
(٢) سورة مريم، آية: ٧.
(٣) سورة هود، آية: ٧١.
(٤) سورة مريم، آية: ١٧.

قيل: فهؤلاء تسعة، قيل: عاشرهم ذو القرنين. قيل: الحادي عشر الروح، وهو ملك من أعظم الملائكة خلقاً.

ومنهم السكينة. قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾[١]. قيل أنه ملك يسكن قلب المؤمن و يؤمنه. كما روى أن السكينة تنطق على لسان عمر.

وفيه من أسماء الصحابة: زيد بن حارثة، والسجل في قول من قال أنه كاتب النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيه من أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل: عمران أبو مريم، وقيل: فيه أبو موسى أيضاً، وأخوها هارون، وليس بأخي موسى؛ وعزير؛ وتبع، وكان رجلاً صالحاً كما أخرجه الحاكم، وقيل: نبي، كما حكاه الكرماني في (العجائب)؛ ولقمان، وقد قيل أنه نبي، والأكثر على خلافه. عن ابن عباس، قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً؛ و يوسف بن أفراثيم بن يوسف ابن يعقوب. ذكر في سورة غافر، و يعقوب في سورة مريم يعقوب بن ماثان؛ وتقي في سورة مريم: «ان كنت تقياً» أي أن كنت مثله في الصلاح.

وفيه من أسماء النساء. مريم لا غير. ومريم بالعبرية الخادم. وقيل ان بعلاً في قوله: «أتدعون بعلاً» اسم امرأة كانوا يعبدونها.

وفيه من أسماء الكفار: قارون وجالوت وهامان و بشرى، في قوله: «يا بشرى»، أي في سورة يوسف، في قول السدى، وآزر أبو ابراهيم، وقيل: اسمه تارح، وآزر لقب، وقيل: آزر اسم الصنم، ومنه النسيء من بني كنانة، كان يجعل المحرم صفراً يستحل به الغنائم.

وفيه من أسماء الجن. أبوهم ابليس، وكان اسمه أولاً عزازيل، وهو المروي عن ابن عباس. وعن السدى قال: كان اسم ابليس الحارث. وعن ابن عباس: انما سمي ابليس لأن الله أبلسه من الخير كله، آيسه منه. وقيل:

---

(١) سورة الفتح، آية: ٤.

اسمه فتره، حكاه الخطابي، وكنيته أبو كردوس. وقيل: أبو فترة وقيل: أبو مرة، وقيل: أبو لبينى، حكاه السهيلي في (الروض الأنف).

وفيه من أسماء القبائل: يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم.

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لاناث: ود وسواع و يغوث و يعوق ونسر، وهي أصنام قوم نوح؛ واللات والعزى ومناة، وهي أصنام قريش؛ وكذا الرجز فيمن قرأ بضم الراء أنه أسم صنم؛ والجبت والطاغوت أنهما صنمان؛ والرشاد في سورة غافر، في قوله تعالى: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾[1]، اسم صنم من أصنام فرعون؛ و بعل هو صنم قوم الياس؛ وآزر اسم صنم كما تقدم.

علم معرفة مبهمات القرآن

صنف فيه السهيلي، ثم ابن عساكر، ثم القاضي بدر الدين بن جماعة وللسيوطي فيه تأليف لطيف، جمع فيه فوائد الكتب، مع زوائد أخر على صغر حجمه جداً. وكان من السلف من يعتني بهذا العلم كثيراً. قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة.

وللأبهام في القرآن أسباب:

أحدها: الاستغناء ببيانه في موضع آخر، كقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾[2]، فأنه مبلين في قوله تعالى: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[3].

وثانيها: أن يتعين لأشتهاره، كقوله: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾[4]، ولم يقل حواء، لأنه ليس له غيرها.

---

(١) سورة غافر، آية: ٢٩.

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٣٥.

الثالث: قصد الستر عليه، ليكون أبلغ في استعطافه، نحو: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا...﴾(١) الآية، هو الأخنس بن شريق، وقد أسلم بعد وحسن اسلامه.

الرابع: أن لا يكون في تعيينه كثير فائدة، نحو: ﴿أو كالذي مر على قرية﴾(٢)؛ ﴿وأسألهم عن القرية﴾(٣).

الخامس: التنبيه على العموم، وأنه غير خاص، بخلاف مالو عين، نحو: ﴿من يخرج من بيته مهاجراً﴾(٤).

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الأسم، نحو: ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾(٥)؛ ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾(٦)؛ ﴿إذ يقول لصاحبه﴾(٧)، والمراد الصديق في الكل.

السابع: تحقيره بالوصف الناقص، نحو: ﴿ان شانئك هو الأبتر﴾(٨).

واعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض، لا مجال للرأي فيه. ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها، أحلت ذلك إلى كتبها، إذ لا يحيط كتابنا هذا بالاستقصاء فيها، ولما كان التعرض لبعضها غير مفيد، أضربنا عن التعرض لها كلا وبعضا. والله الموفق للصواب.

علم معرفة أسماء من نزل فيهم القرآن

وأفرده بالتأليف بعض القدماء لكنه وقع غير محرر، و(كتاب أسباب النزول والمبهمات) يغنيان عن ذلك. وعن علي رضي الله عنه، قال: ما في قريش أحد، إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك. قال: ﴿ويتلوه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٩.
(٣) سورة الأعراف، آية: ١٦٣.
(٤) سورة النساء، آية: ١٠٠.
(٥) سورة النور، آية: ٢٢.
(٦) سورة الزمر، آية: ٣٣.
(٧) سورة التوبة، آية: ٤٠.
(٨) سورة الكوثر، آية: ٣.

شاهد منه﴾[1]. وعن سعد بن أبي وقاص، قال: نزلت فيَّ أربع آيات: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾[2]، ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسناً﴾[3] وآية تحريم الخمر وآية الميراث. عن رفاعة القرظي، قال: نزلت ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾[4] في عشرة أنا أحدهم. عن أبي جمعة جنيد بن سبع، وقيل حبيب بن سباع، قال: فينا نزلت: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾[5]، وكنا تسعة نفر رجال وامرأتين.

علم معرفة فضائل القرآن

صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة، والنسائي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن الضريس، وآخرون. وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة، وفي بعض السور على التعيين، ووضع في فضائل السور أحاديث كثيرة.

وصنف فيه جلال الدين السيوطي كتاباً سماه: (خمايل الزهر في فضائل السور)، حرر فيه ما ليس بموضوع. والحديث الجامع في فضل القرآن ما أخرجه الترمذي والدارمي وغيرهما من طريق الحارث (بن عبد الله) الأعور، عن علي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله، قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

---

(1) سورة هود، آية: ١٧.
(2) سورة الأنفال، آية: ١.
(3) سورة العنكبوت، آية: ٨.
(4) سورة القصص، آية: ٥١.
(5) سورة الفتح، آية: ٤٨.

ثم فضائل كل سورة سورة، مذكورة في كتب التفاسير وكتب الأحاديث فليرجع إليها، فإن هذا الكتاب لا يحتمل بيانه.

علم معرفة أفضل القرآن وفاضله

ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وابن حبان، إلى المنع بأن في القرآن شيئاً أفضل من شيء، لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وروى هذا عن مالك. وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث منهم اسحق بن راهويه، وأبو بكر بن العربي، والغزالي. وقال القرطبي أنه الحق، ونقله عن جماعة من المتكلمين والعلماء.

وقال الغزالي في (جواهر القرآن): فاعلم أن نور البصيرة ان كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المدانيات، و بين سورة الاخلاص وسورة تبت، وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد، قلد صاحب الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فهو الذي أنزل عليه القرآن. وقال: يس قلب القرآن، وفاتحه الكتاب أفضل سور القرآن، وآية الكرسي سيدة آى القرآن ﴿وقل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن، والآيات والأخبار الواردة في فضائل القرآن، وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل، وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى. انتهى.

وقال ابن الحصار: العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك، مع النصوص الواردة بالتفضيل. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، ﴿فقل هو الله أحد﴾، أفضل من ﴿تبت يدا أبي لهب﴾.

وقال الخولي: كلام الله كله أبلغ من كلام المخلوقين، وهل يجوز أن يقال: بعض كلامه أبلغ من بعض، جوزه قوم لقصور نظرهم، و ينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل: هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام، أن هذا في موضعه له حسن ولطف، وذاك في موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسن في موضعه

أكمل من ذلك في موضعه. فلئن قال: أن ﴿قل هو الله أحد﴾، أبلغ من ﴿تبت يدا أبي لهب﴾، بجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب، وبين التوحيد والدعاء على الكافر، وذلك غير صحيح، بل ينبغي أن يقال: «تبت يدا أبي لهب»، دعا عليه بالخسران، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه، وكذلك في: ﴿قل هو الله أحد﴾، لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها. فالعالم اذا نظر إلى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ في باب الدعاء بالخسران، ونظر إلى ﴿قل هو الله أحد﴾ في باب التوحيد، لا يمكنه أن يقول أحدهما أبلغ من الآخر. انتهى.

قلت: كلام الخولي لا يدل على نفي التفاوت في البلاغة، وجهة المطابقة لمقتضى الحال، ولا يلزم منه نفي الفضيلة من جهة أخرى، من حيث شرف المدلول وشرف الثواب، وغير ذلك.

وقال الحليمي، ونقله عن البيهقي: معنى التفضيل يرجع إلى أشياء:

أحدها: أن يكون العمل بآية أولى من العمل بأخرى وأعود على الناس. وعلى هذا يقال: آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد، خير من آيات القصص، (لأنها انما أريد بها تأكيد الأمر، والنهي والانذار، والتبشير، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور، وقد يستغنون عن القصص)، فكان ما هو أعود عليهم، وأنفع لهم مما يجري مجرى الأصول خيراً لهم مما يجعل تبعاً لما لا بد منه.

والثاني: أن يقال: الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله، وبيان صفته، والدلالة على عظمته، أفضل، بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجل قدراً.

الثالث: أن يقال: سورة خير من سورة، أو آية خير من آية، بمعنى أن القارىء يتعجل فيها بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل، ويتأدى منه بتلاوتها عبادتها، كقراءة آية الكرسي والاخلاص والمعوذتين، فان قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى، والاعتصام بالله، ويتأدى بتلاوتها عبادة الله، لما فيه من ذكره سبحانه بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى فضل

الذكر وبركته، فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها اقامة حكم، وانما يقع بها علم.

ثم لو قيل في الجملة أن القرآن خير من التوراة والانجيل والزبور، بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها، والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها، أو أنه من حيث الاعجاز حجة النبي المبعوث، وتلك الكتب لم تكن معجزة، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء، بل كانت دعوتهم، والحجج غيرها، لكان ذلك أيضاً نظير ما مضى. وقد يقال أن سورة أفضل من سورة، لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها، وأوجب لها من الثواب ما لم يوجب لغيرها، وان كان المعنى الذي لأجله بلغ شأنها هذا المقدار لا يظهر لنا؛ كما يقال أن يوماً أفضل من يوم، أو شهراً أفضل من شهر، بمعنى أن العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره، والذنب فيه أعظم منه في غيره. وكما يقال أن الحرم أفضل من الحل لأنه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره. انتهى كلام الحليمي.

قال ابن المنير في حديث البخاري: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور»، معناه أن ثوابها أعظم من غيرها. وقال غيره: انما كانت أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سميت أم القرآن.

قال الحسن البصري أن الله أودع علوم الكتب السالفة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة. أخرجه البيهقي.

بيان اشتمالها على علوم القرآن على وجوه

أحدها: ما قرره الزمخشري باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبد بالأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور.

وثانيها: ما قال الامام فخر الدين (الرازي): المقصود من القرآن كله

تقرير أمور أربعة: الالهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى.

فقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يدل على الالهيات.

وقوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ يدل على المعاد.

وقوله تعالى: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ يدل على نفي الجبر، وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله تعالى وقدره.

وقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم...﴾ إلى آخر السورة، يدل على اثبات قضاء الله تعالى وعلى النبوات.

فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وهذه السورة مشتملة عليها، سميت أم القرآن. وقال البيضاوي: وهي مشتملة على الحكم النظرية والأحكام العملية، التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء، ومنازل الأشقياء.

وقال الطيبي: هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين:

أحدها: علم الأصول، ومعاقده معرفة الله وصفاته، واليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾؛ ومعرفة النبوات، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم﴾؛ ومعرفة المعاد، وهو المومى إليه بقوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.

وثانيها: علم الفروع، وأسه العبادات، وهو المراد بقوله تعالى: «إياك نعبد».

وثالثها: علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق. وأصله الوصول الى الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه، والاستقامة فيها، وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم﴾.

ورابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة، والقرون الخالية،

السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم، ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

قال الغزالي: مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة متمة.

الأولى: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها. وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها. وتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى، وهو الآخرة، كما أشير إليه بملك يوم الدين.

والأخرى: تعريف المطيعين، كما أشير إليه بقوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾. وحكاية أحوال الجاحدين، وقد أشير إليها ﴿بالمغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وتعريف منازل الطريق، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ انتهى.

قال ابن العربي: وانما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها، فان الشيء انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته، وهي في آى القرآن كسورة الاخلاص في سوره، إلا أن سورة الاخلاص تفضلها بوجهين:

أحدهما: أنها سورة، وهذه آية، والسورة أعظم، لأنه وقع بها التحدي، فهي أفضل من الآية التي لم يتحد بها.

وثانيها: أن سورة الاخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً، فظهرت القدرة في الأعجاز، فوضع معنى يعبر عنه بخمسين حرفاً، ثم يعبر عنه بخمسة عشر، وذلك بيان لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية. انتهى.

وقال الغزالي: انما كانت آية الكرسي سيدة الآيات، لأنها اشتملت على ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله فقط، ليس فيها غير ذلك، ومعرفة ذلك هي المقصد الأقصى في العلوم وما عداه تابع له، والسيد اسم للمتبوع المقدم، فقوله تعالى: ﴿الله﴾ اشارة إلى الذات؛ و﴿لا اله إلا هو﴾ اشارة إلى توحيد الذات؛ «الحي القيوم» اشارة إلى صفة الذات وجلاله، فإن معنى القيوم: الذي يقوم بنفسه، و يقوم به غيره، وذلك غاية الجلال والعظمة؛ ﴿لا تأخذه سنة ولا

نوم﴾ تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة؛ ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ اشارة إلى الأفعال كلها، وأن جميعها منه وإليه»؛ من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه» اشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر، وأن من يملك الشفاعة، انما يملكها بتشريفه اياه، والاذن فيها، وهذا نفي الشركة عنه في الملك والأمر؛ ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ إلى قوله ﴿إلا بما شاء﴾ اشارة إلى صفة العلم، وتفضيل بعض بعض المعلومات، والانفراد بالعلم، حتى لا علم لغيره إلا ما أعطاه ووهبه على قدر مشيئته وارادته؛ ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ اشارة إلى عظمة ملكه، وكمال قدرته؛ ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ اشارة إلى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان؛ ﴿وهو العلي العظيم﴾ اشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات.

فإذا تأملت هذه المعاني، ثم نحوت جميع آى القرآن، لم تجد جملتها مجموعة في آية واحدة، فإن «شهد الله»، ليس فيها إلا التوحيد؛ وسورة الاخلاص ليس فيها إلا التوحيد والتقديس؛ ﴿وقل اللهم مالك الملك﴾، ليس فيها الا الأفعال؛ والفاتحة فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة، والثلاثة مشروحة في آية الكرسي. والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر، وأول الحديد، لكنها آيات لا آية واحدة. فإذا قابلت آية الكرسي باحدى تلك الآيات، وجدتها أجمع للمقاصد، فلذلك استحقت السيادة على الآى، كيف لا، وفيها: الحي القيوم، وهو الأسم الأعظم، كما ورد به الخبر. انتهى كلام الغزالي.

ثم قال: انما قال صلى الله عليه وسلم في الفاتحة أفضل، وفي آية الكرسي السيدة، لسر، وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى أفضل، فإن الفضل هو الزيادة، والأفضل هو الأزيد. وأما السؤدد، فهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع، ويأبى التبعية. والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة، ومعارف مختلفة، فكانت أفضل. وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى، التي هي المقصودة المتبوعة التي يتبعها سائر المعارف، فكان اسم السيد بها أليق. انتهى.

ثم قال في حديث قلب القرآن «يس»، أن ذلك لأن الايمان صحة بالاعتراف بالحشر والنشر، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك. واستحسنه الامام فخر الدين الرازي.

وقال النسفي: يمكن أن يقال أن هذه السورة ليس فيها الا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، وهو القدر الذي يتعلق بالقلب والجنان، وأما الذي باللسان و بالأركان، ففي غير هذه السورة. فلما كان فيها أعمال القلب لا غير، سماها قلباً. ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر، لأنه في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله، ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه، و يشتد تصديقه بالأصول الثلاثة. انتهى.

واختلف الناس في معنى كون سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن. فقيل: لأن القرآن مشتمل على قصص وشرائع وصفات، وسورة الاخلاص كلها صفات، فكانت ثلثا **وقال الغزالي في (الجواهر):** معارف القرآن المهمة ثلاث: معرفة التوحيد، والصراط المستقيم، والآخرة. وهي مشتملة على الأول فكانت ثلثاً. وقال أيضاً: القرآن مشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته، وهي أما صفات حقيقية، وأما صفات الفعل وأما صفات الحكم. وهذه السورة تشتمل على الصفات الحقيقية، فهي ثلث.

وقال الخولي: مطالب القرآن أصول ثلاثة للإيمان، من أنكر شيئاً منها كفر، وهي: معرفة الله، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى، وهذه السورة تفيد الأصل الأول، فهي ثلث.

وقيل: القرآن خبر، وانشاء. والخبر خبر عن الخالق، وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث. وسورة الاخلاص أخلصت الخبر عن الخالق، فهي ثلث. وقيل: تعدل في الثواب، و يشهد له ظاهر الحديث. لكن قال ابن عقيل: لا يجوز ذلك، لقوله: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات». وقال ابن عبد البر: السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها، والله أعلم.

علم معرفة مفردات القرآن

وهو علم يبحث فيه عن أحوال آية آية من جهة أحكامها ومعانيها؛ مثال ذلك: أخرج السلفي في (المختار) من الطيوريات عن الشعبي، قال: لقي عمر ابن الخطاب ركباً في سفر، فيهم ابن مسعود، فأمر رجلاً يناديهم: من أين القوم، قالوا: أقبلنا من الفج العميق، نريد البيت العتيق، فقال عمر رضي الله عنه: ان فيهم لعالماً، فأمر رجلاً يناديهم: أي القرآن أعظم، فأجابه عبد الله: ﴿الله لا اله إلا هو الحي القيوم﴾[1]، قال: نادهم أي القرآن أحكم، فقال ابن مسعود: ﴿أن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[2]، قال: نادهم أي القرآن أجمع، فقال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[3]، فقال: نادهم أي القرآن أحزن، فقال: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾[4]، فقال: نادهم أي القرآن أرجى، قال: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾. الآية[5]، فقال: أفيكم ابن مسعود، قالوا: نعم.

واختلف في أرجى آية في القرآن على أقوال:

أحدها: آية الزمر.

والثاني: ﴿أو لم تؤمن قال بلى﴾[6]. واختاره ابن عباس.

الثالث: ما روى عن علي رضي الله عنه، قال: انكم يا معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: «يا عبادي الذين أسرفوا..» الآية، لكنا أهل البيت نقول أن أرجى آية في كتاب الله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[7]، وهي الشفاعة.

الرابع: ما روى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، قال: أشد آية على

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.
(٣) سورة الزلزال، الآيتان: ٧، ٨.
(٤) سورة النساء، آية: ١٢٣.
(٥) سورة الزمر، آية: ٥٣.
(٦) سورة البقرة، آية: ١٦٠.
(٧) سورة الضحى، آية: ٥.

أهل النار: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾[1]، وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد: ﴿أن الله لا يغفر أن يشرك به﴾.. الآية[2].

الخامس: قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة..﴾[3] إلى قوله تعالى ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾. واختاره ابن المبارك.

السادس: قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾[4]، واختاره أبو عثمان النهدي.

السابع: قوله تعالى: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾[5]. وهذا عند أبي جعفر النحاس.

الثامن: ما رواه أبو جعفر وكذا مكي، عن ابن عباس، أنه قوله تعالى ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾[6]، ولم يقل على إحسانهم.

التاسع: ما روى عن الشافعي، وهو قوله تعالى: ﴿يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة﴾[7]. وعنه أيضاً: أرجى حديث للمؤمن: «إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه».

العاشر: قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته لأ﴾[8].

الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾[9].

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿انا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾[10]. حكاه الكرماني في ﴿كتاب العجائب﴾.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[11]. حكى هذه الأربعة النووي في رؤوس المسائل والأخير ثابت عن علي رضي الله عنه.

---

(١) سورة النبأ، آية: ٣٠.
(٢) سورة النساء، آية: ١١٦.
(٣) سورة النور، آية: ٢٢.
(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٢.
(٥) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.
(٦) سورة الرعد، آية: ٦.
(٧) سورة البلد، آية: ١٦.
(٨) سورة الاسراء، آية: ٨٤.
(٩) سورة سبأ، آية: ١٧.
(١٠) سورة طه، آية: ٤٨.
(١١) سورة الشورى، آية: ٣٠.

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [1].

قال الشبلي رحمه الله: إذ كان الله قد أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة. أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها.

الخامس عشر: آية الدين ووجهه أن عناية الله بعباده اذا انتهى إلى حد الارشاد إلى الأمور الدنيوية، ومنها إلى كتابة ديونهم، فما ظنك بمهماتهم الاخروية، سيما حفظه التوحيد وغفران الكبائر والصغائر.

وعن ابن عباس. قال: ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس أو غربت:

أولاهن: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم..﴾ [2] الآية.

والثانية: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون..﴾ [3] الآية.

والثالثة: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم..﴾ [4] الآية.

والرابعة: ﴿أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [5] الآية.

والخامسة: ﴿ان الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ الآية [6].

والسادسة: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه..﴾ الآية [7].

والسابعة: ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به..﴾ الآية [8].

والثامنة: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا..﴾ الآية [9].

واختلف في أشد آية في كتاب الله تعالى قيل: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ [10] الآية؛ وقيل: «من يعمل سوءاً يجز به» [11]. وعن أبي

---

(1) سورة الانفال، آية: ٣٨.
(2) سورة النساء، آية: ٢٦.
(3) سورة النساء، آية: ٢٧.
(4) سورة النساء، آية: ٣١.
(5) سورة النساء، آية: ٣١.
(6) سورة النساء، آية: ٤٠.
(7) سورة النساء، آية: ١١٠.
(8) سورة النساء، آية: ٤٨.
(9) سورة النساء: آية: ٥٢.
(10) سورة فصلت، آية: ٣٠٩.
(11) سورة النساء، آية: ١٢٣.

برزة الأسلمي قال: هو ﴿فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً﴾[1]. وعن سفيان: هو ﴿لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم﴾[2]. وعن ابن عباس: ﴿لولا ينهاهم الربانيون﴾[3] الآية. وعن الحسن: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه..﴾[4] الآية. وعن ابن سيرين: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾[5]. وعن أبي حنيفة رحمه الله: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾[6]. وقيل: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾[7]. وعن مالك: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[8]، وتأولها بأهل الأهواء. وعن أبي العالية: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾[9]؛ وقوله تعالى: ﴿وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾[10].

قال السعيدي: سورة الحج من أعاجيب القرآن، فيها المكي: وهو من رأس الثلاثين إلى آخرها؛ والمدني: وهو من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين؛ والليلي: وهو خمس آيات من أولها؛ والنهاري: وهو من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشرة؛ والحضري: وهو إلى رأس العشرين، والسفري: وهو أولها؛ والناسخ، وهو: ﴿أذن للذين يقاتلون..﴾ الآية؛ والمنسوخ، وهو: ﴿الله يحكم بينكم..﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك...﴾ الآية، نسخها ﴿سنقرئك...﴾ الآية.

قال الكرماني: ذكر المفسرون أن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم..﴾[11] الآية، من أشكل آية في القرآن حكماً ومعنى واعراباً. وقيل: قوله تعالى ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم..﴾الآية[12]، جمعت أصول أحكام الشريعة كلها: الأمر، والنهي، والاباحة، والخبر.

---

(١) سورة النبأ، آية: ٣٠.
(٢) سورة المائدة، آية: ٦٨.
(٣) سورة المائدة، آية: ٦٣.
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٨.
(٥) سورة البقرة، آية: ٨.
(٦) سورة البقرة، آية: ١٣١.
(٧) سورة الرحمن، آية: ٣١.
(٨) سورة آل عمران، آية: ١٠٦.
(٩) سورة غافر، آية: ٤.
(١٠) سورة البقرة، آية: ١٧٦.
(١١) سورة المائدة، آية: ١٠٥.
(١٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.

قال الكرماني في العجائب: سمى الله قصة يوسف أحسن القصص لاشتمالها على ذكر: حاسد، ومحسود؛ وشاهد، ومشهود؛ ومالك، ومملوك؛ وعاشق، ومعشوق؛ وحبس، واطلاق؛ وسجن، وخلاص؛ وخصب، وجدب، وغير ذلك، مما يعجز عن بيانها طوق الخلق.

وعن رؤبة: ما في القرآن أعرب من قوله تعالى: ﴿فأصدع بما تؤمر﴾[(١)].

قال بعضهم: أطول السور «البقرة»، وأقصرها «الكوثر»، وأطول الآى «آية الدين»، وأقصرها و «الضحى» و «الفجر»، وأطول الكلمات رسماً فأسقيناكموه.

وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم﴾[(٢)] الآية، ﴿محمد رسول الله..﴾[(٣)] الآية. وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا في موضعين: ﴿عقدة النكاح حتى﴾[(٤)]، ﴿لا أبرح حتى﴾[(٥)]؛ ولا كافان كذلك إلا: «مناسككم»؛ و «ماسلككم» ولا غينان كذلك إلا: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام﴾[(٦)]؛ ولا آية فيها ثلاثة وعشرون وقفاً إلا آية الدين، ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفاً إلا آيتا المواريث؛ ولا ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا «والعصر».. إلى آخرها؛ ولا سورة احدى وخمسين آية، فيها اثنان وخمسون وقفاً إلا سورة الرحمن. ذكر أكثرها ابن خالويه.

قال ابن عبد الله الخبازي المقري: أول ما وردت على السلطان محمود ابن ملكشاه، سألني عن آية أولها غين، فقلت ثلاث: «غافر»، وآيتان بخلف: ﴿غلبت الروم﴾، و﴿غير المغضوب عليهم﴾.

قال جلال الدين السيوطي: نقلت من خط شيخ الاسلام ابن حجر في القرآن أربع شدات متوالية: قوله تعالى: «نسيا رب السموات»، «في بحر لجى يغشاه»، «قولاً من رب رحيم»، «ولقد زينا السماء».

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩٤.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٤.
(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.
(٥) سورة الكهف، آية: ٦٠.
(٦) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

علم معرفة خواص القرآن

صنف فيه جماعة منهم: التميمي، وحجة الاسلام الغزالي، ومن المتأخرين: اليافعي، سماه: (الدر النظيم في خواص القرآن العظيم). وغاية ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين. وورد في ذلك بعض من الأحاديث أوردها السيوطي في الاتقان، فارجع إليه.

وها أنا أذكر بعضاً منها، وان أدى إلى التطويل، ليعم النفع على أرباب التحصيل.

عن أبي بن كعب، قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله أن لي أخاً وبه وجع، قال: وما وجعه، قال: به لمم، قال: فائتني به، فوضعه بين يديه، فعوذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وهاتين الآيتين: ﴿والهكم آله واحد﴾[1]، وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو﴾[2]، وآية من الأعراف: ﴿ان ربكم الله﴾، وآخر سورة المؤمنين: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾[3]، وآية من سورة الجن: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، و﴿قل هو الله﴾، والمعوذتين، فقام الرجل فكأنه لم يشتك قط».

وعن ابن مسعود موقوفاً: «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثاً من آخر سورة البقرة، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق».

وعن ابن مسعود، قال: قال رجل: يا رسول الله، علمني شيئاً ينفعني الله به، قال: اقرأ آية الكرسي، فأنه يحفظك وذريتك، ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك.

وعن الحسن، أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: (إن جبريل أتاني فقال:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٣. (٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨.

أن عفريتا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي).

وعن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد الله، **قال:** من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه، لم ينس القرآن: أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث من آخرها.

وعن معاذ أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «ألا أعلمك دعاء تدعو به، لو كان عليك من الدين مثل صبير أداه الله عنك: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء.﴾ [(١)] إلى قوله «بغير حساب»، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما، وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك».

عن ابن عباس رضي الله عنه: إذا استصعبت دابة أحدكم، أو كانت شموساً، فليقرأ هذه الآية في أذنها: ﴿أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون﴾[(٢)].

عن علي رضي الله عنه: سورة الأنعام، ما قرئت على عليل الا شفاه الله.

عن فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما دنا ولادها، أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتياها فتقرأ عندها آية الكرسي، و ﴿ان ربكم الله..﴾ الآية، وتعوذاها بالمعوذتين.

عن الحسين بن علي رضي الله عنهما: ﴿أمان لأمتي الغرق اذا ركبوا البحر أن يقولوا: ﴿بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم﴾[(٣)]، و «ما قدروا الله حق قدره..﴾ الآية [(٤)].

عن ليث قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم تصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر..﴾ [(٥)] إلى قوله تعالى ﴿المجرمون﴾، وقوله تعالى: ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾[(٦)] إلى آخر أربع آيات، وقوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٦.
(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٣.
(٣) سورة هود، آية: ٤١.
(٤) سورة الأنعام، آية: ٩١.
(٥) سورة يونس، آية: ٨١.
(٦) سورة الأعراف، آية: ١١٨.

﴿ انما صنعوا كيد ساحر.. ﴾[١] الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كرب بني أمر الا تمثل لي جبريل، فقال يا محمد قل: ﴿توكلت على الحي الذي لا يموت﴾، و ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً.. ﴾[٢] إلى قوله تعالى ﴿وكبره تكبيراً﴾.

عن ابن عباس مرفوعاً: «هذه الآية أمان من السرق: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن.. ﴾[٣] إلى آخر سورة».

عن أنس: «ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ولا مال أو ولد، فيقول: «ما شاء الله لا قوة الا بالله»، فيرى فيه آفة دون الموت».

عن زر بن حبيش: «من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل الا قامها» قال عبدة، وهو راوي الحديث عن زر بن حبيش: فجربناه فوجدناه كذلك.

وعن سعد بن أبي وقاص: «دعوة ذي النون اذ دعا ربه وهو في بطن الحوت: ﴿لا اله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين﴾[٤]، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجاب الله له، وفي رواية: «اني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه: كلمة أخي يونس ﴿فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين﴾.

وعن ابن مسعود «أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قرأت في أذنه، قال: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً..﴾[٥] إلى آخر السورة، فقال: لو أن رجلاً مؤمناً قرأ بها على جبل لزال».

عن أبي ذر: «ما من ميت يموت فيقرأ عنده «يس» الا هون الله

---

(١) سورة طه، آية: ٦٩.
(٢) سورة الاسراء، آية: ١١١.
(٣) سورة الاسراء، آية: ١١٠.
(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.
(٥) سورة المؤمنون، آية: ١١٥.

عليه». أخرج ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة «يس» فبرىء.

وعن محمد بن علي: «من وجد في قلبه قسوة فليكتب «يس» في جام بزعفران ثم يشربه». وعن عبد الله بن الزبير: من جعل «يس» أمام حاجته قضيت له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «من قرأ «الدخان» كلها وأول «غافر» إلى: ﴿اليه المصير﴾، وآية الكرسي حين يمسي حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسي.

عن ابن مسعود مرفوعاً: «من قرأ ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً».

عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً، في المرأة يعسر عليها ولادها، قال: تكتب في قرطاس، ثم تسق: ﴿بسم الله الذي لا اله إلا هو الحليم الكريم﴾؛ ﴿سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم﴾؛ ﴿الحمد لله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار﴾[1] ﴿بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾[2].

عن ابن عباس قال: اذا وجدت في نفسك شيئاً، يعني الوسوسة، فقل: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾[3].

عن علي رضي الله عنه، قال: «لدغت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقرب، فدعا بماء وملح، وجعل يمسح عليها و يقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[4]، و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾[5]، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾[6].

عن أبي سعيد: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان، حتى نزلت المعوذات، فأخذ بها وترك ما سواها».

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ١.
(٢) سورة النازعات، آية: ٤٦
(٣) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.
(٤) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.
(٥) سورة الحديد، آية: ٣.
(٦) سورة الكافرون، آية: ١.
(٧) سورة الفلق، آية: ١.
(٨) سورة الناس، آية: ١.

قال السيوطي: هذه الأحاديث في باب الخواص مما وقفت عليه، ولم تصل إلى حد الوضع، وبعضها موقوفات عن الصحابة والتابعين. وأما ما لم يرد به أثر، فقد ذكر الناس من ذلك كثيراً جداً، والله أعلم بصحته.

ومن لطيفه ما حكاه ابن الجوزي، عن ابن ناصر، عن أشياخه، عن ميمونة بنت شاقول البغدادية، قالت: آذانا جار لنا، فصليت ركعتين، وقرأت آية من فاتحة كل سورة، حتى ختمت القرآن، وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت، وفتحت عيني، وإذا به وقت السحر قد نزل فزلت قدمه، فسقط فمات.

فائدة:

قال ابن التين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني، اذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني. ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال».

أجاز القرطبي الرقية بكلام الله وأسمائه، قال: فإن كان مأثوراً استحب. قال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية، فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله، وبما يعرف من ذكر الله.

قال الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس بكتب القرآن في اناء، ثم غسله وسقيه المريض. وكرهه النخعي. قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما: لو كتب قرآن على حلوى وطعام، فلا بأس بأكله. انتهى.

ونقل الزركشي عن بعضهم أنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية، لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضاً، لأنه تلاقيه نجاسة الباطن. قال السيوطي: وفيه نظر.

علم معرفة مرسوم الخط وآداب كتابته

وهذا العلم قد يقع من فروع علم القراءة أيضاً، وقد فصلناه هناك، فلا نعيده، اذ التكرار مما يعاب عند أولى الألباب، والله أعلم بالصواب.

علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.

وفيه مطالب:

المطلب الأول

في التفسير والتأويل

واعلم أن التفسير تفعيل من الفسر، وهو البيان والكشف. ويقال: هو مقلوب من السفر، تقول: أسفر الصبح اذا أضاء. وقيل مأخوذ من التفسرة، وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وقيل: من الايالة، وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه.

واختلف في التفسير والتأويل. فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى. وقد أنكر ذلك قوم، حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل الا وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فان قام دليل مقطوع به فصحيح، والا فتفسير بالرأي، وهو المنهى عنه؛ والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله.

وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ، أما حقيقة أو مجازاً،

كتفسير الصراط بالطريق، والغيث بالمطر؛ والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل أخبار عن حقيقة المراد، والتفسير اخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾[1]، تفسيره أنه من الرصد، يقال: رصدته رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه، على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

قال الأصبهاني في تفسيره: أعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل، وغيره، وبحسب المعنى الظاهر، وغيره؛ والتأويل أكثره في الجمل. والتفسير أما أن يستعمل في غريب الألفاظ، نحو: البحيرة، والسائبة، والوصيلة؛ أو في وجيز تبين بشرحه، نحو ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[2]؛ وأما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها، كقوله تعالى: ﴿انما النسيء زيادة في الكفر﴾[3]، وكقوله تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾[4].

وأما التأويل فأنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً، نحو؛ الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة؛ والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق أخرى. وأما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو: لفظ وجد، المستعمل في الجدة، والوجد، والوجود. وقال غيره: يتعلق التفسير بالرواية، والتأويل بالدراية..

وقال أبو نصر القشيري: والتفسير مقصور على الأتباع والسماع والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل. وقال قوم: ما وقع مبيناً في كتاب الله، ومعيناً في صحيح السنة، سمي تفسيراً، لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه.

(١) سورة الفجر، آية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.
(٣) سورة التوبة، آية: ٣٧.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

والتأويل ما إستنبطه العلماء العالمون بمعنى الخطاب، الماهرون في آلات العلوم.

وقال قوم منهم البغوي والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح، علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها وناسخها وخاصها ومطلقها ومجملها وحلالها ووعدها وأمرها، ومقابلات هذه وغيرها وأمثالها.

قال أبو حيان: علم التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الأفرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك.

قال: فقولنا علم جنس؛ وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هو علم القراءة؛

وقولنا: ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج اليه في هذا العلم؛

وقولنا: وأحكامها الأفرادية والتركيبية يشتمل علم التصريف والبيان والبديع؛

وقولنا: ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب يشتمل ما دلالته بالحقيقة، وما دلالته بالمجاز، فان التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاز؛ وقولنا: وتتمات لذلك هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن، ونحو ذلك.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

المطلب الثاني

في وجه الحاجة إلى علم التفسير

أعلم أن كل من وضع من البشر كتاباً، وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وانما احتيج إلى الشرح لأحد أمور ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنف، فانه لقوة علمه ربما يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فيشرح بعبارات واضحة، ومن هاهنا شرح المصنفين كلامهم، لأن شرحهم أدل على مرادهم من غيرهم.

وثانيها أغفاله بعض تتمات المسألة، أو شروط لها أعتماداً على وضوحها أو لأنها من علم آخر، فيحتاج الشارح إلى بيانه.

وثالثها احتمال اللفظ لمعان كالمجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذفه، فيحتاج الشارح إلى التنبيه على ذلك.

إذا تقرر هذا، فنقول أن القرآن انما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه دون بواطنه، لأنها لم تظهر لهم أيضاً بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأكثر، كسؤالهم لما نزل: ﴿ولم يلبسوا ايمانهم بظلم﴾(١): أينا لم يظلم نفسه، ففسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿أن الشرك لظلم عظيم﴾(٢)؛ وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير، فقال ذلك العرض، وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود، وغير ذلك، مما سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة من أحكام

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٣.

الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير.

ومعلوم أن بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، و بعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

قال الخولي: علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه: أظهرها أنه لا يمكن سماع المراد من متكلمه، أو ممن سمع منه، فتعين طريق العلم في السماع من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك في آيات قلائل، فطريق العلم بالمراد الاستنباط بأمارات ودلائل، وانما لم يأمر الله تعالى نبيه بالتنصيص على المراد في الكل، ليتفكر عباده في كتابه.

المطلب الثالث

في شرف علم التفسير

ولا يخفى شرفه على من نظر في الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾[1]. عن ابن عباس في قوله تعالى: «يؤتى الحكمة»، قال: المعرفة بالقرآن. وعنه أيضاً موقوفاً: يعني تفسيره، فأنه قد قرأه البر والفاجر. وعن أبي الدرداء، قال: قراءة القرآن والفكرة فيه. وكذا عن مجاهد وأبي العالية وقتادة.

وقال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ﴾[2]. عن عمرو بن مرة، قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأني سمعت الله يقول: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾. ولا حاجة إلى التطويل والاكثار فيما ورد فيه من الكتاب والسنة والآثار، لأن ذلك لا يخفى على أولى الأبصار.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

ثم أعلم أن العلماء أجمعوا على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية. قال بعضهم: أشرف صناعة يتعاطاها الانسان معرفة تفسير القرآن، لأن شرف الصناعة أما بشرف موضوعها، كالصياغة بالنسبة إلى الدباغة، اذ الذهب والفضة أشرف من جلد الميتة؛ وأما بشرف غرضها، كالطب بالنسبة إلى الكناسة لأن غرض الطب افادة صحة الأبدان، وغرض الثاني تنظيف المستراح؛ وأما بشدة الحاجة إليها كالفقه بالنسبة إلى الطب، فإن الفقه يحتاج إليه في الدين وفي الدنيا، في كل الناس وفي كل الأوقات، والطب يحتاج إليه في الدنيا وفي بعض الناس وفي بعض الأوقات.

إذا عرفت ذلك، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث، لأن موضوعه كلام الله، الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه؛ وأيضاً الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول الى السعادة الحقيقية التي لا تفنى؛ وأيضاً كل كمال ديني أو دنيوي، عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف اللدنية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

علم معرفة شروط المفسر وآدابه

ومما يجب أن يعلم أن ما أجمل في موضع من القرآن، يطلبه في موضع آخر، اذ ربما يفسره في موضع آخر، وكذا ما اختصر في مكان ربما يبسطه في مكان آخر.

وألف ابن الجوزي كتاباً ذكر فيه ما أجمل في القرآن في موضع، وفسر في موضع آخر، فان أعياه ذلك، طلبه من السنة، فانها شارحة للقرآن وموضحة له.

قال الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو مما فهمه من القرآن. وقال صلى الله عليه وسلم: «الا أوتيت القرآن ومثله معه»، يعني السنة، فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فأنهم

أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وقد قال الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، له حكم الفروع.

وقال الامام أبو طالب الطنزي في أوائل تفسيره ـــ القول في أدوات المفسر ـــ: أعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سنة الدين، فإن كان مغموضاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا؛ فكيف على الدين ثم لا يؤتمن من الدنيا على الأخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في أخبار عن أسرار الله، ولأنه لا يؤمن ان كان متهماً بالألحاد أن يبغي الفتنة، و يغر الناس بلية وخداعة، كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وان كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته، كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير، ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين، ليصدهم عن اتّباع السلف ولزوم طريق الهدى، ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم، و يتجنب المحدثات، واذا تعارضت أقوالهم، وأمكن الجمع بينها فعل، فيأخذ منها ما يدخل فيه الجميع، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء وطريق السنة وطريق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وطريق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأي هذه الأقوال أن أفرده كان محسناً، وان تعارضت رد الأمور إلى ما ثبت فيه السمع، فإن لم يجد سمعاً، وكان للاستدلال طريق تقوية أحدها، رجح بأقوى الاستدلال فيه، كاختلافهم في معنى حروف الهجاء، يرجح قول من قال أنها قسم، وان تعارضت الأدلة في المراد، علم أنه قد اشتبه عليه، فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجم على تعيينه و ينزله منزلة المجمل قبل تفصيله، والمتشابه قبل تبيينه، ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول، ليلقى التسديد، فقد قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[1]، وإنما يخلص له القصد، اذا زهد في الدنيا، لأنه اذا رغب

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

فيه، لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده، و يفسد عليه صحة علمه.

وتمام هذه الشرائط أن يكون متمكناً من عدة الأعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فأنه اذا خرج بالبيان عن وضع اللسان أما حقيقة أو مجازاً، فتأويله تعطيله، وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾، في أنه ملازمة قول الله، ولم يدر الغبي أن هذه جملة حذف عنها الخبر، والتقدير: الله انزله. انتهى كلام أبي طالب.

واعلم أن الاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط؛ ومنه ما يعلم بغير ذلك، والمنقول أما عن المعصوم أو غيره؛ ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره؛ ومنه ما لا يمكن ذلك. وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه، عامته فيما لا فائدة منه، ولا حاجة بنا الى معرفته، كأختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل، ومالا، بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب، وقف عن تصديقه وتكذيبه، وكذا ما نقل عن بعض التابعين، وان لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون، لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً، فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو من بعض من سمعه منه، أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب، أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصحابي بما يقوله، كيف يقال أنه أخذه عن أهل الكتاب، وقد نهوا عن تصديقهم.

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً ولله الحمد. وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان. فإن التفاسير التي يذكر فيها

كلام هؤلاء صرفاً، لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين؛ مثل تفسير عبد الرزاق، والفريابي ووكيع وحميد واسحق وأمثالهم.

أحدهما: قوم اعتقدوا معانيَ، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به.

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان. والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم. كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وان كان نظر الأولين الى المعنى أسبق، ونظر الآخرين الى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن على ما دل عليه وأريد به؛ وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به. وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه واثباته من المعنى باطلاً، فيكون خطأهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً، فيكون خطأهم فيه في الدليل لا في المدلول. فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع، اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم. وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم؛ مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم، والجبائي، وعبد الجبار، والرماني، والزمخشري وأمثالهم. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى أنه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثيراً من تفاسيرهم الباطلة، حتى قال تاج الدين السبكي: أعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه امام في فنه، الا أنه رجل مبتدع، متجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيراً ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة.

والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله، إلا أن الأعاجم يدرسونها في هذا الزمان، فيجب منع من لا يرسخ في الشريعة والسنة قدمه عنها، والله أعلم.

وأما تفسير ابن عطية وأمثاله، أتبع للسنة، وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه، لكان أحسن، فأنه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري ــ وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً ــ ثم أنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف، و يذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وانما يعني بهم طائفة من أهل الكلام، الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وان كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى لكل ذي حق حقه، فإن الصحابة والتابعين والأئمة، اذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر، لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين، صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا. وفي الجملة من عدل عن مذهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله.

وأما الذين أخطأوا في الدليل، فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء، يفسرون القرآن بمعاني صحيحة في نفسها، لكن القرآن لا يدل عليها؛ مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق. فإن كان فيما ذكروه معاني باطلة، دخل في القسم الأول. انتهى كلام ابن تيمية ملخصاً.

قال السيوطي بعد نقل كلامه على النمط المذكور؛ وهو نفيس جداً. قلت: لقد حجر ابن تيمية الواسع، حيث قصر التفسير في النقل، و بدع ما سوى ذلك؛ مثل تفسير الامام فخر الدين الرازي، حيث فسر على قواعد المعقول؛ ومثل تفسير السلمي، حيث فسر على قواعد أرباب القلوب. وقد عرفت أن القرآن لا تنقضي عجائبه، وأن له ظهراً و بطناً ومطلعاً.

قال الزركشي في (البرهان للناظر في القرآن): للتفسير مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهذا هو الطراز المعلم. لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع، فأنه كثير. ولهذا قال أحمد: ثلاثة كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير. قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، والا فقد صح من ذلك كثير؛ كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام؛ والحساب اليسير بالعرض، والقوة بالرمي، في قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[1].

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وأما في قول التابعي قولان: الأصح قبوله لأن غالبه تلقوه من الصحابة وما ينقل عنهم. فأما اختلاف عبارة: اذ يخبر بعضهم عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، وان لم يمكن الجمع، فإن كانا عن شخص واحد فالمتأخر منها مقدم، ان استويا في الصحة، والا فالصحيح هو المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فان القرآن نزل بلسان عربي، الا أن يخالف الظاهر، بأن يدل عليها القليل من لغة العرب، و يكون المتبادر خلافها.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع. وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لابن عباس، وقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل، والذي عناه علي رضي الله عنه بقوله: الا فهما يؤتاه إلى الرجل في القرآن. ومن هاهنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل برأيه على منتهى نظره.

وأعلم أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالى:

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾[1] ؛ وقال تعالى: ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[2] ؛ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من فسر القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ»؛ وقال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».

ثم قالوا: الذي منع الرأي، الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يشده برهان فالقول به جائز. وأيضاً المعنى، فقد أخطأ حيث لم يراجع أخبار الصحابة في معرفة سبب نزوله وناسخه ومنسوخه ولم يراجع نقل اللغة (في تفسير) ألفاظه.

وقيل: معناه من قال فيه برأيه، من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه فيكون موافقة للصواب، أن وافقه من حيث لا يعرفه، غير محمودة.

قال الماوردي: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، ولو صحبها الشواهد، ولم يعارض شواهدها نص صريح، وهذا عدول عما تعهدنا بمعرفته من التطور في القرآن، فينسد باب الاستنباط. والحديث ان صح، فمعناه: من تكلم في القرآن بمجرد رأيه، ولم يعرج على ما سوى لفظه وأصاب الحق، فقد أخطأ الطريق، وانما أصابته اتفاق لا عبرة بها؛ مثل تأويل يخالف الشرع، كتأويل الجاهلين؛ مثل تأويل الروافض: ﴿ مرج البحرين يلتقيان﴾[3]، أنهما علي وفاطمة؛ ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[4]، يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما.

ثم اعلم أن القوم اختلفوا. فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وان كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذلك. ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر اليها، وهي خمسة عشر علماً:

---

(١) سورة الاسراء، آية: ٣٦.
(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٩.
(٣) سورة الرحمن، آية: ١٩.
(٤) سورة الرحمن، آية: ٢٢.

أحدها: اللغة؛ قال مجاهد؛ لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالماً بلغات القرآن، ولا يكتفي باليسير منها، اذ اللفظ ربما يكون مشتركاً، فيغفل عن أحد المعنيين، والمراد ذلك.

وثانيها: النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الأعراب. عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، و يقيم بها قراءته، فقال: حسن، فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية، فيعنى بوجهها، فيهلك فيها.

وثالثها: التصريف؛ لأن به معرفة الأ بنية والصيغ. قال ابن فارس: ومن فاته علمه، فاته المعظم، اذ كم من كلمة مبهمة اتضحت بمصادرها، كما قال الزمخشري، ومن بدع التفاسير، قول من قال: ان الامام في قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا كل أناس بامامهم﴾[1]، جمع أم، وان الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم. قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فان أما لا يجمع على إمام.

ورابعها: الاشتقاق؛ لأن الأسم اذا اشتق من مادتين مختلفتين، اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

وخامسها وسادسها وسابعها: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول توفية (خواص) تراكيب الكلام حقها من المقام؛ وبالثاني من حيث تفاوتها بحسب زيادة وضوح الدلالة ونقصانها؛ وبالثالث وجوه تحسين الكلام.

وهذه الثلاثة هي علوم البلاغة التي هي من أعظم أركان المفسر. قال السكاكي: فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل؛ أراد المعاني والبيان. وأما البديع فمن جهات الحسن. قال الزمخشري: من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً من القادح. وقال غيره: معرفة هذه الصناعة بأوضاعها، هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كتاب الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة.

---

(١) سورة الاسراء، آية: ٧١.

وثامنها: **علم القراءات**؛ اذ به يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

وتاسعها: **أصول الدين**؛ اذ في القرآن ما يجوز ظاهره في حقه تعالى، فالأصولي يؤوله، و يستدل على ما يستحيل، وما يجب، وما يجوز.

وعاشرها: **أصول الفقه**؛ اذ به يعرف وجه استنباط الأحكام.

والحادي عشر منها: **أسباب النزول**؛ اذ لا يطلع على حقيقة المعنى الا بها.

والثاني عشر منها: **الناسخ والمنسوخ**؛ ليعلم المحكم من غيره.

والثالث عشر: الفقه.

والرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

والخامس عشر: **علم الموهبة**؛ وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم، كما أشير إليه في حديث: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

فهذه هي العلوم التي لا يمكن تعاطي التفسير بدون واحد منها، ومن فسر كان مفسراً بالرأي المنهى عنه.

قلت: واياك أن تستشكل علم الموهبة، اغتراراً بما سمعت من أقوال المنكرين، فتأمل الحديث المذكور، وحديث: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً فجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». إلا أن الزمان لما خلا عن العلم وذويه، وعن العرفان ومنتحليه و بار أهل الفضل، وكسد سوق (القول) الفصل، ترأس الجهال، وأكثروا القيل والقال، ولكن للحروب رجال، وللثريد رجال.

قال ابن النقيب: جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

الأول: التفسير بلا تحصيل آلاته من العلوم.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الباطل، بأن يجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً له، فيرد إليه بأي طريق أمكن وان كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالهوى.

ثم قال: وأعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: ما استأثر الله به من حقائق ذاته، ودقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علم غيوبه.

الثاني: ما أطلع عليه نبيه من أسرار الكتاب، واختصه به.

والأول لا يجوز لأحد. والثاني لا يجوز لغير النبي صلى الله عليه وسلم، الا لمن أذن هو له. قيل: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل من القسم الأول.

الثالث: علوم علمها الله تعالى نبيه، وأمره بتعليمها؛ وهذا على قسمين:

منه: ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، كأسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم الماضية، والحوادث الآتية، وأحوال الحشر والمعاد.

ومنه: ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، وهو قسمان: قسم اختلفوا في جوازه، وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات، وقسم اتفقوا عليه، وهو استنباط الأحكام الأصلية، والفرعية، والأعرابية، وكذا فنون البلاغة، وضروب المواعظ والحكم والاشارات.

قال أبو حيان: وأعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل؛ وقسم لم يرد.

والأول أما أن يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعليك بالبحث عن صحة سنده؛ أو عن الصحابة، فأنظر أن فسره من حيث اللغة، فأعتمده لأنهم أهل اللسان، والعارفون بقرائن القرآن. وإذا تعارضت الأقوال، فإن أمكن الجمع فذاك، والا فقدم ابن عباس، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بشره، وقال: «اللهم علمه التأويل». ورجح الشافعي قول زيد في الفرائض، لحديث: «أفرضكم زيد»؛ أو عن التابعين، فإن صح الاعتماد فكما سبق، وإلا وجب الاجتهاد.

وأما ما لم يرد فيه نقل، فهو قليل. وطريق التوصل إلى فهمه: النظر في مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالاتها بحسب السياق.

قلت: وقد صنف الشيخ جلال الدين السيوطي كتاباً فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيه بضعة عشر ألف حديث، ما بين مرفوع وموقوف، وقد تم في أربعة مجلدات، وسماه: (ترجمان القرآن). قال: ورأيت أنا في أثناء تصنيفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، في قصة طويلة، تحتوي على بشارة حسنة. جزاه الله خير الجزاء، وأثابه الجنة بمنّه وكرمه.

واعلم أن بعضاً من فوائد هذا الباب، قد تقدم في موضع آخر من هذا الكتاب، لكن سياق الكلام، اقتضى هذا التكرار والأطناب، فالمرجو من المخلصين والطلاب، أن لا يعاملوا باللوم والعتاب، لأن ما دخل تحت الاضطراب، لا يشفع عليه ولا يعاب، ومن الله الوهاب التوفيق للحق والصواب.

علم معرفة غرائب التفسير

ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتاباً في مجلدين، سماه: (العجائب والغرائب)، ضمنه أقوالاً منكرة ذكرت في معاني الآيات، بحيث لا يحل الاعتماد عليها، وانما ذكرها للتحذير منها. من ذلك: قول من قال في «حم عسق» أن الحاء حرب علي ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدرة مهدي، حكاه أبو مسلم. قال الكرماني: أوردت ذلك لتعلم أن فيمن يدّعي العلم حمقى.

ومن ذلك: قول من قال في «الم» معنى ألف: ألف الله محمداً فبعثه نبياً، ومعنى لام: لامه الجاحدون وأنكروه؛ ومعنى ميم: ميم الجاحدون المنكرون، من الموم، وهو البرسام.

ومن ذلك: قول من قال في: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أنه قصص القرآن.

ومن ذلك: ما ذكره ابن فورك في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾، أن ابراهيم كان له صديق، وصفه بأنه قلبه، أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة، اذا رآها عياناً. قال الكرماني: وهذا بعيد جداً.

ومن ذلك: قول من قال في: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾، أنه الحب والعشق. وقد حكاه الكواشي في تفسيره.

ومن ذلك: قول من قال في: ﴿ومن شر غاسق اذا وقب﴾، انه الذكر اذا قام.

ومن ذلك: قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾، أراد بالشجر الأخضر ابراهيم عليه السلام، وبالنار النور، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾، تقتبسون الدين.

علم معرفة طبقات المفسرين

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. ومن التابعين: مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاوس، وغيرهم. وهؤلاء علماء مكة. وفي الكوفة أصحاب ابن مسعود.

وفي المدينة: زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن وإمام مالك بن أنس.

ومن المبرزين من التابعين: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية، والضحاك بن مزاحم، وعطية العوفي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرة الهمداني، وأبو مالك، ويليهم الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. فهؤلاء كلهم قدماء المفسرين.

ثم بعد هذه الطبقة طبقة أخرى، مجمع أقوال الصحابة والتابعين: كسفيان ابن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، و يزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي اياس، واسحق بن راهو يه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وسنيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرين.

و بعد هؤلاء: ابن جرير الطبري، وكتابه من أجلّ التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجة، والحاكم، وابن مردو يه، وأبو الشيخ ابن حبان، وابن المنذر في آخرين. وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، الا ابن جرير، فأنه تعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والاعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم ألفوا تفاسير اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترا، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل. واعلم أن هؤلاء الطبقات مع تراجمهم قد مرت على وجه التفصيل.

اذا عرفت هذا، فقد ظهر لك أنه تكمل بذلك فروع علم التفسير، وقد تنيف على ثمانين ولله الحمد. هذا ما يقتضيه حسن الترتيب، حيث أدمج بعض العلوم في بعض، والا فلو فصل ما يمكن فصله، لزادت والله أعلم على الثلاثمائة، ولكن خير الأمور أوساطها.

وأعلم أن هاهنا بعض العلوم. رأيت درجها في علم التفسير أحسن وأولى، لأن لها تعلقاً بالحروف التي هي فواتح السور، لأن لها خواص لا يطلع عليها الا متكلمها وهي هذه.

علم خواص الحروف

واعلم أن للحروف المذكورة في فواتح السور، بل للحروف مطلقاً خواص جليلة، ومنافع جزيلة، يعرفها أهلها. وقد أورد هذا العلم الشيخ عبد الرحمن البسطامي في كتبه المؤلفة في هذا الشأن.

علم الخواص الروحانية

من الأوفاق العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية.

(وهو) علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوابل، حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها.

وموضوعه: الأعداد أو الحروف.

وغايته: الوصول إلى المطالب الدينية أو الدنيوية أو الأخروية.

وغرضه وغايته وفائدته لا تخفى. وكتب عبد الرحمن المغربي نافعة في هذا الباب، وكذا كتب الشيخ أحمد البوني، وغير ذلك من المشايخ.

وهذا العلم يمكن جعله من فروع علم الحساب، من حيث ترتيب الأعداد؛ ومن فروع علم الهندسة، من جهة تعديل تلك الأعداد أو الحروف في الجداول الوفقية. لكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوفق حرفياً، ذكرناه في علم الحروف التي هي من خواص القرآن.

علم التصرف بالحروف والأسماء

وهذا علم شريف، يتوصل بالمداومة عليه، على شرائط معينة ورياضة خاصة، إلى ما يناسب تلك الحروف أو الأسماء من الخواص.

وموضوعه وغايته ظاهران على العارف. قيل: وتحت هذا العلم مائة وثمانية وأربعون علماً. وكتب الشيخ عبد الرحمن المذكور، والشيخ أحمد البوني مشهورة في هذا العلم.

علم الحروف النورانية والظلمانية

واعلم أنهم جعلوا بعض الحروف نورانياً وبعضها ظلمانياً، وحكموا بأنه ليس في سورة الفاتحة ولا في فواتح السور، شيئاً من الحروف الظلمانية. وتفصيل هذا العلم في كتب الشيخ أحمد البوني، يجدها من يطلبها.

ومنفعته: العمل بالحروف النورانية في أعمال الخير، و بالظلمانية في أعمال الشر. وتلك الحروف النورانية يجمعها قولك: نص حكيم له سر قاطع؛ وقولك: طرق سمعك النصيحة؛ وقولك: من قطعك سحيراً صله؛ وقولك: صن سراً يقطعك حمله؛ وقولك: على صراط حق تمسكه؛ وقولك: سر حصين قطع كلامه. والأخير أليق بهذا المعنى. كذا في (غاية المغنم في الأسم الأعظم).

علم التصريف بالأسم الأعظم

وهذا من العلوم التي قلما وصل اليها أحد من الناس ما خلا الأنبياء والأولياء الكاملين من أرباب الكشف والعيان، ولهذا لم يصنفوا في شأنه تصنيفاً يعين هذا الاسم، لأن كشفه على آحاد الناس لا يحل أصلاً، اذ في كشفه فساد العالم، وارتفاع نظام بني آدم. نعم جمع الشيخ اليافعي وغيره، الروايات الصادرة في هذا الشأن، لكن لا بحيث يطلع اليقين من أفق الحسبان؛ كما أشار اليه في كتابه: (الدر النظيم في فضائل القرآن العظيم).

علم الكسر والبسط

(هو) علم بوضع الحروف المقطعة، بأن يقطع حروف اسم من أسماء الله تعالى، ويمزج مع حروف مطلوبك، و يوضع في سطر، ثم يعمل على طرق يعرفها أهلها، حتى يغير ترتيب الحروف الموجودة في السطر الأول في السطر الثاني، ثم وثم إلى أن ينتظم عين السطر الأول، فيؤخذ منها أسماء ملائكة ودعوات تشتغل بها حتى يتم مطلوبه.

علم معرفة الزايرجة

وهو قسم من الكسر والبسط مع طرق مخصوصة وأحوال معينة، حتى تخرج حروف تخرج منها كلمات دالة على كيفية مرادك في الاستقبال، أما بالحصول أو عدمه، حتى يخرج اسم من يتم مرادك عنده، واسم من هو المانع لحصوله. ورأيت بعض طرق يخرج منها كلمات المطلوب أبياتاً منظومة بالعربية، على بحر واحد، وروي واحد. وهذا علم عجيب موضوع في جداول، قلما رأيت من

يعرفه، وقلما رأيت من يعلمه ولا يبخل به. والله المستعان في كل شأن.

علم الجفر والجامعة

وهو عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوى على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً.

والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل. والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل. وقد ادعى طائفة ان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريقة البسط الأعظم في جلد الجفر، يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر. وهذا علم توارثه أهل البيت، ومن ينتمي اليهم، و يأخذ منهم من المشايخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان.

وقيل: لا يقف على هذا الكتاب حقيقة الا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان. وورد هذا في كتب الأنبياء السالفة، كما نقل عن عيسى، صلوات الله عليه؛ نحن معاشر الأنبياء نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي به الفارقليط الذي سيأتيكم بعدي.

نقل أن الخليفة المأمون لما عهد الخلافة من بعده إلى علي بن موسى الرضا، وكتب إليه كتاب عهده، كتب هو في آخر ذلك الكتاب: نعم، الا أن الجفر والجامعة يدلان على أن الأمر لا يتم. وكان كما قال لأن المأمون، استشعر لأجل ذلك فتنة من طرف بني هاشم، فسم علي بن موسى الرضا في عنب على ما هو المسطور في كتب التواريخ.

علم دفع مطاعن القرآن

هو علم باحث عن دفع شبهات أرباب الضلال الموردة على القرآن بحسب لفظه أو بحسب معناه. ومبادئه مأخوذة من العلوم العربية وأصول الكلام.

والغرض منه تحصيل الملكة لدفع أمثال تلك المطاعن.

وفائدته دفع الوهن عن عقائد الضعفاء، وتثبيتهم على عقائد حقية القرآن. وما ذكره السكاكي في تكملة (مفتاح العلوم) كاف في هذا العلم، وأيضاً في (كتاب الأعلام) للماوردي كفاية في هذا العلم، بل فيه دَفع مطاعن النبوة مطلقاً.

واقتضى حسن الترتيب أن تجعل خاتمة فروع علم التفسير دفع المطاعن عن القرآن لأنه نتيجة للعلوم المذكورة.

المطلب الرابع

في فروع علم الحديث

علم المواعظ

وهو علم يعرف به ما هو سبب الانزجار عن المنهيات، والانزعاج إلى المأمورات، من الأمور الخطابية المناسبة لطبائع عامة الناس.

ومن مبادئه حكايات الأمم المرضية الأعمال، والمشكورة الأخلاق، من الصلحاء والعباد، والمشايخ والزهاد، والعلماء العاملين بعلومهم، رضوان الله عليهم؛ وكذا حكايات الأشرار المبتلين، بسوء أعمالهم وأخلاقهم، اذ الأخيار يتأدبون بصنيع الأشرار.

والغرض من هذا كله، الحث على تكميل النفوس بالعلم والعمل؛ وغايته الفوز بالسعادتين الدينية والدنيوية. ولما كان حل مبادي هذا العلم الأحاديث المروية عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، جعلنا هذا العلم من فروع علم الحديث.

ومصنفات الامام الغزالي، سيما (الأحياء)، كاف في هذا العلم.

علم الأدعية والأوراد

وهو علم يبحث فيه عن الأدعية المأثورة، والأوراد المشهورة، بتصحيحهما وضبطهما، وتصحيح روايتها؛ وبيان خواصهما، وعدد تكرارهما، وأوقات

قراءتها، وشرائطها ومبادئه مبينة في العلوم الشرعية.

والغرض منه معرفة تلك الأدعية والأوراد على الوجه المذكور، لينال باستعمالها إلى الفوائد الدينية والدنيوية.

ولما كان استمداد هذا العلم من كتب علم الأحاديث، جعلناه من فروعه.

ومن الكتب النافعة فيه:

١ ــ كتاب الأذكار، للامام النواوي رحمه الله؛

٢ ــ وكتاب الحصن الحصين لمحمد بن محمد الجزري؛

٣ــ وكتاب عبد الرحمن البسطامي.

وغير ذلك من الكتب اللطيفة في هذا الشأن.

علم الآثار

وهو علم يبحث فيه عن أقوال العلماء الراسخين، من الأصحاب والتابعين، والسلف الصالحين، وأفعالهم وسيرهم في أمر الدين والدنيا.

ومبادئه أمور مسموعة من الثقات.

والغرض منه معرفة الأمور المذكورة، ليقتدى بهم، وينال ما نالوه. وهذا العلم أشد ما يحتاج إليه علم الموعظة.

ومن الكتب المصنفة في هذا العلم:

١ ــ كتاب: سير الصحابة والتابعين والزهاد.

٢ ــ وكتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين، للامام اليافعي.

وغير ذلك من كتب الأحاديث والآثار.

علم الزهد والورع

هو علم كيفية الاعراض عن الدنيا، والتدقيق في التحرر عن الحرام، بحيث يترك كثيراً من الحلال، خوفاً من أن يقع في الشبهات. وقيل: الزهد ترك الشبهات، خوفاً من الحرام؛ والورع ترك الحلال خوفاً من الوقوع في الشبهات.

واعلم أن صاحب الورع المحفوظ، يرى الطعام الحرام خنزيراً في اليقظة، والشراب الحرام خمراً فيها أيضاً، لا يشك فيما يراه، ويراه جليسه قرصة خبز طيبة، ويرى الشراب ماء عذباً.

وكتب الشيخ الامام الغزالي وافية في هذا العلم، سيما (كتاب الأحياء). ولما كان هذا العلم نتيجة علم الحديث وثمرته جعلناه من فروعه وسنذكر هذا العلم في الطرف الثاني من الرسالة، لأنه من مقدمات العلوم الكشفية، التي جعلنا الطرف الثاني لبيانها ان شاء الله تعالى.

علم صلاة الحاجات الواردة في الأحاديث

وهي كثيرة جداً، أشهرها صلاة الضحى، والتهجد، وصلاة التسبيح وغير ذلك من نوافل الصلوات. وقد دونها الشيخ فخر الدين الرومي في كتاب (دعوات الليل والنهار)، يجدها من يطلبها.

علم المغازي

وهذا وأن أمكن عده من فروع علم التاريخ، لكن لما كان ثبوتها بالأحاديث والآثار، جعلناه من فروع علم الحديث. وفي هذا العلم مصنفات كثيرة، أجلها وأفضلها تصنيف عبد الملك بن هشام، ومغازي ابن اسحق، وغير ذلك.

المطلب الخامس

في فروع علم أصول الدين

واعلم أن المتقدمين من علماء الكلام، لما رأوا أن الغاية القصوى من العلوم معرفة الله تعالى وصفاته، وما يتفرع عليها من أحوال النبوة والمعاد، بحثوا عن هذه الأمور، وجعلوا البحث عما تتوقف هي عليه من أحوال الموجودات بطريق المبدئية، على قدر الحاجة، ولذلك ترى كتب الأقدمين عن السلف الصالحين، مقصورة على المباحث المذكورة.

ثم أن من يليهم من العلماء، لما رأوا أن تلك المباديء من مسائل العلم الالهي، وتحاشوا عن أن يحتاج علم العقائد إلى علوم الفلاسفة، عمموا موضوعه، فبحثوا عن أحوال الموجودات الخارجية مطلقاً، ليكون لهم علم شرعي بازاء العلم الالهي للفلاسفة، ويمتاز عنها بأن يبحث في الكلام على قواعد الشرع، وفي الالهي على مقتضى العقول، وافق الملل والشرائع أم لا.

ثم أن من يليهم من العلماء، لما رأوا أن علمهم هذا لا يستغني عن القواعد المنطقية التي وضعتها الفلاسفة، ورأوا أن احتياج علم شرعي إلى علم غير شرعي، غير مرضي عند المتشرعين، عمموا موضوع العلم المذكور مرة أخرى، وجعلوا موضوعه المعلوم المتناول للموجود الخارجي والموجود الذهني، الذي هو موضوع المنطق، وذلك لأن موضوعه المعقولات الثانية الموجودة في الذهن فقط، فعلى هذا الذي استقر عليه رأيهم آخرا، صار موضوعه أعم المفهومات كلها، بحيث اندرج فيها موضوعات جميع العلوم. وقد تقرر في موضعه أن الاصالة والفرعية بين العلوم العقلية، أن يكون موضوع الفرع من أنواع موضوع الأصل، فعلى هذا يكون جميع العلوم، من فروع علم الكلام، لأن موضوعه أعم الموضوعات كلها، ولهذا لم نتعرض لفروع علم الكلام أصلاً، لا لعدم فروعه.

المطلب السادس

في فروع علم أصول الفقه

علم النظر

وهو علم المنطق، الباحث عن أحوال الأدلة السمعية، أو حدود الأحكام الشرعية، وهذا من فروع علم الأصول، لأن علم الأصول باحث عن أحوال الأدلة السمعية، من حيث استنباط الأحكام الشرعية منها. والأدلة أما سمعية، وهي الكتاب والسنة والاجماع؛ أو عقلية، وهي القياس.

ثم البحث عن الأدلة السمعية بطرق سمعية، وعن العقلية بطرق عقلية باحثة عن الأدلة السمعية، وهو طرق القياس، فالطرق العقلية ليست الا القواعد المنطقية، فهي من فروعه لا محالة. ولهذا جعلها ابن الحاجب من مبادىء علم الأصول. إلا أن الذي يكون مبادىء لعلم الأصول، ليس جميع قواعد المنطق من جهة المادة، بل قواعد لها اختصاص بالمباحث السمعية. نعم لا تفاوت بين السمعية والعقلية من جهة الصورة، كما لا يخفى على من مارس في ذلك العلم.

علم المناظرة

وهو علم باحث عن أحوال المتخاصمين، ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب، حتى يظهر الحق بينهما. وهذا العلم من أنواع العلوم العقلية أيضاً. وقد مر تفصيله، لكن لا مانع فيه من أن يكون فرعاً لعلم الأصول.

علم الجدل

وهو اثبات أي وضع كان، وهدم أي وضع. وهو أيضاً من أنواع العلوم العقلية، لكنه من فروع علم الأصول أيضاً.

علم الخلاف

وهو الجدل الواقع بين أصحاب المذاهب الفرعية، كأبي حنيفة والشافعي، وأمثالهما. والفرق بينه وبين علم الجدل بالمادة والصورة؛ فإن الجدل بحث عن مواد الأدلة الخلافية، والخلاف بحث عن صورها.

وقد خرج العلماء بعضها مسائل عشر من الخلافيات، وبعضها المسائل العشرين إلى الأربعين والخمسين، ليكون انموذجاً، ويعتبر بها البواقي. وأحوال هذه الفنون والتصانيف الواقعة فيها، لتقدمها سابقاً، تركنا فيها التطويل.

و (كتاب المعالم)، للإمام فخر الدين الرازي جامع لهذه العلوم. وسمعت من بعض مشايخ المغاربة كتباً كثيرة في علمي الجدل والخلاف، بحيث ما سمعنا أسماءها في بلادنا، فضلاً عن رؤيتها.

المطلب السابع

في فروع علم الفقه

علم الفرائض

وهو علم باحث عن أحوال قسمة التركة على مستحقيها على فروض مقدرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، واجماع أمة رسوله. وشهرة هذا العلم أغنانا عن تفصيله.

وهذا العلم باب من علم الفقه في الأصل، إلا أن لكثرة اعتناء العلماء به لعسره، ولزيادة شرفه، أفردوه بالتدوين، حتى عد علماً مستقلاً، وجعل من فروع علم الفقه.

والمصنفات في هذا العلم كثيرة، لكن أشهرها في بلادنا: (مختصر السجاوندي)، و (شروحه)، سيما (شرح) السيد الشريف قدس سره اللطيف، و (شرح) المولى شمس الدين الفناري، عليه رحمة الباري.

علم الشروط والسجلات

وهو علم يبحث فيه عن كيفية سوق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في الرقاع والدفاتر، ليحتج بها عند الحاجة اليها. وهذا باعتبار لفظه من فروع علم الإنشاء، و باعتبار مضمونه وفحواه، من فروع علم الفقه. وقد مر ذكره في فروع علم الانشاء.

علم القضاء

وهو علم باحث عن آداب تختص بالقضاة، وقد اعتنى العلماء بشأن القضاة، فأفردوا آداب القضاء في تصنيف مستقل. وأشهر التصانيف في ذلك (كتاب الخصاف)، وغير ذلك من الكتب المشهورة التي يعرفها أهلها.

علم معرفة حكم الشرائع

واعلم أن الفقهاء اقتصروا على تعليل الأحكام الشرعية، أما بالسمع من الكتاب والسنة والإجماع، أو بالعقل، وهو القياس، أما لكفاية ذلك في مقاصدهم، أو لعجز العباد عن معرفة الحكم، حتى قال قائلهم:

لم يخلق العقل دراكا لحكمته ... لكن ليقبل ما يأتيه من حكم

لكن بعضاً من الفضلاء، شكر الله سعيهم، بذلوا مجهودهم، فيما لم يكن الحكم فيه تعبدياً، في أن يستخرجوا الحكم في الأحكام، لتطمئن قلوب العباد في قبوله، وتنشط أذهانهم بأن يطلعوا على حكمة آمرها، فدونوا حكم الشرائع ومحاسنها حسبما قدروا على ذلك.

وصنف في هذا العلم كتاباً نافعاً جامعاً مسمى (بمحاسن الشرائع والاسلام)، الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري، روح الله روحه.

علم الفتاوى

وهو علم تروي فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية،

ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم. والكتب المؤلفة في هذا العلم أكثر من أن تحصى، بعضها على مذهب الشافعية، و بعضها على مذهب الحنفية، وكذا المالكية والحنابلة.

وقد ذكرنا كثيراً منها في علم الفقه: من المتون والشروح والفتاوى، مع ترجمة مؤلفيها، لكن نذكر هاهنا على الاجمال بعضاً من الكتب المعتبرة الواقعة على مذهبنا.

وهي:

١ ــ الهداية.

٢ ــ وشروح الجامع الصغير: للحسامي وللبرهان وللصدر الشهيد وللعتابي ولقاضي خان وللتمرتاش ولأبي الليث. وهذه شروح سبعة للجامع الصغير.

ومنها:

١ ــ الأجناس، للناطفي.
٢ ــ والتجنيس، لصاحب الهداية.
٣ ــ والمنتقى للحاكم الشهيد.
٤ ــ والواقعات، للصدر الشهيد.
٥ ــ والأسرار، للقاضي أبي زيد.
٦ ــ والكافي، للحاكم الشهيد.
٧ ــ وتحفة الفقهاء.
٨ ــ وشرحها: البدائع، للكاشاني.
٩ ــ وخلاصة الفتاوى.
١٠ ــ وقنية المفتي.
١١ ــ ومنية المفتي.
١٢ ــ والمبسوط.
١٣ ــ والزيادات.
١٤ ــ والجامع الكبير.

١٥ ــ والأمالي.

١٦ ــ والمحيط.

١٧ ــ والملتقط في شرح الزيادات، لقاضي خان.

١٨ ــ والنوادر.

١٩ ــ وشرح الطحاوي.

٢٠ ــ وغنية الفقهاء.

٢١ ــ وعمدة المفتي.

٢٢ ــ والتجريد.

٢٣ ــ والذخيرة.

٢٤ ــ وخزانة الفقه.

٢٥ ــ والعيون.

٢٦ ــ والنوازل.

٢٧ ــ والروضة.

٢٨ ــ وشرح الارشاد.

٢٩ ــ وجمع العلوم.

٣٠ ــ وجمع التفاريق.

٣١ ــ والقدوري.

٣٢ ــ والمنظومة.

٣٣ ــ والوقاية.

٣٤ ــ والبداية.

٣٥ ــ وكفاية المنتهى.

٣٦ ــ وفتاوى أبي الليث.

٣٧ ــ وفتاوى قاضي خان.

٣٨ ــ والفتاوى الظهيرية.

٣٩ ــ وفتاوى الرستفغني.

٤٠ ــ وواقعات الصدر الشهيد.

٤١ ــ وواقعات الحلوائي.

٤٢ ـــ بغية المنية ، لصاحب القنية .

٤٣ ـــ والفتاوى الصغرى .

٤٤ ـــ وفتاوى المرغيناني .

٤٥ ـــ والفتاوى الكبرى .

٤٦ ـــ وفتاوى حسام الدين الرازي .

٤٧ ـــ والفتاوى الجلالية .

٤٨ ـــ وفتاوى شرف الدين المكي .

٤٩ ـــ وشرح شيخ الاسلام المعروف بجواهر زادة .

٥٠ ـــ وتتمة الفتاوى .

٥١ ـــ وفوائد الامام أبي علي النسفي .

٥٢ ـــ وفتاوى الفقيه أبي جعفر البلخي .

٥٣ ـــ وفتاوى شمس الأئمة الحلوائي .

٥٤ ـــ وفتاوى بهاء الدين الأسبيجابي .

٥٥ ـــ وفتاوى التمرتاش .

٥٦ ـــ وفتاوى أبي الفضل الكرماني .

٥٧ ـــ والإيضاح .

٥٨ ـــ ومختار الفتاوى .

٥٩ ـــ وخيرة الفقهاء .

٦٠ ـــ وتحفة الملوك .

٦١ ـــ والارشاد .

٦٢ ـــ وفتاوى حافظ الدين الرازي .

٦٣ ـــ الفتاوى التتارخانية .

وغير ذلك من الفتاوى المبسوطة والموجزة .

ولا يذهب عليك أن كتب الفتاوى أكثر من أن تحصى ، لكن ان ظفرت بما ذكرناه كلها أو جلها ، فقد فزت بالمرام . والله ولي التوفيق والأعلام ، ومنه الهداية والالهام .

فهرس موضوعات الجزء الثاني

و يتضمن

الدوحة السادسة

في العلوم الشرعية

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة